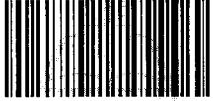
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



شركة الهند الشرقية الإنجليزية

منذ تأسيسها حتى سقوط دولة المغول الإسلامية في الهند

(١٠٠٩ - ١٢٧٣ الهجري / ١٦٠٠ - ١٨٥٧ الميلادي)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

من الطالب

نصير أحمد نور أحمد



إشراف الأستاذ الدكتور

يوسف بن علي بن رابع الثقفي

١٤١١هـ / ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

(ملخص البحث)

شركة الهند الشرقية الإنجليزية

منذ تأسيسها حتى سقوط دولة المغول الإسلامية في الهند

تناولت هذه الرسالة بالبحث والدراسة حُقبة من الصراع في شبه القارة الهندية بين الاستعمار الأوربي ممثلاً في شركة الهند الشرقية الإنجليزية من جهة ، وبين حكم المسلمين في الهند ممثلاً في دولة المغول من جهة أخرى .

حدث هذا الصراع الخطير في الوقت الذي تحول فيه التوازن الدولي من البر إلى البحر ، وأحكم المستعمر الأوربي الموجه بالحقد الصليبي سيطرته على الطرق الملاحية البحرية ، وقام بالتجارة المسلحة في المياه الشرقية عامة وفي المياه الهندية بصفة خاصة ، وكان هذا الوضع يهدد مستقبل دولة المغول الإسلامية التي كانت قوة شبه قارية ضاربة ، إلا أنها كانت متخلفة في الفنون الحربية البحرية ووسائلها .

بدأت الشركة الإنجليزية نشاطاتها في البر الهندي بالتذلل والتملق إلى السلطات المحلية ، واختبرت القوة ضد الدولة المغولية من وقت لآخر ، إلا أنها كانت تواجه بالحزم والحسم في كل مرة ، ولم تحرز أي انتصار عسكري في فترة تماسك الدولة المغولية وقوتها ، ولكن بعد أن ابتليت هذه الدولة بالفتن الداخلية ، واستنزفت مواردها في الحروب العائلية ، تغير الوضع لصالح الشركة الإنجليزية التي حققت انتصاراً مصيرياً في معركة بلاسي ١١٧٠ هـ / ١٧٥٧ م بعد مضي قرن ونصف على بدأ نشاطاتها في الهند .

استخدمت الشركة وسائل عدة في التوسع وإحكام سيطرتها على الهند والهنود، وكان من أهم تلك الوسائل انتهاج سياسة الإلحاق ، والاتجار بالعروش والمناصب ، واستخدام التعليم والتنصير واللغة الإنجليزية للأغراض الاستعمارية .

حاول المسلمون أن يستعيدوا سيادتهم على الهند ، فقامت ثورة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م في هذا الإطار ، إلا أنها كانت تفتقر إلى القيادة والتنظيم والشمولية ، ففشلت في تحقيق أهدافها وسقطت نتيجة لذلك دولة المغول الإسلامية في الهند ، بعد أن كانت قد فقدت سيطرتها العملية على الهند بفعل العوامل الداخلية .

« لله الأمر من قبل ومن بعد »

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية	المشرف	الطالب
د . عابد بن محمد السفياني	أ . د . يوسف بن علي بن رابع الثقفي	نصير أحمد نور أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كيفية نطق بعض الحروف الفارسية الواردة في البحث

پ : تلفظ كحرف P كما في كلمة People

چ : تلفظ كحرفي CH كما في كلمة Chair

گ : تلفظ كحرف G كما في كلمة God

Abbreviations اختصارات

I.O.L: India Ofice Library, London

F.W.I.H: Fort William-India House

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

=============

الحمد لله الذى يداول الأيام بين الناس ولايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبين الذي حذر من تكالب الأمم على المسلمين ، أما بعد ،،،

إن التاريخ الاسلامي الهندى الحديث بحاجة إلى دراسات فاحصة متخصصة ، وذلك ليس لأن المسلمين حكموا الهند لقرون طويلة وتركوا هناك روائعهم الثقافية وعجائبهم الحضارية فحسب ، بل ولأن تاريخ الهند الحديث أثر في تاريخ كثير من البلدان الإسلامية المعاصرة وفي مجريات الأحداث العالمية أيضا. إن البحث عن الطرق المؤدية إلى الهند والتمتع بخيرات الهند وثرواتها الأسطورية كان سببا في كثير من مغامرات الأوربيين ومحاولاتهم في الكشف والاستعمار ، كما كان عاملا مهيمنا في علاقات الدول الأوربية البحرية سلما وحربا ، وبعد أن تمكن الاستعمار البريطاني من إحكام سيطرته على الهند، أصبحت الحماية عن درة التاج البريطاني تقتضي بسط النفوذ الاستعماري البريطاني على البلدان القريبة من الهند وإحكام السيطرة البريطانية على الطرق البحرية المؤدية إلى الهند ، وذلك لإبعاد خطر الدول الأوربية الاستعمارية المنافسة ، ومعنى هذا أن هناك كثير من الدول المعاصرة على مستوى العالم الإسلامي خاصة وعلى مستوى العالم بوجه عام أصبح تاريخها الحديث مرتبطا ومتداخلا بالتاريخ الهندى الحديث ، ومن هنا تظهر أهمية البحث في التاريخ الإسلامي الهندى الحديث لأن فهم هذا التاريخ يساعد على الفهم الصحيح لمجريات الأحداث في كثير من البلدان الإسلامية .

إن الدراسة التاريخية الفاحصة المتخصصة تقتضي الرجوع إلى المصادر الأصلية لجمع المادة التاريخية الأقرب إلى الحقيقة ، ورغم أهمية تاريخ الهند الإسلامي البالغة ، إلا أن الحاجز اللغوى كثيرا ما يحول دون

ارتياد هذا المجال التاريخي من قبل الباحثين في الدراسات العليا التاريخية العربية ، لأن أمهات المصادر التاريخية الهندية قد كتبت باللغة الفارسية لغة الثقافة والترجمة والتأليف ولغة الدول الإسلامية المتعاقبة في شبه القارة الهندية منذ عهد الغزنويين إلى سقوط الهند في براثن الاستعمار الانجليزي حيث بدأت الفارسية تتقهقر أمام اللغة الإنجليزية سواء بفعل مخططات المستعمرين أو بقوة اللغة الإنجليزية وإسهاماتها العالمية في مجال الثقافة والتقدم العلمي التقني ٠

وجد سعادة أستاذى المشرف في إجادتي للغة الفارسية فرصة لاستغلالها في القيام ببحث موضوع من موضوعات التاريخ الإسلامي الهندى الحديث ، فكان أن وجهني لاختيار هذا الموضوع الذى يتناول مراحل من تاريخ الصراع بين الاستعمار الأوربي ممثلا في شركة الهند الشرقية الإنجليزية وبين حكم المسلمين في الهند ممثلا في الدولة المغولية الإسلامية التي شكلت تاريخ الهند في عهودها الحديثة ، ورغم كبر الموضوع وتداخله في التاريخ العالمي والصعاب التي تحيط ذلك في جمع المادة التاريخية من المصادر الأصلية ، قمت بهذا البحث في إطار الخطة الموضوعة مستعينا في ذلك بالله عز وجل ثم بتشجيع أستاذي المشرف الذى وجهني لبذل الجهود وتذليل الصعاب وتخطي الحاجز اللغوى من أجل إضافة جديدة إلى المكتبة التاريخية العربية ٠

جاء هذا البحث استمرارا لما قمت ببحثه في رسالة الماجستير ، ومن هنا كان لدى كثير من الاطلاع عن البلدان والمكتبات التي تحتفظ بمجموعات من المصادر الأصلية التي تتناول تاريخ الهند الإسلامي في العصر الحديث ، بالإضافة إلى أن بعض المصادر التي حصلت عليها في مرحلة الماجستير قد أفادتني في

هذه المرحلة أيضا، وبإنجاز هذا البحث نكون قد غطينا جانبا كبيرا من تاريخ الدولة المغولية الإسلامية في شبه القارة الهندية وذلك في عهد قوتها ثم في دور ضعفها وزوالها .

إن الصعوبة في مصادر البحث في التاريخ الهندى الحديث ليست في قلتها بل في كثرة هذه المصادر وغزارتها وتنوعها وتعدد لغاتها واختلاف اتجاهاتها ثم بعثرتها في مختلف البلدان في عالم تسوده تعقيدات وموانع في إجراءات السفر والإقامة والتنقل من بلد إلى آخر ، وحتى بعد اجتياز معظم هذه المصاعب تبقى صعوبة التعامل مع الكم الهائل من تلك المصادر ، والاستفادة الضرورية منها في إطار زمني محدد ، ورغم كل ذلك فما لايدرك كله لايترك كله ، فكان أن بذلت المستطاع في توفير ما أمكن توفيره من المصادر والمراجع بعد أن قمت برحلة لهذا الغرض إلى كل من باكستان وبريطانيا ، وكان التركيز الأكثر منصبا في البحث عن المصادر الفارسية لأنها المصادر الهندية الإسلامية الأُصلية من جهة ولأن الحاجز اللغوى كما أشرنا سابقا حال دون الاستفادة منها بعد أن تقهقرت الفارسية إلى موطنها الأصلي في أفغانستان وإيران ، مما جعل معظم الباحثين التاريخيين من خارج البلدين المذكورين يكتفون في بحوثهم بما تقدمه المصادر والمراجع الأوربية التي يجيد إحدى لغتيها الإنجليزية والفرنسية كثير من الباحثين والمثقفين في عالمنا الإسلامي والعربي .

إن معظم المصادر المستخدمة في البحث تتميز بالمعاصرة للأحداث التي تتناولها ، كما أن بعض الذين دونوا الأحداث كانوا قد شاركوا فيها أو شاهدوها وتتنوع المصادر الفارسية بين كونها مراسلات أو مراسيم أو مذكرات رحالة أو مؤلف يتناول تاريخ الدول الإسلامية في الهند أو تاريخ إمارة وإقليم خاص أو

تاريخ سلطان أو أمير معين أو تاريخ طائفة وحدث خاص ، وفي هذا الإطار يكون تكرار الاستفادة من المصدر في أكثر من فصل أو اقتصاره في فصل خاص أو جزء من الفصل ، كما أن هذه المصادر تتميز بأنها تمثل اتجاهات مختلفة حسب موقف مؤلفيها من الأحداث ، فهناك مؤلفون مسلمون وهناك مؤلفون من الهندوكيين والسيخ والأوربيين وهناك موال لهذه الجهة ومعارض لتلك ، كما أن هناك من كتب بالحياد دون أن يكون له موقف لصالح هذا أو ذاك ، ولقد وضعت في ذهني كل هذه الملاحظات أثناء جمع المادة التاريخية وصياغتها وعرضها ، محاولا أن أقدم صورة واضحة للأوضاع تكون أقرب إلى الحقيقة قدر المستطاع إن لم تكن هي حقيقة ماحدثت بعينها .

والجدير بالذكر أن مصادر الدولة المغولية لاتتطرق إلى موضوع تأسيس الشركات الأوروبية ونشاطاتها منذ قدومها إلى الهند وحتى بعد قرن من الزمان تقريبا ، وتفسير ذلك أن الدولة كانت في عهد قوتها وعظمتها وتماسك أقاليمها لم تكن تعير أى اهتمام لهؤلاء الأوربيين الذين جاؤا يلتمسون الرزق شأنهم في ذلك شأن آلاف الأشخاص الذين كانوا يتوافدون بصورة مستمرة إلى الهند من بلدان وجنسيات مختلفة طلبا للعمل والتجارة والتوطن في بلد ثري كان يعيش في أمن واستقرار ورغد العيش ، فرأت مصادر الدولة في تلك الفترة إلى توافد الأوربيين بأنه حدث عادي يتكرر كل يوم ولايستحق الاهتمام والتسجيل ، ومن هنا نرى الفصل الأول من الرسالة وجزءا من الفصل الثاني خاليا من الإشارة إلى المصادر الهندية المغولية .

بالاضافة إلى المصادر الفارسية والإنجليزية ، فإنني لم أغفل الرجوع إلى المراجع الحديثة العربية والمعربة وكذلك الفارسية المفرسة والبشتو

والإنجليزية مما توفر لي طوال انشغالي بجمع المادة التاريخية وحتى قبيل طبع الرسالة وتجليدها ، وذلك لأن البحث العلمي بحث تكاملي لاينبغي فيه أن يستغني باحث عن باحث أو مرجع عن مرجع ، بالإضافة إلى أن الباحث مهما بلغ من علم وثقافة ووسائل وإمكانيات ، لايمكنه أن يدعى بأنه اطلع على جميع مصادر البحث أو سبر غوره وخفاياه وأُدرك جميع النتائج ووضع النهاية الأبدية ، لأنه تبقى دائما ظروف وعوامل تحول بين الباحث والحصول على مصدر أو مصادر تيسر حصولها لباحث آخر ، وهذه هي طبيعة البحث التاريخي الذى يتقدم ويتجدد في مسيرة تكاملية يستفيد فيها المتأخر عن المتقدم ويستمر الحصول على حقائق وأفكار وإضافات جديدة ، ومن هنا كان اهتمامي بالمراجع الحديثة ، إلا أنني وضعت في الاعتبار أن هناك بعض المراجع الحديثة التي كتبت تحت إيحاء من أيديولوجيات معينة حاولت أن تخضع التاريخ لأغراضها الدعائية ، كما أن هناك مراجع أخرى قد كتبت لخدمة ماتسمى بالقومية التي تخضع بدورها هي الأخرى لروّية السلطة ، وطبيعي أن هذه المراجع لم تكتب للتاريخ فتجدها تمجد من أو ما لايستحق التمجيد وتهمل من أو ما يستحق الإظهار ، وتبالغ في ذكر محاسن جانبها المفضل وبيان معايب الجانب الخصم ، وعلى الرغم من أن مثل هذه المراجع تفقد أهميتها وتداولها بزوال الأسباب التي أوجدتها إلا أنه بالإمكان الاستفادة منها في بعض ما تذكرها بعد أن يفع الباحث في ذهنه الملاحظات التي أشيرت إليها .

من خلال ذلك التوضيح حول المصادر والمراجع والحذر المطلوب أثناء الاستفادة منها ، يكون قد اتضح المنهج الذى اخترته في إنجاز هذا البحث ، وهو أنني وضعت نصب عيني الوصول إلى الحقيقة وإبرازها ما أمكنني ذلك دون

أن أترك لعاطفة الحب أو الكراهية تؤثر على رؤيتي للأحداث ونتائجها، لأن مهمة الباحث التاريخي هي أن يبرز الأحداث كما كانت ووقعت، وليس كما يجب أن يكون ويحدث وفي هذه الحالة نرى الأشياء بحجمها الطبيعي دون أن نحمل الآخرين أخطائنا، وفي هذه الحالة فقط تكون للدراسات التاريخية فائدتها ودورها في التصحيح وصنع المستقبل في إطار مايجب أن يكون .

وأما عن محتويات الرسالة فإنها تحتوي على مقدمة تمهيدية وخمسة فصول وخاتمة، ففي المقدمة التمهيدية شرحت سياسة التسامح والانفتاح التي اتبعتها الدولة المغولية الإسلامية في شبه القارة الهندية ودور هذه السياسة في اجتذاب الأوربيين إلى الهند بعد أن سمعوا وقرأوا الكثير عن خيراتها وثرواتها ورخاء أهلها .

وفي الفصل الأول تكلمت عن تأسيس الشركات الأوربية الاستعمارية للتمتع بخيرات الهند والتجارة في سلعها، وركزت على الشركات الإنجليزية والهولندية والفرنسية حيث لعبت هذه الشركات الثلاث الدور الأساسي التنافسي في السيطرة على الهند وابتزاز خيراتها .

وفي الفصل الثاني شرحت التنافس الاستعماري بين تلك الشركات في احتكار التجارة الهندية، وذكرت أن النزاع المسلح بين الشركات الأوربية المتصارعة كان يحدث خارج البر الهندى وبعيدا عن الأراضي والمياه التي كانت تخضع لسيادة الدولة المغولية عندما كانت الدولة في أدوار قوتها وتماسكها، ولكن بعد ضعف الدولة وتفككها انتقلت تلك الصراعات المسلحة إلى داخل الأراضي الهندية المغولية واتخذت أيضا شكل التدخل في شئون الامارات والكيانات التي أفرزها تفكك الدولة المغولية، إلى أن انتصرت شركة الهند الشرقية الإنجليزية

على جميع منافساتها الأوربيات وتحولت إلى دولة منظمة داخل دولة المغول المفككة .

وفي الفصل الثالث تناولت بالبحث والدراسة تقدم نفوذ الشركة الدولة وبسط سيادتها في الهند وقمع كل من قاومها والإبقاء على بعض من أكد خضوعه لها، مستغلة في ذلك سذاجة الحكام الوطنيين وضرب بعضهم ببعض .

وفي الفصل الرابع ذكرت الوسائل التي استخدمتها الشركة الإنجليزية في إحكام سيطرتها على الهند ، وذكرت في مقدمة العوامل التي مهدت السبيل للاستعمار الإنجليزي ، الحروب والفتن العائلية التي ابتليت بها الدولة المغولية منذ عهد السلطان أورنكَزيب .

وفي الفصل الخامس بحثت الثورة الهندية التي كانت ردة فعل غاضبة ضد شركة الهند الشرقية الانجليزية وسيطرتها على جميع شئون الهند ، وذكرت عوامل اندلاع الثورة وأسباب فشلها والنتائج المترتبة على ذلك .

وفي الخاتمة -التي آمل أن تكون لب الرسالة وأهم جزء فيها- ، ذكرت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث ، وقلت أن الاستعمار الإنجليزي لم ينتصر في أي صدام بري مع الدولة المغولية القوية المتماسكة ، ولكن عندما ضعفت الدولة وتفككت بفعل العوامل الداخلية ، أخذ الإنجليز يحاربون ما أفرزه تفكك الدولة المغولية من إمارات وكيانات غير مستقرة الأوضاع ، وحتى في هذه الحالة لم يتمكن المستعمرون الإنجليز أن ينتصروا على أية إمارة إلا بعد أن استعانوا بالطابور الخامس وبالإمارات المجاورة ، وذكرت في الخاتمة أيضا أن عامل العوامل فيما آلت إليه حال المسلمين في الهند هو أخطاء حكامهم ويأتي في مقدمة هذه الأخطاء عدم قيامهم خير قيام لأداء واجبهم تجاه نشر الدعوة الإسلامية بين الغالبية



الهندوكية والدعوة إلى الله بالبصيرة والحكمة والموعظة الحسنة ، وكانت نتيجة النتائج لذلك التهاون والتقصير هي أن بقى المسلمون هناك على شكل أقلية فكانوا عرضة للأخطار،خاصة بعد أن اكتفوا بتقدمهم على مستوى شبه القارة الهندية إلى ذلك الزمان وتخلفوا عن اللحاق بالتقدم العلمي على المستوى العالمي ، وقلنا في الخاتمة كذلك أنه لو تركت الهند وشأنها ولم يتدخل في أحداثها المستعمر الأوربي الأحسن تنظيما والأقوى تسليحا وخداعا ، لانتهت الأوضاع واستقرت لصالح المسلمين كما تكرر ذلك مرارا خلال حكمهم الطويل في شبه القارة الهندية حيث أثبتوا أنه رغم بقائهم في أقلية إلا أنهم كانوا الأقدر والأجدر بالقيادة والريادة في شبه القارة الهندية .

بقي أن أذكر بأنني خلال مراحل تحضير هذه الرسالة تشرفت بالعمل تحت إشراف وتوجيه ثلاثة من الأساتذة الأفاضل الذين كان لتوجيهاتهم السديدة أكبر الأثر في إنجاز هذه الرسالة التي أشرف عليها في دور اختيار الموضوع ووضع الخطة والبحث عن المصادر والمراجع ، سعادة الأستاذ الدكتور محمد عبداللطيف البحراوي، وتابع الإشراف في مرحلة جمع المادة العلمية سعادة الأستاذ الدكتور إبراهيم الزين صغيرون ، كما تفضل سعادة الأستاذ الدكتور يوسف علي الثقفي بالإشراف في المرحلة الأهم من مراحل تحضير الرسالة وهي مرحلة الصياغة والعرض حيث كان سعادته يوجهني دائما إلى الالتزام بالمنهج العلمي السليم في الأسلوب والكتابة ،وتوثيق البحث بمزيد من المصادر الأصلية ، ولقد وجدت سعادته أحرص مني في أن يخرج البحث على أفضل صورة ممكنة ، مما يدل على نبله وحنانه والاهتمام لمصلحة تلاميذه وآمل أن أكون قد وفقت في ترجمة توجيهاته إلى واقع ملموس بعد أن بذلت المستطاع لتحقيق ذلك .

وفي الختام لايسعني إلا أن أشكر جزيل الشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة الفحص والمناقشة لتفضلهم بقراءة الرسالة وفحصها وتقبل مناقشتها ، كما أقدم شكرى للمسئولين في هذه الجامعة ابتداء من معالي مديرها ثم عمادة كلية الشريعة إلى رئاسة قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية وذلك للرعاية التي شملوني بها ولما يقومون به من أعمال إيجابية في خدمة العلم وطلابه سائلا المولى أن يجزي الجميع خير الجزاء وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم !!!

نصير أحمد نور

مكة المكرمة (١٤١١هـق/ ١٣٦٩ هـ.ش/١٩٩١م)

مقدمة تمهيدية

صدى سياسة التسامح في دولة المغول الإسلامية في الهند

انتهجت دولة المغول الإسلامية في الهند سياسة تسامحية تجاه مختلف المعتقدات والطوائف الموجودة بالهند والقادمة من خارج الهند ، بشكل لم ير عالم ذلك الزمان مثيلا لها ، وقد وضع أسس هذه السياسة مؤسس الدولة المغولية في الهند ظهير الدين محمد بابر شاه (٩٣٢ - ٩٣٧ هـ / ١٥٢٦ - ١٥٣٠م) الذى ترك وصية لابنه وولي عهده همايون شاه نصحه فيها بالاحتراز عن التعصب المذهبي ، ومراعاة أهل الهند فيمعتقداتهم الدينية ، والتعامل مع مختلف الطوائف بالإنصاف والابتعاد عن التبعيض ، كما أوصاه بالاحتراز عن ذبح البقر ما أمكن ذلك مراعاة لشعور رعاياه الهندوس الذين يقدسون البقر ، وأوصاه كذلك أن يجلب طاعة رعاياه عن دولته بإحسانه إليهم ، ويمتنع عن تخريب معابد مختلف الطوائف لكي تقوم العلاقة بين الراعي والرعية على أساس من الود وتتمتع البلاد بالأمن والاستقرار ، كما أوصى بابر شاه ولي عهده بالقيام بنشر الدعوة الإسلامية بالطرق السلمية وباتباع الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن (١).

لقد أخذ حفيد بابر شاه السلطان أكبر الأول (٩٦٣ - ١٠١٤ هـ / ١٥٥٦ - ١٦٠٥ م) بهذه الوصايا جملة وتفصيلا ، بل ذهب في تطبيقها إلى درجة مفرطة تحول فيها التسامح إلى التهاون تجاه القيام بمسئولياته في نشر الدعوة الإسلامية ، وفي هذا الإطار قام أكبر شاه بعقد المصاهرات مع الراجپوت الطبقة العسكرية الهندوكية وأباح المناصب الكبيرة لهم ولغيرهم من الهندوكيين، ولم يتعرض لمعابدهم وطقوسهم الدينية ، وتزوج بالهندوكيات زواج مصلحة وسياسة

---

(١) عبدالحى حبيبى : ظهير الدين محمد بابرشاه ، كابل ،بيهقى،١٣٥١هـ ش،ص ٩٢

كما فتح أبواب بلاطه أمام الهندوكيين وبلغ كثيرون منهم إلى أعلى المناصب في الوزارة والقيادة والشئون المالية [١]، كما أمر السلطان أكبر بإعفاء الهندوكيين عن أداء الجزية ورفع عنهم الرسوم التي كانوا يدفعونها أثناء قيامهم بزيارة أماكنهم المقدسة ، كما صرح للذين أجبروا في صباهم على الإسلام أن ينظروا بعد بلوغهم سن الرشد في البقاء على الإسلام أو الرجوع إلى دين آبائهم كما سمح لهم بإنشاء معابد جديدة ، وكان يعاقب الذين يثبت تعرضهم لتلك المعابد [٢].

وفي إطار سياسة التقرب إلى الهنادكة والتسامح معهم ، خطى السلطان أكبر خطوة أخرى وهي القيام بإحياء التراث الهندوسي ، فأمر بترجمة أمهات كتبهم القديمة الى الفارسية - مثل كتاب مهابهارت الذى قام بترجمته لجنة مكونة من عدد من العلماء والباحثين ، ويحوي الكتاب على كثير من أصول معتقدات البراهمة وفروعها [٣].

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي: طبقات اكبري، لكنهو، نول كشور، ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، ص ٢٥٦، ٢٨٩، ٣٦٦ .

سجان راي : خلاصة التواريخ، دهلى، جى ايندسنس، ١٩١٨م، ص ٣٧٣ .

احمدمحمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج ٢ ، مكتبة الاداب ومطبعتها بالجماميز، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م، ص ٨٥ .

غوستاف لوبون : حضارات الهند، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ص ٢٢٣ .

ول ديروانت: الهندوجيرانها، ط ٣، القاهرة، لجنة التاليف والترجمة والنشر، ص ١٣٧.

(٢) سجان راي : خلاصة التواريخ ص ٣٧٠، ٤٢٥ .

عبد القادر بديواني: منتخب التواريخ، لكنهو، نول كشور، ١٢٨٤هـ، ص ٢٢٩ .

بايزيد بيات : تذكرة همايون وأكبر، كلكته، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧١ .

لم تتوقف تلك السياسة إلى الحد الذي ذكرناه ، إذ طرأ بعد انقضاء الثلث الأول من سنوات حكم أكبر شاه تغير أساسي في تفكيره يتمثل في محاولته اليائسة توحيد الهند عقائديا في إطار ما تأثر به من مخالطته مع مختلف العقائد والآراء والمذاهب ، وابتداعه إثر ذلك ما سماه بالدين الإلهي زاعما في التفاف الهنود عقائديا حول ذلك الدين .

في عام ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م كان أكبر شاه قد أمر بانشاء دار لإقامة الندوات والمناقشات حول مختلف المسائل العقائدية والفلسفية والفكرية والاجتماعية ، وقد سميت تلك الدار ، ب " عبادت خانه " [(١)]، أى دار العبادة ، وقد كانت المشاركة في هذه الندوات مقصورة في بداية الأمر على علماء أهل السنة ، إلا أنه ظهرت هناك خلافات في الآراء بين المشاركين وبدأ البعض يضلل ويكفر البعض الآخر ، فاغتنم أهل البدع هذا الوضع وبدأوا يخرجون من مخابئهم للاصطياد في الماء العكر ، وإزاء اندهاش السلطان لهذه المجريات ، أصدر أوامره في عام٩٨٦هـ/١٥٧٨م بالسماح لجميع أرباب الملل والنحل في المشاركة إلى تلك الندوات ، فجمع في ذلك المنتدى فقهاء وحكماء السنة والشيعة المسلمين وعلماء النصارى والزردشتيين والبراهمة واليهود والزنادقة وسائر المشارب الرائجة في بلاد الهند وإيران وتوران والروم والإفرنج والأرمن ، وكان أكبر شاه يدفع علماء هذه المذاهب إلى المباحثة والمناقشة حول مختلف المسائل العقائدية والفكرية

---

(١) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ،
نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ،
أحمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ج ٢ ، ص ١٠١ .

وينصت إلى تلك المناقشات التي كانت تشتد حدة نتيجة محاولة كل واحد من المشاركين إثبات مدعاه ومايراه حقا[١].

اختلاط السلطان أكبر ومجالسته لعلماء المذاهب المختلفة والإنصات لمناقشاتهم حول مسائل متعددة ، أصبح يصرح بأن الحق يوجد في كل مكان[٢]، وأعلن أنه يمد يد الصداقة إلى مختلف الفرق والطوائف وأنه ينتهج ما سماه بسياسة التعايش السلمي مع الجميع ، ويذكر كبير مستشاريه أبو الفضل علامي[*] في هذا الصدد قائلا :

" إن السلطان يمد يد الصداقة إلى مختلف الفرق والطوائف وأنه يحبذ مجالسة علماء المذاهب والمشارب المختلفة وأصحاب الرياضات ، ويحقق معهم في كل مسألة يطرحونها ، ويطلب منهم إقامة الدلائل المقنعة ، فيحرج الذين ينقصهم العلم والوعي ، وبدل أن يعترفوا بالنقص ويبحثوا عن الكمال ، يكيلون الاتهامات ضد السلطان ، فمرة يتهمونه بالميل إلى التشيع لأنه فتح أبواب مجالسه للشيعة أيضا ، ومرة أخرى يتهمونه بأنه يميل إلى البرهمن بدليل أنه قبل مجالسة علمائهم وأباح للطوائف الهندوكية الانسلاك في دولته ، ورقي بعضهم إلى مناصب عالية ، ونسوا أن السلطان ينتهج سياسة السلام مع الجميع ، فيفتح أبواب

(*) هوابوالفضل علامى بن الشيخ مبارك ، أصله من اليمن ، وقد توطن اجداده في الهند ، وكان هو وابوه الشيخ مبارك وشقيقه فيضى ممن صدر بحقهم الحكم بالاعدام بعد أن ادينوا بالزندقة ، الاأنهم تمكنوا من الاتصال بالسلطان اكبر وشرح ارائهم له ، وتأثر السلطان بتلك الاراء ،واصدر حكما ببراءتهم واختارهم ضمن حاشيته .واصبح ابوالفضل اقرب مقرب للسلطان يحسده الاخرون بمافيهم ولى العهد الامير سليم الذى دبر قتله .

(١) عبدالقادر بدايوني: منتخب التواريخ،ص ٢٢١،

عبدالكريم :زبدة التواريخ،مخطوط فارسى فى مكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم ٣٧٤٧/٧١٤، ق ٤٣أ- ق ٤٣ ب ،

سجان راي : خلاصة التواريخ، ص ٣٧١،

وليام لانجر:موسوعة تاريخ العالم ،ج٤، القاهرة ،مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣ م ، ص ١٤٠٨ - ١٤٠٩ ،

عبدالعزيزسليمان نوار:الشعوب الاسلامية ،بيروت ،دارالنهضة العربية، ١٩٧٣م ، ص ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٢) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ، ص ٢٢٧ .

مجالسته ومناقشاته أمام علماء كل دين ومذهب ومشرب ، ويرجح رأى الذين يقدمون دلائل مقنعة " [١]، والجدير بالذكر أن لأبي الفضل هذا ولأبيه الشيخ مبارك ولأخيه فيضى الدور المهم لجر السلطان إلى المجادلات العقلية التي انتهت إلى ابتداعات لايقرها الشرع ، وكان المذكورون متهمين بالضلال واتباع البدع من قبل علماء أهل السنة قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى بلاط السلطان والتأثير على أفكاره [٢].

فيما يتعلق بموقف السلطان أكبر من النصارى والنصرانية ، فإنه فتح أبواب ندواته أمام القساوسة المنصرين وسمح لهم بالتنصير ، كما أمر بترجمة الإنجيل إلى الفارسية ليكون في متناول أيدي الباحثين ، كما أجلس ابنه الأمير مراد ليتلقى منهم دروسا في النصرانية حيث كان أبو الفضل يقوم بترجمتها [٣]، وكان هؤلاء القساوسة في معظمهم يأتون إلى الهند من الجزر والموانيء الخاضعة للسيطرة البرتغالية في المحيط الهندي وعلى الشواطيء الهندية ، حيث كان البرتغاليون قد ثبتوا أقدامهم في بعض الموانيء الهامة في الساحل الغربي للهند [٤]، قبل أن يتولى أكبر شاه عرش دهلي وقبل أن يضم گجرات المطلة على

---

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج٣، لكنهنو، نول كشور، ١٢٤٨، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٠ ،
محمد شريف معتمدخان: اقبالنامهٔ جهانگیری، ج٢، لكنهو، نول كشور، ١٢٨٦هـ/١٨٧٠م ص ٢٧٧ .

(٣) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ،
شكيب أرسلان :حاضر العالم الاسلامي، ج٤، ط٤، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م، ص٢٠٦-٣٠٧ .

(٤) زين الدين المليباري: تحفة المجاهدين، مكتبة جامعة برنستن في نيوجرسي تحت رقم ٣٩٢٠، ق ٢٠ ب ، ٢١ أ ، ٢٢ أ ، ٢٣ ب ، ٢٥ ب، ٢٦ ب ، ٢٧ ب .
محمد قاسم فرشته : تاريخ فرشته ، ج ٢ ، ط٣، لكنهو، نول كشور، ١٣٠١هـ/١٨٨٤م، ص ٣٧٢ .

الساحل الهندي الغربي إلى دولته (*) .

على الرغم من قسوة البرتغاليين في التعامل مع الإمارات الهندية الساحلية وعلى الرغم من أخطارهم المحدقة على الزائر والتاجر والقرصنة التي كانوا يقومون بها ضد السفن الإسلامية ، إلا أنه كانت هناك علاقات واتصالات بين دولة أكبر والوجود البرتغالي في المياه الهندية وسواحلها ، تمثلت هذه العلاقات في تبادل بعض البعثات بين الجانبين بالإضافة إلى المشاركة البرتغالية في التجارة الهندية ، ولقد أرسل السلطان في عام ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م بعثة إلى ميناء كَووه Goa حيث مقر الحاكم العام البرتغالي في المحيط الهندي وكان من مهام البعثة التعرف على الأوضاع هناك والاطلاع على الصناعات والفنون الموجودة في كَووه ، وكان تضم البعثة عدداً من الخبراء والفنانين ، ولقد قضت البعثة قرابة ثلاثة أعوام هناك ثم عادت إلى آكَره في عام ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م حيث قدمت إلى السلطان تقريرا عن مشاهداتها (١).

كذلك كان التجار البرتغاليون يترددون إلى عاصمة الدولة المغولية لتسويق بضائعهم التجارية ، ومن ذلك القافلة التجارية التي وصلت إلى آكَره من ميناء كَووه في عام ٩٩٨ هـ / ١٥٩٠ م حاملة بضائع إفرنجية وأرمنية وصينية وغيرها ، وقام السلطان بمشاهدة تلك البضائع ، كما وصلت قافلة تجارية أخرى في عام ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م يرافقها جمع من الرهبان ، كما كانت في العاصمة آكَره

(*) استولى السلطان اكبر على كَجرات في عام ٩٨٠ هـ/١٥٧٢ م

(١) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ١٢٥ ، ١٩٦ ؛
V.A. Smith: Akber the great mogul, Dehli, Third Indian Reprint, Ram Nagar, P.98

محلة خاصة لتجار الإفرنج وتسويق بضائعهم وكانت تسمى بفرنكَي توله (*) (١).

إن سياسة التسامح والانفتاح التي اتبعها السلطان أكبر، جعل البرتغاليين يطمعون في تنصيره، فقاموا في هذا الإطار بإرسال بعثات تنصيرية متعددة، باءت جميعها بالفشل ولم تتمكن من تحقيق هدفها الرئيسي وهو تنصير السلطان نفسه، إلا أنها تمكنت من الحصول على إذن السلطان للقيام بالأعمال التنصيرية وبناء بعض الكنائس في مدينتي لاهور وآكَره (٢).

يذكر جهانكَير ولي عهد السلطان أكبر وخليفته في الحكم بأنه سأل مرة أباه عن السبب الذي يمنعه من تخريب معابد الهندوكيين والكفار أو حظر الدخول إليها، فأجابه قائلا :

" إنه سلطان وظل الله، وكما أن الله تعالى رحيم لجميع خلائقه يجب علينا أيضا أن نكون رحماء، وأن يكون نهجنا هو التسامح مع الجميع، بالإضافة إلى أن خمسة من كل ستة أفراد من رعايا الهند كفار وهندوكيون، ولايكون الحل إلا بقتلهم، فتركهم أولى "(٣) .

(*) فرنكي توله : مركز تسويق البضائع الافرنجية .

(١) ابوالفضل علامي : اكبرنامه ، ج ٣ ، ص ٦٠٢ ، ٧١٢ .
لاله سيل جند : تفريح العمارات ، مكتبة جامعة بنجاب بلاهورتحت رقم ١٠٣٠/٤٠٨٢ص ٩٦ .

(٢) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠٥، ٢٢٣ .
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ١٤٠ .
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العام، ج٤،بيروت ، منشورات عويدات، ١٩٦٦ م، ص ٥٩٠ .

(٣) سليم شاه الهندى :تاريخ أكبر شاه ،مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، بجناح عارف حكمت تحت رقم ٥٣، ق ١٢ ب .

كان أكبرشاه يرى أن السلاطين مفوضون من الله وعليهم أن يكونوا كنور الشمس الذى يسطع على المحسن والمسيء على السواء ، ومن هنا كان يرى أن يتعايش المسلمون والهندوس والزردشتيون والنصارى وأتباع مختلف الأديان والمذاهب والعقائد في سلام ووئام وأن يعبد ربه كل حسب دينه ومذهبه ، لأن الدائرة الوسيعة للرحمة الإلهية تتسع لجميع الطوائف وأرباب الملل والنحل (١).

وتذكر المصادر أنه قبل قيام الدولة المغولية في الهند ، لم يكن للشيعة محل إلا في إيران ، كما لم يكن للسنيين مكان إلا في الدولة العثمانية وهندوستان وما وراء النهر ، ولكن في عهد السلطان أكبر ، كانت أراضي الدولة المغولية تتسع لكل قادم وصاحب كل عقيدة ومذهب ، فكنت ترى السني والشيعي يصليان معا في مسجد واحد ، كما كان النصراني يدخل الكنيسة مع اليهودي ، بالإضافة إلى أن أكبر شاه كان يتودد مع فضلاء كل طائفة ودين ومذهب وكان يقضي بعض أوقاته في صحبة علمائهم ، وكان يعتبر نفسه أبا لرعاياه بمختلف فئاتهم وعقائدهم ، وكان يصرح بأن الله سبحانه وتعالى قد فوض إليه الحكم والملك ليقوم بالحراسة والمسئوليات الملقاة على عاتق الراعي تجاه رعاياه والعمل لخير خلق الله والإحسان معهم جميعا (٢) .

---

(١) محمد هادى : توزك جهانگيري ،لكنهو،نول كشور،لكنهو،بدون تاريخ،ص ١٥-١٦.
سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٢) معتمدالخدمة : توزك جهانگيري ، ص ١٥ .
بهگوانداس : تاريخ آباء واجدادشاه جهان، مكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم ١١١٤/ ٤١٩٧، ق ١٠٩ ب ،
محمد عبدالله خان : تذكرة في سير آگره ، مكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم ٣٨٤٦/٨١٣، ق ٣٨ أ .

هكذا انتهجت الدولة المغولية سياسة التسامح والانفتاح تجاه كل ساكن في الهند وكل قادم إليها ، وكانت لهذه السياسة آثارها وصداها على المجالين الداخلي والخارجي •

ففي المجال الداخلي ، وجد الهندوس والطوائف المعادية للمسلمين في هذه السياسة فرصتهم للظهور والقيام بنشاطات كبيرة للالتفاف حول عقائدهم وإحيائها ، كما أصبحت كل دعوة إلى الإسلام والتمسك به عقيدة وشريعة وأخلاقا ، دعوة إلى التعصب والتشدد وخروجا على الخط التسامحي الذى رسمه بابر شاه وأفرط في تنفيذه أكبر شاه ، وأصبح الالتزام بهذا الخط أو الابتعاد عنه موضع خلاف بين أعضاء الأسرة المالكة أنفسهم من حين لآخر ، تحول في بعض الأحيان إلى صدامات مسلحة ومعارك دامية بين هذا الجانب وذاك ، كما نراه في المعارك التي وقعت بين أبناء شاه جهان (١٠٣٧ - ١٠٦٩هـ / ١٦٢٨ - ١٦٥٩م) فسرت بأنها معارك بين أتباع السنة بقيادة أورنكَزيب وبين السير على نهج أكبر شاه بقيادة داراشكوه الابن الاكبر لشاه جهان وولي عهده ، وكانت مواقف رجالات الدولة وقوادها وقواتها ورعاياها من ذلك الصراع تتحدد طبقا للاتجاهات العقائدية والسياسية والمصالح الخاصة لكل فرد وجماعة وطائفة ، وكان الخاسر الأكبر في هذه الصراعات العقائدية السياسية العسكرية هو الدولة المغولية الإسلامية والمسلمين بصفة عامة ، ومعنى هذا أن السياسة التهاونية التقاعسية التي انتهجها السلطان أكبر أضرت بالمسلمين وسلطتهم في الهند على المدى البعيد ، وإن كانت قد نجحت في إرساء قواعد الدولة والتمتع بحماية الغالبية الهندوكية في عصره والفترة الوجيزة التي تلته ، إلا أن أضرارها كانت قاضية وقاصمة على المدى البعيد ، إذ مع اتساع النشاط الهندوكي المعادي لدولة المسلمين

المتمثل في معاداة المرهته (*) للدولة المغولية وتقاعس الدولة تجاه تحمل مسئولياتها في نشر الدعوة الإسلامية على أساس من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ، واتخاذ معظم المسلمين موقف المتفرج تجاه مصير الدولة التي اعتقدوا أنها تركتهم جانبا ، أصبحت الدولة لاتتمتع بحماية دين أو عصبية في مجتمع بدأ ولاؤه ينقسم إلى الطوائف ، ومعنى هذا أن السياسة التي أريد منها كسب ود الجميع انتهت الى أن خسرت الدولة ود الجميع ، لتبقى الدولة المغولية في نهاية المطاف في حالة يرثى لها بحيث لم يبق لسلاطينها إلا التغني بالأمجاد الماضية ، دون أن يجدوا من يقف إلى جانبهم بإخلاص ويعمل إلى إعادة تلك الأمجاد الغابرة إلى واقع ملموس .

كذلك كانت لتلك السياسة صداها في خارج الهند ، حيث شجعت كل فرد وجماعة وطائفة شعرت بالاضطهاد أو القمع في موطنها وعدم التمتع بالحرية في التعبير عما يعتقدها ، شجعت هؤلاء بالتوجه إلى الهند التي كانت أبوابها مفتوحة للجميع ، خاصة أن الهند كانت تتمتع بالرخاء ومجالات رحبة لكسب الرزق مما جعل الكثيرين يقصدونها بقصد الإقامة فيها والتمتع من خيراتها بالعمل في مختلف المجالات وخاصة في التجارة والحرف المختلفة ، وفي ذلك يذكر مصدر معاصر لعهد قوة الدولة المغولية قائلا :

" إن رعايا مختلف بلاد العالم توجهوا إلى الهند بعد أن استمعوا عن خيراتها وحسناتها ، فكانوا يتركون أوطانهم المألوفة ويختارون الاستيطان في البلاد الهندية ، فكنت ترى الرومي والزنجي والإفرنجي والعربي والإيراني والتوراني يصبح هنديا ، كما كنت ترى الفقير يتحول إلى الثرى بعد فترة من

(*) المرهتة :هم طائفة هندوكية يقطن معظم افرادها فى مناطق جبلية بغرب الهند ، وقد تعصبوا للهندوكية وتحولوا فى هذا الاطار الى قوة عسكرية معادية لحكم المسلمين فى الهندوذلك منذ عهد السلطان اونكزيب (١٠٦٩- ١١١٨هـ/١٦٥٩-١٧٠٧م) وكان لمعاداتهم تلك اكبر الاثر فى تفكك الدولة المغولية .

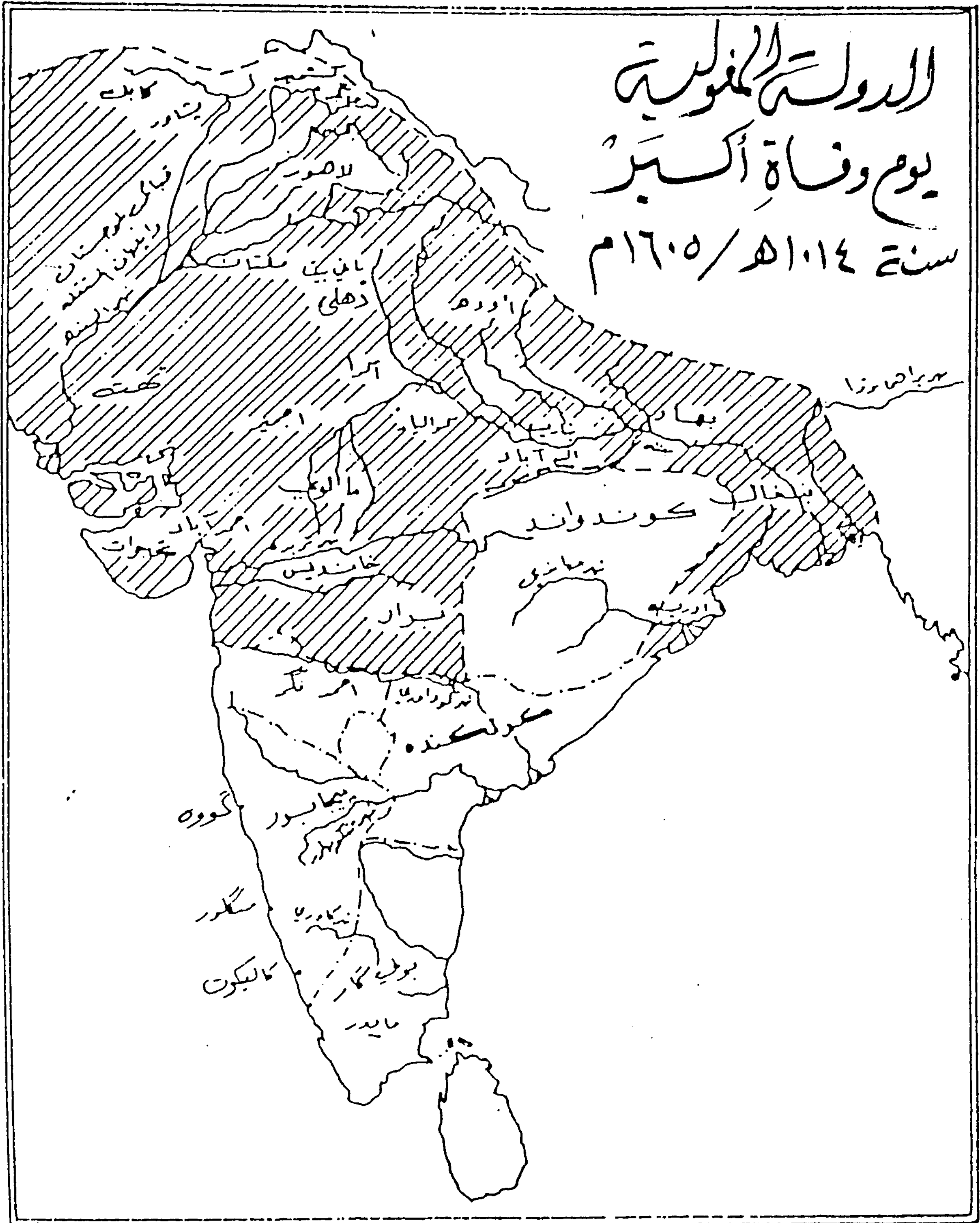
التوطن في هذه الديار "(١).

إن تنقل أبناء الأمة الإسلامية في أرجاء العالم الإسلامي الكبير دون قيود أو تعقيدات وحرية توطنهم في البلد الذي كانوا يرونه مناسبا لمعيشتهم قد لايكون أمرا جديدا في العلاقات السائدة في بلدان العالم الاسلامي في تلك العهود الماضية ، ولكن الملاحظ هنا صدى سياسة الدولة التسامحية الانفتاحية في أرجاء أوربا الناهضة والمنهمكة في مجال الكشف والتوسع والاستعمار ، وخاصة دول أوربا البحرية التي كان رعاياها أفراداًوجماعات يلهفون بحثا عن طريق الوصول إلى الهند والتمتع بثرواتها وخيراتها التي سمعوا وقرأوا عنها كثيرا ، كذلك المشاركة المباشرة في تجارة الهند الرابحة ، وطبيعي أن يكون وصول أنباء سياسة الدولة المغولية تلك إلى أوربا خير مشجع للطامعين في ثروات الهند والمغامرين للسفر إليها ، إذ في الوقت الذى لم يكن الكاثوليكي يتحمل البروتستنتي في أوربا وهم من أتباع الدين الواحد ، سمعوا أن السلطان أكبر يرحب في بلاطه وفي أراضيه لأتباع مختلف الأديان والعقائد والمذاهب ، وسمعوا أيضا أن السلطان يقيم ندوات لمناقشة مختلف العقائد والأفكار والاتجاهات يشترك فيها اليسوعيون البرتغاليون المعروفون بتشددهم وتعصبهم حتى ضد من يخالفهم في المذهب من النصرانيين ، ومن هنا تشجع سائر الأوربيين للقيام برحلات إلى الهند في محاولة لكسر الاحتكار البرتغالي لتجارة الشرق إلى الغرب بعد أن تيقنوا أن سياسة الدولة المغولية التسامحية الانفتاحية لاتفرق بين بلد وآخر ولا بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة ، ومن هنا نرى أن محاولات القيام

---

(١) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٢٧ .

بالمغامرات والرحلات البحرية والبرية قد كثرت بصورة كبيرة جدا في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي بغرض الاتصال المباشر مع الهند وكسر الاحتكار البرتغالي وسيطرتهم البحرية في ذلك المجال ، وكان الهولنديون والإنجليز والفرنسيون في مقدمة الأوربيين الذين تحدوا السيادة البرتغالية البحرية واحتكارها لتجارة الشرق، ونجحوا في مسعاهم في نهاية الأمر بعد أن قاموا بتكوين شركات الهند الشرقية التي قامت بتمويل الرحلات المخططة إلى الهند والمشاركة المباشرة في تجارة الشرق عموما والتجارة الهندية خصوصا .



إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، ص ٣٥٠

الفصل الأول

تأسيس شركات الهند الشرقية

- شركة الهند الشرقية الإنجليزية .
- شركة الهند الشرقية الهولندية .
- شركة الهند الشرقية الفرنسية .

شـــركة

الهند الشرقية الإنجليزية

في القرون الوسطى الأوروبية شاعت في أوربا أخبار ثروات الهند وعجائبها الخيالية ، خاصة بعد أن زارها ماركوبولو Marco Polo البندقي في عام ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م ، وعام ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م ، ونشر ما شاهده في شبه القارة الهندية من العجائب والثروات الهائلة ، وهكذا تحركت عوامل الطمع في الشعوب الأوربية ، وبدأ هناك أفراد وجماعات في القيام بالبحث عن طريق يوصل إلى الهند غير الطرق التي تقع تحت سيطرة المسلمين ، وكان من نتائج هذه الرحلات الاكتشافيه المغامرة أن وصل كريستوفر كولمبوس Christopher Colmubus إلى العالم الجديد ظنا منه بأنه قد وصل في الجزر القريبة من شواطئ الهند حيث كان الغرض الأساسي من قيامه بهذه الرحلة المغامرة (١) .

وعلى الرغم من فشل كولمبوس الأسباني في الوصول إلى الهند، إلا أن المغامرين البرتغاليين بقيادة فاسكو دي غاما Vasco de Gama تمكنوا في عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م من الدوران حول أفريقيا عبر طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى شواطئ الهند في بحر العرب ، ومنذ ذلك الحين وصلوا أوربا بالهند مباشرة ، وقضوا بذلك على تجارة البلدان التي كانت وسيطا لنقل السلع الهندية إلى أوربا لعدة قرون (٢)، كما انفرد البرتغاليون بعد ذلك لحوالي قرن من الزمان بالخطوط الملاحية العالمية المؤدية إلى الهند ، إلى أن أخذت

---

(١) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٤٠ ؛
V.A. Smith: The Oxford History of India
Karachi, Oxford University press, 1988,P.228

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ ؛
جلال يحيى : العالم الاسلامى الحديث والمعاصر، جا، الاسكندرية المكتب الجامعى الحديث ، ١٩٨٢، ص ٥١٩ .

إمبراطوريتهم البحرية المبنية على القهر العسكري الصليبي وبالتالي احتكارهم لنقل سلع المشرق إلى أوربا تنهار شيئا فشيئا أمام ضربات القوى الأوربية البحرية الناشئة ، وعلى الأخص هولندا وبريطانيا حيث عملتا على القضاء على الاحتكار البرتغالي لخطوط الملاحة البحرية إلى الهند ، وذلك عن طريق تأسيس الشركات التجارية التي كانت لها أساطيلها الحربية والتجارية القادرة على مواجهة البرتغال وأسبانيا اللتين كانتا أسبق الدول الأوربية وأنشطها في مجال الاكتشافات الجغرافية والطرق الملاحية البحرية (١).

قبل أن يقوم البريطانيون بتأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية كان هناك جماعات بريطانية مغامرة تمكنوا من الوصول إلى الهند والاطلاع على ثرواتها الهائلة ، وعند العودة إلى بلادهم حكوا لمواطنيهم ماهو عليه الشرق بصفة عامة والهند بصفة خاصة من ثراء ورخاء ، وكيف أن المرأة الهندية تثقل أذنيها وأحيانا أنفها وصدرها ومعصميها بالأقراط والخزام والأطواق والأساور ، وكل تلك الزينة والحلي من الذهب الخالص والجواهر واللآلي (٢)، فاستمر ازدياد اهتمام البريطانيين بالشرق عامة وبالهند خاصة كما زادت محاولاتهم للمشاركة في التجارة الهندية والتمتع من خيراتها . وكانت السفن البريطانية تشارك الأسبان والفرنسيين وتجار البندقية في التجارة التي تصل إلى موانئ البحر المتوسط وذلك منذ القرن العاشر الهجري الموافق لمطلع القرن السادس عشر

---

(١) عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الاسلامية ، ص ٥٤٧ ،
محمدفؤادوزميله : أوربافي العصورالحديثة ،جا ،ط٢، القاهرة ،دار الجيل،ص ٢٩٦
فاروق عثمان أباظة : عدنوالسياسة البريطانية في البحر الاحمر، القاهرة ـ الهيئة المصرية العامةللكتاب ، ١٩٧٦م، ص ٥٨ .
(٢) قدري قلعجي : الخليج العربي، بيروت دار الكتاب العربى، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ،ص ٣٧٨.

الميلادي ، ولم يكد هذا القرن ينتهي حتى أصبحت التجارة التي يحصلها الإنجليز من موانئ ذلك البحر لاتفي بحاجيات السوق البريطانية من السلع والمنتجات الشرقية ، ومن هنا زاد اهتمامهم ومحاولاتهم أكثر من السابق في الاتجاه إلى كسر احتكار البرتغاليين والهولنديين التجارية في البحار الشرقية والاتصال مباشرة بمصادر تلك التجارة (١).

سبق أن حاول المغامرون الإنجليز الوصول إلى الهند من الشمال الغربي ، وذلك في سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٦م ولكنهم لم يفلحوا ، ثم حاولوا السفر من الشمال الشرقي عبر روسيا في أواسط القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فأخفقوا وضحوا في تلك المحاولات بغير واحد من رجالهم أهل الرحلة والمغامرة (٢) على أن هذه الإخفاقات والتضحيات لم تثنهم عن الاستمرار في البحث والمغامرة فبدأ بعضهم بالسفر إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح وكان أول رجل بريطاني يصل إلى الهند هو القس الكاثوليكي توماس ستفينز Thomas Stevens الذي حط في گوه Goa البرتغالية عام ٩٨٧هـ /١٥٧٩ ، وكان مبعوثا من قبل الملكة اليزابيث الأولى Elizabeth I ، وقام هذا الرجل بنشاطات كبيرة في التعرف على الأوضاع والكتابة عنها ، فكان يبعث من مقر عمله في كلية للجزويت في گوه الرسالة تلو الرسالة إلى بلده واصفا ماهي عليه

---

(١) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص ٦٤ ؛ السيد رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقية ، القاهرة ،المطبعة العالمية ، ١٩٧١ص٣٠.

(٢) عبدالحي الحسني : الهندفي العهد الاسلامي، حيدراباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص ٢٨٢ .
سيرأر نولدت ويلسون : تاريخ الخليج، القاهرة ،مطابع سجل العرب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ص ٩٤ .

التجارة في الشرق وصفا يتحلب له لعاب التجار المغامرين ، وكان قد عين فيما بعد رئيسا لكلية اليسوعيين المذكورة ، وأثارت خطاباته ضجة كبيرة وحماسا شديدا في بريطانيا لإنشاء تجارة مباشرة مع الهند [١]، كما ازدادت مطامع البريطانيين في التجارة الهندية بعدما وقعت السفينة البرتغالية سانت فليب St. Philip في عام ٩٩٥هـ / ١٥٨٧م بيد القرصان الانجليزي دريك Drake الذي استولى على أرشيف التجارة البرتغالية ، وتأكد للأنجليز من المعلومات التي قدمتها تلك الوثائق ، الثراء الفاحش الذي يحصل عليها البرتغاليون من تجارة الهند مما زاد في تصميم البريطانيين إقامة اتصالات مباشرة معها[٢]

في عام ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م حطم الإنجليز الأسطول الأسباني الأرمادا Armada وبذلك ارتفعت معنوياتهم وزادت ثقتهم في أسطولهم وفي مقدرتهم في المواجهة مع الأسبان والبرتغاليين الذين كانوا سادة البحار حتى ذلك التاريخ ، وبدأ الإنجليز يتجهون بأسطولهم نحو طريق رأس الرجاء الصالح ، بعد أن هان عليهم أمر الأسطول البرتغالي ، وأخذ تجار لندن في ابتكار وسائل لتساعدهم في الحلول محل البرتغاليين في المحيط الهندي [٣].

---

(١) قدري قلعجي : الخليج العربي ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ .
سيرأر نولدت ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ٩٤ – ٩٥
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان، جده ، الدار السعودية للنشر، ١٣٨٩/١٩٦٩م ص ٢٩ .

(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٤٩ .
قدري قلعجي : الخليج العربي ، ص ٣٧٨ ،
سيرأر نولدت ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ٩٥ .

(٣) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ،ص ٤٩ ،
سيرأر نولدت ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ٩٥ .

كان فشل الأسطول الأسباني الضخم أمام الأسطول البريطاني إعلانا عن تقهقر أسبانيا اقتصاديا وسياسيا ، ولكن الإنجليز لم يستفيدوا من هذا الانتصار الكبير بطريقة مباشرة وسريعة في مجال استيراد سلع الشرق ، إذ انتقلت هذه المهمة إلى الأراضي المنخفضة التي حافظت عليها حتي بعيد منتصف القرن الحادي عشر الهجري الموافق لمنتصف القرن السابع عشر الميلادي (١)، وبذلك اتجهوا في الحصول على البهارات المستوردة من الهند والشرق الأقصى إلى هولندا ، إلا أن الهولنديين باتوا يطالبون بأسعار عالية إلى حد كبير ، مما زاد في رغبة الإنجليز في التجارة المباشرة مع مصادر إنتاج البهارات (٢)، وشجعهم في ذلك ماحصلت عليه بعض السفن الإنجليزية من مجوهرات وبهارات وعقاقيرومنسوجات من سفينة هولندية بعد الاستيلاء عليها أثناء عودتها من الشرق ، فعقد بعض زعماء لندن جلسة لبحث مايلزم اتخاذه في هذا الصدد ، وفي ٣ ربيع الأول ١٠٠٨هـ / ٢٢ سبتمبر ١٥٩٩م قرروا في اجتماع ترأسه رئيس البلدية اللورد ميبور Lord Mayor القيام بتشكيل هيئة إنجليزية للتجارة المباشرة مع الهند (٣).

---

(١) جورج لوفران : تاريخ التجارة ،بيروت، دار مكتبة الحياة ،بدون تاريخ، ص ٨٢
سير أرنولدت ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٣٨ .

(٢) شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٢٩ .

(٣) A.V.WILLIAMS JACKSON:
History of India, Vol. VI New york, AMS press, 1975, P.261
عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، ١٣٧٨/١٩٥٩م ص ٣٤٢.
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٢٩ .

كان للتوابل في المجتمع الإنجليزي آنذاك ، أهميتها الكبيرة ، ومع ذلك رفع الهولنديون أهم وسطاء تجارة التوابل ، سعر الفلفل من ثلاث شلنات إلى ثمانية للرطل الواحد ، وذلك في عام ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩م مما جعل التجارالبريطانيين يصممون على بلوغ أرض التوابل بأنفسهم (١)، خاصة بعد نشر أبحاث كل من رالف فيتش Raleph Fitch ولنشوتن Linschoten في إنجلترا، التي شجع تجار لندن إلى اتخاذ إجراءات الحماية وأدى إلى تأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية .

كان رالف فيتش قد غادر إنجلترا في محرم ٩٩١هـ / فبراير ١٥٨٣م على رأس مجموعة من التجار البريطانيين للتعرف أكثر على أوضاع التجارة الشرقية ، وبعد أن قام فيتش بزيارات اكتشافية كثيرة في مناطق الهند وبورما Burma وملقة Malacca وسيلان Ceylon، عاد إلى إنجلترا عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م حيث وضع تقريره المثير عن ثروات الشرق التي لاتنضب ، والذي بعث حماسا كبيرا في الإنجليز وجعل تجارهم يبذلون كل ما في وسعهم ليكون لهم نصيبهم من تلك التجارة الرابحة جدا (٢).

مما يجدر ذكره أن بريطانيا في ذلك الوقت كانت تعيش تحت حكم أسرة تيودور Tudor (٨٩٠ - ١٠١١هـ / ١٤٨٥ - ١٦٠٣م) التي استطاعت أن تنقذ

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم: علاقة ساحل عمان ببريطانيا، ص ٥٠ ؛
عادل حسن غنيم وعبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: تاريخ الهندالحديث ص ٥١ .

(٢) سير أرنولدت ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٢٨ ،
R. Mukherjee: The Rise and Fall of the East India Company, New York and London, Monthly Review press, 1974, P.62
أحمد حمود المعمري : عمان وشرق إفريقيه ، القاهرة مطابع سجل العرب، ١٩٨٠م ، ص ٥٥ .

بلادها من الفوضى والحرب الأهلية ، وأن تحكم سيطرتها على مقاليد الأمور فيها باتباع سياسة حكم مركزي ، وفي عهد هذه الأسرة بدأت إنجلترا لبسط نفوذها على الجزر البريطانية وتمكنت من الاتحاد مع اسكتلندا Scotland ، ومنذ ذلك العهد شعرت إنجلترا بأن مستقبلها سيكون مرتبطا بالبحر وبالاستعمار ، فاهتمت بأمر التجارة فيما وراء البحار ، معتمدة في ذلك على أسطول بحري تجاري كبير ، ومستثمرة الدخل القومي الزائد عن الحاجة في هذا المجال [١]، مجال الكشف والتجارة والاستعمار ، وكانت وسيلتهم في ذلك تأسيس الشركات المتعددة ، ومن أهمها شركة الهند الشرقية الانجليزية ٠

كانت نواة هذه الشركة ، الهيئة التي تكونت في لندن في عام ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩م تحت اسم اتحاد التجار المغامرين بهدف الاتجار مع الشرق ، وذلك إثر اجتماع التجار في صالة المؤسسين Founders Hall الذي عقد برئاسة رئيس البلدية ، وكانت أمام التجار ثلاثة نماذج من التجارة الهندية ، النظام الملكي البرتغالي والنموذج الشبه الحكومي الهولندي والطريقة الإنجليزية المختلطة للتجارة الخاصة المسلحة ، ممثلة في مظاهر حربها بمغامرات دريك Drake في القرصنة ، وفي تطوراتها الأكثر سلما بشركة ليفانت Levant[٢].

كان النظام البرتغالي قد أحدث من قبل التاج ولصالحه فكانت سفنه سفن

---

(١) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ص ٦٣ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٧٦م ، ص ١٣٩٠
السيد رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقية ، ص ٣ ٠

(٢) A.V. Jackson : History of India, Vol.VI, p.216

الملك وكانت حمولتها تباع وتخزن من قبل رجال الملك ، كان ضابط المحاسبة أو المشرف العام على الشئون المالية للرحلة البحرية يرشح من قبل أمين سر الملك وكان الضباط يعينون من قبل إمارة البحر ، ومثل هذا النظام من التجارة التي تقوم بها السلالة الحاكمة مباشرة ، كان غريبا على الأمة الإنجليزية ، كما كان غريبا على احتياط وحذر الملكة اليزابيث Elizabeth .

أما النموذج الهولندي فكان قريبا إلى حد كبير للآراء والأفكار الإنجليزية فأثناء الصراع الطويل ضد أسبانيا والبرتغال المتحدتين ، كان على الهولنديين أن يدفعوا رواتب جيوشهم وأن يطعموا أنفسهم عن طريق تجارة البحر ، وكان أمنهم القومي يعتمد اعتمادا كاملا على التجارة ، بحيث أصبح من واجب الحكومة الهولندية أن تنهض بالتجارة الخاصة ، كما كان على التجارة الخاصة أن تخوض المعارك من أجل الجمهورية ، وأن البرلمان الهولندي لم يقدم الإعانة المالية للحملات الاستكشافية فحسب ، بل عندما أجبرها إخفاق مثل تلك الحملات على الكف عن دعمها من الخزانة العامة ، كان لايزال يقدم مكافأة كبيرة إلى المجازفة المالية الخاصة (١).

وعلى كل حال لقد دفع تجار لندن رأسمالا قدره ثلاثون ألفا من الجنيهات وتقدموا إلى الملكة اليزابيث الأولى Elizabeth I بطلب يلتمسون فيه الإذن بالاتجار مع الشرق وإصدار أمر بتجهيز ثلاث سفن وتصدير السبائك وأيضا إصدار براءة بالامتيازات ، ولكن الأوساط الحاكمة ترددت في بادئ الأمر في إصدار الإذن حتى لاتقضي على بارقة الأمل التي كانت موجودة في الوصول إلى

---

(١) Ibid: pp. 216-217

سلام مع اسبانيا ، وآثرت الملكة أن لاتضيعها ، وعلى كل حال فقد تم إقناع الملكة بأن ترسل تاجرا إلى سلطان الدولة المغولية ، فقامت بإرسال جون ملدن هال John Milden Hall إلى السلطان أكبر الأول عن طريق البر عبر القسطنطينية ، بينما كان الاعتراف الرسمي بالشركة موضع البحث والنقاش (١) ، وبعد أن يئست الملكة من إقرار السلام مع أسبانيا ، نجح المغامرون من التجار الإنجليز في الحصول على موافقة الحكومة لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لرحلتهم البحرية إلى الهند ، وحصلوا على براءة ملكية في ٢٥ جمادي الثانية عام ١٠٠٩هـ / ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠ م ،وكان السبب المباشر للاعتراف الرسمي بالشركة ومنح ميثاقها ، رفع أسعار الفلفل من قبل الهولنديين الذين كانوا يحتكرون تجارة التوابل في ذلك الوقت (٢)، وتأسست الشركة تحت اسم حاكم وشركة تجار لندن للتجارة إلى جزر الهند الشرقية The Governor and Company of Merchants of London, trading to the East Indies(3)

---

(١) R.Mukherjee: The Rise and Fall of the East India Company, p.65
V.A. Smith: Akber the great Mogul, p.214
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهندالبريطانية ، الرياض، دار المريخ للنشر ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٢) R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, pp. 65-66,
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٥١ ،
جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم ،ط٢، المكتب الجامعي،١٩٥٧م ،ص ٢١
S.Wolpert: A New History of India, Second Edition , Oxford University Press, 1982, P.142

(٣) R.Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, p.66
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٥١ ،
S.Wolpert : A New History of India, p. 142

وكان هم الشركة الاستئثار بتجارة التوابل في الملايو ، إذ كانت الهند آنذاك تحت حكم سلاطين المغول العظام الذين لم يكن إغضابهم وتحديهم أمرا سهلا [١].

جاء في رد الملكة الذي وافقت فيه على الطلب المقدم إليها من ابن عمها جورج ايرل كمبرلاند Cumberland[٢] وجماعة أخرى من رعاياها التجار بأنه من أجل كرامة أمتها وثروة شعبها وازدياد ملاحة بلادها وتقدم التجارة الشرعية للصالح العام تعطي هؤلاء الإذن بالإبحار لرحلة أو أكثر يستعملون فيها القوارب والسفن التي تأخذهم وبضائعهم إلى الهند الشرقية [٣]، لقد جاءت في مرسوم الملكة أن الشركة قامت أساسا للاتجار إلى مناطق من آسيا وأفريقيا وجزر تلك البلدان وموانئها ومدنها الصغيرة والكبيرة ومناطقها الشاسعة بهدف استكشافها ومد الخطوط الملاحية البريطانية إليها لتطوير التجارة على أن يكون كل ذلك على حساب الشركة وبأموالها ، وقد حظرت الملكة على نفسها وأسرتها أن لاتعطي أي امتياز في تلك المناطق لأي كائن آخر إلا بموافقة الشركة المعنية ووفقا لتلك البراءة حصلت الشركة على امتيازات مهمة حيث منع بموجبها بقية المجتمع من التجارة داخل الحدود المخصصة للشركة مع إعطائها الصلاحية على منح الرخص لذلك الغرض كلما رغبت في ذلك ، ومنها السلطة في تصدير ماقيمته

---

(١) جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم ، ص ٢١ .

(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ١٤ .

(٣) A.V. Jackosn: History of India, Vol.VI, p.230

J.W. Kaye: The Administration of the East India Company, London R.Bentley, 1953, P.105

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ١٤ .

٣٠٫٠٠٠ جنيه من المعادن النفيسة سنويا ، كما أعفيت من الضرائب السلع الإنجليزية للرحلات الأربع الأولى وكذلك إعادة تصدير السلع الهندية على السفن الإنجليزية ، واعتبار البراءة لمدة خمسة عشر عاما ، يمكن إلغائها إذا وجد أنها غير مفيدة بعد أن تبلغ الشركة قبل سنتين ، وإذا كانت مفيدة فيمكن أن تجدد لمدة خمس عشرة سنة الأخرى (١).

لقد أمنت البراءة للشركة تلك الامتيازات الخاصة بالتجارة الهندية في جميع البلدان التي تقع إلى شرق رأس الرجاء الصالح ، ماعدا الأراضي والموانيء التي تكون في التصرف الحقيقي لأي أمير نصراني تربطه بالملكة صلة الود والصداقة (٢) وهذا مايشير إلى الروح الصليبية المصاحبة في عمليات الكشف والتجارة والاستعمار .

خولت البراءة الشركة كذلك صلاحية سن القوانين الفرعية وعقاب المعتدين عليها بالغرامة أو السجن ، بقدر ما لايتعارض مع قوانين البلاد،وكذلك منحتها الحق في شراء الأراضي ، كما حظرت على جميع رعايا الملكة التجارة داخل الحدود الجغرافية المعينة للشركة ، وتقرر أن المخالف لهذا الحظر سوف يتعرض لمصادرة سفينته أو حمولتها أو الحبس أو عقاب آخر ، ما لم يكن هناك

---

(١) R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, p.66

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، ص ٥١ ،

رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقية ، ص ٤ ،

جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٤١ .

(٢) A.V.Jackson : History of India, Vol.VI, p. 216

تصريح صدر خصيصا لهذا الغرض من قبل الشركة [١]، وهكذا ساندت الملكة اليزابيث الأولى Elizabeth I إنشاء الشركة ، وكان لدعمها الشخصي أثره في تشجيع التجار ومتابعة نشاطاتهم ، كما كان هنري السابع Henri VII (٨٩٠ – ٩١٥هـ / ١٤٨٥ – ١٥٠٩م) أول من ساعد في المغامرات البعيدة للكشف والتجارة [٢]، ومعنى هذا أن التاج البريطاني كان متحمسا لمثل هذه المشروعات وداعما لها ، كما وقفت الدولة إلى جانب تأسيس الشركة مدفوعة بالعامل السياسي والتجاري ، حيث أرادت أن تكسر شوكة أسبانيا وتحرمها من احتكار التجارة الهندية العظيمة الأرباح ، وتحول جانبا منها إلى أيدي الإنجليز [٣] ، كما كانت الشركة تعبر عن الذاتية القومية للإنجليز الذين استشعروا بالقوة بعد هزيمتهم للأسطول الأسباني الأرمادا Armada في عام ٩٩٦هـ / ١٥٨٨ م [٤] ، وأصبحت إنجلترا بعد ذلك أعظم دولة بروتستنتية حرة في أوربا ، وبدأت مرحلة مهمة من المغامرات والنشاط التجاري الاستعماري [٥] .

فوضت البراءة الملكية ، إدارة الشركة إلى الحاكم ولجنة مكونة من ٢٤ رجلا عرفت باسم لجنة المدراء ، يعين أعضاؤها سنويا في شهر يوليو ، وكان أول حاكم للشركة هو توماس سميث Thomas Smythe كما كان من ضمن أعضاء

---

(١) Ibid: p. 216

(٢) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٩٣ .

(٣) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٤٢ .

(٤) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٧١ .

(٥) ج . ج . لوريمر : دليل الخليج، القسم التاريخي، ج١، الدوحة، مطابع علي بن علي، ص ٢٣ .
غنيم وزيلبه : تاريخ الهند الحديث ، ص ٥١ .

لجنة المدراء البارزين ريتشارد ستيپر Richard Staper واثنين من المؤسسين الأصليين لشركة ليفانت Levant التي مولت الرحلات الاستكشافية التجارية في آسيا وجزر الهند الشرقية وقامت بتحسين المشروع الهندي الشرقي الجديد بفعالية ونشاط كبيرين (١)، كما أخذت منها الشركة الجديدة رؤوس أموالها وعدد كبير من رجالها (٢).

كان رأس مال شركة تجار لندن للتجارة إلى جزر الهند الشرقية وقت تأسيسها يبلغ ٦٨٣٧٣ جنيها إنجليزيا ، كما كان عدد المساهمين فيها يصل الى ٢١٧ مساهما (٣)، وبتأسيس : The Governor and Company of Merchants of London, trading to the East Indies,

تم رسميا تحويل الملاحة الإنجليزية عن طريق البحر المتوسط إلى طريق رأس الرجاء الصالح الذي كان قد تحول قبل حوالي قرن من الزمان،إلى الطريق

---

(١) A.V. Jackson : History of India, Vol. VI, p. 230
S. Wolpert : A New History of India, p. 142

(٢) A.V. Jackson : History of India, Vol. VI, p. 222
جلال يحي : العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ج ١ ، ص ٦٥٧.

(٣) S. Wolpert : A New History of India, p. 142
ج.ج. لوريمر : دليل الخليج (القسم التاريخي) ، ج ١ ، ص ٢٣ ،
غنيم وزميليه : تاريخ الهند الحديث ، ص ٥١ ،
وندل فيليبس : تاريخ عمان، القاهرة ،مطابع سجل العرب، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ،ص ١١٠

الملاحي البحري الرئيسي ، في المبادلات التجارية بين أوربا وجزر الهند الشرقية [١]، والجدير بالذكر أن اصطلاح Indies في تلك الأيام ، كان يحمل أهمية جغرافية واسعة جدا في الكرة الأرضية بشقيها الشرقي والغربي ، فكانت التسمية العامة لجزر الهند الشرقية The East Indies تشمل جميع سواحل آسيا من هرمز إلى الهند إلى الصين وملقه وبورنيو وجاوا وجميع جزر التوابل الغنية لبحر الصين [٢].

سار الإنجليز على خطى الهولنديين الذين كانوا قد سبقوا الإنجليز في تأسيس التجارة الأوربية في الأماكن التي أقاموا فيها ، فأخذ الإنجليز ينشئون مراكز قريبة من مراكز الهولنديين ، مما أدى إلى التنافس والصدام بينهما في المراحل القادمة [٣] ، وكان الأوربيون قد بدأوا في أواخر حكم السلطان أكبر الأول (٩٦٣ - ١٠١٤هـ / ١٥٥٦ - ١٦٠٥م) التوطن في بعض الأماكن بالهند لغايات تجارية ، وكان البرتغاليون أسبق الأوربيين توطنا في بعض سواحل الهند وموانئها ، ثم لحق بهم الهولنديون [٤] ، وفي أواخر عهد أكبر زار الهند ثلاثة من الإنجليز وهم جون نيوبري John Newberry ووليام ليدز William Leeds ورالف فيتش Ralph Fitch [٥]، وبعد تأسيس شركة تجار لندن ، بدأ مجلس مدرائها يمارس أعماله في تجهيز السفن واختيار قادتها ، ورؤساء القوافل

---

(١) رجب حراز : بريطانيا وشرق افريقية ، ص ٤ .

(٢) A.V. Jackson: History of India, Vol. VIII, p. 86

(٣) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٤ ، ص ٦١٣ .

(٤) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ص ٦٤٤ .

(٥) شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٢٩ ،

V.A. Smith : Akber the great Mogul, p. 214

البحرية ، كما بدأ في شراء السلع التي ستأخذها الحملة معهم . وتحركت أول رحلة من رحلات الشركة من ميناء والدوش Waldwich في العاشر من شعبان عام ١٠٠٩م / ١٣ فبراير ١٦٠١م بقيادة الكابتن جيمس لانكستر James Lancaster الذى سمي آدميرالا للأسطول المكون من أربع سفن ، ووصلت هذه السفن إلى سومطره Sumatra في ذي الحجة عام ١٠١٠هـ / يونيو عام ١٦٠٢م بعد رحلة شاقة ، وتفاوض لانكستر مع السلاطين المحليين ، وأنشأ مراكز تجارية في هذه المنطقة وفي جاوا ، وأصبحت الشركة منذ ذلك الوقت من المؤسسات الوطنية (١)

بعد سنتين عادت الرحلة إلى لندن في ذي القعدة سنة ١٠١١هـ/ ابريل ١٦٠٣م تحمل حمولة وزنها حوالي مليون رطلا من الفلفل ، حمل من جنوب شرق آسيا (٢)، وتلت هذه الرحلة ، رحلة ثانية ، وكانت وجهتها كسابقتها إلى جزائر التوابل في جنوب شرق آسيا ، ولم تنزل أى منهما بساحل الهند ، لأن إنجلترا في ذلك الوقت كانت في حالة حرب مع التاج الموحد لأسبانيا والبرتغال ، ولم تجرء الشركة الناشئة على توجيه أى من هاتين الرحلتين إلى السواحل الهندية تجنبا عن المواجهة العسكرية مع القوات البرتغالية (٣).

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: علاقة ساحل عمان ببريطانيا،ص ٥١ - ٥٢،
S.Wolpert : A New History of India, p. 142
غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ، ص ٥١ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٤١ ،
بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ،القاهرة،دار المعارف ١٩٦٢م،ص ٦٠

(٢) S. Wolpert : A New History of India, p. 142

(٣) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ١٤ ،
بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦٠ ،
Philip Mason : The Men who ruled India, The Trinity press, 1985, p.4

لم تذكر الهند في سجلات الشركة إلا في الرحلة الثالثة التي تمت في شهر ذي القعدة من عام ١٠١٥هـ / مارس ١٦٠٧م ، بعد أن انتهت الحرب بين إنجلترا والتاج الموحد لأسبانيا والبرتغال ، بموجب اتفاق لندن في عام ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م ، وأملت الشركة بعد ذلك أن تفوز برضاء البرتغاليين ، خاصة وأن الحاجة تقتضي ذلك ، لأن الرحلتين السابقتين أثبتتا أن الإنجليز لايملكون شيئا يبيعونه في جزر التوابل ليشتروا بثمنه مايحتاجونه من التوابل ، وكان اقتصاديو ذلك الزمان يكرهون تصدير العملة الفضية أو الذهبية ، وتنبه تجار الشركة أن الطلب في تلك الجزر يشتد على المنسوجات الهندية والأفيون الهندي ، فإذا أمكن جلب هذه السلع الهندية وبيعها هناك ، أصبح باستطاعتهم تمويل تجارة التوابل من أرباح التجارة بالسلع الهندية ، فبذلوا جهدهم لإنشاء مركز تجاري لهم في الهند ، ليقوم بشراء البضائع الهندية وتصدير بعضها إلى جزر التوابل في جنوب شرق آسيا (١).

كان العمل الرئيسي للشركات في تلك الفترة هو شراء الأموال التجارية الأجنبيه وبيعها في أوربا ، وقلما كانت تقوم بتصدير البضائع الوطنية إلى الخارج ، وأهم السلع التي كانت الشركات تقوم باستيرادها من الهند، كانت عبارة عن الأقمشة القطنية المعروف بالنوع الهندي ، والسلع الحريرية والشاي والرز والتوابل ، ومعروف أن التوابل من محاصيل البلدان الحارة القريبة من خط الاستواء ، ومن هنا نرى أوربا خالية منها ، وكان ملايو أغنى بلد في إنتاج

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية، ص ١٤ - ١٥،
بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦٠ ،
غنيم وزميلــه : تاريخ الهند الحديث ، ص ٥١ .

التوابل ، حتى انها كانت تدعى بجزر التوابل،كما كانت أوربا في ذلك الوقت في حاجة ماسة لتلك التوابل التي كانت تصلها غالية الثمن جدا [١].

كانت الشركة الإنجليزية تبذل جهودها لإنشاء وكالات لها على السواحل الهندية ، وكانت تحصل من وقت لآخر على تصريح بفتح وكالة مقابل أموال كانت تدفعها إلى السلطات الحاكمة المحلية ، وكانت الشركة ضعيفة في أول أمرها ، واعتمد الإنجليز على الحيلة والتودد إلى حكام الهند ، وتقديم الهدايا المختلفة لهم ، كما كان هؤلاء الحكام متضايقين من البرتغاليين وسلوكهم الخشن معهم ، فتقبلوا الإنجليز وسمحوا لهم بالتجارة في أراضيهم ، وربما فكر بعضهم في استغلالهم لضرب البرتغاليين وكسر شوكتهم [٢].

كانت الشركات في ذلك الزمان تحصل من الدولة التابعة لها بحق الاحتكار التجاري في المستعمرة المعينة ، وحق تأسيس الشرطة والمستودع المسلح في مقر أعمالها ، كما كانت هذه الشركات تحصل من الملك أو الحاكم المحلي على حق إقامة مباني تكون دارا للتجارة وعلى حق تأسيس ميناء ، وذلك بتقديم الضرائب أو الهدايا والهبات ، وكانت المراكز التجارية تحت مجلس الإدارة ومدير خاص ، وكانت هذه المراكز عبارة عن الدكاكين ومستودعات أموال التجارة ومساكن الموظفين ، وكان يحيط هذه المراكز سور مستحكم أقيمت فيه أبراج لحماية السكان أثناء أي هجوم خارجي، كما كانت هذه المؤسسات والهيئات التجارية

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرون هيجدهم ،ط٦،تهران،حانحانه نسيهر،١٣٦٤هـ ش،ص ٢٠٠
جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم ، ص ١٨ .

(٢) عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٤٨ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ٣٤٣ .

تحت إمرة الحاكم العام الذي كان يعتبر الممثل الأكبر للشركة ، كما كانت الأمور الأساسية من الشركة تدار من قبل مجلس مكون من ممثلي أصحاب الأسهم الذي تشكل في الوطن الأم لمراقبة مجريات الأمور(١)، وكانت الشركات الاستعمارية تلتزم نظير امتيازاتها ، أن تضمن المواصلات مع أقاليمها ، وتقوم باستغلال المناطق التي تحتكر تجارتها ، وتقوم بتوطين الأهالي فيها وبإبعاد الأجانب عنها ، وأن تعمل لنشر النصرانية في مناطق نفوذها ، كما كان حملة الأسهم يطالبون باستمرار بزيادة أرباحهم (٢).

هكذا كان تأسيس شركة الهند الشرقية الإنجليزية واتجاهاتها ، وكما ذكرنا سميت الشركة في بداية التأسيس باسم شركة تجار لندن ، واستقرت وتأكدت صورتها كشركة مساهمة محدودة ، منذ عام ١٠٢١هـ / ١٦١٢م عندما أصدر جيمس الأول James I (١٠١١-١٠٣٤هـ / ١٦٠٣-١٦٢٥م) مرسوما أعطى بموجبه الشركة حقوقا شاملة دائمة ، ما لم تضار حقوق الأمة ، وأصبحت الشركة منذ ذلك الوقت ، مؤسسة قائمة ، وليست عملية اكتتاب تنتهي بنهاية الرحلة ، كما أصبحت للشركة ميزانية عامة يديرها مدير ومجلس (٣).

استمرت الشركة في أعمالها التجارية ودعم وتوسعة نشاطاتها ، وحصلت على ٩٥ ٪ من الأرباح في الرحلتين الأوليين ، كما زادت الارباح الى ٢١١٪ و٢٢٠٪ في الرحلة الثامنة والتاسعة وذلك في النصف الأول من القرن الحادى عشرالهجري

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
أحمد عطية الله : القاموس السياسي، ط٣، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م ص ٦٨١ .

(٢) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٦ .

(٣) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ٤٢ ، ٦٥ .

الموافق للنصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي [١]، ولما رأى تجار الإنجليز وأثرياؤهم الذين لم يساهموا في الشركة ، أن الشركة في تقدم مستمر ألفوا في عام ١٠٤٩هـ / ١٦٣٩م بإذن الملك شارل الأول Charles I (١٠٣٤هـ ١٠٥٣هـ / ١٦٢٥ - ١٦٤٣م) شركة ثانية [٢]، وظهر تنافس بين الشركتين كاد أن يؤدي إلى القتال ، ولذا رأت الحكومة الإنجليزية أن تنهي هذا الخلاف بدمج الشركتين في شركة واحدة وقد تم ذلك في سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦١م في عهد الملك شارل الثاني Charles II (١٠٧٠ - ١٠٩٦هـ / ١٦٦٠ - ١٦٨٥م) ، وخول المرسوم الشركة حق إصدار النقد ، كما أجر لها الملك جزيرة بمبىء التي كانت ملكا خاصا به ، إذ قدمها إليه حموه ، ملك البرتغال في جملة جهاز ابنته [٣]،وسلم الملك الجزيرة في عام ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م مقابل إيجار سنوي قدره عشر جنيهات ذهبية [٤].

كانت الشركة قد تعطلت أثناء نشوب الحرب الأهلية في بريطانيا،ولم يعد لها حق العمل بالمراسيم الملكية السابقة ، وتأخرت حكومة الثورة في إصدار مرسوم جديد للشركة حتى عام ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م ، ثم تلت مراسيم أخرى في أعوام

---

(١) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٩٢ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٤٢ .

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ﻫ ص ٣٧
R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, pp. 71-72

(٣) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٣٧- ٢٣٨.

(٤) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ٤٢ .

١٠٧١هـ / ١٦٦١م و ١٠٧٧هـ / ١٦٦٧م ، و ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م و ١٠٩٤هـ / ١٦٨٣م وأكدت هذه المراسيم على امتيازات الشركة القديمة وزادت فيها ، وبموجب هذه المراسيم أصبحت للشركة الحق في إقامة جيش خاص بها في الهند وإعطائها الصلاحية في تنظيم الرتب العسكرية في الجيش وإعلان الحرب على أى جهة غير نصرانية ، كما سمحت للشركة ببناء السفن والمراكب الحربية والاستفادة منها، وكذلك خولت لها إدارة القضاء المدني والجنائي وتعيين القضاة للمحاكم على أن يعمل القضاة في إطار قانون التجار وبمعرفتهم ، كما نصت المراسيم على اعتبار الشركة وكيلا عن التاج في حكم الأراضي التي آلت للشركة في الهند(١).

وهكذا كانت شركة الهند الشرقية الانحليزية تنظم اوضاعها وتتهيأ للتحول الى الشركة الدولة التى لاتقوم بالتحارة فقط بل تبحث أيضا عن السيادة وبسط السيطرة على شبه القارة الهندية ارضا وشعبا، وكانت الحكومة الانحليزية ترعى هذا التحول مرحلة بعد الأخرى وتأخذ بأيدى الشركة كلما واجهت ظروفا صعبة تهدد مصيرها ومسيرتها .

---

(١) المرجع نفسه ،ص (٤١ - ٤٢) .

على الرغم من تمتع الشركة في الحصول على مراسيم متتالية تؤكد لهـــا حق احتكار التجارة الهندية والجزر الشرقية وتمنع سائر البريطانيين مـــن مزاحمتها ، الا أنه كان هناك باستمرار تجار بريطانيون مستقلون ، يقومـــون بنشاطات تجارية داخل الأراضي الهندية ، وسمي هؤلاء التجار بالمتطفليـــن (١) Interlopers ، كما قام جماعة في إنجلترا يطالبون بفتح أبواب التجارة فـــي الهند والجزر الشرقية على مصراعيها لجميع البريطانيين ، فصدر نتيجة لـــذلك في عام ١١٠٥هـ / ١٦٩٤م قرار برلماني يصرح بأن لكل المواطنين الإنجليز حقوقـا متساوية في الاتجار مع جزر الهند الشرقية أو أي منطقة أخرى في العالم، ما لم يمنعوا بقانون ، وتألفت طبقا لذلك في عام ١١١٠هـ / ١٦٩٨م شركة إنجليزيـــة جديدة باسم شركة الهند الجديدة New India Company وأجيزت الشركـــة بعد أن دفعت للدولة قرضا قدره مليونا جنيه استرليني ، وقامت الشركـــة بنشاطاتها ، فأرسلت السير ويليم نوريس Norris ممثلا عنها إلى بلاط المغول في الهند ، وتمكن ذلك المندوب من الحصول على موافقة السلطان أورنگزيـــب باعتبار وكلاء الشركة الجديدة قناصل معتمدين لديه (٢).

لم يكن وجود شركتين إنجليزيتين متنافستين ، لصالح التجارة الانجليزية

---

(١) نقولا زيادة : قصة الاستعمار في العالم العربي، بيروت، منشورات الفاخرية، بدون تاريخ ص ٢٨ .

(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٤٣ ؛
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ؛
R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, pp. 84 - 86,
M.M. Ali : History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, Riyadh, imam Mohammad Bin Saud University 1406H/1985, pp.559-560

في الهند ، خاصة في الوقت الذي كانت الشركات الأوربية المنافسة وعلى الأخص شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الفرنسية تنشط في أن تمكن لنفسها في الهند للاستئثار بتجارتها الرابحة ، ومثل هذا الوضع مع ظهور بوادر لضعف سلطة الدولة المغولية كان ينذر بنشوب صراعات بين الشركات الأوربية المتنافسة ، فكان على الإنجليز أن يوحدوا جهودهم وأعمالهم التجارية والملاحية ليتمكنوا من مواجهة الأوضاع وتطوراتها المستقبلية، بالإضافة إلى ذلك فإن الشركة الإنجليزية الجديدة لم تستطع أن تلعب دورا تجاريا نشطا، إذ كانت قد دفعت أموالها قرضا للدولة ، ولم يعد لها عائد آخر سوى ٨ ٪ من عائد القرض الذي كانت تتلقاه سنويا ، دون أن يفي بمصاريفها الإدارية ، في حين كان للشركة القديمة اسمها ورأسمالها وخبرتها ومراكزها التجارية المنتشرة في بعض الأراضي الهندية وسواحلها ، ومن هنا ضغطت الحكومة الإنجليزية منذ سنة ١١١٤هـ / ١٧٠٢م ، لدمج الشركتين في شركة واحدة ، إلى أن تم ذلك الدمج في عام ١١٢١هـ / ١٧٠٩م تحت اسم الشركة المتحدة للتجار الانجليز العاملين في الهند الشرقية The United Company of Merchants of England trading to the East Indies(1)

التي عرفت باسم شركة الهند الشرقية الانجليزية
The English East India Company.

هكذا كانت تتم عملية التزاوج والاندماج بين الشركات التجارية والمجموعات التجارية الصغيرة لتتحول إلى مجموعات تجارية كبيرة ثم إلى مؤسسات احتكارية شاملة بدعم من دولها ، مما أدى إلى تعقيدات دولية وحروب

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٤٣ ؛
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٣٩ ؛
عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٨٣ .

سافرة بين الشركات الاحتكارية الاستعمارية المتصارعة [١]، وكانت هذه الشركات التجارية شركات مساهمة يساهم فيها أناس مختلفون ، لاسيما تجار الموانيء والصرافين والأغنياء وأحيانا البلديات ، وكانت هذه الأموال تصرف في تجهيز السفن والعمليات التجارية واستخدام الموظفين والملاحين والممثلين التجاريين الذين كانوا يقيمون في أوربا أو يرسلون إلى المستعمرات للقيام بالتجارة [٢] .

كانت لشركة الهند الشرقية الإنجليزية محطاتها التجارية المنتشرة في الأماكن التي سمحت لها بمزاولة التجارة ، وكانت هذه المحطات في معظمها عبارة عن مبنى مربع الشكل على هيئة قلعة تبنى داخل سور محصن ، وكانت القلعة تحوي على ساحة كبيرة تتم فيها عمليات البيع والشراء والمقايضة ، ويقام في جزء القلعة الذي يلي النهر أو البحر بناء من طابقين ، تستعمل الطابق الأرضي كمكاتب ومستودعات ، وتحوي الطابق العلوي غرف النوم ومستلزمات الإعاشة للمجتمع الانجليزي الصغير الذي كان يقيم إقامة شبه دائمة في القلعة ويتبع نظاما دقيقا ارتضاه لتنظيم حياته ، وكان يحكم المحطة رئيس له مجلس مكون من أربعة أو خمسة أعضاء في الغالب ، وهم من كبار التجار والموظفين والقساوسة وكان يأتمر كلهم بأمر الرئيس في مجلسه ويكون الرئيس مسئولا لمجلس مدراء الشركة في لندن ، ولم تتوقف مسئوليات هذه المحطات في الشئون التجارية بل انها شملت شئون الهند السياسية والإدارية والقضائية والاجتماعية كلما سنحت لها ذلك [٣].

---

(١) سير أرنولدت ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٢٩ .

(٢) آلبر ماله : تاريخ قرن عيجدهم ، ص ١٩٩ .

(٣) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٣ .

شـــركة
الهند الشرقية الهولندية

ظهر الهولنديون ظهورا نشطا في البحار الشرقية إثر الضعف الذي طرأ على الدول المطلة على البحر المتوسط نتيجة لتحول التجارة الشرقية إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، حيث انتقلت هذه التجارة إلى أيدي الدول المطلة على المحيط الاطلسي ومنها هولندا التي كانت سباقة في ذلك المجال بعد البرتغاليين (١) الذين احتكروا هذه التجارة وحافظوا على سرية طرقها الملاحية قرابة قرن من الزمان ، ولكن في أواخر القرن العاشر الهجري الموافق لأواخر القرن السادس عشر الميلادي ، أخذ توازن القوى في أوربا يتغير شيئا فشيئا ، وأصبح بإمكان الدول الأوربية البحرية الأخرى اقتحام المياه الهندية ومنافسة البرتغاليين في التجارة الشرقية فانتقل مركز هذه التجارة من الموانيء البرتغالية إلى موانيء الأراضي المنخفضة وبدأت السيادة البرتغالية واحتكارهم في الشرق تصاب بالتدهور ، ولم يقبل التجار الهولنديون الوسطاء في تسويق السلع الشرقية ، دفع الأسعار الاحتكارية التي كان يطلبها البرتغاليون ، خاصة وأنه اتضح لهم إمكانية تحدي قوة البرتغاليين في البحار الشرقية (٢).

كان البرتغاليون منذ اكتشاف طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح، حريصين على الاحتفاظ بما سموه حقوقهم الخاصة المقتصرة عليهم في هذا الطريق وحاربوا ضد أية أمة أخرى هددت احتكارهم بالأسفار البحرية إلى المياه الهندية عبر ذلك الطريق البحري الميسور ، ومن هنا قاموا بتحصين الموانيء الواقعة على هذا الطريق ، وتجولوا في المياه بالسفن الحربية لمراقبة أية نشاطات

---

(١) فاروق عثمان أباظة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر، ص ٥٩ ، حواهر لعل نهرو: نگاهي به تاريخ جهان، ح١، ط٧، تهران، مؤسسة انتشارات امير كبير، ١٣٦١ هـ ش.

(٢) غنيم وزميله: تاريخ الهند الحديث ، ص ٤٦ .

بحرية قد تهدد استمرارية احتكارهم للخطر ، ولكن الهولنديين والإنجليز تحدوا هذا الاحتكار وبذلوا محاولات متواصلة من أجل الوصول إلى التجارة المباشرة مع الهند والجزر والموانىء الشرقية (١).

في عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م ضم فيليب الثاني Felipe II (٩٦٣ - ١٠٠٦هـ / ١٥٥٦ - ١٥٩٨م) ملك أسبانيا إلى عرشه عرش البرتغال ، بعد أن توفى الملك البرتغالي هنري Henri ولم يترك ذكرا ليرثه في الملك وبذلك ضمت البرتغال إلى أسبانيا ، وكانت هولندا في ذلك الوقت تابعة لأسبانيا ، ولكنها كانت في حالة ثورة للحصول على استقلالها منذ عام ٩٧٩هـ / ١٥٧٢م بزعامة وليم أورنج William of Orange، وفي عام ٩٨٩هـ / ١٥٨١ م أعلنت استقلالها عن أسبانيا التي لم تعترف بهذا الاستقلال وأصدر الملك الاسباني أمرا يحظر فيه على رعاياه البرتغاليين الاتجار مع الهولنديين وسمح لهم بالاستيلاء على سفنهم التي قد يتصادف ظهورها في المياه الأسبانية البرتغالية ، مما دفع الهولنديين إلى محاولات أكثر لخوض البحار التي خاضها البرتغاليون من قبل ، والتطلع إلى السيطرة على الإمبراطورية البرتغالية التي آلت للأسبان ليحرموهم من مصدر ثروتهم ، ولكن تحقيق هذا التطلع لم يكن أمرا سهلا لأن البرتغاليين جعلوا سر البحار والطرق التي اكتشفوها ، خاصا بهم ، ورغم ذلك لم يتوقف الهولنديون عن مغامراتهم في الاتصال المباشر مع الهند وتحدى الاحتكار

---

(١) R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, p. 59,
V.A. Smith : The Oxford History of India, pp. 331 - 332

البرتغالي ، خاصة بعد أن انهزم الأسطول الأسباني الأرمادا أمام البحرية الإنجليزية (١).

عمد الهولنديون إلى إيفاد البعثات الاستطلاعية للحصول على المعلومات والخرائط اللازمة المتعلقة بالطريق إلى الهند ، وفي هذا الإطار توجه جان هوغن فان لنشوتن Jan Huyghen Van Linschoten إلى الهند في عام ٩٩١هـ / ١٥٨٣م في معية أسقف گووه Goa – وعاش هناك حوالى عشرة أعوام جمع خلالها قدرا كبيرا من المعلومات حول السلع والمنتوجات ذات القيمة التجارية التي كانت تشكل مصدرا عظيما للتجارة ووسائل النقل، وفي عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩٢ م أصدر لنشوتن كتابا قيما عن رحلته ومشاهداته ، دون فيه المعلومات الجغرافية والتجارية التي حصل عليها أثناء الرحلة وأثناء إقامته في گووه Goa – فأضاف إليه دليلا عمليا للملاحين ، وصف فيه الطريق من لشبونه Lisbon إلى الهند ، كما أعطى وصفا جيدا للتيارات والرياح التجارية والمرافيء والجزر القائمة هناك ، فضلا عن الخرائط والرسوم البيانية الهامة ، مما مهد الطريق أمام أبناء بلده لتلاشي الصعوبات التي قد يواجهونها في

---

(١) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص٥٩،
محمد عبداللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن، القاهرة ،دار التراث ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ، ص ٢١٠
زينب عصمت راشد : تاريخ اوربا الحديث، ج١ ، القاهرة ، دار الفكر العربى، ١٩٨٦ص١٥٣ ،
بدرالدين عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر، ج١ ط٢ ، الكويت ، ذات السلاسل ، ١٩٨٤م، ص ٣٥،
زاهر رياض : استعمار افريقيا، القاهرة ، الدار القومية للطباعة و النشر ص ٣٨ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٤٠ ،
سير آرنولدت ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٢٦ ،
A.V. Jackson : History of India, Vol. VI, pp. 217 -218

رحلاتهم القادمة إلى الهند . والجدير بالذكر أن لنشوتن Linschoten عمل أمينا لأسرار كبير أسقافة گوه Goa وأتاح له هذا المنصب فرصا استثنائية نادرة لفهم نقاط الضعف والقوة في الوجود البرتغالي ببلاد الشرق ، والجدير بالذكر أيضا أن البرتغاليين كانوا قد اتخذوا إجراءات صارمة للاحتفاظ بسرية الطريق إلى الهند ، وأصدروا في عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م مرسوما يحظر فيه أن توضع على الخرائط أية إشارات تدل على الطريق بعد منطقة الكونغو Congo وجمعت جميع الخرائط التي وضعت عليها قبل ذلك إشارات إلى مختلف الأماكن الواقعة بعد الكونغو ، ومحيت منها الإشارات ، وكانت الحكومة البرتغالية تحيط دائرة رسم الخرائط الرسمية بكتمان شديد ، ومن ثم قدم كتاب لنشوتن وانتشار أبحاث الذين أعقبوه في الرحلة إلى الهند والجزر الشرقية معلومات في غاية الأهمية ، وأظهر لنشوتن للعالم في كتابه إلى أى حد كانت قبضة البرتغاليين على الشرق غير آمنة ، كما ترجم الكتاب بسرعة إلى اللغات الإنجليزية واللاتينية والألمانية والفرنسية ، وكان له أثره الكبير في تكوين الشركتين الهولندية والإنجليزية للهند الشرقية (١).

منذ عودة لنشوتن أخذ الهولنديون يتجهون أكثر إلى البحار الشرقية ،

---

(١) قدرى قلعجي: الخليج العربى، ص ٣٨٤ .

R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, p. 59

عباس الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ص ٣٥ ،

سيرار نولدته ويلسون :تاريخ الخليج، ص ١٢٦

خالد العزي : الخليج العربي في ماضيه وحاضره ،بغداد،مطبعة الجاحظ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص ٢٩ .

رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٤ ، ص ٦١٠ .

وقام التجار بإرسال بعثة أخرى إلى تلك المناطق برئاسة كورنيليس هوتمان Cornelis Houtman لدراسة الأحوال التجارية والقيام بمهام سرية لجمع معلومات أكثر ، وكان هوتمان قد سبق له أن قام بعدة رحلات إلى الهند في السفن البرتغالية ، وكنتيجة للتقارير التي قدمتها بعثته ، قام تجار أمستردام Amesterdam بتكوين مؤسسة تجارية في عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩٢م أطلقوا عليها اسم الجمعية التجارية مع البلاد البعيدة The Society for trading to distant countries ، التي تحولت فيما بعد إلى شركة الهند الشرقية الهولندية The Dutch East India Company ، وبعد عودة هوتمان إلى هولندا في سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤م ، عرض على تجار بلاده بأن يزودوه بالسفن اللازمة للذهاب إلى الهند عن طريق الرأس الرجاء الصالح Cape of Good Hope لتعريف أبناء بلده على ذلك الطريق البحري إلى الهند الشرقية ، ووافق التجار على هذا الاقتراح وقاموا بتوفير المال اللازم للرحلة ، فخرج أول أسطول هولندي للتجارة إلى المياه الهندية من ميناء تكسل Texel في عام ١٠٠٣هـ / ١٥٩٥م يقوده هوتمان Houtman ، وكان الأسطول يتكون من أربع سفن ، وتمكن من الوصول إلى الجزائر الأندونيسية Indonesian Islands ، وعقد مع سلطان بانتام Bantam إحدى السلطنات الإسلامية الواقعة إلى الشمال الغربي من جزيرة جاوا اتفاقا ، وافق السلطان بمقتضاه على فتح باب التجارة مع هولندا ، وبعد عامين ونصف عاد هوتمان إلى هولندا في سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٧م ، جالبا معه أرباحا لا بأس بها بلغ مقدارها ثمانون ألف فلورن Florin بعد أن فقد

ثلث تجارته وإحدى سفنه [١].

هكذا فتحت الرحلة للهولنديين طريق الشرق والاتصال المباشر بمصادر التوابل في جزر الهند الشرقية ، وكانت الرحلة استهلالا لرحلات منتظمة أعقبتها ، حيث نجد أنه في الفترة الممتدة مابين ١٠٠٧ – ١٠١٠هـ / ١٥٩٨ – ١٦٠١م أرسل الهولنديون خمس عشرة سفينة إلى مياه المحيط الهندي وجزر التوابل لا للاتجار فقط وإنما وبتفويض رسمي من الحكومة ، للعمل الحربي والسياسي كذلك ، وكان من نتيجة هذه الرحلات تشكيل شركة الهند الشرقية الهولندية [٢].

قبل تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية ، كان الهولنديون قد أسسوا عددا من الجمعيات والاتحادات التجارية التي اندمجت في الجمعية التجارية مع الأقطار النائية [٣]، ومنذ عام ١٠٠٦هـ / ١٥٩٨م أسس الهولنديون لهم مراكز تجارية في بعض الجزر الشرقية ، وخاصة في أرخبيل الملايو ، ونتيجة لرواج

---

(١) A.V.Jackson: History of India, VOL. VI, pp. 218-219

سيرار نولدته ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ،

بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٥٦ ،

محمد إسماعيل الندوي : تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، بدون تاريخ ، ص ٣٤٥ .

خالد العزي : الخليج العربي في ماضيه وحاضره ، ص ٢٩ ،

رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٤ ، ص ٦١٠ ، ٦١٢ .

(٢) قدري قلعجي : الخليج العربي ، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ ،

بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٥٦ ،

Wolpert : A New History of India, p. 141

(٣) عباس الخصوصي: دراسات في تاريخ الخليج العربي والمعاصر ، ص ٣٦ ،

سيرار نولدته ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٢٧ .

تجارتهم وتقدمها تأسست من حين لآخر جمعيات واتحادات تجارية للمتاجرة مع الهند الشرقية ، وأخذت الشركات الهولندية تنافس بعضها البعض ، مما قلل من أرباح هذه الشركات بسبب ازدياد الطلب في جو تنافسي وارتفاع سعر الأفاويه في الجزر المنتجة لها ، حيث أخذ حكام تلك المناطق يرفعون الأسعار شهرا بعد شهر فرأت الدولة الهولندية أن تتدارك الأمر ليس من أجل وضع حد لذلك التنافس الذي لم يكن لصالح التجارة الهولندية فحسب ، بل وكذلك من أجل مقاومة خطر القرصان والمحافظة على حقوق التجار ، إذ لم يكن هناك قناصل يحافظون على حقوقهم ، وكانت التجمعات التجارية الصغيرة المتصارعة ، أعجز من أن تفعل ذلك ، فقررت الدولة إدماج مؤسساتها التجارية العديدة ، في شركة واحدة كبيرة ، قادرة على مواجهة التحديات والمحافظة على مصالح هولندا التجارية (١) ، ومن هنا أصدر الحاكم العام للدولة States General مرسوما في ٢٧ من شهر رمضان عام ١٠١٠هـ/ ٢٠ مارس ١٦٠٢م بتأسيس شركة الهند الشرقية المتحدة للأراضي الواطئة ، The United East India Company of the Netherlands برأس مال قدره ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ فلورن (*)

(*) ١٢ فلورن تقريبا كان يعادل جنيها استرلينيا واحدا .

(١) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العالم ، ج ٤ ، ص ٦١٢ ،
سيرار نولدت . ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ،
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : علاقة ساحل عمان ببريطانيا ،ص ٤٣ - ٤٤ ،
زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، ص ٣٨ - ٣٩ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٥ .

وهو ما يعادل ٥٤١,٠٠٠ جنيها استرلينيا تقريبا [1]، وهذا يشير إلى أن رأس مال شركة الهند الشرقية الهولندية وقت تأسيسها كان أكثر بحوالي عشر مرات من نظيرتها الإنجليزية التي تأسست قبل هذا التاريخ بسنة ونصف سنة تقريبا وبموجب مرسوم التأسيس، منحت للشركة امتيازات خاصة لمدة عشرين عاما، وخولت لها الصلاحية في إعلان الحرب وعقد المعاهدات والاستيلاء على ما تشاء من الأراضي وإقامة الحصون والقلاع . ومنح هذه السلطات السيادية العليا الواسعة، جعلت الشركة وسيلة كبيرة للحرب والفتح ، شأنها شأن سائر الشركات المرخصة برأس مال تجاري في أوربا في تلك الأيام [2]. ولم يكن هدف الهولنديين من تأسيس شركتهم بتلك الصورة ، هدفا تجاريا لنقل السلع الشرقية إلى أوربا فحسب ، بل كان كذلك يرمي إلى عقد محالفات مع السلاطين وحكام المناطق التي ينزلون فيها ، لضرب التفوق البرتغالي في الشرق والقضاء عليه [3].

تعتبر شركة الهند الشرقية المتحدة للأراضي الواطئة The United East India Company of the Netherlands التي اشتهرت بشركة الهند الشرقية الهولندية ، The Duch East India Company, قاعدة استعمار

---

(١) A.V.Jackson : History of India, Vol. VI, p. 218
R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India company, p. 59

(٢) Ibid: p. 59
بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية.، ص٥٦ ،
سير أرنولد ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ،
غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ، ص ٤٦ - ٤٨ .

(٣) K.Ali : A New History of Indo-Pakistan, Part.II, Naeem Publishers 1988, P.6
محمد عبداللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن ، ص ١٠٨ .

هولندا لجزر الهند الشرقية ، وكانت تتمتع بحق احتكار التجارة لمدة عشرين عاما بين هولندا والبحار الشرقية التي تمتد من رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي لأفريقيا ، إلى مضيق ماجلان Magellan في الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية ، وبذلك كان يشمل الهند وسيلان وجزر الهند الشرقية وأستراليا[(١)]، وكانت الشركة شركة مساهمة ، وتكونت رأسمالها من أكثر من ألفي سهم قدرها ٣٠٠٠ فلورن[(٢)]،وكانت رؤوس الأموال تتزايد في هولندا ، وفي عام ١٠١٨هـ /١٦٠٩م، تأسس بنك أمستردام الذي تحول الى خزانة عامة للهولنديين ، وأصبح أكبر مركز مالي في أوربا في ذلك الوقت ، وكان البنك يمول الشركات التي نشأت عن طريق إصدار الأسهم ، وعلى الأخص شركات التجارة والاستعمار[(٣)].

على العكس من النظام الأسباني البرتغالي الموجه للتجارة والاستعمار، فإن مجهودات الهولنديين كانت مجهودات مجموعات من الرجال الذين عملوا دون كلل أو يأس ، ولم تكن الدولة تتدخل في شئون التجارة إلا في أوقات عملت على اتحاد الشركات الهولندية المتصارعة ، كما كانت الدولة تكتفي بعائد قدره ٣ ٪ على التصدير دون أن ترفع شيئا في الاستيراد[(٤)]، كما كانت لشركة الهند

---

(١) أحمد عطية الله : القاموس السياسي ، ص ٦٨١ - ٦٨٢ ،
S.Wolpert : A New History of India, p. 141.

(٢) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٤ .

(٣) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٥ ،
جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٥ .

(٤) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٥ ،
جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٤ .

الشرقية الهولندية مجلس إدارة يشرف على الشئون العامة للشركة وعلى إبرام المعاهدات وإقامة الحصون لحماية التجارة ، وكان مقر المجلس في أمستردام [١].

على الرغم من انتصار الإنجليز على الأرمادا ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستفادة المباشرة من ذلك الانتصار ، حيث انتقلت الأولوية إلى هولندا التي حافظت عليها في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي وخاصة في النصف الأول من ذلك القرن ، وتفوق الهولنديون خلال هذه الفترة في الملاحة البحرية ونقل الموارد إلى أمكنة الاستهلاك في أوربا ، وذلك بسبب امتلاكهم أسطولا تجاريا كبيرا بلغ في سنة ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م ست عشرة ألف قطعة بحرية على متنها ١٦٣,٠٠٠ بحارة ، كما وجدوا نوعا جديدا من السفن قادرة على حمل المواد الثقيلة من ١٠٠ - ٩٠٠ برميل ،وكانت أكثر سفنهم تذهب إلى حيث يرسلها الزبون ، كما كان بمقدورهم بناء ألف سفينة في العام ، هذا في الوقت الذي كان لدى الإنجليز في هذه الفترة من ثلاثة إلى أربعة آلاف سفينة ولدى الفرنسيين حوالي خمسمائة من السفن [٢].

كانت تحت إمرة شركة الهند الشرقية الهولندية قوات تتراوح بين ١٢ - ٢٠

---

(١) زاهر رياض : استعمار افريقيا ، ص ٣٩ ،
فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٥٩ ,
A.V. Jackson : History of India, VOL. VI, p.218.

(٢) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٢ ، ٨٤ .

ألف جندي ، تحافظ بهم على مراكزها المنتشرة من رأس الرجاء الصالح حتى اليابان ،وبإنشاء الحصون والإنشاءات العسكرية للدفاع عن مراكز الشركة التجارية ونقل المواد والسلع التجارية ، أخذت الشركة طابعا عسكريا بالإضافة إلى طابعها التجاري الزراعي عندما بدأ الهولنديون في فلاحة الأراضي المحيطة بتلك المراكز ، وبهذه الطريقة تحولت القاعدة البحرية عند رأس الرجاء الصالح إلى مستعمرة استوطنها الفلاحون الهولنديون البوير ، الذين أبعدوا عنها العناصر الوطنية بالتوسل بالقوة (١).

في مطلع القرن السابع عشر الميلادي قام الهولنديون بتأسيس شركتهم للهند الشرقية ، وكانت الأوضاع السائدة لصالحهم حيث كانت نشاطاتهم التجارية البحرية تتقدم باستمرار على حساب البرتغاليين الذين كانوا في حروب متواصلة مع السلطنات الإسلامية المتاجرة هي الأخرى بالتوابل ، وكان هؤلاء على أتم الاستعداد للتعامل مع غير البرتغاليين من التجار ، كما أصبح البرتغاليون يخسرون تفوقهم وإمبراطوريتهم البحرية شيئا فشيئا إلى أن لم يبق لهم إلا بضع قلاع وعدد من الحصون في بعض الجزر والسواحل في البحار الشرقية ، وذلك نتيجة لكره الحكام المحليين لهم ونتيجة لضغط القوى الأوربية البحرية الفتية الطامعة في السيطرة على التجارة الشرقية ومراكزها ، بعد أن تعرفت هذه القوى على مواطن الضعف في الوجود البرتغالي في المياه الشرقية ، وتأتي هولندا في مقدمة هذه القوى التي تقدم نفوذها على حساب البرتغاليين ، وخاصة في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي .

---

(١) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٧ .

استخدم الهولنديون في هذا المجال وسائل شتى ، فبالإضافة إلى تفوقهم في القوة البحرية ، عقدوا محالفات مع بعض الحكام الوطنيين لطرد البرتغاليين العدو المشترك للهولنديين وللإمارات الوطنية ، وأول معاهدة من هذا النوع ، كانت المعاهدة التي عقدتها شركة الهند الشرقية الهولندية مع السامري Samuri حاكم كاليكوت في عام ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م ، ووقع المعاهدة بالنيابة عن الشركة الأدميرال س. فان درهاجن S.Van Dar Hagen وجاء فيها أن الهدف منها هو طرد البرتغاليين من أرض السامري وسائر أرجاء الهند [١] ، ولم تكن الشركة الهولندية أو الحكومة في هذه الفترة طامعة في الاستيلاء على البلاد التي تحصل منها على التجارة [٢]، كما لم تعمل على فرض معتقداتهم الدينية على أهل البلاد مما جنبهم كره هؤلاء، وكانت تبذل الجهد لاسترضاء الأمراء ومصادقتهم ، وكان للاختلاف المذهبي الموجود بين البرتغاليين الكاثوليك والإنجليز والهولنديين البروتستانت ، تأثيره في الترحيب بالأخيري الذكر الذين لم يخفوا اختلافاتهم المذهبية مع البرتغاليين[٣]

استمر الهولنديون في نشاطاتهم المعادية للبرتغاليين وتنفيذ مخططاتهم لطرد هؤلاء من البحار الشرقية ، وركز الهولنديون في جهودهم في جنوب شرق آسيا حيث كان الوجود البرتغالي هناك أضعف من وجودهم في المياه الهندية، وفي عام ١٠٥١هـ / ١٦٤١م تمكنوا من طرد البرتغاليين من ملقة Malacca

---

(١) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص٥٦ ،
غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ، ص ٤٨ .

(٢) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٣ ،
زاهر رياض : استعمار أفريقيا ، ص ٣٩ .

(٣) محمد قاسم هندوشاه فرشته : تاريخ فرشته، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

صولجان عظمتهم في الجزر الشرقية ، وبالاستيلاء على تلك القاعدة أصبح باستطاعة الهولنديين أن يوجهوا اهتمامهم الأكبر إلى تجارة الهند نفسها التي كانت لاتزال في معظمها بيد البرتغاليين .

من ملقه بدأ الهولنديون في تقديم المساعدات لحكام سيلان Ceylon السنهاليين في حروبهم ضد البرتغاليين ، ولكن كولمبو Colombo صمدت للهجمات البحرية ، إلى أن تمكن الهولنديون من احتلال الميناء في عام ١٠٦٤هـ / ١٦٥٤ م وإقصاء البرتغاليين من سيلان ، ومن هنا بدأت الإمبراطورية البرتغالية في الانهيار السريع ، وما لبثت كوجي Koji (Cochin) مؤسستهم الأولى أن سقطت في عام ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م ، ثم توالت المحطات التجارية الصغيرة الأخرى للبرتغاليين في السقوط بيد الهولنديين ، واستمر الهولنديون في حملاتهم المنظمة الموجهة من كولمبو Colombo إلى أن تم القضاء على نفوذ البرتغاليين في تجارة الهند البحرية ولم يبق لهم من المراكز إلا كووه Goa وجزيرتي دامن Daman وديو Diu الصغيرتين ، وبذلك يمكن القول بأن تجارة الهند الشرقية انتقلت إلى الهولنديين الذين اتخذوا من جزر المحيط الهادي أساسا رئيسيا لنشاطهم ، وتمكنوا من إقامة مراكز لهم في شواطيء الهند ، واستمروا في نشر أسواقهم بالهند حتى بلغوا بها آگره Agra نفسها (١).

---

(١) Francisco pelsaert: Jahangir's India, Delhi, 1972, PP. 21-22
بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٥٧ - ٥٨،
غنيم وزميله . تاريخ الهند الحديث ، ص ٤٩ ،
أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ج ٢ ، ص ١٤٣ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٤ ،
غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٤١ .

بعد أن نالت هولندا استقلالها ، لجأ إليها اليهود الذين طردوا من أسبانيا والبرتغال ، واليهود والبروتستانت الذين طردوا من بلجيكا التي ظلت أسبانية ، كما هرب إليها فيما بعد العناصر البروتستانتية التي قامت فرنسا بطردها ، وكان بين هؤلاء أصحاب رؤوس الأموال ، ورحبت هولندا بهم وبأموالهم التي كان لها تأثيرها الكبير في ازدياد الثروة وتراكمها في هولندا، وبالتالي كان لهذه الثروات دورها المهم في تمويل المشاريع التجارية فيما وراء البحار، وكانت هناك ثلاث قوافل تقلع في كل سنة من الأراضي المنخفضة ، متجهة إلى الهند ، وكانت هذه القوافل تصل إلى الهند بعد ستة أشهر من الملاحة ، وتعود إلى هولندا محملة بمنتجات ماوراء البحار[1].

بالإضافة إلى التبادل التجاري بين أوربا والشرق ، قامت شركة الهند الشرقية الهولندية بالتجارة بين بلاد الشرق بعضها ببعض ، وكانت التجارة في الهند ومع الهند تدر للشركة من الأرباح أكثر مما تدره الحركة التجارية بين آسيا وأوربا ، وتوجهت الشركات الأوربية إلى هذه التجارة بدافع الأرباح التي كانت تجنيها من جهة ، ولأنها لم تكن في بلدانها من السلع التي تجد لها سوقا رائجا في الهند والجزر الشرقية حتى تقوم بتصديرها ، فكانت الصادرات أقل بكثير من الاستيراد ، ومن هنا كانت التجارة في الهند ومع الهند تعوض للشركات هذا النقص في الميزان التجاري [2].

---

(١) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٣ ، ١٣٧ .

(٢) رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٤ ، ص ٦٢٠ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ص١٣٧ - ١٣٨ .

كانت أرباح التجارة مع الهند توزع على المساهمين بنسبة أسهمهم ، وفي الغالب كانوا يحصلون على أرباح كبيرة ، وكانت أرباح شركة الهند الشرقية الهولندية تبلغ في الغالب إلى أكثر من نصف رأسمالها في كل سنة ، وأحيانا كانت هذه النسبة تصل إلى ثلاثة أرباع رأس المال [١]، حيث كانت تبيع بضائعها بأضعاف ثمن شرائها ، فكانت تبيع السكر في أوربا بخمسة أضعاف ثمن شرائها، كما كانت تبيع الفلفل بستة أضعاف [٢]، وقدرت التجارة الهولندية في منتصف القرن السابع عشر الميلادي الموافق لأوائل النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري ، بمبلغ قدره ١٫٦٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ مليار وستمائة مليون فلورن .

ومن هنا ذكر البعض قائلا: " كان الهولنديون يمتصون كالنحل عصارة كل البلدان ، فالنورويج كانت غابة لهم ، وشواطيء الرين (*) والغارون (**) كانت الكرم كما أن ألمانية وأسبانية وأرلندة كانت مرعى أغنامهم ، وبلاد فارس

(*) الرين Rhin نهر في أوربا الغربية ١٣٢٠كم - ينبع في جبال الألب ويخترق سويسرا وفرنسا وألمانيا الغربية وهولندا ليصب في بحر الشمال، صالح للملاحة ، ذو أهمية اقتصادية عظمى.
(المنجد في الأعلام ، ص ٣١٧)

(**) غارون Garonne نهر في جنوب غربي فرنسا ٦٥٠كم ، ينبع من البيرينية ويصب في المحيط الأطلسي عند بوردو.
(المنجد في الأعلام ، ص ٥٠٠)

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هجدهم ، ص ٢٠٠ .

(٢) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٣٦ .

وبولونيا حواصلهم (*) والهند وشبه جزيرة العرب ، بساتينهم " (١).

كانت الشركة الهولندية نشطة جدا ، وتمكنت من تأسيس عشرات المراكز التجارية في جنوب شرق آسيا والهند ، في الوقت الذي لم تكن الشركة الإنجليزية تملك أكثر من بضعة مراكز من هذا النوع ، وعلى سبيل المثال كانت شركة الهند الشرقية الهولندية حتى ٣٠ من شهر رمضان ١٠٢٢هـ / الثاني عشر من شهر نوفمبر ١٦١٣م تملك المحطات التجارية والقلاع التالية حسب ماوردت في سجلات الشركة الإنجليزية :

في بانتام	Bantam	محطة تجارية واحدة	على جزيرة جاوا الكبيرة
في جاكواترا	Jaquatra	محطة تجارية واحدة	على جزيرة جاوا الكبيرة
في جراسي	Grassee	محطة تجارية واحدة	على جزيرة جاوا الكبيرة
في سكوادانا	Suequadana	محطة تجارية واحدة	
في مكاسر	Maccassar	محطة تجارية واحدة	
في بتانيا	Patania	محطة تجارية واحدة	
في سيام	Syam	محطة تجارية واحدة	
في آجين	Acheyn	محطة تجارية واحدة	
في بتون	Buttoone	محطة تجارية واحدة وقلعتان	
في أمباينا	Amboyna	أربع محطات تجارية وقلعة واحدة	
في باكين	Bakean	محطة تجارية واحدة وقلعة واحدة	

(*) حواصل : جمع حاصل ، وهو ماخلص من الفضة من حجارة المعدن . (المنجد في الأعلام ، ص ١٣٨)

(١) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٥ .

في ماجيــن	Machean	ثلاث محطات تجارية وثلاثة حصــون ، جميع الجزر ملك لهم .	
في موتيــر	Motir	محطة تجارية واحدة وقلعة واحدة .	
في تيــدور	Tidore	محطة تجارية واحدة وثلاث قلاع	في ملقه Moluccas
في ترنيــت	Ternate	ثلاث محطات تجارية وثلاث قـلاع	
في جابــون	Japon	محطة تجارية واحدة وقلعة واحدة.	
في بنــدا	Banda	أربع محطات تجارية وثلاث قلاع بالإضافة إلى جزيرة واحدة صغيرة .	
في ســيلر	Salor	محطة تجارية واحدة وقلعة واحدة ،	

أخذت هذا العام من پورتنغال Portingals ".(١)

وهكذا تشير هذه الوثيقة بأن الهولنديين حتى أواخر عام ١٠٢٢هـ / ١٦١٣ م كانوا يملكون ٢٨ محطة تجارية Factory و ١٧ حصنا Castle في جنوب شرق آسيا والهند ، في حين رأينا أن الشركة الإنجليزية حتى ذلك التاريخ كانت ترسل إلى سلطان المغول مبعوثا وراء مبعوث ، للحصول على إذن بفتح التجارة الإنجليزية في سورات .

---

(١) Frederick Charles Danvers: Letters received by the East India Company from it's servants in the East, Vol. I, London, S.Low,Marston and Company Limited, 1896,pp.309-310

شركة

الهند الشرقية الفرنسية

بدأت إنجلترا وفرنسا بالاهتمام للمشاركة في تجارة ما وراء البحار في وقت واحد تقريبا ، لقد تأسست أول شركة إنجليزية للتجارة مع الهند الشرقية في نهاية عام ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م ، في أواخر أيام الملكة اليزابيث الأولى Elizabeth I بينما تأسس أول شركة فرنسية من هذا النوع في سنة ١٠١٠هـ / ١٦٠١م في عهد هنري الرابع Henry IV (٩٩٧ - ١٠١٩ هـ / ١٥٨٩ - ١٦١٠ م) وكان هذا الملك من أكبر الملوك الفرنسيين الذين عملوا على تشجيع الاستعمار ، ولقد أحاط به مستشارون أشاروا عليه بضرورة إنشاء المزارع والأقاليم الفرنسية فيما وراء البحار وإرسال معمرين فرنسيين إليها لاستغلالها (١)، ولكن على الرغم من إدراك هنري الرابع أهمية السير على قدم المساواة مع الدول الأوربية الأخرى في المحيط الهندي ، وعلى الرغم من أن المشاريع التجارية والاستعمارية في أوائل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي قد تم تصورها من قبل ذلك الحاكم الذي رسم خطة لإنشاء شركة الهند الشرقية الفرنسية ، إلا أن إنجلترا وهولندا دون فرنسا كانتا قد اتخذتا الخطوة الهامة الأولى عن طريق تأسيس شركتين للهند الشرقية اللتين كتب لهما النجاح .

إن عدم نجاح فرنسا في تنفيذ ما تصوره هنري الرابع وخطط له ، يعود إلى انشغال فرنسا الشديد بالتطورات الأوربية و حروبها و أزماتها التي حالت دون مواصلة فرنسا الاهتمام بشئون الشرق ، حتى عهد الوزير كولبير Colbert (٢).

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هجدهم ، ص ٢٠٠ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٤٩ .

(٢) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦٢ ،
A.V.Jackson : History of India, Vol. VIII, p.79.

كان لويس الحادي عشر Louis XI قد حاول من قبل تنفيذ فكرة الاستعمار عن طريق تأسيس الشركات ، واقترح في عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢ م على بعض التجار تأسيس شركة مرسيليا(*) Marseille التجارية لاحتكار التجارة في شرق البحر المتوسط ، ولكن فرنسا انشغلت في الحروب الطويلة ونتائجها ، فلم تتضح الفكرة في أذهان الفرنسيين (١).

في عام ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م بدأت الوزارة الطويلة لريشليو Richelieu (١٠٣٣ - ١٠٥٣هـ / ١٦٢٤ - ١٦٤٣م) الذي بلغت في طموحاته فكرة منح فرنسا إقليما تابعا كبيرا فيما وراء البحار ، وترجمت هذه الفكرة في مراسيم متعاقبة بتأسيس وتكثير الشركات الاستعمارية في مختلف أجزاء العالم من كندا في الغرب إلى مادغاشقر Madagascar وجزر الهند الشرقية في الشرق (٢) وكان البعض يفكر في الحصول على ثروات ، وفكر البعض الآخر في إدخال الصبغة الفرنسية بين شعوب ماوراء البحار وتحويلها إلى المسيحية ، إلا أن الشركات الكثيرة التي أنشأها ريشليو لتلك الأغراض ، انحلت واحدة بعد الأخرى بسبب قلة رؤوس أموالها (٣)، وقلة رغبة أثرياء الفرنسيين في المشاركة بهذه المشروعات ، كما لم تنشأ من قبل ريشليو أية جمعية ذات ميثاق خصيصا لغرض التجارة في الهند الشرقية ، على غرار الشركات الإنجليزية والهولندية ، ولم تتمكن أية شركة كهذه أن تتشكل وتقف على قدميها وتبدأ في نشاطها المنظم ،

(*) مرسيليا : مرفأ في جنوب فرنسا على البحر المتوسط .

(١) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٥٠ .

(٢) A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII,p.80

(٣) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

كما اعترضت الجالية التجارية الفرنسية على الشروط التي وضعت هذه الشركات كلها تحت إشراف القساوسة والنبلاء والموظفين ذوي المناصب العالية ، وأبدت عدم ثقتها في العناصر التنصيرية والدعائية (١)، كذلك كان تعدد هذه الشركات سببا مهما في حيرة الأهالي لاختيار الشركة التي يساهمون فيها ، على الرغم من أن الدولة كانت تشجع المعمرين وتمنح ألقاب النبل للكثير من التجار والسماسرة وأصحاب السفن وأصحاب رؤوس الأموال (٢)، وكان الملك يأخذ أول نصيب في الشركة حتى يشجع النبلاء على التشبه به في شراء أسهم في الشركات .

بالإضافة إلى ماذكر فان فرنسا كانت لها حدود برية أوربية ممتدة، وكان هناك تقليد فرنسي قديم هو التوجه للتوسع داخل أوربا ، ومعني هذا أن الفرنسيين كانوا متورطين في معظم مشاكل أوربا وحروبها ، وكان معظم الفرنسيين ينفرون من التوجه إلى ماوراء البحار والاستقرار في أقاليم غير أوربية نائية ، وفي تلك الفترة لم يكن للتوسع الاستعماري لدى الكثيرين من الفرنسيين إلا أهمية ثانوية في حين كان هذا الأمر شاغلا عظيما عند غالبية الإنجليز (٣).

في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي زادت اهتمام الدولة الفرنسية ثانية للمشاركة في التجارة والملاحة الشرقية ، ويرجع فضل هذا التوجه إلى كولبير Colbert الذي أدرك بوضوح قيمة البحرية والتجارة والمستعمرات ، وبمجرد تعيينه من قبل

---

(١) A.V.Jackson : History of India, Vol. VIII, p. 84

(٢) جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٥١ .

(٣) ماتيو اندرسون : القرن الثامن عشر في أوربة ،دمشق،دار الفكر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٣٥٤ .

لويس الرابع عشر Louis XIV (١٠٥٣ - ١١٢٧هـ / ١٦٤٣ - ١٧١٥ م) على وزارة المالية ،بدأ عهد الإصلاح المالي والداخلي عموما ، فقام بتنظيم المالية وملء خزائن الدولة بالمال ، كما عمل على إنعاش الصناعة الأهلية وأنشأ سياجا من الضرائب الجمركية العالية لحماية المصنوعات الوطنية ، كما أهتم بتسويق هذه المصنوعات بتأسيس الشركات التجارية وتشجيع الشعب الفرنسي في المشاركة بتلك المشروعات ، لأن القيام بمثل هذه المشروعات الضخمة للمشاركة في التجارة العالمية وتحدي الشركات الأوربية المتنافسة ، كان فوق استطاعة فرد واحد ، كما لم تكن في مقدور الدولة أن تقوم بها بمفردها، فاتخذ الفرنسيون في ذلك السبيل نفس الوسائل التي كان الهولنديون والإنجليز قد اتخذوها وحققوا إنجازات كبيرة عن طريقها ، وهي إنشاء الشركات الاستعمارية ، لأن الاستعمار عن طريق الشركات لم يكن يكلف الدولة شيئا [١].

رأى كولبير إلى الثروة التي نالتها هولندا وإنجلترا عن طريق شركاتهم التجارية ، وأراد أن تحذو فرنسا حذوها وأن تكون لفرنسا إمبراطوريتها البحرية وتجارتها العالمية عن طريق تكوين شركات فرنسية ، ولقد أبدى اهتماما خاصا بالاستعمار وبسط نفوذ فرنسا التجاري فيما وراء البحار ، وحتي يذكر أنه كان يطمع في أن تصبح مصر تابعة لفرنسا وأن تقوم فرنسا بحفر قناة تصل بين البحرين المتوسط والأحمر ، وأن تكون لفرنسا سلسلة من القواعد البحرية على الطريق البحري إلى الهند والشرق الأقصى [٢]، وبهذه الطموحات الاستعمارية

---

(١) محمد شكري وزميله : أوربا في العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .
حسن صبحي : التاريخ الاوربى الحديث، ج١ ، الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢م . ص ٢١٤- ٢١٥.
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٥٠ .

(٢) حسن صبحي: التاريخ الأوربي الحديث ، ج ١ ، ص ٢١٧ - ٢١٨،
عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار: التاريخ الاوربى الحديث، القاهرة ، دار الفكر العربى، ص ١٧٥.

أنشأ كولبير Colbert شركات متعددة للتجارة مع أنحاء العالم المختلفة وأعطى لهذه الشركات بعض المزايا والضمانات اللازمة لازدهارها ، وكانت هذه الشركات أقل عددا من سابقاتها ، ولكنها كانت أكثر تجهيزا من تلك الشركات الكثيرة التي أنشئت في السابق ولم يكتب لها النجاح ، ومن أهم الشركات التي أشرف كولبير على إنشائها ، شركة الهند الشرقية الفرنسية Componie Das Indes Orientales التي تأسست في عام ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م بناء على مرسوم أصدره لويس الرابع عشر Louix XIV استجابة لنصائح وزير ماليته كولبير [١]، وبموجب مرسوم التأسيس حصلت الشركة على حق احتكار التجارة الفرنسية مع الشرق ، كما أعانتها كولبير بقرض حكومي وضمان حكومي أيضا .

بذل كولبير كل ما في وسعه لدعم هذه الشركة وتحقيق أهدافها ، وحاول أن يشرك فيها عامة الشعب الفرنسي وأن لاتكون مقتصرة على تجار الموانىء وابتدأ في ذلك من الملك والأسرة المالكة ، وكلف أحد أعضاء الأكاديمية ليكتب رسالة تشجيعية ، وأرسل الوزير المذكور تعميما إلى البلديات وإلى أثرياء البلد يخاطبهم فيها قائلا :

" أيها السادة عليكم أن تشتركوا في فخر هذا العمل وفوائده ، وليسهم في الشركة كل واحد منكم بقدر استطاعته . وأنا شخصيا مطمئن من الأرباح التي

---

(١) جلال يحيى : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٥٠ ،
حسن صبحي : التاريخ الأوربي الحديث ، ج ١ ، ص ٢١٨ ،
ج . لوريمر : دليل الخليج / القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ٨٠ ،
جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٩ .

سوف تعود إليكم من هذه المشاركة ، ولطمئنتكم مستعد أن أحلف لكم " (١) ، وطلب كولبير من وكلاء الشركة أن يذكروا البورجوازيين بالمساويء التي سوف تنتج عن إعراضهم عن هذه الفرصة السانحة التي سوف تعود بالفائدة لهم وللدولة (٢).

رغم التركيز الموجود في المخطط ورغم حماس كولبير ومساهمة الملك والأمراء في رؤوس أموال الشركة ، فإن الطبقة المتوسطة وعامة الفرنسيين لم يشاركوا كولبير في حماسه ، وأحجموا عن الإسهام في هذه المشروعات والمخاطرة برؤوس أموالهم في مغامرات عبر البحار ، إذ كان الأغنياء يعتقدون أن شراء الأراضي طريق آمن للحفاظ على الثروة والانخراط في مصاف النبلاء ، وهكذا فشل مشروع كولبير الطموح في إشراك عامة الشعب وأثريائه ، فقام بسحب امتياز الاحتكار من شركة الهند الشرقية الفرنسية ، وترك التجارة مع جزر الهند الشرقية مفتوحة لكل تاجر ، بشرط استخدام سفن الشركة ومحطاتها التجارية (٣).

رغم كل هذا استمرت الشركة في نشاطها، ولكن إحجام غالبية الأثرياء عن المشاركة فيها واهتمام الدولة الأكبر لتطورات أوربا ، جعلت الشركة غير قادرة على الصمود أمام منافستها القوية شركة الهند الشرقية الإنجليزية على مدى البعيد ، فخاب أمل كولبير الذي كان يتمنى أن تتمكن الشركة من إدارة

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٢) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٩ .

(٣) حسن صبحي : التاريخ الأوربي الحديث ، ج ١ ، ص ٢١٨ ،
جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٨٩ - ٩٠ ،
جلال يحي : معالم التاريخ الحديث ، ص ١٥٢ .

تجارة الهند لمدة خمسين عاما [١]، وأن تحصل لفرنسا حصة كبيرة من التجارة الغنية في السلع الآسيوية التي أكسبت الدول الأوربية البحرية أموالا طائلة [٢].

كان للفرنسيين كغيرهم من الأمم الأوربية بعض مستقراتهم الصغيرة ببلاد الهند ، وكانت خطة كولبير تتركز في أن ترسي الشركة الفرنسية قاعدة سلطة الفرنسيين بجزيرة سيلان ، فوجه لهذا الغرض أسطولا ، في ١٠٨٠ هـ / ١٦٧٠ م، غير أن الهولنديين كانوا لهم بالمرصاد فحالوا بين الفرنسيين وبين استقرارهم بتلك الجزيرة ، إلا أن أحد موظفي الشركة تمكن في ١٠٨٢ هـ / ١٦٧٢ م من الحصول على قرية صغيرة في ساحل الهند الجنوبي الشرقي التى كانت نواة لظهور مدينة بوند شيري Pondichery [٣]، وكانت الشركة قد واجهت في السنين الست بعد تأسيسها إحراجا خطيرا ، بسبب معارضة الهولنديين لها ، ويقال إن لويس الرابع عشر Louis XIV أعلن الحرب ضد الهولنديين في عام ١٠٨٤هـ / ١٦٧٤م بسبب هذه المعارضة الشديدة للهولنديين ضد التدخل الفرنسي في تجارتهم الهندية [٤].

رغم عداء الهولنديين للفرنسيين في الهند ، فان مدينة بوند شيري Pondichery قد أزدهرت وأصبحت فيما بعد قاعدة رئيسية لنشاطات الشركة

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٠٢ .

(٢) A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII, p.88

(٣) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦٢ ،
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٠٢ .

(٤) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٧ ؛
A.V.Jackson : History of India, Vol. VIII, p. 89

الفرنسية في الهند ، كما حصل الفرنسيون على مراكز جديدة على شاطئ الهند الشرقي والغربي ، ولكن ازدهار التجارة الخارجية الفرنسية الكبير ، لم يكن قد تيسر في عهد كولبير ، بل حصل ذلك في عهد فلوري Fleury، حيث توفر لفرنسا في عام ١١٤٢هـ / ١٧٣٠ م أسطول تجارى كبيرونشط (١) .

بالإضافة إلى البرتغاليين والهولنديين والإنجليز والفرنسيين ، أبدت بضع أمم أوربية أخرى أيضا اهتماما بالتجارة الشرقية ، ولكنها كانت مهتمة فقط بالتجارة المحدودة الخاصة ، أو أنها لم تكن مهتمة بالهند بصفة خاصة ، أو أنها كانت تعمل ضمن رأس المال البريطاني ، فعلى هذا النحو لم تمثل أية مصلحة قومية خاصة سوى مصلحة التجار المتطفلين الإنجليز ، وعلى هذه الوتيرة أتى الدنماركيون إلى الهند في ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م ، ولكن لم يكن رأس المال البريطاني قد لعب دورا كبيرا في عملياتهم فحسب ، بل لم تكن للدنماركيين طموحات كبيرة وكانوا مشغولين أكثر بصورة سرية في التجارة الخاصة داخل البلاد أو غيرها ، كما تكونت شركة سويدية للهند الشرقية في عام ١١٤٣هـ / ١٧٣١ م ، ولكن تجارتها كانت محصورة في الصين وحدها تقريبا ، كما كانت هناك شركة أوستند Ostend التي نظمت من قبل تجار فلاندرز Flanders وأصدرت لها البراءة رسميا في عام ١١٣٤ هـ / ١٧٢٢ م ولكن أعمالها استمرت لفترة وجيزة في الهند ، ويضاف إلى ذلك أن كوبنهاغن/Kobenhavn وأوستند Ostend ولشبونة Lisbon

---

(١) جورج لوفران : تاريخ التجارة ، ص ٩٠ .

أصبحت في السبعينات والثمانينات من القرن الثامن عشر الميلادي مراكز لتجارة هندية كانت في معظمها بريطانية في جميع المظاهر ماعدا الاسم [(١)]. وقد أدت المصالح التجارية المتعارضة الى نشوب صراعات بين الشركات الأوربية الاستعمارية ، تحولت إلى معارك دموية طاحنة في الأراضي الهندية في فترة ضعف الدولة المغولية وهذا ما سنستعرضه فى الفصل التالى إن شاء الله .

(١) R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, p.92

أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ،ج٢، ص ٦٤٤ .

الفصل الثاني
صراع الشركات الاستعمارية
في
الهند المغولية الإسلامية

- موقف السلطان جهانگير من القوى الأوربية الاستعمارية .
- تصاعد النفوذ الإنجليزي في عصر أورنكزيب .
- حروب الوراثة النمساوية في أوربا وحرب السنين السبع :

اشتداد الصراع بين الشركة الفرنسية والشركة الإنجليزية في الهند

موقف السلطان جهانگير من القوى الأوربية الاستعمارية

في القرن العاشر الهجري الموافق للسادس عشر الميلادي ، أقام البرتغاليون إمبراطورية تجارية في منطقة المحيط الهندي ، وقد شاهد مطلع القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ظهور منافسين أوربيين للبرتغاليين، وبدأت قوة البرتغاليين في الشرق في الأفول أمام تقدم الدول الأوربية الأخرى في المحيط الهندي التي تحدت الاحتكار الذي كان البرتغاليون يتمتعون به من قبل ، وكانت هولندا وإنجلترا أهم الدول البحرية التي نازعت البرتغاليين بواسطة شركاتها ، وعندما وجد الإنجليز طريقهم إلى الهند ، كان همهم الأول إبعاد البرتغاليين عنها ، وقد عرفوا أن أكبر سلطة ذات أهمية رسمية في شبه القارة الهندية هي دولة المغول الإسلامية (١).

كان السلطان جهانگير (١٠١٤ - ١٠٣٧هـ / ١٦٠٥ - ١٦٢٨ م) يسير على سياسة أبيه ، وهي سياسة التسامح مع الآخرين والترحيب بالأجانب إذا وقفوا عند حدودهم ولم يتدخلوا في شئون الدولة المغولية ، وأثناء فترة حكمه بدأ النزاع على التجارة الهندية بين ثلاث قوى أوربية ، وهي البرتغاليون والهولنديون والإنجليز ، وكان أحد المطالب الرئيسية لرأسمال التجار في ذلك الوقت هو أنه يجب أن يتمتع بالنفوذ الكامل في البلد الذي تقام فيه العلاقات التجارية ، ولم تكد أية تجارة تعتبر مربحة إلا إذا كانت حقا مقصورا، والأمم المختلفة التي تاجرت إلى الهند ، تاجرت جميعها عن طريق الاحتكار ، وأن الشركات الكثيرة ذات الامتياز اعتبرت أي اقتراح بالمشاركة في تجارتها ،

---

(١) أحمد حمود المعمري : عمان وشرقي افريقية ، ص ٥٩ ، ٦١ ،
محمد عبداللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن ، ص ١٠٧ ،
حسين مؤنس . أطلس تاريخ الاسلام ،ط١، القاهرة ، الزهراء للاعلام العربى١٤٠٧/١٩٨٧م ص ٢٥٩ .

اقتراحا لهدمها وتدميرها ، وعلى نفس الوتيرة أية أمة حصلت على الإذن بالدخول في أية قناة تجارية ، حاولت في أن تطرد منها كل المشاركين وأن تعتبر فوائدها متوقفة على انعدام جميع ضروب التنافس ، وبذلك فان الوضع الخاص بكل شركة قد أصبح مضمونا بحقوقها الاحتكارية ، دون أن تكون هناك أية سلطة تتجاوز الحدود القومية ، فمن ثم كان عليها أن تحارب فيما بينها حتي يتقرر من سيملك ناصية التحكم في التجارة الهندية .

على هذا النهج تطور التنافس الثلاثي على التجارة الشرقية في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، التنافس بين البرتغاليين والهولنديين / البرتغاليين والإنجليز / والهولنديين والإنجليز ، إذ أنهم كانوا القوى الرئيسية الثلاث في الشرق في ذلك الوقت ، وعلى الرغم من أن الفرنسيين كانوا قد غامروا في الشرق في القرن نفسه إلا أنهم في البداية لم يستطيعوا أن يتقدموا كثيرا ، لذلك فان النزاع بين الإنجليز والفرنسيين الذي فاق جميع أنواع التنافس الأخرى بين القوى الأوربية في الشرق ، لم يستطع أن ينبثق تماما قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي(١)

أخذ الإنجليز يتجرون أولا مع جزر الهند الشرقية ، ولم يدخلوا الهند نفسها ، وكان البرتغاليون والهولنديون يقفون لهم بالمرصاد ، وكانت بداية نشاطات شركة الهند الشرقية الإنجليزية التجارية في الهند ، في عهد السلطان جهانگير ، حيث أرسلت الشركة ويليم هوكنز William Hawkins لهذا الغرض ، حاملا رسالة من الملك جيمس الأول James I إلى سلطان الدولة

---

(١) R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, pp. 91 - 92

المغولية ، وقد رست سفينته في سورات Surat الميناء الرئيسي في الساحل الغربي للدولة المغولية في جمادي الأولى عام ١٠١٧هـ / أغسطس ١٦٠٨ م وأوفد هوكنز إلى الحاكم المحلي مقرب خان يبلغه قدومه ، وتلقى ردا وديا فنزل الساحل وطلب الإذن بتأسيس مركز تجاري في تلك المنطقة ، إلا أن الحاكم المحلي أبلغه بأن مثل هذا الموضوع خارج عن نطاق صلاحياته وهو غير ممكن إلا بأمر من السلطان ، فشد هوكنز الرحال إلى آگره Agra عاصمة الدولة ليحصل على ذلك التصريح التجاري من السلطان جهانگير (١)، ووصل إلى العاصمة في شهر ذي القعدة عام ١٠١٧ هـ / فبراير ١٦٠٩م ، وظل هناك لأكثر من سنتين يحاول مقابلة السلطان إلا أن رئيس البلاط قال له إن ملك إنجلترا ليس غير سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون بائسون ، ويقال أيضا أنه كان للبرتغاليين دورهم في الحيلولة دون حصول هذه المقابلة ، ولما يئس هوكنز من أن يحصل بطائل عند الملك المغولي التمس أن يظفر بالحصول منه على خطاب إلى الملك الإنجليزي ، فرد له مسئول البلاط بأنه مما لايناسب قدر ملك مغولي أن يكتب رسالة إلى ملك صغير الشأن كملك إنجلترا ، فترك هوكنز آگره متوجها إلى سورات في رمضان ١٠٢٠هـ / نوفمبر

Danvers:

(١) Letters received by the East India Company from its servants in the East, Vol.I, p. 255

M.A. Ansari : European travellers under the Moghals (1580 - 1627) , Delhi, 1975, P.23.

١٦١١ هـ ، وفشلت المحاولة الأولى للشركة للتوغل في داخل الهند (١).

بعد عودة هوكنز إلى سوارت ، وجد هناك قائد الرحلة السادسة مدلتون Middelton مع ثلاث سفن إنجليزية ، وأخذا يقومان بأعمال القرصنة ردا على عدم تلبية رغبات الإنجليز في إقامة مركز تجاري بسورات ، فقاما بنهب سفن أهل سورات التي كانت تتجر في البحر الأحمر (٢).

في عام ١٠٢١هـ / ١٦١٢م وصل إلى مياه سورات أسطول إنجليزي آخر بقيادة توماس بست Thomas Best الذي اصطدم بالبرتغاليين في سوالي Swally القريبة من سورات ، وتمكن من هزيمة البرتغاليين ، وبذلك أثبت لأهل سورات بأس الإنجليز ، خاصة وأن الدولة المغولية رغم قوتها المهيبة إلا أنها كانت قوة برية لم تتمكن من منازلة البرتغاليين في البحر ، ونتيجة لذلك

---

(١) Letter received by the East India Company from its servants in the East, Vol.I, p. 279
M.A. Ansari : European travellers under the Mughals (1580 - 1627), pp. 23 - 24
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ،ص ١٦ — ١٧ ،
ميرزا محمدعبد القادرخان: اويماق مغل، بنجاب،مطبعةروز بازار امرت سر، ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م ، ص ٦٣٥ ؛
لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٤٢ ،
حمد بن صادق الجمال: أبو الأعلى المودودي/ حياته وفكره العقدي، ص ٤٤،
شيلادهار : تاريخ هند، تهران، انتشارات عصرجديد، ١٣٦٣ هش،ص ١١٦ .
V.D. Mahajan: India Since 1526, Part I, Delih, Fifth Edition S.Chand 1962, P.112

(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ١٧ ؛
M.A. Ansari : European travellers under the Mughals (1580 - 1627), p. 24

استطاع بست Best في ذي القعدة ١٠٢١هـ / يناير ١٦١٣م أن يحصل على فرمان من السلطان جهانكير يمنح الشركة الإنجليزية التصريح بفتح التجارة مع سورات ، وكان هذا بداية علاقات الشركة بالهند (١).

رغم ذلك لم تحصل الشركة على وضع يطمئنها ، بل كانت تشكي من عدم نجاحها في التسويق وعدم اهتمام الدولة المغولية بها ، ففي رسالة مؤرخة في ٢٧ من شهر رمضان عام ١٠٢٢هـ / التاسع من نوفمبر ١٦١٣م بعث بها إلى الشركة أحد موظفيها وهو توماس الدورت Thomas Alsworth يقول فيها : " قد أخبرناكم بكل ماحدث لنا هنا حتى ١٢ من مارس الماضي منذ الوقت الذي بيعت فيه بضائعنا على نطاق ضيق جدا أو لم يتم شيء من ذلك القبيل على الإطلاق وقد وصل السيد پال كننغ Paul Canning إلى آكرا بعد سفر طويل وممل وسلم خطاب مليكنا مع الهدية ، وكما جاء في خطابه هو فإنهم لم يحترموه كثيرا ، ثم أصيب بمرض الحمى الشديدة المحرقة التي أودت بحياته في الثاني عشر من مايو ... ولدى سماع هذه الأنباء المحزنة السالفة الذكر

---

(١) Danverse : Letters received by the East India Company from its servants in the East, Vol.I, pp. 269 - 271

R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, p. 95.

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ١٧ ،

ج . لوريمر : دليل الخليج / القسم التاريخي ، ج١ ، ص ٢٦ - ٢٧ ،

ارنولدت . ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ٩٦ ،

احمدمحمود الساداتي: تاريخ الدول الاسلامية بآسياوحضارتها، القاهرة دارالثقافة للطباعةوالنشر ، ١٩٧٩م ، ٩٠ .

أرسلنا مرغمين مكرهين توماس كيرج Thomas Keridge ليتسلم بيديه تلك الأشياء التي تركها السيد كننغ ويكون هناك مقيما لمتابعة قضيتنا والحصول على خطاب من ملك آكرا ردا على خطاب مليكنا ، وكذلك ليحصل على فرمان الملك بخصوص مكان يكفي لرسو سفننا من خطر البرتغاليين Portingals وحتى الآن لم يتم شيء ما هناك على الرغم من وجود توماس كيرج هناك مستمرا في قضيته "(١).

لم تكن الشركة راضية بأن تحصل على التصريح بفتح التجارة فقط ، بل كانت تريد الحصول على براءة حقوق من سلطان الدولة المغولية نفسه ، الأمر الذي كان يقيم التجارة الإنجليزية على أساس متين وثابت ، ومن أجل هذا وصلت العقول المفكرة وراء الشركة في لندن إلى أنه يجب أن يواجه الدبلوماسيون البرتغاليون في بلاط آكره بدبلوماسي إنجليزي محنك يتمتع بالذكاء ويتمكن من مواجهة المخططات البرتغالية لخلق العراقيل أمام التجارة الإنجليزية في الهند ، خاصة أن الإنجليز طردوا في تلك الفترة من أندونيسيا ، فطلبت الشركة إلى الملك جيمس الأول James I أن يرسل إلى بلاط جهانكير سفيرا تتولى الشركة دفع راتبه ، وتبرير ذلك أن البلاطات الشرقية تهتم لرسل الملوك ولا تعبأ بممثل طائفة من التجار ، وقد حبذ الملك جيمس الاقتراح فتم في عام ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م تعيين السير توماس رو Thomas Roa لهذا المنصب ، وكان توماس رو من الشخصيات المحنكة البارزة وله خبرة في السياسة والقضاء ، ولقد سبق له أن عمل في هذا

---

(١) Danverse:
Letters received by the East India Company from its servants in the East, Vol.I, p. 303

المجال لفترة في القسطنطينية (١).

وصل توماس رو Thomas Roe سفير الملك جيمس الأول James I إلى سورات في ٢٧ شعبان ١٠٢٤هـ / ١٨ من سبتمبر عام ١٦١٥م ، وكان وصوله متزامنا مع انتصار بحري آخر للإنجليز على البرتغاليين في المياه الهندية، ورحب أهل سورات به لكرههم للبرتغاليين ومنصريهم ، وفي أوائل أكتوبر غادر سورات إلى أجمير حيث كان يقيم فيها جهانگير الذي رحب به ، غير أن كبير وزرائه آصف خان قاوم بنجاح رغبة رو Roe في عقد اتفاق تجاري دائم، وأصر أن المراسيم تكفي لتنظيم التجارة في أرض المغول ، وأنهم لايرحبون بأكثر من هذا واستطاع رو Roe بعلاقاته مع الأمير خرم نائب الملك أن يحصل على ما حافظ به على وضع الإنجليز في سورات ، وعلى ما يحذر الموظفين المحليين بمعاقبتهم إذا ضايقوا تجار الشركة واعترضوا تجارتها ، وقضى توماس رو حوالي ثلاث سنوات سفيرا للشركة في بلاط المغول وتمكن بلباقته ومحاولاته المتواصلة وتقديم الهدايا الفاخرة إلى بعض رجال الدولة أن يحصل على بعض الامتيازات دون أن ينجح في الحصول على اتفاقية تجارية دائمة بين المغول وبين الشركة ، وقبل أن يغادر البلاط تبلورت صورة مركز سورات التجاري

---

(١) M.A. Ansari : European travellers under the Mughals (1580 - 1627), p. 61

R. Mukherjee : The Rise and Fall of the East India Company, p. 95

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ١٨ ،
آرنولدت . ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ٩٦ - ٩٧ ،
محمد إسماعيل الندوي : تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ،ص ٢٤٥ .

الذي تحول إلى رئاسة Presidency آلت إليها إدارة المستودعات والمراكز الأخرى التي حازتها الشركة في أماكن آخرى مثل أحمد آباد وبزوتش Broach وآكره Agra .(١)

قبل أن يغادر السفير رو Roa أرض الهند ، أوصى الشركة بأن تبني قوتها في البحر ولاتقيمها في الساحل ، لأن البرتغاليين الذين بنوا قوتهم على السواحل ، كلفهم الدفاع عن مراكزهم الكثير من مكاسبهم (٢)، ومن هذا المنطلق كانت السياسة الأصلية للشركة الإنجليزية تنتهج التجنب عن الامتلاك الكامل للأرض غير أن امتداد المصالح التجارية للشركة ونجاحها في الحصول على العائد الضخم الذي حققته الرحلات القليلة الأولى ، جعلت الشركة تتخلى عن تلك السياسة (٣).

كانت تربط السلطان جهانگير بالتجار الإنجليز علاقات حسنة بصورة عامة ، رغم محاولات البرتغاليين إثارته ضدهم ، لأن هؤلاء التجار من الإنجليز

---

(١) Francisco Pelsaert : Jahangir's India, pp.38-39
M.A. Ansari : European travellers under the Mughals (1580 - 1627), p. 61
V.D. Mahajan : India since 1526, Part. I, p.113
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ١٨ ؛
أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج٢، ص١٤٤
أحمد ابراهيم البشبيشي :الهندخلال العصور، بدون ذكر اسم الناشر، وبدون ذكر تاريخ النشر ومكانه ، ص٩٣،
جواهر لعل نهرو :كشف هند، ج١، ط٢، تهران، مؤسسة انتشارات اميركبير ص ٤٤٨ .
(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ١٨ .
(٣) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ص ٦٤ .

والهولنديين كانوا يتعاملون خلال هذه الفترة بطريقة لاتثير الشكوك ، خاصة وأنهم أظهروا مخالفتهم للبرتغاليين ومقدرتهم في منازلتهم في البحر والمعارك البحرية ، ومما يسر لهم غزو أسواق الهند خلو جالياتهم في هذه الفترة من المنصرين وحرصهم على الابتعاد من التدخل لشئون الناس والتظاهر بالمودة والمداهنة ، ولقد بدأ الإنجليز والهولنديون عملهم بغاية الخضوع متخذين أساليب التجار في الحصول على الامتيازات التجارية التي مهدت الطريق للاستعمار البريطاني فيما بعد ، ولم يكن السلاطين في هذه الفترة فترة قوة الدولة وتمكن هيبتها وتماسكها وتوطيد سلطتها في أقاليمها المترامية الأطراف ، لم يكونوا يظنون مطلقا أن هؤلاء التجار سينتزعون الحكم من يد أحفادهم ، وكانوا لايلقون بالا إليهم ، فهم في ظاهر أمرهم لم يكونوا أكثر من تجار يلتمسون الرزق (١).

استمرت الشركة الإنجليزية في سياسة زيادة عدد مراكزها التجارية بحذر، فأسست في عام ١٠٤٢هـ / ١٦٣٣م مركزين تجاريين في كل من بالاسور Balasore وهاريهاپور Hariharpur في بنغال ، وفي عام ١٠٤٩هـ / ١٦٣٩م استطاع فرانسيس داي Franci Day من استئجار أرض من حاكم تشاندراجيري Chandragiri وارث إمبراطورية فياجياناجار Vijayanagar على ساحل كورماندل Coromandel وقد بنى على هذه الأرض حصن سمي بحصن سانت جورج St. George وذلك على نهر كووم Cooum ،ولقد تطور هذا الحصن فيما بعد حتى أصبح مدينة مدارس Madras الحديثة ، واستمرت الشركة في تأسيس مراكزها هنا وهناك حتى أصبح

---

(١) أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج ٢ ، ص ١٤٥ ،
غنيم وزميلـــه : تاريخ الهند الحديث ، ص ١١٢ ،
عبدالمنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٢٤١ .

لها في أواخر عهد السلطان شاهجهان (١٠٣٧ - ١٠٦٩هـ / ١٦٢٨ - ١٦٥٩ م) بن السلطان جهانكير ، ثلاثة وعشرون مركزا تجاريا وتسعون موظفا[١]، وفي سنة ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨ م ضمت بمبيء إلى الشركة التي نقلت إليها مركزها الرئيسي من سورات ، لأنها كانت هناك تعيش في ظل الحكام الهنود ، في حين كانت بمبيء سهلة الدفاع بواسطة مدافع الأسطول [٢].

استمرت الشركة الإنجليزية في توسعة مراكزها التجارية مستخدمة في ذلك وسائل مختلفة ، وحتى أنهم استفادوا من الطب في ذلك المجال ، حيث قام الطبيب الإنجليزي جبريل بوتون Gabriel Boughton بعلاج جهان آرا ابنة السلطان شاهجهان وإحدى سيدات العائلة المالكة الأخرى ، وحصل مقابل ذلك على إذن بتأسيس مركز تجاري للشركة في هوجلي Hugli ووكالات في كل من پتنه Patna وقاسم بازار Qasim Bazar وداكا Dacca وبالاسور Balasore[٣]، كذلك استفاد الإنجليز في توسعة مراكزهم

---

(١) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦١ ،
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣٠ ،
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤١٠ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٥ ،
V.D. Mahahan : India since 1526, Part.I, p. 150

(٢) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦١ ،
محمد إسماعيل الندوي: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، ص ٢٤٥ .

(٣) شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣٠ - ٣١ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٥ ،
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part. II, p.10

وتدعيم مصالحهم من عداء الدولة المغولية للبرتغاليين واستغلال كل حادثة عدائية تقع بين المغول والبرتغاليين ، وكان إسراف هؤلاء البرتغاليين في ظلم الهنود عاملا مساعدا لنجاح سياسة الإنجليز المداهنة والمخادعة .

بعد وفاة جهانكَير (١٠١٤ - ١٠٣٧هـ / ١٦٠٥ - ١٦٢٨ م) أرادت أخته عمة السلطان شاهجهان أن تحج إلى بيت الله الحرام ، فتوجهت إلى مكة المكرمة عن طريق البحر ، وفي الطريق هاجم البرتغاليون سفينتها ونهبوا ما فيها من الأموال والبضائع ، وأسروا الأميرة المذكورة واقتادوها إلى ميناء كَووه Goa ثم أطلقوا سراحها بعد أن استولوا على جميع أمتعتها وأقمشتها وأموالها ، وأخذوا منها علاوة على ذلك مئات الآلاف من الروبيات نظير إطلاق سراحها ، وبعد أن نجت عمة شاهجهان من هذه المهلكة وعادت عند ابن أخيها ، خاطبت السلطان بلهجة ساخرة لاذعة ، واستهزأت من حمله لقب السلطان في حين أن البرتغاليين ينتهكون أعراضه في بداية حكمه ، وتساءلت أنه كيف يتمكن من تصريف الأمور والحفاظ على شئون الحكم ، إذا كان الأعداء يعملون ما يشاؤون فثارت غيرة السلطان من سماع هذه العبارات ، وأمر قواته بأن تهاجم البرتغاليين في ميناء هوجلي ، حيث وقعت هناك معركة كبيرة انتهت بانتصار قوات شاهجهان التي قضت على الوجود البرتغالي هناك ، وأسرت قرابة ثلاثة آلاف منهم بين رجل وامرأة ، كما أنقذت حوالي عشرة آلاف هندي كانوا قد أسروا وأعدوا لتصديرهم إلى خارج الهند لاستخدامهم كرقيق ، كما جيء بعدد كبير من أسرى البرتغاليين إلى العاصمة عند السلطان وذلك في عام ١٠٤١هـ / ١٦٣٢ م [١]، وكان

---

(١) كستبن برويت : أحوال بی بی حلیانا، مخطوط فی المتحف البريطانی، تحت رقم Add. 14374 ق٢٣ - ق٢٤ ،
غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ، ص ١١٥ - ١١٦ = =

الإنجـليز يستفيدون من هذا السخط ويحصلون من سلطات الدولة المغولية على اذن باقامة وكالات تجارية أكثر [١].

هكذا كانت شركة الهند الشرقية الانجليزية تتحين الفرص لكسب ود سلطات دولة المغول الاسلامية فى الهند ، وكانت الشركة تعرف تماما انه ليس بمقدورها تحدى الدولة المغولية التى كانت قوية ومتماسكة وتضرب بيد من حديد كل من يعبث بامنها واستقرارها فى البر الهندى ، ومن هنا اختارت الشركة فى هذه الفترة التذلل والتودد امام سلطات الدولة على أمل ان يسمحوا لها بمزاولة نشاطاتها التجارية داخل أراضى الدولة .

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ١٩ .
A.V. Jackson: History of India, Vol. VII, New York, AMS Press, 1975 PP. 242-243.
T.W.Haig : شاه جهان (دائرة المعارف الإسلامية) ج١٣، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ، ص ١
== حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص ٢٥٨ ،

الهند في زمن هوكنز وتوماس رو

دولة المغول

الرؤساء الدافعون الجزية

كووه | الممتلكات البرتغالية

دولة المغول

الراجبوت

آكره

سورات

برهانبور

كوندوانا

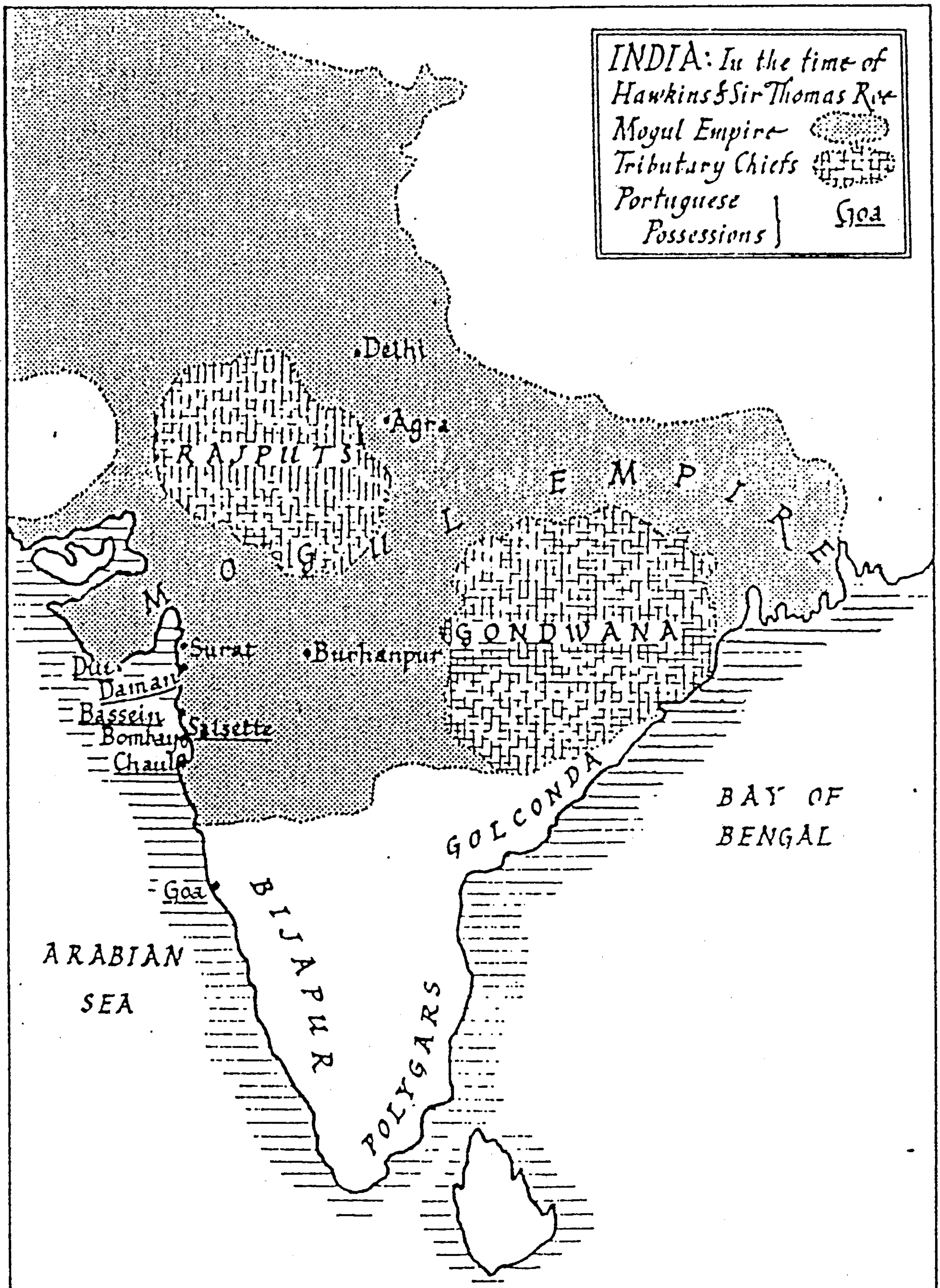
كولكنده

كووه

خليج البنغال

بحر العرب

Philip Mason:
The Men Who Ruled India, P.5



Philip Mason:
The Men Who Ruled India, P.5

تصاعد
النفوذ الإنجليزي في عصر أورنگزيب

تولى أورنكزيب عرش الهند في ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩ م بعد حروب طويلة ومستنزفة مع إخوته ، وقد قضي معظم سنوات حكمه البالغة حوالي نصف قرن من الزمان في إقرار السلام في ربوع دولته الواسعة وفي محاربة أعداء الدولة من الهندوس وقد استعان أعداؤه في هذه الحرب بالبرتغاليين ، وفي المقابل استغل الإنجليز موقف البرتغاليين العدائي للمغول في توسعة مصالحهم داخل أراضي الدولة المغولية .

فور تربع أورنكزيب على العرش ، كان سماسرة الإنجليز راغبين في الحصول منه على مرسوم جديد ، لأن منحة السلطان كانت من طبيعتها أنها تكون سارية المفعول أثناء استمرار حكم السلطان الذي أصدرها ، وتحتاج إلى التجديد حين وصول الحاكم الجديد إلى منصة الحكم (١)، والإحساس غير المبرر الذي شعروا به فيما يتعلق برفض طلبهم ، جعلهم يفكرون في استعمال القوة ، وعلى هذا النحو كتب السماسرة في رسالة مؤرخة في ٢٥ من جمادي الثانية عام ١٠٧٥هـ / ١٢ من يناير ١٦٦٥م إلى الشركة يتهمون فيها النواب بالابتزاز دون أن يذكروا أى مثال محدد في هذا الخصوص وقد ذكروا في رسالتهم بأنه : " يجب أن تلاحظ سفنكم الحربية أن هؤلاء الأشخاص قد ازدادوا قوة أكثر من السابق ، وسوف لايكونون خاضعين لنا كما كانوا مالم نعضهم قليلا ، بحيث يمكن أن يدركوا إذا ما أعاقونا عن طريق البر ، سيكون في قدرتنا أن نعوض ذلك عن طريق البحر "(٢) .

---

(١) J.Sarkar: History of Aurangzib, Vol, V, Karachi, South Asian Publishers, 1981,P.245.
M.M.Ali: History of Muslims of Bengal, Vol.IA,p.460

(٢) W. Foster and the other : The English Factories in India (1661 - 1664) , Oxford, Clarendon press, Oxford , 1923, P.401

ولايعرف رد فعل مدراء الشركة تجاه هذه التوصية باستعمال القوة ، ومثل ذلك الاقتراح كان قد تولد عن إحساس كاذب بالتضرر ، كما يشير الاقتراح بأنهم كيف كانوا يتمنون أن تكون الدولة المغولية ضعيفة حتي يكون باستطاعتهم أن يفعلوا مايشاؤون تحت التهديد والوعيد .

في هذه الفترة كان شايسته خان نوابا (*) لبنغال ، وقد عين في هذا المنصب في شعبان ١٠٧٤هـ / مارس ١٦٦٤م ، وفور وصوله إلى مقر ولايته أسرع إليه ويليم بليك William Blake رئيس الشركة الإنجليزية في بنغال للالتقاء به والحصول منه على أمر يمنع حاكم هوجلي من المطالبة بالعوائد الجمركية ، وتمكن بليك من الحصول على تصريح عام مستغلا في ذلك عجلة النواب ، إلا أن هذا التصريح لم يحصن في الواقع موقف الشركة القانوني ، إذ بعد أن درس النواب أوضاع الولاية وكرس عنايته لتنظيم التجارة فيها ، قرر على أن تجبى الضرائب الجمركية المعتادة من بضائع الشركة ، كما كان هو الغرض من مرسوم شاهجهان في عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م ، وهذا مما أغضب الشركة وجعل حاكم بمبيء Bombay جرالد أنجير Gerald Aungier يكتب إلى مجلس الإدارة في لندن بأنه قد حان الأوان لاستخدام السيف في تنظيم تجارة الشركة ودعم مصالحها (١).

(*) نواب : راج استعمال هذا اللقب في الهند للتعبير عن حاكم ولاية ، أي الشخص الذي ينوب عن السلطان في حكم الإقليم .

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp.458 - 459,

K.Ali : A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.11

في خلال حكم شايسته خان تولى رئاسة الشركة في بنغال كل من ويليم بليك William Blake وشم برجز Shem Bridgs وواتر كليول Water Clavell وماتياز ونسنت Matthias Vincent ووليم هيجز William Hedges على التوالي في أعوام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م و ١٠٨١هـ / ١٦٧٠ م و ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م ، و ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢م و ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤م ، وهؤلاء الأشخاص مع أتباعهم ومرؤوسيهم كانوا مشغولين في تجارة خاصة واسعة المدى ، لم ينتهكوا أنظمة التجارة لحكومة المغول فحسب ، بل انتهكوا أيضا احتكار الشركة نفسها ، واستفادوا من رأسمال الشركة في تجارتهم الخاصة ، ونقلوا ديونهم الشخصية إلى حساب الشركة ، وعلى هذا النحو نقل بليك Blake في عام ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م دينه الخاص البالغ إلى ٧٠٠٠ روبية إلى حساب الشركة ودل على إنفاق آخر غير عادية بمبلغ ٥٠٠٠ روبية كهدايا لموظفي النواب ومصاريف عامة لم تكن في الواقع قد أنفقت وبين في عامي ١٠٧٤هـ / ١٦٦٤م و ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م أن المواد الغير العادية والكاذبة المسجلة في كتب الحسابات الموضحة كهدايا للموظفين المغول بلغت إلى ١٦٤٦٨٦ روبية ، وهناك أمثلة مشابهة لاستغلال رأس مال الشركة من قبل مدراءها ، وحتى أن بعضهم قد التحقوا علنا بعصابات التجار المهربين ، كما تصاهر ميتياز ونسنت Matthias Vincent مع أحد المهربين المشهورين(١) ومع هذا كانوا يحاولون أن يحملوا مسئولية خسائر الشركة على ما أسموه بالابتزاز الجمركي من قبل السلطات المغولية وبذلوا كل محاولاتهم ليمتنعوا عن دفع الضرائب الجمركية .

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, p. 453.

أثناء وصول شايسته خان إلى الحكم في بنغال ، كان موقف التجار الإنجليز موقفا مشكوكا فيه ، نتج عن تحريف لفرمان شاهجهان لعام ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م ، ولكن التجار كانوا عارفين الحقيقة ، واستمروا في دفع ٣٠٠٠ روبية سنويا إلى الأمير شجاع الذي خلفه في حكم بنغال مير جمله ، وتوسلوا إلى تقديم الرشوة لإسكات كل موظف محلي كان من الممكن أن يسبب لهم المتاعب ، وكان الهدف من وراء ذلك أن يبنوا بمرور الزمن ادعاءهم في التجارة الحرة المعفاة من الضرائب ، لا على فرمان ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠ م الذي كانوا يعلمون بأنه لم يكن يؤمن لهم أي حق في بنغال ، ولا على أي فرمان أو تصريح آخر ، بل على الممارسة والاستعمال ، وبعد فترة ليست بالطويلة بدأوا في التأكد على ما أسموه بامتيازاتهم المعتادة وقررت الشركة أن تتاجر جبرا [1].

في غياب النقل البحري وقلة النقود نتيجة استمرار الحرب الهولندية الإنجليزية (١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م – ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧م) لم يجد شايسته خان فرصة لجباية الضرائب الجمركية من ١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م الى ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩ م ، وكان بعد ختم هذه الحرب فقط واستئناف النشاطات التجارية للشركة في بنغال، أن مسألة التجارة لفتت عناية النواب شايسته خان ، وكانت النتيجة أنه بعد مفاوضات منح النواب لهم پروانة (*) في ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م سمح لهم بموجبها بالتجارة دون

(*) پروانه : الإجازة ، التصريح .

(١) Ibid: p. 458

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٥ ،

V.A. Smith : The Oxford History of India, pp. 426-427

رفع الضريبة الجمركية في بنغال مقابل دفع سنوي مقداره ٣٠٠٠ روبية ، وبهذا بدأت فترة أخرى من التجارة السلمية (١).

في الفترة الثانية من علاقة النواب شايسته خان بالشركة الإنجليزية التي امتدت من ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م - ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م ، وصل التنافس الهولندي الإنجليزي في تجارة البنغال إلى أشدها ، ولكن الذي تسبب في بعض الصعوبات في تنفيذ پروانة ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩ م كان الزيادة الكبيرة في حجم استيراد السلع الإنجليزية في بنغال من قبل الشركة الإنجليزية ، وكان حاكم هوجلي Hugli ملك قاسم يرى تلك البروانة لاتطبق على السلع المستوردة ولذلك رأى أنه يجب على الشركة أن تدفع الضرائب الجمركية عن هذه السلع ، وهذا ما أسفر عنه الجدل بين ملك قاسم وسماسرة الإنجليز ، وقد أرجع الأمر إلى النواب الذي قرر بتصريح في ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢ م على حل المشكلة لصالح الشركة الإنجليزية ، إلا أن نشوب الحرب الهولندية الانجليزية الجديدة التى امتدت من ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢ م إلى ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م حال دون قيام الشركة بالأعمال التجارية على الوجه المطلوب ، كما كان هناك نقص شديد للنقود في أيدي السماسرة خلال هذه الفترة ، بالإضافة إلى الشجار المتزايد والخصام الذي كان يحدث بين السماسرة أنفسهم (٢).

منذ نهاية الحرب مع الهولنديين ، كانت الشركة الإنجليزية تحاول أن تستورد وتبيع من المنتجات الإنجليزية بالقدر الممكن من بنغال ، وكان الجزء

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, pp. 455 , 466, 471.

(٢) Ibid: pp. 455-456

الرئيسي من المخزون في بنغال يتكون من البضائع الإنجليزية في ذلك الوقت ، وزعمت الشركة بأن استيراد البضائع الإنجليزية إلى بنغال هي الأخرى معفاة من دفع أية ضريبة جمركية ، في حين أن الفرمان الملكي لعام ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠م ، والتصاريح التالية طبقت فقط على التجارة التصديرية ولم يكن تتضمن استيراد البضائع من الخارج ، ومن هنا في أوائل رمضان عام ١٠٨٢هـ / أوائل يناير ١٦٧٢هـ رفض حاكم هوجلي السماح بمرور البضائع الإنجليزية التي حملتها قوارب الشركة من بالاسور Balasore ، وطالب السماسرة أن يقدموا بيانا عن حمولات القوارب، وبدأ الموظفون بتفتيش القوارب ، ولكن السماسرة قاوموا هذا الإجراء وذهبوا إلى حد استعمال القوة وضرب موظف الجمارك ، مما أثار غضب حاكم هوجلي الذي طلب منهم فقط أن يقدموا بيانا عن بضائعهم وأن يبرهنوا ادعاءهم بالامتياز عن طريق تقديم فرمان السلطان أو التصاريح التي منحت لهم من قبل أسلاف شايسته خان خلال عشرة أيام ، ورد السماسرة قائلين بأن الفرمان موجود في سورات والتصاريح في محطة أخرى في بنغال ، وليس في مقدروهم أن يقدموها خلال عشرة أيام ، ولكنهم في الواقع كانوا لايرغبون في إظهار الفرمان للنواب لأنه كان هناك ذكر عن دفع الرسوم الجمركية ، إلا أن المشكلة حلت مؤقتا بمساعي جوزيف هول Joseph Hool الذي كان عضوا في مجلس بنغال وقام بزيارة للحاكم في نهاية الشهر حصل على إثرها بالإذن لنقل البضائع نحو داكا Dacca والأماكن الأخرى (١).

سارت الأمور سيرا عاديا دون أن يعيقه عائق لفترة من الزمن ، ولكن سرعان ما جدد حاكم هوجلي مطالبته بضرورة الحصول على الضرائب الجمركية من

---

(١) Ibid: pp. 473-474

السلع المستوردة ، ولكن الإنجليـز كانوا دائما يتهربون من دفع الضرائب وادعى السماسرة في مراسلاتهم مع سلطات بلادهم بأن الحاكم كان يصر على هذه المطالبة لأنه كان يريد أن تباع البضائع له بالأسعار التي يحددها بنفسه ، كذلك اشتكوا بأن المتاعب كانت من تحريض الهولنديين الذين دفعوا كرسوم جمركية مبلغـا يتراوح بين ٣٠٫٠٠٠ و ٤٠٫٠٠٠ روبية سنويا ، مقابل دفع مبلغ سنوي قدره ٣٠٠٠ روبية وهدايا صغيرة معتادة للحاكم وموظفيه ، من قبل الإنجليز (١).

يبدو أن الادعاء القائل برغبة الحاكم في احتكار التجارة المستـوردة ، لم يكن له أساس من الصحة ، إذ لم يكن هناك أي باعث له ، لأن الطلب للبضائع الإنجليزية في بنغال في تلك الفترة لم يكن كبيـرا ، كما أن السماسرة أنفسهم اعترفوا في مراسلاتهم أنهم كانوا مضطرين إلى المقايضة في بالاسور (*) لعدم وجود البيع ، فيبقى السبب الحقيقي وراء إصرار الحاكم على فرض الرسوم الجمركية على البضائع المستوردة ، هو تفسيره الدقيق لتصريح ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩ م الـذي صدر بشأن التجار الأجانب ، ولما رأى شايسته خان أن ذلك التصريح كان مبهمـا ويصلح لتفاسير مختلفة ، منح الإنجليز في صفر عام ١٠٨٣هـ / يونيـو ١٦٧٢ م ، تصريحين جديدين أحدهما للصداقة والآخر للتجارة الحرة ، والأخير ذكر بصـورة محددة مشخصة إعفاء الإنجليز من دفع الرسوم الجمركية على جميع البضائـع المستوردة إلى الداخل أو المصدر إلى خـارج منطقة نفوذه ، وأمر بتقديم العون على استحصال ديونهم والمرور الحر للقوارب التى كانوا يملكونها أو يستأجرونها وأزال جميع الحواجز التي كانت تعترض سبيل تجارتهم ، كما وافق ملـك قاسـم

(*) بالاسور: مدينة من المدن البنغالية ، وكانت الشركة قد أنشأت فيها مركزا تجاريا لها.

(١) C. Fawacett : The English Factories in India (1670 - 1677), Oxford; Clarendon press, 1955, P. 346.

بأن يرد جميع ما أخذه من الإنجليز في هذا الشأن ، وكذلك أمر شايسته خان بنقل ملك قاسم من هوجلي نتيجة الشكاوي المتكررة التي تلقاها من الهولنديين أيضا ، وبذلك يكون شايسته خان قد أخذ موقفا مرحبا بالتجار الأجانب وتجارتهم الحرة من العوائق ، كما طمأن عزيز بك خليفة ملك قاسم الإنجليز على تجارتهم في بنغال (١).

في رمضان١٠٨٧هـ / ديسمبر عام ١٦٧٦م تلقى شايسته خان تعليمات من أورنگزيب تشير إلى جباية الرسوم الجمركية من جميع بضائع الشركة الإنجليزية بمقدار ٢ ٪ ، وكانت ممارسة الإنجليز التجارية المعفاة من الضرائب في بنغال مقابل دفع ٣٠٠٠ روبية سنويا ، ترتيبا اتخذ فيما بين النواب والسماسرة ، ومن الواضح أن السلطان أورنگزيب لم يكن عالما بهذا ، لذلك لم تكن تعليمات لجباية الضرائب الجمركية غير طبيعية ، وكان الموضوع قد نشأ من تقرير نواب پتنه Patna حول تجارة الشركة في تلك الأجزاء من الدولة ، وقد ذكر النواب أن الإنجليز يقومون بتجارة واسعة في ولايته دون أن يدفعوا أية رسوم جمركية ، وكان رد السلطان على حكامه في الأقاليم الشرقية بأن لايسمحوا أن تتضرر الدولة بأية طريقة ، ومن هنا ترك شايسته خان التمسك بتصريحه لعام ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م ، وأصدر تعليماته إلى حكام هوجلي وبالاسور فورا بأن يقوموا بتنفيذ أوامر السلطان ، وهكذا كان ختام الفترة الثانية لعلاقة شايسته خان بالشركة الإنجليزية ، ثم استدعى من بنغال من قبل السلطان وذلك

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp. 475, 476, 477,
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣١ .

في عام ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م [1].

إن استدعاء شايسته خان سبب توجسا بين السماسرة الإنجليز خول وضع النواب الخلف نحو امتيازاتهم التجارية ، وقرر الإنجليز أن يتصلوا بالسلطان بكل جدية للحصول منه على فرمان جديد يؤكد على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في بنغال ، وعلى هذا النحو بدأت فترة جديدة في تاريخ تجارة الشركة الإنجليزية .

عاد شايسته خان إلى حكم بنغال للفترة الثانية التي استمرت من رمضان ١٠٩٠هـ – رمضان ١٠٩٩هـ / أكتوبر ١٦٧٩م – يوليو ١٦٨٨م ، وأثناء هذه الفترة لجأ وكلاء شركة الهند الشرقية الإنجليزية إلى الحرب ضد الدولة المغولية الأمر الذي كانوا في الواقع يفكرون فيه منذ أيام مير جمله Mir Jumla سلف شايسته خان ، وذلك بعد أن فشلوا في تقرير ادعائهم للامتيازات المتعلقة بالتجارة المعفاة من الرسوم الجمركية ، وتوترت علاقة الشركة بالنواب العائد بصورة متزايدة ، وكان هناك حقيقتان رئيسيتان وراء هذا التوتر ، الأولى أن شايسته خان عاد إلى بنغال بوضع متغير قبال الشركة ، الأمر الذي يحتمل أن يكون قد علم من البلاط أن ادعاءات الشركة إلى امتيازات التجارة الحرة لم تكن وفق فرمان ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠ م، الذي كانت المنح المترتبة مبنية عليه . والحقيقة الثانية أنه أثناء هذه الفترة ، كان التجار المتطفلون Interlopers من الإنجليز ظهروا في بنغال بأعداد كبيرة ، وبالطبع لم يسر

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA. pp. 456, 481, 487,

J. Sarkar : History of Aurangzib, Vol. V, p. 244.

النواب أي سبب للتمييز بين جماعتين من تجار الأمة الواحدة (١).

إن الوكيل الذي أرسل من قبل الشركة إلى بلاط آورنكزيب في ربيع الأول ١٠٨٩هـ / مايو عام ١٦٧٨ م لم يكن قد نجح بعد في الحصول على أي فرمان من السلطان ، ومع هذا فإن شايسته خان وفقا لسياسته السابقة منح تصريحا موقتا للإنجليز يسمح لهم بتجارة معفاة من الرسوم الجمركية لعام ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م وهي الفترة التي كان يتوقع فيها الحصول على الفرمان السلطاني الذي طال الانتظار له ، وكانت النتيجة أن الإنجليز لم يواجهوا أية صعوبة في تحصيل وإرسال بضائعهم في ذلك العام (٢).

حصل الإنجليز في عام ١٠٩١هـ / ١٦٨٠ م على فرمان من آورنكزيب ، ولكنه لم يعف الإنجليز من دفع الرسوم الجمركية ، ويحتمل أن السلطان لم يكن يرى أي مبرر ليميز بين الإنجليز وبين الأمم الأوربية الأخرى ، مثل الهولنديين والبرتغاليين الذين استمروا في دفع الرسوم الجمركية المعتادة دون أي تذمر أو اعتراض عليها . وبموجب هذا الفرمان منع أي شخص من التعرض لتجارة الشركة ، باستثناء المطالبة بالضريبة الجمركية العادية على بضائعهم والبالغة ٢ ٪، ولم يكن هناك أي مرسوم ملكي آمن للشركة أي حق في البنغال قبل ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م، وبناء على ذلك لم تعد الشركة تحاول ربط ادعائها إلى فرمان سابق ، بل إلى

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, pp, 456, 500
J.Sarkar : History of Aurangzib, Vol. V, p.241.

(٢) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, p. 500

ما تصوره الإنجليز كممارستهم المستمرة ، لذلك أشاروا إلى وكيلهم أن يحاول في صياغة الفرمان المطلوب بحيث أن يغير عبارة " وفقا لفرمان الملك " إلى عبارة " وفقا لاستعمال وعرف الإنجليز في بنغال " (١).

كانت الشركة الإنجليزية منذ بداية تجارتها في بنغال مصممة على أن لاتدفع أية رسوم جمركية ، على الرغم من أن التجار الأوربيين الآخرين اتبعوا سياسة مختلفة ، وهذا مايميز هذه الشركة عن سائر التجار الأوربيين في بنغال بما فيهم الإنجليز الذين كانوا يشتغلون بالتجارة الحرة خارج إطار الشركة ، ومنذ عام ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م كان السماسرة الإنجليز قد أوقفوا حتى دفع المبلغ السنوي بمقدار ٣٠٠٠ روبية ، على أساس مجهوداتهم التي كانت على قدم وساق آنذاك في سبيل الحصول على فرمان ملائم ، وأنه لاترى سجلاتهم أي دفع محدد إلى السلطات المحلية إبان الفترة الممتدة (١٠٨٨ - ١٠٩٣ هـ / ١٦٧٧ - ١٦٨٢ م) ، ويظهر أن ونسنت Vincent كبير سماسرة الشركة في بنغال وزملاءه كانوا قد نجحوا في إقناع شايسته خان بأن لايدع فرمان ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠ م موضع التنفيذ فورا وبأن يرجع موضوع تجارة الشركة إلى السلطان مرة أخرى (٢)، في الوقت الذي كانت استثمارات الشركة في بنغال تزداد نموا ، وكانت هذه الاستثمارات في عام ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م فقط قد بلغت عشرة آلاف جنيه استرليني،

---

(١) Ibid:pp.451, 456,500, 501
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص٣ ،
K. Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part. II, p.12

(٢) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp. 502, 503

ثم زادت إلى ٨٥٠٠٠ جنيه استرليني في عام ١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م وإلى ١٠٠٫٠٠٠ جنيه في عام ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م وإلى ١٥٠٫٠٠٠ جنيه في عام ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م ، وهذه الزيادة في حجم تجارة البنغال أدت بالشركة في عام ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م أن تفصل مراكز بنغال من إشراف مجلس مدراس وأن تضعها تحت إشراف إدارة مستقلة ، ولذلك عين ويليم هيجز William Hedges وكيلا وحاكما في خليج بنغال مع منحه صلاحيات خاصة ، وأثناء وصول هيجز Hedges إلى بنغال في منتصف العام المذكور ، ارتفعت استثمارات الشركة من ١٥٠٫٠٠٠ جنيه إلى ٢٣٠٫٠٠٠ جنيه ، وهذه الزيادة المتواصلة في حجم تجارة الشركة في بنغال ، تكفي للرد على اتهامات الجشع والاضطهاد التي كانت تنسب إلى حاكم بنغال من حين لآخر(١)، ولقد رافق هيجز لحمايته حرس يتكون من نائب عريف Corporal وعشرين جنديا أوربيا من قلعة سانت جورج St. George وذلك لإعطاء منصبه أبهة (*)، وفي ربيع الثاني ١٠٩٣هـ / ابريل ١٦٨٢ م وصلت إلى داكا أوامر السلطان أورنكزيب ردا على إرجاع موضوع تجارة الإنجليز إليه ، وقد أكدت هذه الأوامر مرة أخرى على فرض الرسوم الجمركية على جميع بضائع الشركة الإنجليزية ، وإثر ذلك رفض موظفو شايسته خان بتعليمات منه أن يسمحوا بمرور البضائع الإنجليزية دون دفع الرسوم الجمركية (٢).

(*) وكانت هذه أول منشأة عسكرية للشركة في بنغال التي نمت وأصبحت فيمابعد القاعدة الرئيسية لقوات الشركة في الهند .

(١) Ibid:p.452
J.Sarkar: History of Aurangzib, Vol.V,pp.240-241

(٢) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, pp. 503-504.

في هذه الفترة اتخذ مدراء الشركة سياسة تقدمية عدوانية ، وكان وراء هذا التحول عدد من العوامل ، وهي أن الإنجليز طردوا من محطة بانتام Bantam في إندونيسيا في عام ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م بواسطة الهولنديين ، مما جعل الشركة الإنجليزية في حاجة ماسة إلى تدعيم موقفها في شبه القارة الآسيوية الجنوبية ، كذلك لاحظوا أن تجارتهم في الأعوام الأخيرة في بنغال أصبحت مربحة جدا ، فصمموا أن يحافظوا عليها بأية طريقة كانت ، كما أن مدراء الشركة انزعجوا من التقارير المضللة لوكلائهم التي كانت تشير إلى الابتزاز والاضطهاد والإجحاف من قبل السلطات المحلية ، كما أن الظهور المتزايد للتجار الإنجليز الأحرار في بنغال واستعدادهم لدفع الرسوم الجمركية المعتادة ، أزعج الشركة التي اعتبرت هؤلاء التجار تهديدا خطيرا على مصالحها الاحتكارية وعلى مقاصدهم في تفادي دفع الرسوم الجمركية . كذلك كان وضع الشركة قد تأثر بالموقف السياسي في شبه القارة الهندية ، لأن أورنگزيب كان منشغلا في حرب دكن الطويلة وبالتالي لم يبذل عناية كاملة بشئون الشمال بما فيه بنغال ، مما فتح المجال للشركة الإنجليزية أن تغامر في سبيل دعم موقفها ، خاصة وأنها كانت في تنازع للبقاء أمام منافساتها الأوربيات ، كما كان للوضع السياسي داخل إنجلترا نصيبه في تكوين سياسة الشركة ، لأن الملك جيمس الثاني James II كان حينئذ يعاني أشد الألم من الاقتراب السريع للثورة ، وقد أقنع بسهولة بأن يدعم المصالح الاحتكارية وسياسة الشركة القائمة على المغامرة ، وأثناء تجديده ميثاق الشركة في عام ١٠٩٤هـ / ١٦٨٣م ، خول الشركة بصفة محددة أن تشن الحرب أو تعقد السلم وأن تدخل في تحالفات مع الحكام الهنود (١).

---

(١) Ibid: pp. 506-507

إن التغيير في موقف الشركة كان قد انعكس في رسالتها التوجيهية إلى وكلائها في الهند في الثالث من المحرم ١٠٩٥هـ / ٢١ ديسمبر ١٦٨٣م حيث أكدت فيها لهم بأنه يجب عليهم أن يتحدوا حكام المغول وأن لايذعنوا أبدا إلى دفع الرسوم الجمركية ، كما طلبت الشركة من رئيس مجلس مدراس بأن يقدم بيانا كاملا لشكاوي وتظلمات الشركة إلى النواب مع التهديد بمغادرة البلاد إذا لم تعوض هذه التظلمات ، وطلبت منه أن يتخذ ملامح تنم عن العزم والتصميم (١)، ولأن هيجز Hedges كان قد دفع الرسوم الجمركية على العكس من أوامر الشركة ، أعيد إلى البلد وألغى الوضع المستقل لمحطات بنغال ووضعت مرة أخرى تحت رقابة مجلس مدراس وذلك في عام ١٠٩٥هـ / ١٦٨٤ م ، وجاء مع تلك التعليمات إلى هوجلي جيفورد Gyfford رئيس مجلس مدراس على متن سفينة في ١٩ من شهر رمضان ١٠٩٥هـ / ٢٩ أغسطس ١٦٨٤م ، وبصحبته حاشية كبيرة بما في ذلك وحدة عسكرية كاملة من جنود قلعة سانت جورج St.George (٢)، ولم يكن سماسرة الشركة في بنغال في محرم ١٠٩٦هـ / نهاية ١٦٨٤م في أي صعوبة خطرة ، كما أنهم لم يواجهوا أية معاملة قائمة على التمييز ، ولكن هذه الحقيقة نفسها وهي أنهم كانوا مطالبين بنفس الرسوم الجمركية التي كان يدفعها الأوربيون الآخرون بما فيهم بنو جلدتهم أنفسهم والمدعووين بالمتطفلين ، أفرغ صبر الشركة التي انتعشت في ذلك الوقت بروح المغامرة والتنافس الدولي ، فقررت استعمال القوة بمساعدة الحكومة الإنجليزية وباستعمال قواتها ، ومنعت أولا مجيء المزيد من

---

(١) W.Foster : The English Factories in India (1678 - 1684), p.362

(٢) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, p. 508,

J.Sarkar: History of Aurangzib, Vol. V, p. 241.

المتطفلين في بنغال ، ثم حصلت على موافقة الملك جيمس الثاني James II على شن الحرب ضد شايسته خان والسلطان أورنگزيب [١]، فجهزت في ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م بقيادة نائب الأدميرال نيكلسون Nicholson مع حوالي عشر سفن حربية كل واحدة منها تحمل من ١٠ ـ ١٢ مدفعا ، ومع فرقة يبلغ عدد جنودها إلى ٦٠٠ جندي ، كما طلبت الشركة من مجلس مدراس أن يزود القوات في بنغال بأربعمائة جندي آخر من الحامية الموجودة هناك ، وكلفت نيكلسون أن يذهب أولا إلى بالاسور وأن يأخذ وكلاء الشركة من هناك ثم يتقدم إلى شيتاگونگ Chittogong ويفتحها ويبني قلعته ودار ضرب للسكوك هناك ، وأن يعذها مكانا للأسلحة والذخائر الإنجليزية في الجانب الشرقي من بنغال كما كانت قلعة سانت جورج St.George على الساحل الغربي ، كما كانت عليه أن يتقدم من شيتاگونگ نحو داكا Dacca وأن يملي شروطه على شايسته خان ، تلك الشروط التي كانت تشتمل على استقطاع شيتاگونگ وإعادة الامتيازات التي كان الإنجليز يدعونها ، ولتحقيق هذه الأهداف أشير على نيكلسون أيضا بأن يدخل في التحالف مع ملك أراكان Arakan الواقعة جنوبي شيتاگونگ مع رؤساء الهندوس وملاك الأراضي Zamindars [٢].

---

(1) V.D. Mahajan : India since 1526, Part. II, p.12
M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, pp. 511 - 512

Ishwari Prasad: A Short History of Muslims Rule in India, Allahabad , The indian press, 1982,P.448.

(2) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp. 511 - 512,

V.A.Smith : The Oxford History of India, pp. 426-427.

تأخر وصول الحملة الإنجليزية نتيجة الطقس الرديء والطوفان ، وفي نهاية الأمر وصل فقط ثلاث سفن مع الجنود والإمدادات التعزيزية من مدراس وذلك في ذي القعدة عام ١٠٩٧هـ / أوائل أكتوبر ١٦٨٦م ،وبدلا من الذهاب إلى شيتاگونگ ذهب نيكلسون إلى هوجلي حيث كان عبدالغني حاكم المغول هناك قد بدأ بتعليمات من شايسته خان بجمع القوات لحماية المحل[1].

في ١١ من ذي الحجة / ٢٨ أكتوبر وقع الصدام الأول الكبير بين الطرفين واضطر عبدالغني أن يتراجع من المحل نتيجة كثافة نيران المدفعية الإنجليزية التي أحرقت خمسمائة منزل تقريبا ، ولدى الاطلاع على الموقف قام شايسته خان بمصادرة محطات الإنجليز التجارية في أماكن أخرى ، وأرسل إمدادات كبيرة من المشاة والفرسان لطرد الإنجليز من هوجلي Hugli ولكن الإنجليز تركوا هوجلي قبل وصول قوات شايسته خان حيث أبحروا في الخامس من صفر عام ١٠٩٨هـ/ ٢٠ ديسمبر ١٦٨٦م الى سوتانوتي Sutanuti ومن هناك فتح تشارناك Charnock كبير سماسرة الشركة في هوجلي المفاوضات للتسوية ، ولكن محادثات السلام فشلت وتمكن الإنجليز من الاستيلاء على جزيرة هجلي Hijli حيث وطدوا أنفسهم في جنوبي كلكته Calcutta ، فبادر شايسته خان بإرسال عبدالصمد على رأس اثنى عشر ألفا من الجنود ، وبعد قتال تمكن من

---

(١) M.M. Ali : History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, p.512

J. Sarkar : History of Aurangzib , Vol. V, p. 248.

النزول في الجزيرة وطرد الإنجليز منها وذلك في ١٧ رجب ١٠٩٨هـ / ٢٨ مايو ١٦٨٧م واحتل مؤسسات الشركة في بنغال[1]، وبذلك ضاع ما اقتنته الشركة بجهد خلال عشرات السنين ، واضطرت أن تطلب السلم بذل وضراعة ، فكانت أن بدأت جولة أخرى من المحادثات في ٨ من شوال عام ١٠٩٨هـ / ١٦ من أغسطس ١٦٨٧م سمح للشركة على إثرها أن تعود إلى سوتانوتي Sutanuti ، وتم التوصل إلى اتفاقية تمهيدية كان من المقرر أن تحصل الشركة بموجبها على امتيازات كبيرة بما في ذلك التخلي عن طلب الرسوم الجمركية ،ولكن مرة أخرى باءت مجهودات السلام بالفشل بسبب بدء العداء من قبل الإنجليز في الساحل الغربي للهند ، فسحب شايسته خان الامتيازات ، كما انتقل المسرح الرئيسي للنزاع إلى الساحل الغربي وفي الوقت نفسه عين مدراء الشركة الكابتن هيت Captain Heath وكيلا جديدا في بنغال مكان تشارناك Charnock ، وأرسلوه مع عدد من الزوارق الحربية و ١٦٠ جنديا ، مع الأوامر بأن يتعقب الحرب بقوة أو أن يأتي بجميع منسوبي الشركة وبضائعها من بنغال إلى مدراس ، وقبل وصوله إلى بنغال في ربيع الأول ١١٠٠هـ / نحو نهاية ١٦٨٨م كان شايسته خان قد غادرها في يونيو من ذلك العام ، منهيا

---

(١) مؤلف مجهول : مخطوطة فارسية مجهولة العنوان في I.O.L تحت رقم ETH3017 ، ق ٣٦ أ - ٣٧ أ ،
M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, p.513 .
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ١ ، ص ٤٤٨ ،
J. Sarkar: History of Aurangzib, Vol. V, pp. 248-249.

بذلك فترة حكمه الثانية والأخيرة لبنغال [1]، وانتقل النزاع بين الإنجليز والمغول إلى الشاطئ الغربي ، حيث استولت الشركة على سفن المغول في سواحل بمبيء Bombay بعد أن لم تتمكن من الصمود أمام قوات المغول في بنغال ، فردت قوات الدولة بالاستيلاء على وكالة الشركة في سورات وأسر موظفيها ، وصدرت الأوامر لمهاجمة جزيرة بمبيء من البحر ، فتمكن الهجوم من الاستيلاء على معظم أجزاء الجزيرة واعتصم الإنجليز في قلاعهم ، واستمرت الحرب بين الجانبين إلى أن اضطر رئيس الشركة المتهور سيرجوزيا تشليد Sir Josia Child أن يستسلم استلاما ذليلا مهينا وذلك في شهر ربيع الأول ١١٠١ هـ / مطلع عام ١٦٩٠م ومع هذا فان أورنگزيب Aurangzib كان كريما كعادته ، فأصدر في ١٩ جمادي الأولى ١١٠١هـ / ٢٧ فبراير ١٦٩٠ م فرمانا بالعفو عن الإنجليز بعد أن

---

(١) مؤلف مجهول : مخطوطة فارسية مجهولة العنوان في I.O.L تحت رقم ETH3017 ، ق ٣٧ أ - ٣٧ ب ،

M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, p.513

J.Sarkar :History of Aurangzib, Vol. V, p.251

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٥ ،

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٣٨ ،

بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦١ ،

جمال الدين شيال: تاريخ دولة اباطرة المغول الاسلامية في الهند، الاسكندرية ،منشأة المعارف ١٩٦٨م ص ١٦٢ .

جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ١ ، ص ٤٤٨ ،

V.D. Mahajan: India since 1526, Part. I, p.150.

يدفعوا غرامة مالية ، كما أطلق سراح موظفي الشركة الذين أسروا [١] ، وانسحبت القوات التي استولت على أجزاء من جزيرة بمبيء Bombay وسمح للإنجليز بممارسة تجارتهم في أراضي بنغال وأوريسة مقابل دفع سنوي قدره ثلاثة آلاف روبية [٢]، وهكذا فشلت أولى محاولات الشركة في اختبار عرض القوة ، وكان السلطان أورنگزيب أول من وجه ضربة قاسية إلى أطماع شركة الهند الشرقية الإنجليزية وأجبرها على التقهقر في المناطق التي كانت بحوزتها وتعهدت بأن لا تعود إلى مثل هذا السلوك في المستقبل ، وبعد تلقي هذا الدرس ، وحد الانجليز نشاطهم التجاري في ساحلي الهند الشرقي والغربي ، ودأبوا قرابة نصف قرن على التظاهر في حرص تام بالتباعد عن

---

(١) مؤلف مجهول : مخطوطة فارسية مجهولة العنوان في I.O.L تحت رقم ETHE3017 ، ق ٣٧ ب ،
J. Sarkar :History of Aurangzib, Vol. V, pp.253-254

(٢) M.M. Ali : History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, p. 559
V.D.Mahajan : India since 1526, Part. II, p.12
Ishwari Prasad : A Short History of the Muslims Rule in India, pp. 448-449.

التدخل في شئون الدولة المغولية (١).

استمرت الشركة الانجليزية في التودد والتذلل إلى سلطات الدولة المغولية لبسط نشاطاتها وتوسيع مراكزها ، ففي ذي الحجة ١١٠٩هـ / يوليو ١٦٩٨م أهدت الشركة للأمير عظيم الشأن حاكم بنغال مبلغا قدره ١٦٠٠٠ روبية وحصلت على موافقته لشراء حق إيجار ثلاثة قرى وهي سوتانوتي Sutanuti وكلكته Kalikata وگونپور Goindpur(*) وذلك مقابل ١٢٠٠ روبية تدفع إلى المستأجرين السابقين ، وحصل الإنجليز على وضع أمة أجنبية محظوظة في بنغال ، كما حصنوا مستوطناتهم في سوتانوتي وحصلوا على ماهم ادعوا من الآن فصاعدا بأنه حقهم في امتلاك الأراضي في البلاد (٢).

(*) من هذه القرى وما جاورها تكونت فيما بعد مدينة كلكته Calcutta عاصمة حكومة الشركة الانجليزية والهند البريطانية ، وقد بني فيها الانجليز في عام ١١٠٧هـ/١٦٩٦م قلعة سميت بقلعة ويليم Fort William التي كانت تدعى بها رئاسة الشركة في بنغال .

(١) ج.ج.لوريمر : دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ٩٠ ،
عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٦ ،
جمال الدين شيال : تاريخ دولة أباطرة المغول الاسلامية في الهند، ص ١٦٢
غنيم و زميله : تاريخ الهند الحديث ، ص ١٢٤
أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القاره الهندية وحضارتهم، ج ٢ ، ص ١٩٩ ،
اسماعيل الندوي : تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، ص ٢٤٦ .

(٢) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, pp. 525, 559
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣١ ،
K. Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part, II, p.13.

في عام ١١١٠هـ / ١٦٩٨م منح الملك وليم الثالث William III مرسوما لشركة جديدة للتجارة في البلدان الشرقية مسميا إياها بالشركة الإنجليزية للتجارة في جزر الهند الشرقية The English Company trading to the East Indies وبعث الملك أيضا بسفيره السير وليم نوريس William Norris إلى بلاط المغول للحصول على الامتيازات التجارية للشركة الجديدة والاعتراف بها كممثل للأمة الإنجليزية في جزر الهند الشرقية ولقد وصل نوريس إلى البلاط المغولي في رجب ١١١٢هـ / أوائل عام ١٧٠١م، ولكنه فشل في الحصول على فرمان من السلطان يسمح للشركة الجديدة بالتجارة في الأراضي المغولية ، ويرجع سبب ذلك بصورة رئيسية إلى القرصنة العشوائية التي تعرضت لها سفن المغول آنئذ في المحيط الهندي ، وكان يدعى بأن الإنجليز كانوا شركاء في أعمال القرصنة تلك ، وتأكد الاتهام إلى حد ما من قبل رئيس الشركة الجديدة في سورات الذي أحاط حكومة المغول علما بأن عناصر من الشركة القديمة كانوا هم المسئولين عن مثل تلك النشاطات وكانت النتيجة أن السلطان أورنكزيب أجبر وليم نوريس أن يغادر البلاط دون أن ينجز أي شيء ، وأصدر السلطان في رجب ١١١٣هـ / نهاية ١٧٠١ م بلاغا عاما حرم فيها التجارة الأوربية في الأراضي الخاضعة لسلطة المغول (١)، إلا أن الحظر على التجارة الإنجليزية في بنغال قد نفذ جزئيا ، لأن الشركة القديمة كانت تتمتع بموقف قوي إلى حد ما في كلكته،

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp. 559-560.
J. Sarkar: History of Aurangzib, Vol. V, pp. 269-270,
ج.ج. لوريمر : دليل الخليج / القسم التاريخي ،ج ١ ، ص ٩٢ – ٩٣ .

متحكمة في مداخل نهر هوجلي Hugli ، وكذلك كان حاكم الإقليم عظيم الشأن قد وقع في شجار مع ديوان الإقليم مرشد قلي خان في هذا المقطع من الزمان ، لذلك لم يستطيعا تكريس عنايتهما المنسقة للموضوع ، وعلى الرغم من أن بعض المحطات للشركة القديمة قد أغلقت في پتنة Patna وراج محل Rojmahal وقاسم بازار Qasim Bazar إلا أن فوجدار هوجلي لم يتمكن من اتخاذ أي تدبير مؤثر ضد الإنجليز في كلكته ، واضطر أن يصرف النظر عن المحاولة لإيقاف مرور سفن الشركة إلى الأجزاء السفلى من النهر ، وذلك بسبب أعمال الإنجليز المضادة في الحيلولة دون سفن المغول من الإبحار من وإلى كلكته ذهابا وإيابا ، وعلى الرغم من أن مرشد قلي خان اعتزم على تنفيذ أوامر السلطان ، إلا أن الأمير عظيم الشأن تدخل لصالح الإنجليز ، ثم انتهى الموقف المضطرب بعد ذلك بقليل عندما رفع السلطان الحظر في شعبان ١١١٤هـ / نحو نهاية عام ١٧٠٢م ، فسمح مرشد قلي خان من جانبه للتجار الأوربيين بأن يستأنفوا نشاطاتهم التجارية كالمعتاد، بعد دفع المبالغ التي استحقت فعلا منهم بخصوص الضرائب الجمركية والنفقات الأخرى (١).

بعد توحيد الشركتين القديمة والجديدة تحت اسم الشركة المتحدة لتجار إنجلترا للتجارة مع جزر الهند الشرقية The united Company of Merchants of England trading to the East Indies

---

(1) M.M.Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp. 560-561.

اتصل الإنجليز بمرشد قلي خان للحصول على تصريح جديد يعترف بالشركة المتحدة كخليفة للشركة القديمة ، ويسمح بتوسيع دائرة امتيازاتهم حتى يشتمل على محافظة بهار بجانب بنغال وأوريسه ، ولكن مرشد قلي خان رد عليهم بأن فرمان ١١٠١هـ / ١٦٩٠م وتصريح ديوان بنغال آنئذ كان صالحا للتطبيق على محافظتي بنغال وأوريسه فقط ، ولذلك إذا كان الإنجليز يريدون توسيع دائرة امتيازاتهم بحيث تشمل على محافظة بهار أيضا فعليهم أن يحصلوا على فرمان من السلطان بهذا المعنى ، واستمرت هذه المفاوضات بين الجانبين دون أن تنتهي إلى نتيجة حاسمة حتى توفى أورنگزيب في عام ١١١٨هـ / ١٧٠٧م، وبالتالي لم يعترف مرشد قلي خان رسميا باتحاد الشركتين وتوسيع نطاق امتيازات الإنجليز ، ومع ذلك كان قد سمح للشركة المتحدة سرا بأن تقوم بوظائفها كخليفة للشركة القديمة مع توسيع نطاق نشاطاتها إلى بهار، نتيجة إلحاح الإنجليز والتماساتهم المتكررة بسبب اقتراب موسم الملاحة ، ولكن وفاة السلطان أورنگزيب غير الموقف بصورة ملحوظة ، بحيث أن الامتيازات التي كان التجار الأجانب يتمتعون بها ، بما في ذلك الإنجليز ، احتاجت الآن إلى التأكيد من جديد من قبل السلطان الخلف (١).

بهذا الاستعراض للحوادث التي جرت بين الدولة المغولية وشركة الهند الشرقية الإنجليزية في عصر أورنگزيب ، نرى أن الدولة تعاملت مع الإنجليز وغيرهم من الأجانب من موقف القوة وأن منح بعض الامتيازات لهم كان بمثابة منح هبات من قوى كريم إلى ملتمس محتاج قادم من بلاد بعيدة يبحث عن

---

(١) Ibid: pp. 562-563

K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part. II, p.14

الرزق والتجارة ، وإذا خرج هذا الملتمس عن الخط المسموح به وضعت الدولة حدا لتصرفاته ، وهكذا لم تستطع الشركة في هذه الفترة أن تفرض شيئا على الدولة المغولية ، بل أن الدروس التي تلقتها خلال هذه الفترة ، جعلتها تحتاط للأمر وتؤخر القيام بأعمال عسكرية وقهرية إلى نصف قرن آخر ، عندما أصيبت الدولة بالضعف والانحلال نتيجة انشغالها في فتن داخلية ، ونرى كذلك أن السلطان أورنكَزيب قاوم كل محاولات الشركة الإنجليزية لإعفائها من دفع الرسوم الجمركية ، على الرغم من أنه ليس هناك مايشير إلى أن الشركة قامت بدفع منظم ماعدا الدفع السنوي الذي كان يبلغ مقداره ٣٠٠٠ روبية ، حيث كانت الشركة تماطل في كل مدة في دفع الرسوم الجمركية وتحاول باستمرار إرجاع الموضوع إلى السلطان ، وبهذه الطريقة تهربت من دفع الضرائب الجمركية المنتظمة ، إلا أنها لم تتمكن أن تحصل من السلطان أورنكَزيب أي فرمان يمنحها الامتيازات التجارية التي ترغب هي فيها ويستثنيها من نظيراتها الأوربيات في دفع الرسوم الجمركية .

بعد وفاة أورنكزيب ، نشبت هناك حرب على وراثته في العرش بين أبنائه ، واستغل الإنجليز هذا الوضع لتعزيز وضعهم العسكري في كلكته ، وتشير سجلات الشركة إلى أن القائمين عليها اعتبروا هذه الفرصة أنسب الأوقات لتعزيز قلعتهم بينما هناك العرش شاغرا ولايحتمل أن يلتفت أحد بما هم فاعلون [١].

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, p.563

لمدة عقدين من الزمن بعد وفاة أورنكزيب ، نجح مرشد قلي خان في المحافظة على سلام هش في بنغال ، مع دفع عائد منظم وتقديم ولاء اسمى إلى كل سلطان متعاقب في دهلي ، ولكن الذي يؤخذ عليه هو أنه عمل لتنزيل النبلاء المسلمين الذين كان يتوجس منهم الخيفة دون مبرر ، واعتمد بدلهم أكثر فأكثر على دعم وتعاون العناصر الهندوكية الذين برزوا عما قريب كقدرة لايستهان بها وراء عرش بنغال (١)، وبهذا أضاف في عوامل الانحطاط التي كانت الدولة تعاني منها، عاملا آخر وهو تقريبه للذين لايهمهم بقاء الدولة وقوتها ، بقدر مايهمهم مصالحهم الشخصية وحقدهم الدفين على السيادة الإسلامية .

قام مرشد قلي خان بنقل العوائد والعاصمة الإدارية من داكا Dacca إلى مرشد آباد ، وعلى الرغم من أن هذا الإجراء مكنه من تفادي معارضة ونفوذ جاكيردارات (*) المسلمين الذين تحصنوا في بنغال الشرقية ، إلا أنه أدى إلى تدهور داكا وبنغال الشرقية عموما من جهة ، وقرب حكومة بنغال بدوره أكثر من ذي قبل إلى نفوذ الجالية التجارية الهندوكية الصاعدة برئاسة أسرة فتح چند جكات سيت Fatteh Chand Jagat Seth وكذلك كان نقل جاكيردارات النبلاء المسلمين من بنغال الشرقية إلى أوريسه منذر سوء ، وكلا هذين التدبيرين أديا إلى القضاء على شوكة النبلاء المسلمين القدماء في بنغال ، وحل محلهم في شغل الوظائف الرسمية أو شبه الرسمية ومناصب الثقة والنفوذ ، أرستوقراطية هندوكية جديدة (٢).

(*) جاكيردارات : جمع جاكير ، أي صاحب الإقطاع .

(١) Ibid: p.517

(٢) Ibid: p.575

في ١١٣٣ هـ / ١٧٢١ م أصبح فتح چنـد جكَات سيت Fatteh chand Jagat Seth مفضلا لدى مرشد قلي خان لدرجة أنه لم يسمح لأي صراف آخر بأن يحـول السبائك التي أتي بها التجار الأجانب إلى العملة في دار الحكومة للضرب، وهكذا مكن جكَات سيت من أن لايحتكر سوق السبائك فحسب ، بل أن يراقب نظام العملة أيضا ، وهكذا ظهر الموظفون الهندوكيون والطبقة التجارية كعامل قوي في الدولة ، يضاف إلى ذلك أن الإنجليز أيضا وطدوا أقدامهم في بنغال خلال هذه الفترة ، سواء بإحكام مستوطناتهم في كلكته أثناء حروب الوراثة على العرش أو عن طريق فرمان السلطان فرخ سير في ١١٢٩ هـ / ١٧١٧م • وعلى هذا ظهرت بوضوح أثناء عهد مرشد قلي خان، العوامل التي حلت في نهاية الأمر محل القدرة السياسية للمسلمين في بنغال(١) وغيرها من الأقاليم الهندية ، علما بأنه في نهاية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي كان قد ظهرت إلى عالم الوجود كل من بمبيء Bombay ومدراس Madras وكلكته Calcutta وهي المراكز الإنجليزية الرئيسية الثلاث التي تقدم منها النفوذ البريطاني إلى داخل الهند بعد ذلك بمائة سنة ،كما كان الفرنسيون قد أنشأوا لهم وكالات في پوند شيري Pondicherry وشندرناگور Chandernagar.(٢)

---

(١) Ibid: pp.575-576

(٢) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦٢ ،
غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ، ص ٥٢ ،
ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثالث من المجلد الأول (الهند وجيرانها) ، ص ٤٠٢ ،
رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ،بيروت ،منشورات عويدات ، ١٩٦٨ ص ٢٧٦ .

بعد وفاة مرشد قلي خان في عام ١١٣٩هـ / ١٧٢٧ م خلفه في حكم محافظتي بنغال وأوريسه ، صهره ونائبه في أوريسه شجاع الدين محمد خان ، وقد ألحقت لإدارته محافظة بهار أيضا في عام ١١٤٦هـ / ١٧٣٣م ، فعين عليها علي وردي خان ليقوم بتصريف شئونها نيابة عنه [(١)].

استمرت تجارة الأمم الأوربية وفقا للنموذج الذي أعد من قبل خلال الفترة السابقة ، وكانت علاقة شجاع الدين خان بهم تتحدد بصورة عامة بالامتيازات التي هم حصلوا عليها قبل وصوله إلى حكم الإقليم ، وهناك إشارات بين حين وآخر – خاصة في السجلات الإنجليزية – إلى ماسموها بالابتزازات والحواجز من قبل السلطات المحلية ، ولكن فحصا دقيقا للحقائق ، يظهر أن المشاكل بين التجار الأوربيين وبين الحكومة كانت تنشأ من الأمور الآتية :

وأول هذه المسائل كان المجهود المشترك من قبل الإنجليز والفرنسيين والهولنديين ، لمنع سائر الأمم الأوربية من إنشاء تجارة لهم في بنغال وطردهم بالقوة المادية المحضة من البلاد ، ومن جهة أخرى بينما كان الإنجليز والفرنسيون والهولنديون ، يتحدون فيما بينهم ضد التجار المنافسين ، كانوا في الوقت نفسه يتنافسون مع بعضهم البعض أشد المنافسة ، وهم غالبا ماعقدوا المسائل لأنفسهم ، كما عقدوها أيضا بالنسبة للحكومة عن طريق محاولة كل واحد منهم أن يكسب ود الموظفين المحليين لصالحه ضد الآخر ، وكذلك عن طريق المحاولة لمنع المقاولين والمنتجين

ص ١
(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين، ج٢، ط٢، لكنهو، نول كشور، ١٣١٤هـ/١٨٩٧م؛
M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp. 577, 588-589.

المحليين من التعامل مع الآخرين . كذلك كان الإنجليز قد وسعوا نطاق تجارتهم الخاصة إلى حد كبير ، وقد بدأوا يسيئون استغلال امتيازاتهم في إصدار دستخط (*) Dastakhs بحيث لايغطي التجارة الخاصة فحسب ، بل أيضا تجارة كثير من التجار المحليين المتحالفة معهم ، فكانوا يحرمون الدولة بهذه الطريقة من عوائد ملحوظة ، ولا ننسى أنه منذ وفاة مرشد قلي خان ، كان الإنجليز قد أوقفوا دفع العوائد فيما يتعلق بالقرى الثلاث كلكته وسوتانوتي وكوندابور التي كانوا قد استأجروها ، والمطالبة بهذه العوائد كانت تفسر في الغالب بالابتزاز أو الاغتصاب (١).

بالإضافة إلى شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، كانت شركتا الهند الشرقية الهولندية والفرنسية أيضا تشتغلان بالتجارة في بنغال آنئذ ، واستمر الهولنديون والفرنسيون في تجارتهم عن طريق دفع الرسوم الجمركية المعتادة وفقا لشروط المنح التي قد حصلوا عليها من قبل ، وكذلك عن طريق تعديل وضعهم بحيث يتفق والأصول المرعية عن طريق تحصيل المنح الجديدة كلما كان هناك تغييرا أسفر عن حاكم جديد .

لقد حصل الهولنديون من السلطان أورنكزيب في عام ١٠٧٣هـ / ١٦٦٣م على فرمان يسمح لهم بالتجارة داخل أراضي الدولة المغولية مقابل دفع $3\frac{1}{2}$ ٪ من الرسوم الجمركية ، وظلوا يعملون على هذا الأساس إلى الحظر العام الذي فرضه أورنكزيب عام ١١١٢هـ / ١٧٠١ م على التجارة الأوربية في الأراضي الخاضعة للدولة المغولية ، ردا على قرصنة الأوربيين ضد السفن المغولية في

(*) ترخيص التخليص الجمركي .

(١) Ibid: P.592

مياه المحيط الهندي ، وبعد سحب الحظر في شعبان ١١١٤هـ / بداية عام ١٧٠٣ م ، حصل الهولنديون من مرشد قلي خان في ١١١٥هـ / ١٧٠٤ م تصريحا جديدا يؤكد امتيازاتهم السابقة ، يضاف إلى ذلك أنهم عندما وصل بهادر شاه إلى العرش (١١١٩ – ١١٢٤ هـ / ١٧٠٧ – ١٧١٢ م) حصلوا منه في العام الثاني من حكمه على فرمان جديد لاستمرار تجارتهم في الأراضي المغولية ، وبموجب هذا الفرمان خفضت لهم الرسوم الجمركية الواجبة الدفع من $3\frac{1}{2}$ ٪ الى $2\frac{1}{2}$.

مرة أخرى في أيام جهاندار شاه (١١٢٤ – ١١٢٤ هـ / ١٧١٢ – ١٧١٣ م) وفرخ سير (١١٢٤ – ١١٣١ هـ / ١٧١٣ – ١٧١٩ م) حصل الهولنديون على فرمان جديد من كل منهما ، كما حصلوا على تصريح من مرشد قلي خان يؤكد على استمرار امتيازاتهم التجارية في بنغال ، وكان الهولنديون يحصلون على هذه المنح دون مفاوضات كثيرة لأنهم لم يكونوا يماطلون في دفع المبالغ المعتادة المطلوبة (١) .

كذلك كان الفرنسيون يحصلون على مثل تلك الفرمانات والتصاريح وفق شروط مماثلة للهولنديين ، واستمروا في تجارتهم بدفع $3\frac{1}{2}$ ٪ من الرسوم الجمركية وحصلوا لهذا الغرض على فرمان من أورنكزيب عام ١١٠٣ هـ / ١٦٩٢ م ، وعلى فرمان من فرخ سير عام ١١٣٠ هـ / ١٧١٨ م ، وكما كانت الحال مع الهولنديين فان سعر الرسوم الجمركية الواجبة الدفع من قبل الفرنسيين ، كان قد خفض في هذا الوقت من $3\frac{1}{2}$ ٪ الى $2\frac{1}{2}$ ٪ ، ولكن التجارة الفرنسية في

---

(١) Ibid: p. 558

بنغال لم تزدهر مع ذلك مثل تجارة الهولنديين والإنجليز (١).

هكذا لم تتمكن دولة أوربية من بسط سلطانها على جزء من داخل الهند ماظلت الدولة المغولية قائمة ومتماسكة ، واكتفت الشركات الأوربية المتنافسة بما لها من المؤسسات في سواحلها ، دون أن يتحول ذلك التنافس بين تلك الشركات إلى اقتتال مسلح داخل أراضي الدولة المغولية ، ولكن بعد أن بدأت الدولة في الضعف والتفكك ، وأخذت الإمارات المتعددة المتصارعة تتكون هنا وهناك ، أصبحت الشركات الأوربية وخاصة شركتا الهند الشرقية الإنجليزية والفرنسية تطمع في استغلال الفراغ الذي تركه ضعف الدولة وتفككها لتوسعة نفوذها والتقدم إلى الداخل ، وهذا ما أدى إلى نشوب معارك طاحنة بين المتكالبين على تركة الدولة المغولية المترامية الأطراف .

---

(١) Ibid : pp. 558-559



إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٣٥١

حروب الوراثة النمساوية في أوربا وحرب السنين السبع :

اشتداد الصراع بين الشركة الفرنسية والشركة الإنجليزية

في الهند

كانت الصراعات قد نشبت بين الأوربيين المتنافسين قبل أن يدب الضعف في الدولة المغولية ، ولكن هذه الصراعات والصدامات كانت تقع خارج سيادة الدولة المغولية ، وغالبا ما كانت تقع في الجزر والموانيء وفي عرض البحار الشرقية .

كما أشير في الفصل الأول ، تعرض احتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية للخطر بعد أن دخلت المياه الشرقية هولندا وإنجلترا وغيرها من دول أوربا البحرية متحدية الاحتكار البرتغالي ، ودخل الهولنديون في منافسة حادة مع البرتغاليين واستطاعت الشركة الهولندية للهند الشرقية أن تستولى على كثير من حصونهم ومراكزهم واحدا بعد الآخر ، وأنشأوا مراكز تجارية امتدت بين سيلان وجنوب الهند ورأس الرجاء الصالح وهولندا ، وبانهيار النفوذ البرتغالي في المياه الشرقية أصبح الهولنديون والإنجليز في مواجهة بعضهم البعض ، بعد أن تحالفوا على إزالة البرتغاليين عن طريق تجارتهم الشرقية .

كان الهولنديون قد رحبوا بمجيء الإنجليز ليقفوا إلى جانبهم في نزاعهم الدائم مع المراكز البرتغالية ، ففي رجب ١٠٢٨ هـ / يوليو ١٦١٩ م تم عقد معاهدة بين الشركتين الإنجليزية والهولندية وافقتا بمقتضاها أن تساعد كل منهما الأخرى ، وأن تقوم كل منهما بتجهيز عشر سفن حربية لحماية تجارتهما الشرقية ، وخاضوا في هذا السبيل معارك مشتركة مع البرتغاليين حتى تمكنوا في النهاية من القضاء على نفوذهم في المنطقة (١).

---

(١) محمد عبداللطيف البحراوي : فتح العثمانيين عدن ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ،
أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، بيروت، دار مكتبة الحياة ، بدون
سير أرنولدت . ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٣٠ ،
س . ب . مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ، ص ٢٠٥ .

بعد مضي فترة ظهر تناقض في المصالح بين الشركتين الهولندية والإنجليزية فنشأ صراع بينهما حول تجارة التوابل والفلفل، وكان الهولنديون يحاولون الوصول إلى احتكار التجارة كلها بما في ذلك السلع الهامة ، ووجد الإنجليز أن الهولنديين في الشرق أصبحوا يعملون ضدهم كما كان البرتغاليون قبل ذلك ، ولقد وقف الهولنديون أمام الإنجليز بحجة أنهم كانوا سباقين لعقد المعاهدات والاتفاقات مع السلطات المحلية في جزر التوابل ، فلا يحق لسكان البلاد أن يخالفوا تعهداتهم بعد الإنجليز بهذه التوابل ، كما ذكر الهولنديون بأنهم تكبدوا في سبيل تأسيس تجارتهم مصاريف باهظة وأنهم وظفوا رؤوس أموال ضخمة ، فمن حقهم أن لايسمحوا بتضرر تجارتهم تلك ،وفي هذا الإطار حدث بين الإنجليز والهولنديين معارك طاحنة في الأرخبيل، استخدم فيها كل من الطرفين الهدم وإحراق القرى للتفوق على الآخر، إلى أن اقتنعت الشركة الإنجليزية بأن هناك أملا ضعيفا في التنافس مع الهولنديين في إندونيسيا،فحولت طاقاتها وعنايتها نحو شبه القارة الآسيوية الجنوبية وذلك في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / الموافق للنصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، حيث اتسعت دائرة حروبهم إلى الهند أيضا ،إلا أن الدولة المغولية وقفت موقف الحياد التام وطالبت الجبهتين المتحاربتين بالامتناع عن العداء والخصام داخل منطقة سيادتها ، وبذلك نجت المراكز الإنجليزية من هجوم البحرية الهولندية المتفوقة (١).

---

(١) M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, pp.454-455.

رولان موسنييه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٤ ، ص ٦١٣ ،

سير أرنولدت • ويلسون : تاريخ الخليج ، ص ١٢٨ ،

س • ب • مايلز : الخليج بلدانه وقبائله ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ،

صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة،مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٥م، ص ٢٧ •

وهكذا نرى بأن القوى الأوربية المتصارعة ، لم تتمكن من تصفية حساباتها في أراضي الدولة المغولية أثناء قوتها وتماسكها ، وعندما دب الضعف في الدولة انتقلت الصراعات الأوربية الاستعمارية المسلحة إلى داخل الهند أيضا، فقام الإنجليز بطرد الهولنديين من الأراضي الهندية ، وعرضت الشركة الإنجليزية تحالفا مع البرتغاليين لهذا الغرض، إلا أن البرتغاليين رفضوا ذلك العرض، كما رفضوا قبول عرض مشابه من قبل الهولنديين ، وتمكن الإنجليز في النهاية من القضاء على النفوذ الهولندي في الهند ، بعد أن انهزم الهولنديون أمام الإنجليز في عام ١١٧٣ هـ / ١٧٥٩ م (١)، فوجهت هولندا كل نشاطها إلى الجزر الشرقية وتنازلت عن أملاكها في الهند لإنجلترا مقابل استيلائهم على أملاكها في سومطرة وذلك في عام ١٢٣٩ هـ / ١٨٢٤ م ، وبذلك ورثت هولندا مناطق النفوذ التي كانت لأسبانيا والبرتغال في الشرق الأقصى (٢) .

كان هناك عوامل تكمن وراء إخفاق الهولنديين في شبه القارة الهندية، ومنها أن اهتمام الهولنديين كان مركزا بالدرجة الأولى إلى جزر جنوب شرق آسيا ولم يبذلوا اهتماما أساسيا إلى الاحتفاظ بنفوذهم في مناطق مهمة من شبه القارة الهندية ، ومنها أيضا أن النظام الإداري الهولندي قد ابتلي بالفساد ، وكان موظفو الشركة الهولندية يتلقون رواتب قليلة ، فبذلوا

---

(١) R. Mukherjee: The Rise and Fall of the East India Company, pp. 108-109

Hameada Hossain: The Company Weavers of Bengal; Delhi, Oxford University press, 1988, P.6.

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ١٤١؛

أحمد عطية الله : القاموس السياسي ، ص ٦٨٢ .

اهتماما أكثر إلى التجارة الخاصة ، كما أن القوات الهولندية العسكرية كانت ضعيفة في الشرق ، وهذا النقص في عدد القوات بالإضافة إلى الفساد الإدارى كان لهما الأثر الأكبر في إخفاق الهولنديين في شبه القارة الهندية ، وكانت قد تضررت قوة الهولنديين إثر تورطهم في الحروب الأوربية ، منذ أواسط القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي حيث خاضوا معارك مع الإنجليز في عهد كروموييل Cromwell وتشارلز الثاني Charles II ومع فرنسا في عهد لويس الرابع عشر Louis XIV ، وهذه الحروب لم تستنزف مواردهم فقط بل أدت إلى ضعف تجارتهم البحرية أيضا ، وقد تضررت قوة هولندا بالحملات المتواصلة لفرنسا التي أحسنت إلى إنجلترا إحسانا كبيرا بإراحتها من منافسها البحري المقتدر ، وبهذا لم يكن الهولنديون في موقف يسمح لهم باستمرار تنافسهم مع الإنجليز في الهند ، ومنذ العقد الأول من القرن الثاني عشر الهجري الموافق لبداية القرن الثامن عشر الميلادي بدأت قبضة الهولنديين على نقاط في طول الساحل الهندي في الاسترخاء بالتدريج ، ولقد انصرفوا عن التنافس على التسلط في تلك المنطقة ، ونقلت محطاتهم التجارية الرئيسية نحو الجنوب الشرقي لسيلان Ceylon وجاوا Java وبورنو Bornew وجزر التوابل The Spice Islands ولا ننسى في ذلك تفوق إنجلترا وفرنسا في المجال الاستعماري بعد أن تخلصتا من مشاكلهما الداخلية ممثلة في الحروب الأهلية بعد منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي (١).

---

(١) K.ALi: A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.7

A.V.Jackson.: History of India, Vol. VIII, p.90

شكري وزميله : أوربا في العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

بالإضافة إلى شركات الهند الشرقية الإنجليزية والفرنسية والهولندية، كانت هناك شركات أخرى صغيرة لبعض الدول الأوربية تحاول أن تجد لها نصيبا في التجارة الهندية ، ومنها شركة الهند الشرقية الدنماركية وشركة الهند الشرقية السويدية ، وقد تمكنتا من المحافظة على بعض الوكالات الصغيرة القائمة على الشاطئ الهندي ، ولكن نشاطهما الاقتصادي كان قليلا ، كما لم تفكرا بلعب دور سياسي أو عسكري في الشرق الأقصى (١)، ولقد اضمحلت الشركة الدانماركية في عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٨ م ، كما كان إمبراطور النمسا قد منح في ١١٣٤ هـ / ١٧٢٢ م للتجار النمساويين وتجار الأراضي المنخفضة مرسوما يخول الشركة الهندية الشرقية الأستندية The Ostend East India Company الحق في التجارة وتجهيز السفن المسلحة وبناء القلاع وعقد المعاهدات مع الأمراء الهنود ، مما أقلق القوى البحرية ، فاتحدت إنجلترا وفرنسا وهولندا في الاحتجاجات الدبلوماسية والتهديدات بالمقاومة المسلحة لمؤسسة النمسا التجارية في جزر الهند الشرقية ، إلى أن وافق الإمبراطور في النهاية بأن يكبح شركة أوستند تماما (٢).

مع الاسترخاء التدريجي في النفوذ الهولندي ، كان الفرنسيون يتقدمون ويعززون موقفهم في الهند ، إذ أنه على الرغم من أنهم قد ضعفوا إلى حد بعيد بالحروب الأوربية المدمرة التي انتهت في ١١٢٥هـ / ١٧١٣هـ ، انتعشت مصادرهم

---

(١) ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٧٦ ،
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part. II, p.7

(٢) A.V.Jackson : History of India, Vol. VIII, p.90

وزوجهم المغامرة خلال فترة الهدوء للسنين الثلاثين القادمة [1]، وبدأت الشركة الفرنسية للهند الشرقية في نشاط تجاري سياسي تنافسي مع شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، أدى في النهاية إلى نشوب معارك طاحنة بينهما، وكانت علاقات الشركتين في الهند تتأثر بما يجري في أوربا سلما وحربا .

بالنسبة لفرنسا وإنجلترا ، يمثل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي الذروة التي وصلت إليها الحركة الاستعمارية والتجارية ، وبلغ التنافس الاستعماري الإنجليزي الفرنسي ذروته في الهند ، في منتصف ذلك القرن.

وصلت الشركة الفرنسية إلى الهند عام ١٠٧٨ هـ / ١٦٦٧ م أي بعد أكثر من نصف قرن من وصول الشركة الإنجليزية ، وبدأت بتأسيس مركز تجاري في سورات على الساحل الغربي ، كما أسست مركزا آخر على الساحل الشرقي جنوبي مدراس ، وأخذ موقف الفرنسيين في المياه الهندية في التحسن بسرعة [2]، وكانوا يتقدمون باستمرار جنبا إلى جنب مع الإنجليز في الساحل الجنوبي الشرقي للهند أو ساحل كرومندل Coromandel ، حيث كانت بونديشيري Pondicherry مقر الحاكم العام لجميع المستوطنات الفرنسية تتطور إلى مدينة جميلة ، وكانت هذه المستوطنة قد أنشئت في عام ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م من قبل فرانسوا مارتن

---

(١) Ibid: pp. 90-91

(٢) شكري وزميله : أوربا في العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٢٩٦ ،
فاروق عثمان أباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٦٥ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part. II. pp. 14-15
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part. II, p.15

Froncais Martin الذي بنى المدينة بعد أن اشتراها من إمـــارة بيجاپور Bijapur ، كما حصل من الإمارة على الأراضي الساحلية الملاصقـــة لها ، وبنى الفرنسيون فوقها قلعة لتكون پونديشيري مركزا تجاريا وحربيا معا . وفي الوقت الذي كانت الشركة الفرنسية تحرز تقدما كبيرا في بسط نفوذها التجاري لم تكن للشركة الإنجليزية أكثر من موقعين رئيسيين وهي في خليج البنغال ، أحدهما مدراس Madras التي تبعد قرابة ١٥٠ كيلو مترا عن پونديشيري والآخر كلكته Calcutta التي تبعد مسافة ٢٥ كيلو مترا من مركز الفرنسيين الآخر في شاندرناگور Chandernagar ، وكان قرب الجوار هذا يتسبب في اشتداد الصراع والتنافس بين الشركتين الفرنسية والإنجليزية ، وهكذا لم يكد الإنجليز يتخلصون من منافسة الهولنديين حتى أصبحوا في مواجهة مع منافسين جدد وهم الفرنسيون الذين أخذوا يثبتون أقدامهم في بعض شواطيء الهند ويعملون لتوسعة نفوذهم بكل نشاط ومقدرة (١).

---

(١) A.V.Jackson:History of India, Vol.VIII, pp.91-92

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٠٤ ،

آمين سعيد : الخليج العربي، بيروت ، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، ص ٣٥ .

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٠ ،

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٤٢ ،

V.D.Mahajan: India since 1526, Part. II, p.15

K.ALi: A New History of Indo-Pakistan, Part. II, p.15

في عهد فلوري (*) Florey رئيس وزراء لويس الخامس عشر Louis XIV جددت الحياة الاقتصادية الفرنسية ، ونشطت الموانيء الساحلية في المحيط الأطلسي مثل بوردو (**) Bordeaux ونانت (***) Nantes ، أكثر من أي وقت مضى ، وانطلاقا من ١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م عادت السياسة الفرنسية إلى لونها التقليدي المناويء لبريطانيا ، بعد أن اتبعت موت لويس الرابع عشر Louis XIV (١٠٥٣ هـ - ١١٢٧ هـ / ١٦٤٣ م - ١٧١٥ م) فترة تقارب بين البلدين لم تستمر طويلا بسبب تصادم مصالحهما وطموحاتهما فيما وراء البحار(١)

في الحقيقة كانت فرنسا توأما لإنجلترا في ميدان الاستعمار ، وكانتا تحسبان في مقدمة الدول الاستعمارية الغربية قوة وشأنا ، وقامت بين البلدين منافسة استعمارية شديدة منذ أن انطلقتا تصولان وتجولان في مضمار الاستعمار في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، فما نزل الإنجليز قطرا إلا وجدوا فرنسيا سبقهم إليه أو أنه في الطريق إليهم ، وهكذا كان الأمر بالنسبة للإنجليز حيث كانوا لفرنسا بالمرصاد ، يقفون لها في كل طريق ويطاردونها كلما وجدوا في ذلك سبيلا (٢).

(*) تولى فلوري رئاسة الوزارة الفرنسية من ١٧٢٦م الى ١٧٤٣م وكان مربيا للويس الخامس عشر ومحبوبا لديه كما كانت السلطة الفعلية بيده هو خلال هذه المدة .

(**) بوردو Bordeaux مرفأ في جنوب غربي فرنسا على مصب نهر الغارون Garonne

(***) نانت Nantes : مدينة ومرفأ في غرب فرنسا على نهر اللوار Loire .

(١) ألبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ١٩٨ ،
ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٢) أمين سعيد :الخليج العربي ، ص ٣٥ .

وفيما يتعلق بالهند ، فلقد اشتدت المنافسة عليها بين الجانبين في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي حيث بدأت الشركتان الفرنسية والإنجليزية تحاولان الاستئثار بأكبر نصيب من تركة الدولة المغولية الآخذة بالانحطاط والانحلال ، وكان تيار متدفق من المشروعات البحرية يأخذ طريقه من أوربا نحو الساحل الهندي المكشوف على ظهر سفن هاتين الأمتين ، ولقد وقفت كل واحدة منهما في مواجهة الأخرى للمنافسة الجادة في ميدان جائزة التجارة الهندية بعد أن أبعدتا جميع المرشحين الآخرين ، وبلغ هذا التنافس التجاري الاستعماري بين الدولتين البحريتين الطليعتين لأوربا ذروته ، في الفترة الأخيرة من منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي (١) ، وكان التنافس الإنجليزي الفرنسي في الهند أشد بكثير من التنافس الإنجليزي البرتغالي أو التنافس الإنجليزي الهولندي ، والسبب الرئيسي وراء ذلك هو أن القوة المغولية قبل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي كانت قوية ومتماسكة وتمكنت لذلك أن تقاوم الحركة العدوانية لأية قوة أجنبية ، وعلى الرغم من أن القوة المغولية كانت قد أخذت في الضعف والانحلال منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، ولكنها كانت ومازالت قوية لدرجة تكفي لمعاقبة أي اعتداء من جانب التجار الأجانب ، ومن هنا لم يستطع التنافس الإنجليزي الهولندي الذي بلغ ذروته في النصف الثاني من

---

(١) A.V.Jackson : History of India, Vol. VIII, p.93

موسنييموزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ ،

بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٦٦ .

القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي أن يظهر للعيان كاملا على الرغم من أنه لم يكن يقل عنفا عن التنافس الإنجليزي البرتغالي ، وعلى كل حال فان التنافس الفرنسي الإنجليزي قد حدث عندما لم يعد انحلال الدولة المغولية يخفى من نظر الملاحظ ، ومن هنا ظهر للعيان وعلى الملأ مسابقة جادة للاستئثار بالتجارة الهندية لإحدى الشركات على حساب الشركات الأخرى وذلك عن طريق إخضاع سلطة الحكام الهنود واستعمال هذه السلطة لصالح شركة واحدة فقط (١).

طمع الفرنسيون في وراثة التركة المغولية في الأقاليم النائية مثل إقليم الدكن الذي كان آخر الأقاليم الهندية خضوعا للدولة المغولية وأسبقها استقلالية من دهلي ، ورأى الحاكم الفرنسي العام دوما Dumas (١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م – ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م) أن تفسخ دولة المغول وتناثرها يقتضي أن تكون له قوة مسلحة تفرض حولها الهيبة والاحترام وتدعم المفاوضات التي تقيمها الشركة مع مختلف الأمراء الذين يبحثون عن الكيانات الخاصة بهم،ونحو ١١٤٢هـ/ ١٧٣٠م حاول أن يبرم أحلافا سياسية مع بعض صغار السادة المستقلين الذين بدأوا يظهرون في الجنوب الهندي ، ولقد اعتدى المرهته على إمارة كارناتك Karnatic وبادر الفرنسيون بالوقوف إلى جانب الإمارة والقضاء على الهجوم ومن هنا ذاع خبر مقدرة الفرنسيين العسكرية في البلاد ، وأنعم حاكم دكن على دوما بخلعة ، ولم يتردد دوما عن الاعتراف له بالتبعية والولاء ، وكان باستطاعة دوما بعد هذا النصر الأدبي الذي أحرزه أن يلعب دورا كبيرا في سياسة البلاد ، ولكنه اعتزل منصبه سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٤١ م ليخلفه

---

(١) R. Mukherjee: The Rise and Fall of the East India Company , p.110

دوپلكس Dupleix الذي سار في نفس الخط بنشاط أكثر وطموحات أكبر (١).

كان دوپلكس في عمره الخامس والعشرين قائدا لقوات پونديشيري وفي عام ١١٤٢ هـ / ١٧٣٠م عين مديرا لمستوطنة شاندرناگور Chondernagar على نهر هوجلي في بنغال ، وكانت أراضي هذه المنطقة قاحلة إلا أن دوپلكس حولها إلى مركز لتجارة الهند الداخلية وإلى أحد المراكز التجارية الهامة ، ولقد عين لخلافة دوما Dumas في پونديشيري مع سلطات مدنية وعسكرية واسعة ، وانتهز هذه الفرصة في تدوير وتنمية مشروعاته التي كانت تنم عن الجرأة والطموح في سبيل تحسين وتعزيز مصالح شركته ، وذلك بالتدخل في الشئون الداخلية الهندية وبالحصول على المستعمرات بأموال أهاليها ورجالها، وسبق أن أشار فرانسوا مارتن (*) Francois Martin في أوائل الأمر إلى فوائد سياسة التدخل في شئون الهند الداخلية ، ولقد طبق دوما آراء مارتن السياسية ، فجهز جيشا من الأهالي المدربين تدريبا عسكريا على غرار الأوربيين وسماهم " سپاهي " (٢) واستخدم هذا الجيش

(*) فرانسوا مارتن Francois Martin خلف فرانسوا كارون Francois Caron في رئاسة الشركة الفرنسية في الهند في عام ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م .

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٠ ،
رولان موسنييه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، جـ٥ ، ص ٢٧٨ .
ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ ،
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٢ ،
S.P. Sen: The French in India (1763 - 1816), Second Edition Delhi, Munshiram Monohrlal, 1971, P.27.

(٢) A.V.Jackson, History of India, Vol.VIII, p.93
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١١ – ٢١٢ .

في مساعدة الأمراء المحليين ، واستملك إزاء هذا كاريكال (*) Karikal وماهي (**) Mahe في صمت ، كما لقب نفسه بنواب ، وبهذا جعل نفسه وشركته من أعيان الهند ووجهائها ، وأصبحت الشركة الفرنسية تشرف على تجارة الهند الداخلية ، فكانت السلع تنقل من ميناء إلى ميناء آخر تحت إشراف الشركة وإدارتها ، وأثناء الاضطرابات التي استحوذت على جميع كارناتك نتيجة غزو المرهته في ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م كان الأمراء المسلمون قد وجدوا ملاذا لأسرهم وثرواتهم خلف جدران پوند يشيري ، والدولة المغولية كانت قد انتهت في النهاية في جميع المحافظات الجنوبية ، وكان الإقليم كله قد تمزق نتيجة النزاعات الداخلية ، والمرهته الذين كانت مهمتهم أن يعبدوا الطريق لسيطرة أجنبية عن طريق التغلب وتدمير جميع قدرات المسلمين ، كانوا يهدمون البلاد ويفتون في عضدها، والجيوش الوطنية في الجنوب لم تكن بأحسن من جماعات المرتزقة السيئة التسلح الغير منتظمة فكانت السواحل مفتوحة دون أي دفاع ، واستغل دوپلكس هذه الأوضاع في بسط نفوذ الفرنسيين ، وكان قد تنبأ بأنه في حالة نشوب الحرب مع إنجلترا ، فسوف تلهب الغيرة المتزايدة بين الشركتين نار العداوة في الهند ووفقا لهذا بدأ في إجراء المفاوضات مع الزعماء المجاورين لاتخاذ الألقاب الممنوحة تحت البراءة الملكية ومحاكاة التباهي للنبلاء الهنود مع هدف تمهيد الطريق للشركة الفرنسية لتأخذ لها مكانا مرموقا في النظام

(*) كاريكال Karikal: تقع على ساحل كرومندل Coromandel .

(**) ماهي : Mahe : تقع على ساحل مليبار Malab ar .

السياسي للبلاد (١).

أثار نجاح دوبلكس مخاوف شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي شعرت بأن البرنامج الفرنسي سينتهي بطردها من الهند وأسواقها ، فرأى أحد موظفيها وهو روبرت كلايف Robert Clive أن تواجه الشركة الإنجليزية التفوق الفرنسي وتصمد أمام مخططاتها بالسير على نفس الخطوات العسكرية والسياسية التي وضعها دوبلكس ، ووفق كلايف في هذه السياسة ، وبدأ هو الآخر في التدخل لشئون الهند الداخلية والانحياز إلى الطرف المناويء للفرنسيين وحلفائهم في المنازعات التي كانت تحدث من حين لآخر للوصول إلى حكم الإمارات ، وفي حوالي منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بدأ النظامان المتعارضان بقيادة كل من دوبلكس الفرنسي المقيم في بونديشيري وكلايف الإنجليزي المقيم في مدراس في الاصطدام ، وعلى ذلك يكون التنافس بين إنجلترا وفرنسا قد بدأ في وقت واحد تقريبا في أمريكا وفي الشرق ، إثر تجدد النزاع بين الجانبين في أوربا (٢).

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, pp.100, 101, 108

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٠٤ ،

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ،

شكري وزميله: أوربا في العصور الحديثة ، ص ٢٩٨ .

(٢) ميوسنييه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ ،

عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٨٥ .

شكرى وزميله: أوربا فى العصور الحديثة ، ج ١ ، ٢٩٨ .

في رجب ١١٥٣ هـ / أكتوبر عام ١٧٤٠ م مات شارل السادس Charles VI إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، تاركا من وراثه العرش الإمبراطوري دون أن يترك خليفة ذكر يرث عرشه والأراضي النمساوية، وكانت الإمبراطورية المذكورة شأنها شأن البابوية لاتؤول إلى امرأة ، ورغم ذلك حاول شارل السادس خلال عشرين عاما تولية ابنته ووريثته الوحيدة ماريا تريزا Maria Theresa عرش الإمبراطورية ، وأصدر مرسوما بذلك قبل موته ، وبموت شارل السادس تولت ماريا تريزا حكم الأراضي النمساوية ، وكان أول ماسعت إليه هو انتخاب زوجها فرانسيس Francis أمير اللورين Lorraine إمبراطورا ، ولكن ظهرت معارضة الطامعين ضد وراثة ماريا تريزا للأملاك النمساوية ، ووقفت دول أوربا في ذلك مواقف مختلفة وحدثت بذلك أزمة أوربية انفجرت عبرها أكثر المشاكل الأوربية المعلقة ، مما أدى إلى نشوب سلسلة من الحروب والاصطدامات المسلحة أطلق عليها المؤرخون حرب الوراثة النمساوية The war of Austrian Succession التي بدأت بهجوم فردريك الثاني Frederick II حاكم بروسيا Prussia على سيليزيا Silesia في شهر رمضان عام ١١٥٣ هـ / ديسمبر ١٧٤٠م ، وما كادت النار تشتعل حتى انتشرت ألسنتها على نطاق واسع ، اشتبكت فيها كل دول أوربا تقريبا في نزاع سالت فيه الدماء والأموال ، ليس في أوربا وحدها ، بل وفي سائر ميادين المنافسة أيضا ، ومن أهمها ميدان الهند التي كانت العلاقات بين الجانبين الإنجليزي والفرنسي قد وصلت إلى نقطة الانفجار(١).

---

(١) زينب عصمت راشد : تاريخ أوربا الحديث ، ج ١ ، ص ٢٦٨ — ٢٦٩ ،
حسن صبحي : التاريخ الأوربي الحديث ، ج ١ ، ص ٢٧٠ — ٢٧١ ،
عبدالحميد نعنعي: أوربا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة ، بيروت، دار النهضة العربية ١٩٨٣م ص ٢١٤ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٤٦ — ٣٤٧ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part. II , pp. 17-18

ازداد الفرنسيون نشاطا عندما أهتم الملك لويس الخامس عشر Louis XV في عام ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م بتجديد المعاهدة التي كانت قد عقدت بين السلطان العثماني سليمان القانوني (٩٢٦ هـ - ٩٧٣ هـ / ١٥٢٠ م - ١٥٦٦ م) وفرانسوا الأول Francois I (٨٩٩ هـ - ٩٥٤ هـ / ١٤٩٤ م - ١٥٤٧ م) ملك فرنسا في سنة ٩٤٣ هـ / ١٥٣٦ م ، وبمقتضى هذه المعاهدة كانت لفرنسا أن تدعى حق حماية الكاثوليك في أراضي الدولة العثمانية ، وبذلك تخوف الإنجليز من أن يتغلغل النفوذ الفرنسي إلى بلاد الشرق التابعة للعثمانيين وأن تفكر فرنسا في استغلال الطريق الملاحي عبر البحر الأحمر لتهدد المصالح البريطانية في الهند [١]، وفي شوال ١١٥٢ هـ / أوائل ١٧٤٠ م عندما كانت الحرب بين إنجلترا وفرنسا تهدد بنشوب سريع على الرغم من كونها غير معلنة ، كانت الحكومة الفرنسية تفكر في خطط لتدمير المصانع الإنجليزية في جزر الهند الشرقية ، وبعد ذلك بسنوات قلائل ، شجع دوبلكس على مشروعه في طرد الإنجليز من ساحل كرومندل Coromandel[٢]، وعلى الرغم من هذا كان دوبلكس منذ أن تلقى أنباء حرب الوراثة النمساوية في أوربا ، يحاول أن يثني الشركة الإنجليزية عن اللجوء إلى الحرب في الهند وأن تبقى الأراضي التي تمتلكها الشركتان في الهند خارج الحرب ، ولكن لم تكن بالمستطاع إقامة حواجز بين حوادث أوربا وما يجري في أمريكا والهند ،وضمان سلام فيما وراء

---

(١) فاروق عثمان أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، ص ٧٣ .

(٢) A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, pp.93-94

البحار بين بلاد تتحارب في أوربا (١)، وقد يكون اقتراح دوپلكس نوعا من الخدعة كسبا للوقت حيث نرى أنه بادر بالهجوم على الإنجليز في الهند ، بعد أن تلقى الإمدادات العسكرية واطمأن على وضعه .

كانت مدراس Madras وپونديشيري Pondicherry هما المركزان الرئيسيان لإنجلترا وفرنسا على التوالي في ساحل كرومندل بالإضافة إلى قلعة سانت ديفيد St.David الإنجليزية إلى الجنوب من پونديشيري ، وكانت كل هذه النقاط بحرية تعتمد في قوتها على البحر الذي يربطها بمصادر قوتها في أوربا ، وأما الدول الأوربية الأخرى التي كانت في الهند من برتغالية وهولندية فقد دفعت بها الأحوال السياسية المتغيرة في أوربا إلى الوراء، ولم يعد لها دور في السياسة الهندية (٢).

كانت مدراس وبونديشيري مقرا الشركتين الإنجليزية والفرنسية تقعان داخل حكم كارناتك Karnatic التي كان اسما لمقاطعة كبيرة ألحقت بنوابية دكن التي كانت قد منحت من قبل سلطان الدولة المغولية لآصف جاه (*) نظام الملك

(*) اسمه قمر الدين بن شهاب الدين بن عابد خان ولقبه آصف جاه نظام الملك چين قليج خان بهادر ، وكان جده عابد خان قد جاء إلى الهند من سمرقند في عهد شاهجهان. ولقد تولى آصف جاه في عهد أورنگزيب وبعض خلفائه أعلى المناصب في الدولة، إلى أن بدأت آثار التفكك في سلطة المغول فقام بتوطيد نفوذه في الدكن وأسس هناك حكما وراثيا في أسرته ، وتوفى في الرابع من جمادي الأخرى عام ١١٦١هـ / ١ مايو ١٧٤٨ م .

(غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٣ ، ص ٨٧٠ – ٨٧١) .

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٩ ،
ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٣٦ .

(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٧ ،
A.V.Jackson:History of India, Vol. VIII, p.99.

وكان أمير كارناتك في هذه الفترة أنور الدين خان (١٥٥٧-١١٦٢هـ/١٧٤٤- ١٧٤٩م) وفي ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م ظهرت قوة إنجليزية بعيدا عن پونديشيري التي كانت تملك حماية ضعيفة واستحكامات ناقصة غير مكتملة ، ومن أجل أن يكسب دوپلكس وقتا ، أغرى نواب كارناتك بأن يتدخل بأمر يحظر الخصومات داخل منطقة نفوذه ، ومراعاة لهذا التحريم اقتنع الإنجليز في مدراس أن يوقفوا هجومهم ويغادروا الساحل لتتأخر المواجهة بين الجانبين عاما آخر[١].

لم يألو دوپلكس جهدا في اصلاح منشآته العسكرية وفي تحصين پونديشيري ضد احتمال هجوم من البحر ، ولا كف عن العمل عندما أمره المدراء في باريس بأن يوقف جميع النفقات على الأعمال الدفاعية لتسديد ديون الشركة والعناية بتجارتها [٢]، وكان دوپلكس يرى أنه سوف يضطر لدخول المعركة مع الشركة الإنجليزية ، وكان يعتقد أن الشركة الفرنسية لن تتمكن من التوسع والنهوض إلا بعد الاستيلاء على مدراس وطرد الإنجليز منها ، ولتحقيق هذا الغرض كان دوپلكس يحتاج إلى السفن الحربية ، فطلب المساعدة من الحاكم الفرنسي في موريشيوس Mouritius المدعو لابوردونه Labourdonais الذي لبى طلبه وزوده بحوالي ألفي مقاتل وثماني سفن في جمادي الثانية ١١٥٩هـ/يوليو ١٧٤٦ م واستغل دوپلكس عطف أنور الدين خان وصداقته ، وانقلب بعد أن تلقى تلك المساعدة من مدافع إلى مهاجم وعزم على الهجوم ضد مدينة

---

(١) Ibid: pp. 99, 104

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤١ ،

V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II, p.18

(٢) A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, p.101

مدراس ، ووافق أنور الدين خان على هذه الحملة شريطة أن يسلم دوبلكس له المدينة بعد الاستيلاء عليها ، فهاجمها في شعبان ١١٥٩هـ / سبتمبر عام ١٧٤٦م وبعد عمل عسكري غير حاسم انسحبت السفن الإنجليزية إلى سيلان Celon وأنزل الفرنسيون قواتهم على الساحل وحوصرت مدراس برا وبحرا إلى أن استسلمت بعد أربعة أيام من الحصار على شروط تسمح للإنجليز باستعادة مدينتهم مقابل دفع فدية ، وقد وافق لابور دونه على ذلك ، ولكن دوبلكس عارض هذه المصالحة بشدة ، ورأى أنه إذا أريد لفرنسا أن تبني في الهند نفوذا لايتزعزع ، فعليها أن تجد في إبعاد الإنجليز،فأمر أن تسوى استحكامات مدراس بالأرض ، وانسحب الإنجليز الناجين من الأسر إلى هوجلي في ساحل بنغال ، وأصبح دوبلكس سيد الساحل الشرقي لجنوب الهند(١).

كان تحت تصرف دوبلكس ثلاثة آلاف جندي فرنسي ، ولم يكن لديه أقل نية بأن يتنازل عن مدراس للنواب أو للشركة الإنجليزية ، وأعلن الاتفاق مع الإنجليز لاغيا وباطلا ، واستحوذ على جميع ممتلكات الشركة وذهب بحاكم مدراس الإنجليزي وضباطه إلى پوند يشيري ، حيث ظهروا في صورة أسرى في مسيرة منتصرة ، وأرسل قوة كبيرة ضد القلعة الإنجليزية في سانت ديفيد St. David وهي المعقل

---

(١) Ibid: pp. 104-105

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٢ ،

احسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤١ ،

غوستاف لوبون : حضارات الهند ،ص ٢٤٣ ،

K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part. II, pp.16-17

V.A. Smith : The Oxford History of India, p.459

المستحكم الوحيد الذي كان الإنجليز لايزالون يملكونه بمسافة مايقرب من ١٢ ميلا جنوبي پونديشيري ، ولكن الفرنسيين فوجئوا بمقاومة شديدة ولم ينجحوا في الاستيلاء عليها فتراجعوا بعد ثمانية عشر شهرا منحسرين (١).

في عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧ م كان القائد الفرنسي پراديس Paradis على وشك الحركة مرة أخرى نحو قلعة سانت ديفيد ، ولكنه توقف عن التقدم بظهور السرية الإنجليزية القادمة من سيلان حيث ألقت بالإمدادات والجنود وأجبرت الفرنسيين على التقهقر لحماية پونديشيري ، وتحول التيار منذ هذه اللحظة ، وأراد الإنجليز أن يثأروا لأنفسهم مما لحق بهم في مدراس ، فأرسلوا ثمانية آلاف شخص مع ثلاثين سفينة لمحاصرة پونديشيري التي حوصرت في عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م برا وبحرا بقيادة الأدميرال بوسكاون Boscawen ، ولكن مثلما فشل الفرنسيون في قلعة سانت ديفيد ، فشل الإنحليز أمام پوند يشيري ، حيث قاوم الفرنسيون بشجاعة واضطر الإنجليز إلى إنهاء الحصار والانسحاب بعد ٤٢ يوما من المعارك تكبدوا خلالها خسائر فادحة (٢)، وبعد أربعة أيام من إنهاء الحصار وقعت معاهدة اكس لاشاپل Aix-La-Chapelle في شوال

---

(١) A.V.Jackson:History of India, Vol.VIII,p.106

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ٢٩ ؛

V.A.Smith : The Oxford History of India, p.459

Percival Spear: A History of India, Vol.II, pp.77-78

(٢) A.V.Jackson:History of India, Vol. VIII, p.107

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٣ ؛

رولان موسنييه وزميلاه: تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ .

١١٦١هـ / أكتوبر ١٧٤٨ م التي أنهت حرب الوراثة النمساوية في أوربا ، وأوقفت أنباؤها في ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م القتال في الهند وأعادت الأمور إلي وضعها السابق حيث أعادت مدراس إلى الإنجليز ، مقابل إعادة لويس بورج Louisburg في أمريكا الشمالية إلى فرنسا ، وبذلك انتهى ماسمي بحرب الكرناتك الأولى التي كانت أولى الشواهد بأن مصير الهند قد بات رهنا بتناحر القوى الأوربية البحرية وتوافقها (١).

كانت النتيجة الرئيسية لهذا الصراع الحاد بين الشركتين الإنجليزية والفرنسية في أماكن قريبة من الشريط الساحلي الضيق ، ازديادا ملحوظا في اعتبار الفرنسيين في الهند ، وتشجيعا كبيرا لدوبلكس على مشروعه لاستخدام جنوده كمساعدين لايقامون لأي أمير محلي يمكن أن يتبنى قضيته ، وقد كان فعلا على صلة قريبة مع أحد الأطراف في الحرب الأهلية التي كانت قد بدأت بالانتشار الفعلي في كارناتك Karnatic (٢)، حيث شهدت هذه المنطقة اضطرابات نتيجة هجمات المرهته عليها ، كما تحرك ضد النواب أنور الدين خان أنصار دوست على

---

(١) A.V.Jackson :History of India, Vol. VIII, p.107

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٣ ،

البطريق زميله : التاريخ الأوربي الحديث ، ص ٢٧٢،

زينب راشد : تاريخ أوربا الحديث ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ،

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٠ ،

V.D. Mahajan: India since 1526, Part. II , p.19

(٢) A.V.Jackson .: History of India, Vol. VIII, p.107

Percival Spear : A History of India, Vol.II, p.78

النواب القديم بقيادة صهره دوست خان المعروف بچندا صاحب Chanda Sahib ومما زاد الأمر سوءا أن صوبدارية الدكن التي كانت تتبعها الكارناتك، ابتليت هي الأخرى بنزاعات أسرية على وراثة الحكم إثر وفاة آصف جاه حاكم الدكن في شهر ربيع الثاني ١١٦١هـ / ابريل ١٧٤٨ م ، وقد خلفه ابنه ناصر جنگ الذي ادعى أنه قد ورث الصوبدارية عن أبيه ، ولكن نازعه فيها ابن أخته سعد الله خان مظفر جنگ الذي ادعى بأنه قد عين صوبدارا بأمر من السلطان المغولي ، وتدخل دوپلكس الفرنسي إلى هذه المنازعات ، فعقد اتفاقا ثلاثيا يجمعه مع چندا صاحب ومظفر جنگ ، وبالمقابل قام الإنجليز بتكوين جبهة مناوئة بالتحالف مع ناصر جنگ وأنور الدين خان والتقى الحليفان وانهزم أنور الدين خان وذبح وأجلس مكانه چندا صاحب في مدينة اركات Arcot كما أجلس مظفر جنگ في حيدر آباد عاصمة الدكن إثر اغتيال ناصر جنگ بيد الأفغان في ١٧ محرم عام ١١٦٤هـ/ ديسمبر ١٧٥٠ م ، وخرج دوپلكس فائزا بالغنيمة حيث عينه مظفر جنگ حاكما على الأراضي الواقعة جنوب نهر كرشنا ، وهي ماتعادل مساحة فرنسا . وهكذا استفحل أمر دوپلكس وعظم نفوذه من غير أن يكلف الشركة الفرنسية شيئا يذكر[1] ، وهكذا أظهرت حرب كارناتك الأولى بأن تفوق القوة البحرية كانت عاملا حاسما في هذا

---

(١) على ابراهيم خان: كلز ار ابراهيم، مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم ٥٠٥، OR.1865 ،
A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, P. 117

عبدالعزيز عبد الغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٠ ،

غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٤٤ ،

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٣ ،

بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ١٠٠ ؛
Philip Mason: The Men Who ruled India, pp. 24-25

العداء الذي لم يكن للقوات الهندية أي رأي فيه ، لأنه لم تكن لديه كلها آية قوة بحرية ، كما أظهرت أنه بينما كان الجنود الأوربيون أقل عددا إلا أنهم استطاعوا أن يتفوقوا على الجيوش الهندية الأكبر منهم عددا ، وذلك بسبب التجهيزات العسكرية الحديثة التي كانوا يتمتعون بها وبسبب حسن انضباطهم وتدريبهم (١).

في عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م بدأت حرب كارناتك الثانية ، إذ لما رأى الإنجليز ما حدث بين حاكم كارناتك أنور الدين خان وبين الفرنسيين من عداوات انتهت بمقتله ، لبوا استنجاد ابنه محمد علي خان فحالفوه وعاهدوه أن يناصروه على عدوه چندا صاحب حليف الفرنسيين ، واستعد الإنجليز لجولة أخرى من المعارك بقيادة كلايف Clive الذي تلقى إمدادات كبيرة من لندن تشكلت من جنود إنجليز ومن مدفعية ، وتمكن الإنجليز من دحر حاكم كرناتك والقبض عليه وقتله في غرة شعبان عام ١١٦٥ هـ / يونيو ١٧٥٢ م كما تغلبوا على الضابط الفرنسي لو Law في معركة تريچينا پالي Trichinopoli الذي كان يتولى قيادة فرقة من فرق دوپلكس في عام ١١٦٦هـ / ١٧٥٣ م وأسروا أكثر من ألف فرنسي وبمقتل چندا صاحب وهزيمة الفرنسيين في معركة كرناتك الثانية بدأ النفوذ الفرنسي يسلك طريقه إلى التقهقر ، وفقد حلفاؤ دوپلكس من أهالي الهند وحكومة بلاده في فرنسا ثقتهم السابقة فيه ، حيث أصبحت سياسته فاشلة عندما

---

(١) R. Mukherjee: The Rise and Fall of the East India Company, p.117.

هزم مرشحو فرنسا للفوز بالحكم (١).

في ربيع الأول ١١٦٧ هـ / أواخر ديسمبر ١٧٥٣ م قدم دوپلكس عروضا للسلام، ولكن عندما اكتشف الإنجليز أنه يريد كسب الوقت وأنه ينوي توطيد نفوذه في كارناتك أوقفوا تفاوضهم معه ، وبما أن سياسته أصبحت سيئة السمعة أجبر على إخفاء الحالة الحقيقية للموارد المالية للشركة ، وعندما أبلغ المدراء بباريس بصفة مفاجئة من پونديشيري Pondicherry بأنهم مدينون بمليونين من الفرنكات الفرنسية ، قرروا استدعاءه على الفور ، كما أن الشركة الإنجليزية في لندن ظلت تمارس الضغط على الحكومة الإنجليزية للاحتجاج دبلوماسيا ضد كامل ممارسات دوپلكس في الهند ، إلى أن نجحت هذه المحاولات في قصر فرساي وصدر في سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٤ م من الملك لويس الخامس عشر Louis XV أمر يقضي على دوپلكس بالعودة إلى فرنسا ليخلفه في الهند جودهي Godeheu. وهكذا لم يدعم دوپلكس من الحكومة الفرنسية المنهمكة جدا بحوادث أورپا وأمريكا ، كما لم يساعده مديرو الشركة الفرنسية الذين ظلوا حتى ذي الحجة ١١٦٦ هـ / أكتوبر ١٧٥٣م لايعلمون مشروعاته تماما ، وكان استدعاؤه في آن واحد رمزا ونتيجة لإخفاقه . وفي الحقيقة لم ترغب الحكومة

---

(١) على ابراهيمخان: كلزار ابراهيم، ق ٦١أ.

ميرحسين علي كرماني : نشان حيدري، مخطوط فارسى فى T.O.L تحت رقم ETHE 522 ق ٨٩ أ .

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٢ ،

رولان موسنيير وزميلاه: تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ ،

A.V.Jackson.: History of India, Vol. VIII, p.120,

Percival Spear: A History of India, Vol. II, pp.78-79.

الفرنسية أن تزج نفسها في خصام مع الإنجليز الذين كانت قوتهم البحرية تشكل خطورة على كل المستعمرات الفرنسية ، وكانت المنازعات الهندية تبدو طويلة واستنزافية ، بالإضافة إلى قلة موارد الفرنسيين المالية ، فكانت لدى الحكومة الفرنسية أسباب مقبولة لاستبدال علاقات الحرب بين الشركتين الفرنسية والإنجليزية في الهند ، بعلاقات وئام وسلام ، وإيقاف ممارسة إعارة القوات المساعدة للأمراء المحليين ، والموافقة على العودة المشتركة للعمل التجاري القديم ، وفي هذا الإطار أوفدت فرنسا جودهي Godeheu الى پونديشيرى Pondicherry ليخلف دوپلكس ويوقع مع الحاكم الإنجليزي سوندرز Saunders اتفاقية في شهر ربيع الأول ١١٦٨هـ / يناير ١٧٥٥ م تعهد الجانبان الإنجليزي والفرنسي بمقتضاها أن يرفعا أيديهما عن صراع القوى المحلية وأن تؤول لكل القوتين الأرض التي كانت تسيطر عليها قبل توقيع الاتفاق ، كما ألزمت الشركتان أنفسهما بموجب هذه الاتفاقية بعدم تجديد المحاولات الهادفة للتوسع في الأراضي ، كما تم الاعتراف بمحمد علي خان - الذي ظل الإنجليز يدعمونه طوال فترة هذا الصراع - بطريقة تكتيكية كنواب لكارناتك ، الأمر الذي قضى على العماد الأساسي الذي ظلت سياسة دوپلكس البعيدة الأثر ترتكز عليه ، وعاد دوپلكس إلى فرنسا ليلقي حتفه في جمادي الأولى ١١٧٧ هـ / نوفمبر ١٧٦٣ م ، بعد أن حاول عبثا أن يحصل على الإنصاف لما لاقاه من إهمال وتشويه وماقاساه من فقر (١).

---

(١) A.V.Jackson: History of India , Vol.VIII, pp.123-124.

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٠ - ٣١ ،

ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٣٧ ،

V.A.Smith : The Oxford History of India, pp.461-462

S.P.Sen: The French in India (1763-1816), p.30

لقد تضررت فرنسا من تلك الاتفاقية التي تضمنت التخلي عن كل الامتيازات التي اعترف لها بها خارج مراكزها التجارية ، إذ لم يكن للإنجليز غير مراكزها التجارية في تلك المنطقة ، بينما الامتيازات التي نالتها الشركة الفرنسية والسلطة الواسعة التي تمتعت بها ، امتدت فوق رقعة من أرض الهند تبلغ مساحتها ضعفي مساحة فرنسا ، يسكنها عشرات الملايين من الناس [١].

إن الإنجليز بحكم حسن طالعهم المألوف قد كان لديهم في هذه الفترة العصيبة المصيرية قائدان عسكريان ماهران وهما كلايف Clive ولورنس Lawrence اللذان كانا يتفوقان على جميع الضباط العسكريين الفرنسيين الذين كانوا تحت إمرة دوبلكس باستثناء بوسي Bussy الذي يعد من أعظم الزعماء العسكريين الفرنسيين في الهند ، حيث قام في معارك كارناتك مع عدد محدود من رفاقه بأعمال تثير الاعجاب ، ففي شوال ١١٦٢هـ / سبتمبر ١٧٤٩م تمكن خلال ٢٤ ساعة من الصعود الى قلعة جنكي في كرناتك والاستيلاء عليها ، وكانت هذه القلعة تحيطها أسوار أربعة ، وكان الاستيلاء عليها يعتبر ضربا من المحال ، كما تمكن من إخضاع ولاية دكن بمدفعية واحدة وثلاثمائة جندي فرنسي وألف وثمانمائة سپاهي ، وتمكن بهذه الأعداد القليلة من أن يهزم جيش المرهته المكون من عشرات الآلاف من المقاتلين .

وعلى الرغم من استدعاء دوبلكس وتخلي الحكومة الفرنسية عن سياسته ، إلا أن بوسي تمكن من توطيد مركزه في دولة حيدر آباد الواسعة ،حيث ظلت

---

(١) موسنييه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ .

هناك قوة فرنسية طيلة ثمانية أعوام آخرى [1]، ومعنى هذا أن الصراع بين الجانبين لم يحسم نهائيا إلى أن نشبت حرب السنين السبع The Seven Years War في أوربا وانتشرت في الهند ودخلت الشركتان في جولة حاسمة من المعارك ، وكان محور القتال قد انتقل في هذه المرة إلى بنغال حيث دخل الإنجليز في معركة مصيرية مع قوات نواب ذلك الإقليم .

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٤ ،

ماتيو أندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٣٧ ،

A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, p.124

هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ط٣، القاهرة ،دار المعارف، ١٩٧٠م ، ص ٤١٤ .

وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤١٣ .

في الواقع بدأت شركة الهند الشرقية الإنجليزية بالاستيلاء على الهند بواسطة كلايف Clive في بداية حرب السنين السبع قبل انهزام البحرية الفرنسية وخسارة فرنسا مستعمراتها،وكان كلايف قد دخل في خدمة الشركة بصفته سكرتيرا لها ، وعمره آنذاك كان يبلغ الثامنة عشر ، ولما انتقل من المكتب إلي الجيش ، أبرز جدارته وشجاعته في أول محاصرة لپونديشيري في عام ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م ، وكان عمره آنذاك يبلغ الثالثة والعشرين ، كما حارب عدة مرات محميات دوپلكس في كارناتك إلا أن حوادث الهجوم على بنغال أعطته فرصة يبرز فيها جدارته وكفاءته [1] العسكرية التي وضعت الإنجليز في الهند كقوة أجنبية لاتنافس .

في هذه الفترة العصيبة المصيرية من تاريخ المسلمين في الهند كان يتولى عرش المغول في دهلي السلطان عالمگير الثاني (١١٦٧ - ١١٧٣ هـ / ١٧٥٤ - ١٧٥٩ م) ولم يكن حكمه يتعدى عاصمته ، وكان حكم الأقاليم البعيدة تحول إلى حكم وراثي يتقاتل الطامعون في الوصول إليه عقب وفاة كل حاكم، وهذا ماحدث في دكن Deccan ثم في بنغال Bengal وأوده Oudh وغيرها ، وبالطبع كان المتصارعون على السلطة يبحثون عن أعوان لهم في المتنافسين الاستعماريين المتمثلين في الشركتين الفرنسية والإنجليزية ، وكانت گجرات Gujarat ومالوه Malwa وجزء من دكن قد وقعت في قبضة المرهته الذين كانوا يعبثون بأمن البلاد واستقرارها ، كما كانت كابل وپنجاب تتبعان السلطان أحمد شاه دراني حيث انفصلتا عن دولة

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٥ .

المغول عقب حملة نادر شاه الإيراني ، وبانفصال البلاد التي سميت فيما بعد بأفغانستان عن الدولة المغولية ، أصبح المسلمون يفقدون معينا تاريخيا كان ينجدهم أثناء الأزمات وينقذ الحكم الإسلامي من السقوط في الهاوية ، وكذلك كان الراجبوت المعروفين بشجاعتهم وتحالفهم مع الدولة المغولية مغلوبين لمرهته دون أن تكون لهم علاقات مع السلطان أو وزيره (١)، وفي مثل هذه الأوضاع أخذ الإنجليز في الاستيلاء على الهند بضرب بعض أبنائها بالبعض الآخر وبدأوا في ذلك من بنغال .

تحت قيادة مرشد قلي خان (١١١٥ – ١١٣٩هـ / ١٧٠٤ – ١٧٢٧م) تحولت الصوبدارية في بنغال إلى نظام حكم وراثي ، ولكن بحلول ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠م أطيح بحفيده علاؤ الدولة سرفر ازخان (*) حيث قتل في المعركة أمام محمد علي وردي خان الذي كان قد تمكن من أن يرفع نفسه من وظيفة متواضعة إلى نائب حاكم بهار ، كما استطاع أن يكسب لنفسه بقوة السيف حكم البنغال الذي استمر له حوالي ستة عشر عاما (٢).

(*) لم يخلف مرشد قلي خان ذكرا يخلفه في حكم بنغال ، وحاول أن يكون حفيده سرفراز خان (ابن بنته) خليفة له ، إلا أن صهره شجاع الدين خان والد سرفراز خان تمكن من تولي صوبدارية بنغال بعد أن حصل على تقليد بذلك من دهلي ، وبعد وفاته هزم ابنه أمام علي وردي خان وقتل في المعركة .

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٥، ٦٤٢ .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ، ٤٩٣ – ٤٩٤ ،

K.K. Datta and the others:

Indian Records Series. Fort William, India House Correspondence and other contemporary papers Relating Thereto , Vol.II (1757-1759), Delhi, Civil Lines, 1957, P.475.

M.M. Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol. IA, pp. 577, 601,604.

أثناء فترة إدارة مهابت جنگ محمد علي وردي خان القوية لم يكن لدى التجار الأجانب سبب وجيه للشكوى ، لأنه على الرغم من فرضه رسوما جمركية على المراكز التجارية الإنجليزية والفرنسية والهولندية ، إلا أنه وفر لتلك المراكز الحماية اللازمة وعمل على استقرار الأمن ولم يتسامح مع آية تجاوزات تهدف الإخلال بالنظام (١)، وفي نفس الوقت لم يكن يرغب في المواجهة مع الإنجليز أصحاب النفوذ القوي في سواحل ولايته ، ولقد حاول البعض من رجاله تحريضه لمحاربة الإنجليز في كلكته وطردهم منها ، إلا أنه رد (*) على هؤلاء قائلا : " إنه مادام الإنجليز لايريدون لنا شرا فلا نرى مبررا أن نكون البادىء بالشر"،"وكان يرى أنه لن يكون سهلا أن تخمد النار التي قد تشتعل في البحر كما كان يبدي قلقه من أن تقع سواحل الهند بعد وفاته في قبضة هؤلاء الذين يلبسون القلنسوة " (٢) ومعنى هذا أن حاكم بنغال كان يشعر بما ينقصه وهو القوة البحرية الضاربة ، كما كان يرى ببعد نظره أن مستقبل الهند سيكون بيد الذين يسيطرون على الطرق الملاحية ويملكون قوات بحرية أكثر عددا وأحسن تنظيما وتدريبا ، وهو مالم تكن تملكه آية قوة هندية ، ومن هنا نرى أن علي وردي خان لايستمع إلى بعض مستشاريه ولا يغامر بالهجوم على الإنجليز ، لأنه لم يكن باستطاعته متابعة الهجوم في البحر حتى يحسم الأمر ، ولقد توفى في التاسع من رجب سنة ١١٦٩هـ / ابريل ١٧٥٦ م وخلفه في حكم بنغال وبهار وأوريسه حفيده

(*) ذكر المؤلف أنه رافق علي وردي خان لعدة أشهر وأنه سمع هذه العبارات منه مباشرة كما سمعه من السائرين أيضا .

(١) A.V.Jackson:History of India, Vol. VIII, p.164

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦١١ .

(ابن بنته) سراج الدولة الذي كان آنذاك في الثامنة عشر من عمره (١).

لم يكن سراج الدولة منذ البداية على وفاق مع تجار شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، وكان يعتقد بأنهم يتآمرون لإقصائه عن الحكم بالتواطؤ مع بعض الساخطين عليه من أسرة علي وردي خان وبعض رجالاته الذين عزلهم عن مناصبهم، ومنهم مير محمد جعفر خان (٢)، كما لجأ أحد معارضيه المدعو كشن بلبيه إلى كلكته ورفض الإنجليز طلب سراج الدولة الداعي إلى استرداده (٣).

في الوقت الذي تولى سراج الدولة الحكم في بنغال ، وصلت الخطابات من لندن إلى كلكته تبلغ الرئيس بأن الحرب مع فرنسا متوقعة فعليه أن يضع مستوطنته في حالة دفاع ، ولذا بدأ دريك (*) Drake رئيس مجلس كلكته

(*) هو : روجردريك Roger Drake لقد وصل إلى بنغال في محرم ١١٥٠هـ / مايو ١٧٣٧م ، وكان رئيسا لمجلس كلكته في (١١٦٥ - ١١٧١ هـ / ١٧٥٢ - ١٧٥٨ م) .

(١) مؤلف مجهول : تاريخ عالمگير ثاني ،مخطوط فارسي في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم OR.1749 ، ق ٧١ ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ،ج ٢ ، ص ٦٠٨ ، ٦٢٠ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ ،
K.K.Datta: F.W.I.H. Correspondence, Vol.I (1748-1756), p.1041.
V.A. Smith: The Oxford History of India, p.466.

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٦ ،
A.V.Jackson.: History of India, Vol. VIII, p. 164
عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣١ ،
عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي، ص٢٨٥ .

(٣) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٢١ .

في تعزيز التحصينات المحيطة بها ، وكان من أول قرارات سراج الدولة أن طلب إلى الإنجليز بأن يكفوا عن هذه التحصينات لأنهم لم يمنحوا حق تحصين أماكنهم في بنغال ، إلا أن دريك Drake أجاب موضحا بأن التحصينات موجهة ضد الفرنسيين الذين تجاهلوا حياد الأراضي الخاضعة لحكم المغول في الحروب الأخيرة واستولوا نتيجة لذلك على مدراس ، فلا يستبعد أن يهاجموا كلكته أيضا ويستولوا عليها ، ولكن سراج الدولة لم يقبل هذا العذر وفهم من رد الإنجليز أنهم لايقدرون سيادته التقدير اللازم ، فأرسل إليهم في قاسم بازار يطلب إليهم إزالة التحصينات ، ولم يستجب الإنجليز لمطالبات سراج الدولة فحسب بل بدأوا في الدخول إلى المعسكر المناوئ الذي كانت ترأسه غستي بيكم Ghasiti Begum ابنة علي وردي خان ، إلا أن سراج الدولة نجح في اعتقال خالته وتحديد إقامتها في قصره ، ثم سار بجيشه إلى مركز الإنجليز في قاسم بازار بالقرب من عاصمته واستردها لسيادته في أوائل رمضان ١١٦٩هـ / يونيو ١٧٥٦م ، ثم هاجم كلكته حيث هرب كثير من الإنجليز بعد مقاومة قصيرة وأسر الباقون الذين كان يصل عددهم إلى ١٤٦ فردا وضعوا في حجرة عرفت فيما بعد بالحفرة السوداء The Black Hole حيث توفى فيها ١٢٣ منهم نتيجة ضيق الغرفة وسوء التهوية ، وهكذا سقطت كلكته وحصن ويليم بيد سراج الدولة في ٢٢ رمضان ١١٦٩ هـ / ١٩ يونيو ١٧٥٦ م [1] ، وغنم قوات سراج الدولة ذهبا وأموالا كثيرة من الشركة الإنجليزية وسائر التجار من الهندوكيين والإنجليز والأرمن

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ ،
A.V.Jackson: History of India., Vol.VIII, p.165
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣١ - ٣٢ ،
بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ١٠١ ،
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٥ .

وغيرهم ، ثم غادر كلكته بعد أن أبقى هناك عامله مانك چند Manik Chand مع خمسة آلاف فارس وثمانية آلاف من المشاة ليقوموا بحراسة المدينة (١).

في معركة رمضان ١١٦٩هـ / ١٧٥٦م في كلكته وقع عدد من الإنجليزيات بيد ميرزا أمير بيگ الذي كان صديقا لمير جعفر فقام بإخفائهن ومحافظتهن ، وفي ظلام الليل أركبهن إلى سفينة بمساعدة مير جعفر وأوصلهن إلى سفينة دريك التي كانت قد رست على بعد حوالي ١٢ كروها ، ولقد شكره الإنجليز على ما قام به وقدموا له عطايا ، إلا أنه رفض قبول تلك العطايا ، طالبا إياهم أن يضعوا عملة الطيب في ذاكرتهم ، ثم رجع في نفس الليلة والتحق بمير جعفر (٢). ويشير هذا الوضع إلى أن ضعاف النفوس وأصحاب العقد كانوا يمهدون للتواطؤ وأنهم كانوا واثقين بعودة الانجليز واستئناف المواجهة ضد حكم المسلمين في بنغال .

بعد طرد الإنجليز من كلكته وقاسم بازار ، هرب الذين تمكنوا من الخروج - وعلى رأسهم دريك - على ظهور سفنهم إلى عرض البحر ومن هناك ذهبوا إلى مدراس شارحين لرئيس مجلس مدراس ماحدث لهم في بنغال (٣)، وهكذا نرى أن تخلف المسلمين في البحرية كان يسمح لأعدائهم أن يفلتوا من أيديهم على الرغم من مطاردتهم والقضاء عليهم في البر .

شعر الإنجليز بالخطر الذي يهدد وجودهم الاستعماري في الهند من جراء هذا

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، جـ ٢ ، ص ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٦ .

(٢) غلام حسين خان طباطائي : سير المتأخرين ، جـ ٢ ، ص ٦٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٣٣ .

التفوق الذي أبداه سراج الدولة ، فقام رئيس مدراس (*) على الفور بإرسال أسطول بقيادة الأدمرال واتسون (**) Watson إلى بنغال ومعه القوات الأخرى بقيادة الكولونيل كلايف Clive ، وكانت تضم هذه القوات ثلاثة آلاف مقاتل ، منهم تسعمائة من الأوربيين ، ولقد اعتبرت تلك القوة ليست كافية فقط لاستعادة كلكته فحسب ، بل لطرد الفرنسيين من شاندر ناكور Chandarnogar وحتى لمهاجمة مرشد آباد عاصمة النواب أيضا (١).

وصلت الحملة إلى بنغال ورست سفن الإنجليز مقابل كلكته في موضع يسمى بالمياه السوداء ومن هناك عرضوا إلى سراج الدولة المصالحة والاعتذار عما بدر من دريك Drake من تقصيرات وتقديم مئات الآلاف من الروبيات، مقابل أن يؤذن لهم بإعادة بناء مراكزهم في كلكته كما كانت الحال في السابق، إلا أن سراج الدولة لم يلب طلبهم ذلك ، وعلم الإنجليز عن طريق اتصالاتهم بمعارضي النواب بأن أعيان البلاد ورجالها السابقين مستعدون أن يضعوا أنفسهم

(*) هو : جورج بكوت George Pigot الذي تولى رئاسة الشركة الإنجليزية في مدراس من (ربيع الأول ١١٦٨هـ / يناير ١٧٥٥م حتى ربيع الثاني ١١٧٧ هـ / نوفمبر ١٧٦٣م) .

(**) هو الأدمرال تشارلز واتسون Admiral Charles Watson أحد القادة العسكريين لشركة الهند الشرقية الإنجليزية في(١١٦٧-١١٧٠هـ/١٧٥٤-١٧٥٧م) ، لقد ساهم بفعالية في المعارك التي دارت في بنغال ضد حاكمها سراج الدولة.

(١) Jackson ...: History of India, Vol. VIII, p.166.V.

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٥ ،

V.A. Smith: The Oxford History of India, p. 467.

وامكاناتهم بيد كل من يعمل ضد سراج الدولة والقضاء عليه ، فقرروا مهاجمة كلكتة بإطلاق نيران المدافع التي أوقعت إرباكا في صفوف حامية المدينة ثم قاموا بإنزال القوات على الساحل وقاتلوا قوات مانك چند ، وانتهت المعركة بانتصار الإنجليز واستعادة كلكته وطرد حامية سراج الدولة منها ومن هوگلي Hugli (١).

بعد أن علم سراج الدولة بنبأ سقوط كلكته بيد الإنجليز ، قرر التوجه بنفسه لمحاربتهم ، فغادر عاصمته مرشد آباد في يوم الاثنين ١٢ من شهر ربيع الثاني سنة ١١٧٠هـ / يناير ١٧٥٧م متوجها إلى كلكته حيث أقام معسكره بالقرب منها ، وحدثت اشتباكات بين الجانبين ، وفي نفس الوقت كانت الاتصالات والمفاوضات تتم من أجل حل المسألة سلميا ، ولقد أرسل الإنجليز أحد الخبراء لإبلاغ سراج الدولة ببعض الرسائل ، ولكن مهمته الأساسية كانت هي التعرف على مواقع قوات سراج الدولة والتعرف على الأماكن التي يمكن أن تسلك عند الهجوم الليلي المباغت ، وعاد المبعوث إلى الإنجليز مقدما لهم تقريرا عن أوضاع سراج الدولة ومواقع قواته ، ثم قام الإنجليز بإنزال بعض قواتهم خلف قوات سراج الدولة في ظلام الليل ، وبحلول السحر ، نزلوا من السفن وبدأوا بإطلاق النار متقدمين خطوة خطوة إلى قوات سراج الدولة التي كانت قد وقعت تحت وابل من نيران بنادق الإنجليز ومدافعهم من الخلف ومن الأمام ، وأصيب الكثير من هذه القوات بين قتيل وجريح ، كما أصيب بعض القواد ، وكاد أن يقع سراج الدولة نفسه في

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، جـ٢ ، ص ٦٣٣ - ٦٣٤ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٦ ؛
A.V.Jackson : History of India, Vol. VIII, p.166.

الأسر ، إلا أنه تمكن من النجاة بسبب الضباب الكثيف والأمطار الغزيرة التي كانت تحجب الرؤية، فنقل معسكره إلى مكان آبعد طارقا باب المصالحة (١) .

قبل الإنجليز هذه الدعوة شريطة أن يعوض لهم سراج الدولة الأموال التي استولى عليها في حرب كلكته الأولى وأن يدفع لهم الغرامة عن الأضرار التي لحقت بالإنجليز نتيجة هدم مراكزهم في كلكته ، وبعد تردد المبعوثين وإجراء المفاوضات وقعت اتفاقية استعادت الشركة الإنجليزية بموجبها ممتلكاتها في بنغال ، كما دفع للإنجليز بعض الأموال نقدا ، ووضع تحت تصرفهم ست قرى مجاورة لكلكته إلى أن يتم تسديد المبالغ المتبقية (٢).

لم تستمر هذه الهدنة طويلا ، إذ أصبحت فرنسا وإنجلترا في حالة حرب مفتوحة امتدت إلى مناطق نفوذهما في الهند ، وبدأت المعارك بينهم وبين الإنجليز في الدكن وكان مجلس مدراس يضغط أن تعود القوات الموجودة في بنغال بأسرع وقت ، إلا أن هذه القوات وجدت المغادرة خطيرة جدا لأن كلكته لم تكن قد أمنت ضد خطر النواب من جهة ولأن الفرنسيين كانوا موجودين في محطة شاندرناگور المحصنة التي تقع قرب هوجلي على بعد أميال قليلة من كلكته ، وحاول كل من واتسون Watson وكلايف Clive الاستيلاء على المكان عنوة ،

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٣٦ ،
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.27

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٥٣ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٣٧ ،
Philip Mason: The Men Who Ruled India, p.33

لكن النواب الذي وافق في بادىء الامر ، سحب في اللحظة الأخيرة موافقته بالهجوم واتصل سرا بالفرنسيين وكان يبحث عن فرصة مناسبة لتجديد المناوشات بينه وبين الإنجليز (١)، ومرة أخرى وقف الحظ إلى جانب الإنجليز ، إذ أسعفتهم الخيانة في الجبهتين ، وبادرت السفن الحربية الإنجليزية بالاستيلاء على مراكز الفرنسيين في بنغال بمساعدة أحد الفرنسيين الذي خان قومه وأرشد الإنجليز إلى الطريق السري المؤدي إلى السفن الفرنسية ، فتمكن الإنجليز بالهجوم المباغت من الاستيلاء على هذه السفن وقلعة شاندرناگور والمركز الفرنسي قرب قاسم بازار ، وذلك في جمادي الثانية ١١٧٠هـ / مارس ١٧٥٧م ، وبهذا تلقى الفرنسيون ضربة قاضية في بنغال بعد أن تلقوا هزائم في دكن أيضا (٢).

بعد هزيمة الفرنسيين في بنغال ، لجأ كبيرهم المدعو موشير لاس Monsieur Law مع فلولهم المتبقية ومدافعهم وبنادقهم إلى سراج الدولة معلنين له الولاء ، وفي نفس الوقت كان الخونه في صفوف قوات سراج الدولة قد نشطوا وأبدوا استعدادهم بالمشاركة في الإطاحة بسراج الدولة ، وقام الإنجليز بإرسال مبعوث إلى النواب يعلن له أنه بموجب عقد المصالحة يعتبر عدوهم عدوا له وصديقهم صديقا له ، كما يكون عدوه عدوا لهم وصديقه صديقا لهم ، وبناء

---

(١) A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII, p.167

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٥،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٧ ،
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٣ ،
M.M.Ali: History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, p.673.

على ذلك يجب على النواب أن لايحمي أعداءهم الفرنسيين وأن يقوم بتسليمهم أو بإخراجهم من أراضيه [١]. ونشط المتربصون الذين كانوا يحاولون القضاء على دولة سراج الدولة فأصروا عليه أن يطرد الفرنسيين اللاجئين إليه ويحول بذلك دون توتر العلاقات بينه وبين الإنجليز ، فتحدث سراج الدولة مع موشيير لاس في هذا الموضوع حيث رد قائلا : " إنكم لو قمتم بمساعدتنا في المعاملات المتعلقة بالشركة الفرنسية لاعتبر هذا نقضا للعهد الذي بينكم وبين الإنجليز ولكن لو قبلتم التحاقنا في صفوف الآلاف من خدامكم فلا يمكن أن يعتبر هذا نقضا للعهد " [٢]، وعرض سراج الدولة هذا الجواب إلى المبعوثين الإنجليز الذين لم يقتنعوا به ورفضوه ، كما رفضه خصوم سراج الدولة الذين كانوا يعتبرون بقاء الفرنسيين سندا لسراج الدولة ، وأصروا على إخراج الفرنسيين فاضطر سراج الدولة نتيجة لهذه الضغوط أن يطلب من الفرنسيين المغادرة من أراضيه [٣]، فقال له لاس أثناء المغادرة : " إن الكثيرين من رجالك ينوون الغدر بك ، متآمرين في ذلك مع الإنجليز ، وبعد إخراجي سوف يحاربونك مع الإنجليز من أجل الإطاحة بك ، ولو بقيت معك فلن أقصر في الدفاع عنك " ولكن سراج الدولة كان قد استسلم للضغوط ولم يجرأ في المحافظة على الفرنسيين ، وقال لموشير لاس بأن المصلحة تقتضي مغادرته حاليا ، وإذا احتيج إليه فسوف

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٧ ،
عبدالعزيز عبد الغني ابراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٣ .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٦ .

(٣) K.K.Datta : F.W.I.H. Correspondence, Vol. II (1757 - 1759) , p. 224.

يستدعيه فورا ، ورد عليه لاس بأنه قد لايتيسر اللقاء بينهما ثانية ، ثم غادر مرشد آباد (١).

وجد سراج الدولة أن رجال الدولة القدامى يخاصمونه وعلى الأخص مير محمد جعفر وراجه دولبهه رام اللذان كان لهما أكبر النفوذ في الجيش ولم يتمكن سراج الدولة من إزالة الخلافات ولم يقدم إلى مبادرة تعيد الثقة بينه وبين هؤلاء الرجال ، بل على العكس من ذلك كان يتبادر منه مايعمق عدم الثقة والكراهية ، وكان للثرى الهندوكي جكت سيت Jaget Seth دور نشط في الإعداد لمؤامرة الإطاحة بسراج الدولة والتخلص منه ، وعمل مع مير جعفر لإثارة كبار الشخصيات في حكم بنغال الذين وعدوا الإنجليز بأن يتكفلوا القضاء على سراج الدولة فور تحرك القوات الإنجليزية لمحاربته ،كما تعهدوا بدفع ثلاث كرورات (*) روبية نقدا لتمويل نفقات المعركة (٢) .

قبل الإنجليز التماس مير محمد جعفر وراجه دولبهه رام ، واستعدوا للهجوم على سراج الدولة ، وبدأوا يتذرعون في نقض المصالحة بأن سراج الدولة تباطأ في تسديد الغرامة المكلف بأدائها إلى الإنجليز ، واضطر النواب للدخول في المعركة فأرسل راجه دولبهه رام المتواطئ مع الإنجليز ، على رأس قوات كبيرة

(*) كرور : يساوي عشرة ملايين .

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٣٥ ، ٦٣٧ ،

K.K.Datta : F.W.I.H. Correspondence, Vol. II (1757 - 1759), p. 225

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٧ ،

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٤ .

إلى منطقة پلاسي Plassey استعدادا لمواجهة الهجوم الإنجليزي ، إلا أنه كما أشرنا كان يبطن الشر لسراج الدولة وكان يراسل الإنجليز باسم مير جعفر ويطمئنهم ، كما كان على اتصال مع قواد الجيش ، محاولا جذبهم إلى صف الغدر والخيانة وواعدا كل واحد منهم بما يناسبه من منصب ، وكذلك كان مير جعفر يبذل قصارى جهوده للإيقاع بين سراج الدولة وقواده إلى أن لم يبق مخلصا ووفيا مع النواب إلا القليل من القوات والقواد (١).

تحرك كلايف من كلكته إلى پلاسي كما تحرك إليها سراج الدولة من منصوركنج ومعه قائداه الوفيان مير مدن وراجه موهن لال والمعدود من مخلصيه. وكان عدد القوات الإنجليزية يصل بين ألفين إلى ثلاثة آلاف جندي(٢)، بينما كان النواب يملك في الظاهر قوة قوامها خمسة عشر ألفا من الخيالة وثلاثين ألفا من الجنود المشاة و ٤٠ قطعة من المدفعية (٣).

وقعت معركة پلاسي Plassey في يوم الخميس الخامس من شوال سنة ١١٧٠هـ / ٢٢ يونيو ١٧٥٧م ، لقد بدأ الاشتباك بإطلاق النار من المدافع ، وكان الإنجليز يقصفون مواقع سراج الدولة بوابل من نيران المدافع بصورة مستمرة لإيقاف تقدم تلك القوات ، إلا أن بعد مضي ثلثي النهار تمكن مير مدن وموهن لال قائدا سراج الدولة الوفيان من الوصول إلى مقربة من حديقة پلاسي ، فاضطرب الإنجليز وظنوا أن هناك خدعة دبرت ضدهم ، وغضب كلايف على أمين چند Amin Chand الذي جاء إليه بخطاب من مير جعفر وذكره بأنهم وعدوا أن تخذل القوات

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٣٨ .

(٣) A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, p.167

سراج الدولة بعد اشتباكات مصطنعة ، ولكن الوضع الآن يشير إلى غير ذلك ، إلا أن أمين چند طمأنه بأن معظم الجند يناصر مير جعفر وأن القوات التي تحارب في الطليعة هي التي بقيت مخلصة ووفية للنواب فتحارب بكل بسالة ، فإذا انهزمت لن تحرك القوات الأخرى ساكنا ، وحدث أن أصيب مير مدن بقدمه التي بترت نتيجة إصابته بقذيفة مدفعية ، توفى على أثرها بعد قليل ، مما سهل للمؤامرة أن تأخذ طريقها إلى التنفيذ ، إذ اضطرب سراج الدولة واستدعى مير جعفر وخلع (*) عمامته ووضعها أمام مير جعفر طالبا مساعدته بحق الملح والزمالة ومصير البلاد ، ولكن مير جعفر الذي كان جازما لتنفيذ المؤامرة لم تؤثر فيه هذه المناشدة بل طالب سراج الدولة بإيقاف المعركة وسحب القوات إلى المواقع الأولية ثم التفكير والتخطيط للمعركة ، وأمام إلحاح مير جعفر طلب سراج الدولة من قائده موهن لال أن ينسحب على الرغم من أن قائده هذا حذره من تفرق القوات وإتاحة الفرصة للإنجليز بأن يأخذوا أنفاسهم ويعيدوا تنظيم قواتهم ، وذكر القائد بأن قواته في تقدم مستمر فعليه أن يزوده بمزيد من القوات المساعدة لحسم المعركة ، فناشد سراج الدولة مساعدة مير جعفر من جديد ، ولكنه كرر ما قاله سابقا ، وهو إيقاف الحرب وسحب القوات ، فاضطر سراج الدولة أن يرسل إلى قائده تعليمات تؤكد فيها على الانسحاب ، فلم ير موهن لال بدا من أن يلتزم بالأوامر وينسحب ليرى ما حذر منه وهو تفرق القوات وهروب الجبناء والمنافقين ، وأدرك سراج الدولة بعد هذا عمق الخديعة ، ولم

(*) خلع العمامة : وفق تقاليد المنطقة ، هذا العمل يعني الالتماس الشديد والإلحاح فيه ، وغالبا ماتثير الغيرة في الجانب المقابل فيستجيب لما يطلب منه .

يتمكن من تجميع قواته ، فغادر الساحة في ليلة السبت السابع من شوال عام ١١٧٠ هـ / يونيو ١٧٥٧م متوجها إلى عظيم آباد ، إلا أن أعوان مير جعفر قبضوا عليه وجاؤوا به إلى عاصمته مرشد آباد حيث قتل بأمر كلايف في يوم الأحد الخامس عشر من شوال ، وحمل جسده على فيل ، وتجولوا به في المدينة للتشهير به وإضعاف معنويات أنصاره [1]، كما أسر القائد الوفي الشجاع موهن لال بعدما أنكر على مير جعفر خيانته وموقفه المزري ، ولم يكتف جعفر بأسره ، بل عذبه ثم قتله وصادر أملاكه [2].

وهكذا نجح الطابور الخامس فيما لم يظفر به تفوق الإنجليز في التدريب والتنظيم والتسليح ، وكان نتيجة ذلك أول هزيمة برية حاسمة لقوات دولة المغول الإسلامية في إقليم بنغال ، وما ذكره البعض من أن تقدم قوات سراج الدولة في اليوم الأول من المعركة ناتج عن قيادة مدفعية سراج الدولة من قبل الفرنسيين [3]، لاتؤيده المصادر المعاصرة ، إذ يذكر طباطبائي المعاصر المشاهد للأحداث بأنه : " بعد أن اطلع سراج الدولة من أن الإنجليز قرروا

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، جـ٢ ، ص ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ،
K.K.Katta: F.W.I.H. Correspondence, Vol.II
(1757 - 1759) pp. 227, 228, 229
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٧ - ٦٣٨ ،
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٣ - ٣٤ ،
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٥ ،
T.W. Haig : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١١ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٤٩ .

(٣) A.V.Jackson :History of India, Vol, VIII, p.168.

محاربته ، كتب رسالة إلى موشير لاس الفرنسي طالبا منه اللحاق به في أسرع وقت ممكن ، إلا أن المذكور قد وصل في الوقت الذي كان سراج الدولة قد قضي عليه ، وطرد الإنجليز الفرنسي المذكور من الولايات (*) الثلاث التي كانت تتبع سراج الدولة " (١).

مع أن الخيانة بحق الدين والوطن والمصير المشترك لايمكن تبريرها بأي حال وتحت أي ظرف ، إلا أنه بالنظر إلى ما تقدمه المصادر التاريخية يلاحظ بأن سراج الدولة يتحمل جانبا من المسئولية ، حيث تذكر الروايات بأن النواب أهمل رجال الحكم السابقين واستغنى عن مشورتهم وخبراتهم ورجح عليهم الذين تنقصهم الإصابة في الرأي ، وكان يعامل أعيان البلد ووجهاءه من أمثال مير محمد جعفر خان ، ورحم خان ومهاراجه دولبهه رام وجگت سيت وسائر الأمراء والوجهاء المعززين بكل استخفاف وإهانة ، إلى الحد الذي كان الجميع يشعرون بأن الحياة قد ضاقت عليهم وكانوا يأملون نهاية سراج الدولة ويبدون موافقتهم ومرافقتهم لكل من يعاديه ويتمرد ضده ، وعلى الأخص مير محمد جعفر الذي كان يعمل في هذا الاتجاه أكثر من أي واحد آخر ، وكان قد تمكن في أوائل عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م من تحريض شوكت جنگ (**) لمقاتلة سراج الدولة الذي هزمه

(*) الولايات الثلاث : هي بنغال وبهار وأوريسه .

(**) شوكت جنگ : هو ابن صولت جنگ سعيد أحمد خان ابن شقيق مهابت جنگ حاكم بنغال السابق ، وفي نفس الوقت ابن عم سراج الدولة ، وكان يطالب بحكم بنغال إثر وفاة علي وردي خان مهابت جنگ .
(سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٤٩٥) .

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٩ - ٦٤٠ .

وقتله (١). وعلى كل حال لقد نجح مير جعفر في نهاية الأمر في القضاء على خصمه ، فاجتمع بكلايف وسائر زعماء الإنجليز مؤكدا معهم العهود والمواثيق ودافعا لهم ما وعدهم من الأموال معلنا نفسه حاكما علي بنغال في صباح يوم السبت السابع من شوال سنة ١١٧٠هـ / يونيو ١٧٥٧م في مرشد آباد ، وملقبا نفسه بـ " شجاع الملك حسام الدولة مير محمد جعفر خان بهادر مهابت جنگ "(٢) وبعد توليه زمام الأمور في بنغال ، تزايد النفوذ الإنجليزي في الإقليم ، وأصبحوا يعملون مايشاؤون (٣).

وهكذا قاتلت بنغال وناضلت وانتصرت وانكسرت ، وقتل حاكمها بأمر الأجانب الذين لا شأن لهم بالبلاد ، وكانت لاتزال ولاية من ولايات الدولة المغولية تدين لها بالطاعة ولو اسميا ، ولكن جرى كل هذا والدولة وسلطانها في معزل عن الأمر ورأينا أن الإنجليز لم يحرزوا النصر في موقعة پلاسي بقوتهم ولا بدهائهم ، بل هو نصر سيق إليهم بسبب ما كان بين الوالي وبين مير جعفر وأنصاره من خصام وأحقاد ، فقاتل الهنود إخوانهم الهنود وفاز بالغنيمة الإنجليز (٤).

تعتبر معركة پلاسي في ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م من المعارك الحاسمة في التاريخ

---

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٦٤٠ ،

K.K.Datta : F.W.I.H.Correspondence, Vol.II (1757-1759) p.228 .

(٣) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٨ .

(٤) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

الهندي الحديث ، ويعد هذا التاريخ بداية لسلطة الإمبراطورية البريطانية في الهند ، إذ تمكن الإنجليز بعد تلك المعركة من بسط سيطرتهم على جميع مناطق ولايتي بنغال وبهار ، وأصبحت بنغال قاعدة توسعهم في سائر أنحاء الهند (١)، ولقد وضعت هذه المعركة التي كانت صفقة تجارية أكثر من أن تكون معركة عسكرية ، وضعت الحاكم تحت إصبع الشركة الإنجليزية ، وجعلت منه شخصية يرثى لها ويمكن اعتصارها على يد خدام الشركة الشرهين ، كما يمكن الحصول منه قسرا على أي امتياز يراد ، وصارت سلطة النواب تعتمد على سلطات الشركة في كلكته ، فكان الحكام المنصبين في بنغال يتغيرون في تعاقب سريع (٢) .

بعد أن رتب كلايف Clive الأمور ، غادر بنغال إلى لندن في عام ١١٧٤ هـ / ١٧٦٠م حاملا معه ما جمع من الأموال ، وهنا ظهرت خلافات بين كبار رجالات الإنجليز في توزيع المناصب ومن سيخلف كلايف في رئاسة الإنجليز ، إلى أن تولى الرئاسة هنري ونسترت (*) Henry Vansittart الذي كان عضوا في مجلس مدراس ، وذلك باستصواب من كلايف نفسه ، وفي هذه الأثناء لم يتمكن مير جعفر من تلبية مطالبات الإنجليز المالية التي لم تعرف حدا ، بعد أن عصروه وأعجزوه من أن يوفر المال الكافي للقوات التي تعتمد عليها قوى الشركة التي

(*) هنري ونسترت Henry Vansittart : لقد بدأ عمله سكرتيرا في رئاسة الشركة الإنجليزية في مدراس عام ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م، وارتقى الى عضوية مجلس تلك الرئاسة في عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٩م ثم عين لرئاسة الشركة في كلكته في ١٤ ذي الحجة ١١٧٣هـ / ٢٧ يوليو ١٧٦٠م خلفا لكلايف Clive .

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

(٢) بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ١٠٣ .

تحكمه ، وبدأت المتأخرات تتراكم بصورة خطيرة ، وهنا قرر الإنجليز أن يبحثوا عن نواب آخر يبدي استعداده لتلبية هذه الطلبات ، ويلتزم بتوفير الأموال اللازمة كشرط أساسي لترقيته ووضعه في مكان مير جعفر ، ولقد تم التفاهم في هذا الشأن مع صهر مير جعفر وهو مير قاسم ديوان (*) بنغال ، ورأى ونسترت بأنه لايوجد بين أقرباء مير جعفر من أتباعه من هو أجدر من مير قاسم لتولي هذا المنصب ، فقرر أن يكون هو حاكما لبنغال وأن يصرف لمير جعفر مايؤمن معيشته ، وتوجه ونسترت برفقة وحدات من القوات الإنجليزية إلى مرشد آباد لينفذ هناك ما تقرر في كلكته ، ولكن الإنجليز لم يتمكنوا من إقناع مير جعفر في التنازل عن منصبه لصهره ، فأجبروه لقبول هذا الأمر بإرعابه ، حيث حاصرت القوات الإنجليزية دار الإمارة وأقاموا حولها المدافع ، ونصبوا مير قاسم حاكما على الولايات الثلاث : بنغال وبهار وأوريسه ، وغادر مير جعفر مرشد آباد إلى كلكته (١).

(*) ديوان : كان المشرف على الشئون المالية يسمى ديوانا، وهو الذي كان يتمتع بالسلطة العليا في مراقبة العائدات والمصروفات العامة ، وكان ينوب عن خزينة الدولة في كل ولاية .

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه، مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add. 24080 ق ٢٢٧ ب ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج٢ ، ص ٦٩٠ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ - ٦٩٥ ،

A.V.Jackson : History of India, Vol,VIII, p.186

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٥ ،
عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٤ .

ترك مير جعفر الخزانة خالية ، ولما نصب الانجليز مير قاسم مكانه، تحير الأخير فيما يصنعه ، إذ كان قد وعد الجند وأنصاره وجند الإنجليز وأعيانهم بالذهب والأموال الطائلة ، فاضطر أن يتنازل للإنجليز عن ضلعة (*) بردوان، كما وضع عندهم بعضا من المجوهرات رهنا إلى أن يسدد قروضهم ، وكان مير قاسم بحكم نشأته في بيوت حكام بنغال وبحكم إشرافه على الشئون المالية ، كان يعرف الذين بحوزتهم ذهب ومجوهرات ، فأخذ يستولي على هذه المجوهرات ليعوض بذلك خزانته الخالية التي ورثها من مير جعفر [1]، وطبيعي أن يكون لمثل هذا الإجراء عواقبه الوخيمة ، إذ سيجعل أصحاب هذه الأموال وهم في الغالب من أعيان البلد وأثريائها يجعلهم يخاصمون الحاكم ويتمنون زواله ، أو لايتحمسون في الدفاع عنه أثناء الخطر على أقل تقدير .

في هذه الفترة لم تكن فروع شركة الهند الإنجليزية في بنغال تابعة لمركز واحد ، بل كان مدير كل فرع مستقلا بأعماله ، ولذلك كان ونسترت خليفة كلايف أحد ممثليها ، ولم يكن كل المديرين على اتفاق معه في تنصيب مير قاسم، لأنه على الرغم من وعوده لم يكن قادرا على إرضائهم جميعا ، ولم يكن مدينا بمركزه إلا لونسترت فعليه إرضاؤه وهو يتولى الدفاع عنه ، بيد أن هؤلاء المديرين كانوا يتفقون متى كان خصمهم هنديا ، وقد طلبوا جميعا إعفاء الشركة من الضرائب ولكن مير قاسم رفض تلبية طلبهم [2]، وكان أداؤه أقل

(*) الضلعة : اسم لاحدى التقسيمات الإدارية ، حيث كانت الصوبة أو الولاية تنقسم إلى عدد من الضلاع .

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٩٧ .

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ ، V.D.Mahajan: India since 1526, Part.II, p.39

بكثير عما وعد به ، حيث أن النزاعات ازدادت شراسة ولم يتم القيام بأي شيء لعلاج سوء التنظيم الذي ظل ينخر في الإدارة والحكم ويفرغ الخزينة من مواردها ، وكذلك ظل الدخل من الأراضي يتناقص باستمرار(١)، وأثناء وجود ونسترت في ضيافة مير قاسم في جمادي الأولى عام ١١٧٦هـ / نوفمبر ١٧٦٢م ذكر النواب لضيفه بأن الكثير من التجار يستغلون اسم الإنجليز للتهرب من دفع الضرائب ، وفي ذلك يحصل الإنجليز على بعض الفوائد ولكنها تكون مقابل خسارته الكبيرة بسبب قطع الموارد المالية عن خزينته ، فاقترح له أن تكون الشركة معفاة من دفع الضرائب ، ولكن يقوم التجار الإنجليز الآخرون بدفع الضرائب ، ووعد ونسترت بدراسة الموضوع بعد عودته إلى كلكته وطلب من النواب أن لايستعجل في الأمر ، واطمأن مير قاسم على هذا الوعد وأصبح جازما في أخذ الضرائب من التجار (*) الإنجليز ، وأصدر إلى عماله تعميما يطلب فيه منهم بأن يستعدوا لهذا الأمر ، إلا أن بعض عماله بدأوا فورا بتنفيذه ، فرفض الإنجليز الامتثال به وبدأوا باعتقال عدد من عمال النواب وإيداعهم السجن ومحاكمتهم ومعاقبتهم في كلكته (٢)بتهمة مطالبتهم دفع الضرائب ، وغضب مير قاسم من جانبه عند سماع هذه الأنباء ، فصمم على محاربة الإنجليز وطلب من

(*) التجار الإنجليز: كان هناك جماعة من التجار الإنجليز يزاولون التجارة خارج نطاق الشركة وقد سموا بالتجار الأحرار أو التجار المتطفلين Interlopers

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.186

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧١٦ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II, pp.41-42
Hameeda Hossain: The Company Wears of Bengal, p.7.

عماله أن يقوموا برد فعل مماثل وأن يعتقلوا أي إنجليزي يقع بأيديهم ويضعوه في السجن ، فاعتقل وسجن جماعة من الإنجليز ، وفي نفس الوقت أرسل مير قاسم مبعوثه إلى السلطان شاه عالم الثاني ووزيره شجاع الدولة في أقليم أوده المجاور ، طالبا إياهما بتكوين حلف ضد الإنجليز ، وأن يقوما بمساعدته إذا قامت الحرب بينه وبينهم (١).

بعد توتر العلاقات بين مير قاسم والإنجليز ، أخذ أعضاء مجلس الشركة في كلكته يلومون هنري ونسترت بسبب تأييده لمير قاسم وتعيينه حاكما على بنغال وطرد مير جعفر الوفي من هذا المنصب ، فاضطر ونسترت أن يكتب إلى مير قاسم يطلب منه إعفاء الإنجليز من دفع الضرائب وإطلاق سراح المعتقلين الإنجليز لديه ، ورد مير قاسم إليه قائلا: " إنه أصدر أمره بإعفاء جميع التجار من دفع الضرائب لأن التجار الآخرين يتوسلون بالإنجليز ويهربون أموالهم باسمهم وبذلك يكون إعفاء الإنجليز من دفع الرسوم الجمركية إعفاء الكثيرين من التجار إلا القليل من صغار التجار الذين لايقدرون على التوسل بالإنجليز ، فلا داعي للإجحاف بحق هؤلاء المساكين مادام يتهرب كبار التجار من دفع الضرائب باستخدام الحيل المختلفة " وفيما يتعلق بالمعتقلين ، ذكر مير قاسم في رده أن الإنجليز هم الذين بدأوا باعتقال بعض عماله ونقلهم إلى سجون كلكته ، فعليهم أن يطلقوا سراح هؤلاء أولا ، وفور وصولهم إليه ، سيقوم هو بإطلاق سراح المعتقلين الإنجليز (٢) .

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج٢ ، ص ٧١٨ - ٧١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧١٩ - ٧٢٠ .

لم يكتف الإنجليز بالطلبات المذكورة التي رفضت من قبل مير قاسم بل طالبوه أيضا بدفع مبلغ [1] عشرين لك (*) روبيه ، فرد عليهم مير قاسم قائلا:

" إنني أتعجب من أن تطالبونني بدفع عشرين لك روبيه دون وجه حق ، ولقد كنت قبلت أن أدفع إلى ونسترت وبعض المدراء الآخرين ، ولكنهم رفضوا قبول المبلغ في ذلك الوقت ، وبدلا عن ذلك رضوا أن أتنازل للشركة عن بردوان وثلاث محلات أخرى ، وقالوا إنه بعد تسلم بردوان وغيرها ، لن نطالبك بدينار ولا درهم ، ولقد عملت بكامل ما تعهدت ، وإضافة إلى ذلك دفعت للشركة مبلغا قدره خمسمائة ألف روبيه مراعاة لخاطر شمس الدولة ونسترت حتى يتأكد من صداقتي ومصداقيتي ، وبعد كل هذا كيف تطالبونني بدفع ذلك المبلغ ، علما بأنني لم أستقرض منكم شيئا وليس لكم على روبيه واحدة ولن أدفع لكم شيئا ولن أقبل هذه السنة السيئة ، وهي ما تعملون به من نقض العهود وانتهاك لما اتفق " (٢).

وهذا الرد يشير إلى سذاجة النواب وعدم تعرفه بالطبيعة الإنجليزية المخادعة ، حيث كان ينتظر منهم أن يكونوا أصدقاءه الحقيقيين وأن يلتزموا بما يعدون ويتعهدون . وعندما تلقى الإنجليز في كلكته رد مير قاسم بشأن الضرائب وقضية المعتقلين ، اعتبروا ذلك - خاصة إعفاء جميع التجار من الضرائب - إهانة للإنجليز واستخفافا بهم ، وقالوا: " إنه يريد أن يساوي

(*) لك : يساوي مائة ألف ، وعشرون لكا = مليونان .

(١) K.K.Datta. : F.W.I.H.Correspondence, Vol. III (1760-1763), p.223.

(٢) Official Letters ، مخطوط فارسى فى I.O.L. تحت رقم ETHE 481 ق ٩ ب - ق ٢ ب

بيننا وبين سائر التجار ، ومعنى هذا أنه تولى عن صداقتنا ، فإذا كان غير ذلك فعليه أن يثبت ذلك بإعفاء التجار الإنجليز وحدهم من الضرائب " (١)، وقرروا إرسال وفد للتباحث معه ، فإذا رضي بما يرضى به الإنجليز فهو المقصود وإلا فلن يكون بينهم وبينه حوار ومصالحة ، وقبل وصول الوفد كتب ونسترت إلى مير قاسم يؤكد أنه على وعده معه وأنه لا طاقة له على أعضاء المجلس الذين يلومونه فيما حدث ، فعليه أن يجامل مع الوفد وأن يقوم بترضيتهم وتلبية طلباتهم حتى تهدأ الأوضاع ، واستشار مير قاسم قائده گرگين خان الذي أشاره برد مطالب الإنجليز حفاظا على هيبته وحدا لتصرفات الإنجليز اللامسئولة واستهتارهم (٢)، وكان ونسترت قد ذكر في رسالته إلى مير قاسم بأنه يوجد بين أعوان النواب من يريد إضرار الصداقة الموجودة بين الجانبين فعليه أن يبحث عن مثل هؤلاء الأشخاص ويعاقبهم ، فرد عليه النواب برسالة قال فيها :

" سيدي ، أرجو أن تهتموا بكل دقة إلى مايذكره الحقير ، وهو أنني منذ أن عقدت معكم العهد وتحملت المسئولية ، لم أسمع أن أحدا قد تعرض إلى أعوانكم أو ضباطكم أو جنودكم أو سفنكم أو البضائع المتعلقة بكم ، ولم أقم إطلاقا بإرسال أحد إلى المحلات التي خصت للشركة بل رفعت يدي عنها كاملة ولم أشر إليها في أية رسالة ، فمن هنا تلاحظون أنه لم يتبادر مني مايخالف مقتضيات

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٢٠ ،

K.K.Datta : F.W.I.H. Correspondence, Vol.III (1760-1763), p.505,

Philip Mason : The Men who Ruled India, p.39

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٢٠ .

صداقتنا والتزاماتنا ، ولايوجد في مجلس هذا الحقير أي شخص يعمل لتدمير صداقتنا ، وعلى العكس من ذلك نرى أن أعوانكم قد عقدوا العزم في تدمير ملكي فينهبون الرعايا ويستخفون برجالي ، ويعملون لإذلالي في كل مكان ، ويستمرون في إحداث عشرات الفروع والمستوطنات الجديدة في كل بلدة وقرية ، وهؤلاء الإنجليز لايعيرون أي اهتمام إلى سلطات الولاية ، بل لايلتزمون بما تفضلتم وكتبتم بخصوص تفتيش السفن وفيها توقيعكم وختمكم ، ولا يتقيدون بأي شيء، ويتبايعون بالأفيون في مراكزهم ، ويستولون على أموال الرعايا بالقوة، ويشترون بأبخس الأثمان ويبيعون بأضعاف مايشترون دون أن يكون لصاحب المال خيار في تعيين السعر الذي تستحقه سلعته ، وحتى الآن وصل عدد المستوطنات الجديدة في الأراضي الخاضعة لي إلى حوالي أربعمائة مستوطنة وسكان هذه المستوطنات يعبثون بأمن البلاد ويسعون إلى الفساد ، ولايسمحون لعمالي ليقوموا بواجباتهم في استحصال الضرائب والعوائد ومن هنا لقد تحملت خزينتي خسارة سنوية بلغت خمسة وعشرين لكا من الروبيات ، فكيف يتمكن هذا الحقير من إدارة شئون الحكم ، ومن أين سيدفع المستحقات السلطانية ورواتب الجند ، فكل ما أطالبه أن لايتدخل الإنجليز في الأراضي التي أصبحت خاضعة لي باهتمامكم كما لم ولن أتدخل في المحلات التي تنازلت عنها لصالح الشركة ، فلماذا يحاول زعماء الإنجليز وعامتهم أن يستخفوا بي ، أرجو أن تعالجوا الأمر دون أي تساهل لأن في استمرارية هذا الوضع خسارة الحقير الكاملة " (١).

وهكذا أصبحت الفوضى مسيطرة في بنغال نتيجة جشع الإنجليز واستهتارهم إلى سلطات الولاية ونهبهم أموالها وهكذا أصبح حاكم بنغال المسلم في حالة يرثي لها

---

(١) Official Letters ق ٥ أ - ق ٦ أ.

بعد أن رضي بسذاجته أن يكون متواطئا ومتحالفا مع الإنجليز للوصول إلى كرسي الحكم ، وقيد نفسه في أُغلال خبثهم ومكرهم ، ومع كل هذا لم يرضخ مير قاسم للإنجليز أكثر من ذلك ، وبدأ يفكر جديا بإيحاء من قائده الشجاع في مقارعة الإنجليز وإنقاذ نفسه وبلاده من براثنهم ، وقبل وصول الوفد الإنجليزي المشار إليه إلى عاصمته أرسل جماعة من أعوانه ليلتقوا بالوفد في الطريق ويستطلعوا ماينوون عمله والتحدث فيه ، وكلف هؤلاء أن يخبروه بكل مايستطلعونه أولا بأول عن طريق البريد (*)، ولكن الإنجليز رفضوا الإفصاح عن أي شيء وأكدوا أنهم لن يصرحوا بأي شيء إلا في حضور مير قاسم والتحدث معه مباشرة (١).

في غرة شهر ذي القعدة سنة ١١٧٦هـ / مايو ١٧٦٣م وصل الوفد الإنجليزي إلى مونگير (**) Monghyr مقر مير قاسم ، ونزلوا في المكان الذي أعد لإقامتهم ،ولقد تكرر اللقاء بينهم وبين النواب لعدة مرات دون إحراز أي تقدم أو توافق ، وكان الحراس والبوابون يستخفون بالإنجليز أثناء مجيئهم إلى مكان الاجتماعات ، وكان الوفد يرى أن هذه الإهانات تتم بإيحاء من النواب،وفي أثناء المحادثات أتت سفينة من كلكته متجهة إلى عظيم آباد ، وكانت السفينة

(*) يذكر طباطبائي أنه كان من ضمن هذه الجماعة ، إذ كان مير قاسم يرى بأن الإنجليز سوف يفصحون إليه مايبطنونه بسبب العلاقات التي كانت تربطه بالإنجليز .

(**) لقد نقل مير قاسم عاصمة حكمه من مرشد آباد Murshidabad إلى مونگير Monghyr حيث هذه الأخيرة أبعد من كلكته وأقرب إلى أوده Oudh وذلك في إطار الاستعدادات للمواجهة التي كانت تبدو حتمية بينه وبين الإنجليز .

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ .

تحمل في الظاهر بعض البضائع المعتادة ، ولكن بعد تفتيشها من قبل رجال النواب وجد أن الإنجليز خبئوا تحت هذه البضائع خمسمائة بندقية ، ورفض كَركَين خان قائد مير قاسم أن تتابع السفينة مسيرها إلى عظيم آباد ، مما تسبب في ازدياد جو التوتر السائد في المباحثات التي انتهت بالفشل نتيجة رد كَركَين خان الحاسم لمطالب الإنجليز ، على الرغم من أن بعض مستشاري مير قاسم كانوا يحبذون اللين واستمرارية الصداقة بين الجانبين ، فغادر الوفد إلى كلكته وبدأت أجواء الحرب تخيم على علاقات الجانبين (١)، وفعلا بادر الإنجليز بالهجوم حيث هاجموا قلعة عظيم آباد (*) بطريقة مباغتة ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها وقاموا بأعمال النهب والسلب في المدينة ، إلا أن قوات مير قاسم أعادت تنظيم نفسها بعد أن فوجئت بالهجوم كما تلقت قوات مساعدة جديدة من مونكَير ، فهاجموا القوات الإنجليزية وتمكنوا من دحرها وأسر قائدها اليس Ellis وكثير من ضباطها وجنودها ، واستردوا القلعة ، كما استولوا على أحد المراكز الإنجليزية المعروفة في قاسم بازار (٢)، وأصدر مير قاسم

(*) عظيم آباد : هي مدينة پتنه Patna عاصمة ولاية بهار ، وقد سميت بعظيم آباد نسبة إلى الأمير عظيم الشأن الذي كان قد تولى حكم بنغال وبهار قبل مرشد قلي خان .

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ،

A.V.jackson : History of India, Vol.VIII, p.187

V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II, p.42

K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.32

تعميما إلى جميع عماله يصرح فيه قائلا " انه نبذ صداقة الإنجليز ومصالحتهم بعد هجومهم على عظيم آباد ، وأنه يقف معهم في حالة حرب ، فعليهم أن يقضوا على أي إنجليزي يقع بأيديهم "[1] فقتل نتيجة لذلك اميت (*) Amyatt رئيس الوفد الإنجليزي وسائر أعضاء الوفد المرافق له ، الذين كانوا في طريق العودة إلى كلكته ، بعد أن أشاروا إلى قواتهم في عظيم آباد بذلك الهجوم المباغت ، وكان من سوء طالعهم أنهم كانوا في مرشد آباد إذ وصل مرسوم مير قاسم القاضي بقتل الإنجليز أينما وجدوا ، فوقعوا بأيدي قوات النواب وقتلوا جميعا في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١١٧٦هـ / يونيو ١٧٦٣م [2].

في الحقيقة لايلام مير قاسم لإصدار مرسومه بقتل الإنجليز ، لأن المحاولات السلمية وحتى المراسلات التي تتحدث عن التماساته المتكررة من المسئولين الإنجليز بصيغ تستصغر مير قاسم أمام الإنجليز وتستضعفه ، لم تفد في شيء، ولم توقف انتهاكات الإنجليز واعتداءاتهم على البلاد والعباد فحسب ، بل استمر زعماؤهم في المكر والخداع وتشجيع أتباعهم بالعبث بأمن البلاد، وهو ما رأيناه

(*) هو پيتر اميت Peter Amyatt أحد أعضاء مجلس كلكته من ١١٦٩ هـ / ١٧٥٦م الى ١١٧٦ هـ / ١٧٦٣م .

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٢٧ ،

محمود فهمي المهندس: البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ، ج ٤ ، ط١، القاهرة، المطبعة الكبرى الاميرية ١٣١٣هـ، ص ١٩٣.

مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسيرتاريخ ط٢، قم ،پيام مهاجر، ١٣٥٩هـ ش ص ٤١٧ــ ٤١٨ .

في إخفاء الأسلحة في سفينة البضائع المتجهة إلى عظيم آباد التي هوجمت من قبل القوات الإنجليزية فور انتهاء المحادثات الفاشلة بين الجانبين ، فأباح مير قاسم ضد الإنجليز في حالة الحرب ، ما أباحه الإنجليز واستمروا فيه ضد النواب ورعاياه في حالة السلم .

على أية حال ، لقد أذهلت هذه الأنباء الإنجليز في كلكته وجن جنونهم وبدأ الجميع يعاتبون هنري ونسترت ويشتمونه ويتهمونه بالتقصير في مهماته وتأييده لمير قاسم نوابا لبنغال ، واتفقوا أخيرا بإعادة مير جعفر حاكما على بنغال وتكليفه بمحاربة مير قاسم بمساعدة ومرافقة من الجيش الإنجليزي وذلك في محرم ١١٧٧هـ / يوليو ١٧٦٣م ، وقبل مير جعفر هذا التكليف والتنصيب فغادر كلكته متوجها إلى قتال صهره مير قاسم (١).

كانت الخصومة والحسد يسود العلاقات الموجودة بين قوات مير قاسم التي كانت تستعد لمواجهة الهجوم الإنجليزي على مرشد آباد ، ولم تلتزم معظم القوات بما خططه قائدهم محمد تقي خان ، الذي التقي مع القوات الإنجليزية المهاجمة في مرشد آباد ببسالة نادرة ، لقد أصيب بعدة إصابات كما أصيب في صدره ومع هذا أخفى موضع الإصابة حفاظا على معنويات قواته التي ردت القوات المهاجمة إلى الوراء ، إلا أنه كان انسحابا إنجليزيا تكتيكيا حيث وجد محمد تقي بعد حين نفسه محاصرا بين نيران الإنجليز المكثفة ، كما كان الإنجليز قد أبقوا على بعض المجموعات من قواتهم في مخابيء أثناء انسحابهم وإدبارهم أمام قوات النواب ، وبعد أن تم الحصار ظهرت هذه المجموعات

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج٢ ، ص ٧٢٨ - ٧٢٩ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II,p.43

وطوقت قوات محمد تقي الذي رفض الاستسلام واستمر في قتاله إلى أن قتل إثر إصابته في جبينه بعد أن قتل معظم قواته ، وحدث هذا في الوقت الذي كان القسم الأكبر من قوات مير قاسم يتفرجون بسبب ما كان قوادها يحسدون شجاعة محمد تقي وسمعته ومهاراته ، ويتمنون هزيمته ، ولكن بعد أن قتل ولوا هاربين ولذلك سقطت مرشد آباد بيد القوات الإنجليزية المرافقة لمير جعفر في الثاني عشر من المحرم سنة ١١٧٧ هـ / يوليو ١٧٦٣ م (١).

بعد اطلاع مير قاسم على مقتل قائده الوفي وسقوط مرشد آباد ، أرسل قوات جديدة لمحاربة الإنجليز ، حيث التقى الجانبان في ميدان سوتي في يوم الثلاثاء ٢١ محرم سنة ١١٧٧هـ / يوليو ١٧٦٣م ، ولم تكن قوات الإنجليز تزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل ، في حين كان يبلغ عدد قوات النواب في حدود عشرين ألف مقاتل بين خيالة ومشاة ، ومع هذا كان النصر في النهاية حليفا للإنجليز بسبب كثافة نيران مدافعهم وبنادقهم ، وبسبب حسن تنظيمهم وتدريبهم ، وبسماع أنباء الهزيمة ترك مير قاسم قلعة مونگير مقر حكمه وانسحب إلى منطقة جبلية مليئة بالأشجار الشائكة ، وتعقب الإنجليز النواب ، وتمكنوا من كشف الطريق المؤدي إلى مواقع قواته ومخابئهم بمساعدة وخيانة أحد أعوانه الذي أرشد الإنجليز الطريق ، فباغتوا النواب الذي كانت قواته في غفلة من أمرها بظن أن العدو لن يجد الطريق للوصول إلى مواقعهم الجبلية المحصنة ، وقتل وجرح الكثير من هذه القوات المغفلة في يوم الاثنين ٢٦ من صفر عام ١١٧٧هـ / سبتمبر ١٧٦٣ م ، واضطر مير قاسم للعودة إلى مونگير ومن هناك توجه إلى عظيم آباد وأمر في ساعة الغضب واليأس بقتل السجناء الإنجليز ، وفي هذه الأثناء سلم

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٣٠ - ٧٣١ .

حارس قلعة مونگير القلعة إلى الإنجليز مقابل مبالغ تسلمها منهم ، ثم توجهت القوات الإنجليزية إلى عظيم آباد لمطاردة مير قاسم ومحاربته ، وتقابل الطرفان مرة أخرى على مقربة من عظيم آباد ، إلا أن الإنجليز تمكنوا من دخول المدينة التي غادرها النواب إلي ولاية أوده على أمل تجميع قواته والحصول على مساعدة من السلطان ووزيره شجاع الدولة حاكم أوده (١).

هكذا أحكمت الشركة الإنجليزية قبضتها في بنغال التي بدأت معاركها الفاصلة في إطار الصراع الاستعماري بين فرنسا وإنجلترا ، وقد أشرنا أن حروب بنغال بدأت بعد أن أخذت الشركة الإنجليزية تحصن مراكزها استعدادا لجولات جديدة من المعارك بينها وبين الشركة الفرنسية ، امتدادا لحرب السنين السبع التي بدأت في أوربا (١١٦٩ هـ - ١١٧٧ هـ / ١٧٥٦ م - ١٧٦٣ م) وامتدت إلى ميادينها المتعددة برا وبحرا ومنها الميدان الهندي ، ولقد رأينا أن الإنجليز قضوا على الوجود الفرنسي في بنغال ، في بدايات هذه الحرب ، ليركزوا بعد ذلك القضاء على الوجود الفرنسي العسكري في دكن أيضا .

في ربيع الثاني ١١٧٠هـ / نهاية عام ١٧٥٦م وصلت إلى الهند أنباء مفادها أن الحرب قد اندلعت في أوربا ، فاستبدلت المناوشات غير المباشرة والتهديدات التي ظلت تقوم بها الشركتان في كارناتك Karnatic بحروب

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٣٢ ، ٧٣٩ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٦١ - ٦٦٢ ،
A.V.Jackson .:History of India, Vol.VIII, p.187
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.32-33

رسمية ، وبما أن معظم القوات الإنجليزية كانت قد أرسلت إلى بنغال مع كلايف ، وبما أن الفرنسيين كانوا ينتظرون وصول إمدادات عسكرية قوية ، لم تحدث مصادمات فورية في ساحل كرومندل Coromandel إلا أن الحكومة الفرنسية التي قررت مهاجمة الممتلكات الإنجليزية في الشرق ، وضعت خطة عملياتها على مبدأ الحملة العسكرية المنتظمة ، وعهد الفرنسيون إلى كونت دو لالي Count de Lally بقيادة قوة مسلحة قوية قوامها ثلاثة آلاف مقاتل لتوجيه الضربة المهمة على الوجود الإنجليزي في الهند ، وأمروه بالكف عن محاولة التوغل داخل البلاد تحاشيا للمشاركة في نزاعات الأمراء المحليين ، وطلبوا منه أيضا أن يركز جهوده في السيطرة على المراكز الإنجليزية التجارية في الساحل والقضاء على نشاطها التجاري ، أي أنهم حذروه من العودة إلى نظام كل من دوبلكس Dupleix وبوسي Bussy (1)، ونظرا إلى مواجهة صعاب كثيرة في الطريق ، لم تستطع القوات الفرنسية الوصول إلى الساحل الهندي قبل شعبان ١١٧١هـ / مايو عام ١٧٥٨م وفي ذلك الوقت كان الأسطول الإنجليزي قد عاد من بنغال حاملا الإمدادات والثروات الضخمة التي نهبها الإنجليز من تلك الولاية الثرية .

كان بوسي قد تمكن من تثبيت قدميه في إمارة نظام حيدر آباد بالدكن ، وعندما وصلته رسالة من لالي الذي طلب منه فيها التوجه فورا إلى بونديشيري Pondicherry كان بوسي قد أحبط للتو محاولة للإطاحة به بمؤامرة من المرهته

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, pp.136-137
R .Mukherjee: The Rise and Fall of the East India Company, p.117
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٦ .

وسيد محمد خان صلابت جنك حاكم حيدر آباد والإنجليز الذين أدلوا بدلوهم فيها أيضا ، ولقد أصبح بوسي الآن في مشكلة عويصة ، حيث أنه إذا أطاع الأوامر وأخلى حيدر آباد فان المجال سيكون مفتوحا لأعدائه هناك ، أما إذا قرر البقاء في حيدر آباد ، فانه لن يتحمل عواقب مخالفة الأوامر فحسب بل أن سقوط لالي في الساحل سيؤدي إن آجلا أو عاجلا إلى الحاق الدمار بالجانب الفرنسي في حيدر آباد ، فأطاع بوسي الأمر بعد أن تردد كثيرا وأبدى الاعتراض والامتعاض على هذا الإجراء ، حيث كان يرى أنه إذا بقي في حيدر آباد وزود الجيش الفرنسي بالمؤن المجلوبة من موارد دكن ، فان ذلك سيخدم لالي أكثر من انضمامه إلى لالي بإمداد عسكري صغير لتعزيز الجبهة الساحلية (١).

كان لالي حاكم عام الشركة الفرنسية رجلا شجاعا ، ولكنه في نفس الوقت كان رجلا قاسيا يجهل جهلا مطبقا أمور الهند وينظر إلى معتقدات الهندوكيين وعواطفهم نظرة ازدراء واحتقار ، وكان يلقبهم بالصعاليك السود ، ولقد استدعى بوسي إليه بحجة أن فرنسا لايهمها كثيرا أن ينازع الابن الأصغر أخاه الأكبر السيادة على دكن ، فلما أيقن نواب حيدر آباد أن الفرنسيين سيتخلون عنه طلب حماية الإنجليز الذين انصرفوا إلى مشاغلهم في أماكن أخرى ، فغلب النواب على أمره أمام المرهته ، وبذلك فقدت فرنسا أهم أنصارها في هذه الفترة الحاسمة (٢).

---

(١) A.V.Jackson.: History of India, Vol.VIII, pp. 137-138

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٤ .

(٢) مونسييه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ ،

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٦ ،

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٤ .

على آية حال لقد بدأت حرب كارناتك الثالثة بين الفرنسيين والإنجليز على أشدها ، وكان الحظ حليف الفرنسيين بادئ ذي بدء حيث انتزعوا قلعة سنت ديفيد St.David من أيدي الإنجليز في ٢٦ من شهر رمضان عام ١١٧١ هـ / الثامن من يونيو عام ١٧٥٨م ، وأحرز لالي تقدما مهما وحاصر مدراس في ربيع الثاني ١١٧٢هـ / ديسمبر ١٧٥٨م ولكن قسوته وتشدده أثار جميع من كان دوبلكس قد جعلهم قبل عدة سنوات متحالفين مع الفرنسيين ، ومن جهة أخرى لم يتلق لالي مساعدات جديدة وتقلصت قواته إلى ٧٠٠ جندي في حين قام الإنجليز بأكثر من عشرين ألف جندي و ١٤ سفينة حربية بضرب الحصار على ميناء پونديشيري ، وذلك في جمادي الأولى ١١٧٢ هـ / يناير ١٧٥٩م ، الأمر الذي أدخل الرعب في قلوب ماتبقى من أفراد جيش لالي مما أدى إلى رفع الحصار عن مدراس ، وإلحاق الضرر البليغ بسمعة فرنسا وسط الأمراء المحليين الذين ظلوا يشاهدون القتال والتنافس (١).

في فترة الاثنى عشر شهرا التي أعقبت ذلك ، ازداد وضع لالي Lally سوءا بسرعة فائقة ، لقد نفدت كل الذخيرة التي كانت بحوزته وكذلك النقود، وكل البلاد المحيطة به لن تستطيع مده بالمؤن ، لقد عاد الأدميرال دوآش D'Ache بسفنه من مورشيوس وأحضر كميات قليلة من المؤن إلى پونديشيري واختفى بعد ذلك نهائيا تاركا الهند الفرنسية تواجه قدرها المحتوم ، حيث فرضت القوات الإنجليزية نفسها على حساب القواعد العسكرية الفرنسية ، واستولى الإنجليز

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII,p.144

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٦ ،

موسنييه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ .

بالقوه على حصن فانديواش Vandewash ، واستمر الجيشان في التناور ضد بعضهما البعض في منطقة كارناتك لعدة أشهر ، لكن لالي الذي تجاهل نصيحة بوسي ، أصر على استعادة فانديواش حيث هاجمه من هنالك القائد الإنجليزي ايركوت Eyre Coote .

لقد خاض الجيشان الأوربيان المعركة ببسالة استخدمت فيها مختلف أنواع الأسلحة من الحراب إلى المدافع ، لقد كان هناك هجوم عنيف وهجوم مضاد من الطرف الآخر ، كما وقعت معركة بحرية كبيرة بين الجانبين تمكن الإنجليز خلالها من القضاء على السفن الفرنسية تدميرا وحرقا وغرقا ، ودب عدم النظام في صفوف الفرنسيين الذين لحقت بهم الهزيمة في نهاية المطاف ، حيث أمطر الإنجليز الفرنسيين بوابل من القذائف المدفعية الملتهبة ، وأشعلوا النيران في عرباتهم التي تنقل الجنود ، وتمكنوا من أسر كبار الفرنسيين مع جمع من فرسانهم ، كما وقع القائد الفرنسي بوسي في أسرهم وحاول لالي المعروف ببسالته عبثا أن يقود بنفسه هجوما مفاجئا بقوات الفرسان ، إلا أن الفرنسيين لم يتمكنوا من ذلك في مواجهة المدفعية الإنجليزية المتفوقة عليهم ، فاضطر لالي إلى حشد وتجميع صفوف جنده المنهكة خلف الخنادق المحيطة بالمعسكر وتراجع إلى پونديشيري في جمادي الأولي ١١٧٣ هـ / الموافق ليناير ١٧٦٠م (١).

هكذا مني الفرنسيون بهزيمة قاتلة ، حيث لم يعد في مقدورهم الاحتفاظ

---

(١) علي إبراهيم خان : گلزار ، ق ٣٢ أ - ق ٣٢ ب ،
A.V.Jackson:History of India, Vol.VIII,pp. 145-146
هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ص ٤١٦ ؛
S.P.Sen: The French in India (1763 - 1816)p.31

بالأراضي المفتوحة لاسيما وأنهم فقدوا الأماكن التي لهم فيها وجود عسكري قوي واستمر الإنجليز في الاستيلاء التدريجي لكل المناطق التي كان الفرنسيون يجلبون منها المؤن . كذلك لم يتمكن الأسطول الفرنسي من العودة للساحل، الأمر الذي مكن الأسطول الإنجليزي من السيطرة بقوة على البحر ، كما وصلت إلى الهند تعزيزات جديدة للقوات الإنجليزية ، ولم تقدر الحكومة الفرنسية بسبب انشغالها في معاركها الأوربية وتفوق البحرية الإنجليزية ، لم تقدر أن تسعف الوجود الفرنسي في الهند ، فلم يتمكن الفرنسيون من عمل شيء ما ، غير إبداء مقاومة ضعيفة ، وطوقهم الإنجليز تطويقا تاما بحرا وبرا [1]، وكان الفرنسيون يأملون في أن يستعيدوا الموقف بالتحالف مع حيدر على الذي كنان حينئذ يمسك مقاليد الأمور في ميسور Mysore القريبة من هذه المشاهد، ولكنهم لم يستطيعوا أن يقرروا خطة موحدة منسقة ، والكتيبة التي أرسلها حيدر على لمساعدة الفرنسيين عادت إلى ميسور دون أن تشترك في أية معركة ، وضاقت الساحة على الفرنسيين إلى درجة أنهم أصبحوا شبه جائعين حيث قطعت عنهم الأرزاق ، فاضطروا أخيرا للاستسلام دون قيد أو شرط في جمادي الثانية ١١٧٤ هـ / السادس عشر من يناير عام ١٧٦١ م وبسقوط پوند يشيري وتدمير استحكاماتها ومعالمها ، يمكن أن نؤرخ النهاية الشاملة والكاملة للصراع المسلح بين فرنسا وإنجلترا في الهند [2]،وكل الذي بقي لفرنسا في هذا

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, p.146

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٢ .

(٢) R. Mukherjee: The Rise and Fall of the East India Company, p. 132

A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, p.147

ماتيو اندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٤١ ،

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٥ .

الجزء من العالم هو أسفهم على الأموال الضخمة التي صرفوها في أكثر من أربعين عاما من أجل المحافظة على شركة تفتقر إلى البراعة في كل من الحرب والتجارة ولم تتمكن من تحقيق أرباح تذكر أو دفع إيرادات حقيقية ، سواء للمساهمين فيها أو الدائنين لها ، إلى أن تمت تصفيتها في ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م بعد أن أثبت فحص الحسابات رسميا ، بأن شركة الهند الشرقية الفرنسية قد خسرت في الفترة (١١٣٧ هـ - ١١٨٢ هـ / ١٧٢٥ م - ١٧٦٩ م) رأسمال قدره مائة وتسعة وستون مليون فرنك (١).

وهكذا خسرت فرنسا الهند في حرب السنين السبع ، كما خسرت كندا وفقدت مكانتها العسكرية بعد أن ألحق بها تحالف إنجلترا مع بروسيا هزيمة منكرة (٢). ولقد انتهت هذه الحرب بتوقيع معاهدة سلام باريس في ٢٧ رجب ١١٧٦هـ / العاشر من فبراير عام ١٧٦٣م وبموجبها استعاد الفرنسيون كل الأماكن التي كانت تابعة لأملاكهم قبل دخول دوبلكس Dupleix في مشاريعه المتعلقة بالتوسع في الأراضي،شريطة أن لايقوموا بأي تحصين لتلك المناطق وأن لايحتفظوا بأي قوات في بنغال حيث أبعدت فرنسا بصفة دائمة عن شمال الهند ، وتنازل لويس الخامس عشر Louis XV عن أي مطالبة سياسية في الهند ، وفي هذا الإطار ردت إلى الفرنسيين المدن الخمس وهي : بونديشيري Pondicherry وشاندرناكور Chandernagar وكاري كال Karikal ويانايون وماهي Mahe, وبعد ذلك مع أن مراكز الفرنسيين أصبحت تجارية بحتة ، إلا أن نفوذهم الأدبي

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.147

(٢) أ.ج. جرانت وزميله : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ،ج١، القاهرة مؤسسة سجل العرب ، بدون تاريخ ، ص ٣٩ .

ظل قائما في دكن حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري / نهاية القرن الثامن عشر الميلادي يوم أن استولى عليها الإنجليز (١).

لقد خرجت إنجلترا من حرب السنوات السبع ، أولى الدول الاستعمارية ، بسبب انتصاراتها في عرض البحار ، وتعتبر معاهدة باريس المذكورة نقطة تحول في التاريخ العام ، لأنها كانت البداية لتحول إنجلترا إلى قوة عالمية مستعمرة (٢)، وبالنسبة إلى الهند ، فقد أضحت إنجلترا منذ ذلك الوقت القوة التي بدأت تتحكم فيها دون منازع ، وبدأت من ذلك الوقت في بسط نفوذها في شبه القاره الهندية على حساب القوى المحلية (٣).

لقد ذكر المؤرخون في معرض حديثهم عن فشل فرنسا وانتصار الإنجليز، أسبابا كثيرة لذلك الفشل وهذا الانتصار ، وقالوا إن النجاح التجاري أو العسكري في الهند كان يتطلب إقامة قواعد لدعم العمليات العسكرية على الساحل والاحتفاظ بقوة بحرية تتمكن من جعل قنوات الاتصال مفتوحة مع أوربا ، لقد كسب الإنجليز السيادة والتفوق في البحر ، بينما فقد الفرنسيون نفوذهم المألوف في البر .

---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢١ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٢ ،
ل. ج. شيني : تاريخ العالم الغربي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، بدون تاريخ ص ٣٦٦ .
هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ص ٤١٦ - ٤١٧ ،
عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر ، القاهرة دار الكتاب الجامعي ، بدون تاريخ ص ١٤٨ .

(٢) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢١ ،
عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، ص ١٤٦ .

(٣) شكري وزميله : أوربا في العصور الحديثة ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

إن الأسباب الحقيقية لفشل الفرنسيين لايمكن أن تعزي بسوء الحظ أو عـــدم المقدرة لبعض الأفراد ، لأن مثل هذه الأسباب كانت ممكنة العلاج ، بل يمكــن أن تعزي إلى مجموعة الظروف التي وقفت ضد فرنسا في تنافسها الاستعماري مـــع إنجلترا في تلك الفترة (١).

فيما يتعلق بالأسباب المحلية المباشرة في الهند نرى أن الإنجليز تمكنوا من الاستيلاء على بنغال قبل هذه الجولة الحاسمة ، فزودتهم هذه الولايـــة بمصادر القوة اللازمة للحرب ، كما أنها أصبحت قاعدة ثانية للعمليات فـــي البر ، بينما استنفد الفرنسيون بسرعة شديدة كل مواردهم المالية في خزينتهم والقاعدة المأمونة الوحيدة لهم أصبحت في موريشيوش Mouritius كما كان الإنجليز محظوظين جدا في أن يكون لهم قائد ذو عبقرية عسكرية وملم إلماما حسنا بشئون الهند ، بينما الحاكم الفرنسي كان عديم الخبرة وليس له أدنـــى مقدرة للتعامل مع الهنود (٢).

وأما الأسباب الرئيسية والأساسية التي جعلت الفرنسيين غير قادرين علـــى الاحتفاظ بالهند ، يمكن استنباطها في إفلاس شركتهم للهند الشرقية وسوء إدارة أمورهم في الداخل والخارج ، والتضحية المستمرة بالمصالح الاستعماريـــة والتجارية من أجل تبني سياسة حربية قارية أوربية وخيمة العاقبة ، وإنهاك قوة أسطولهم البحري ، الأمر الذي جعل كل ممتلكات فرنسا الممتدة عبر البحـــر غير محمية ضد تفوق إنجلترا البحري الهائل ، وعندما أعلنت فرنسا الحـــرب كانت تمتلك فقط ٤٥ سفينة في حين كانت إنجلترا بحوزتها ٣٤٥ سفينة حربية (٣).

---

(١) A.V. Jackson:History of India , Vol.VIII, p. 148

(٢) Ibid:p.150

(٣) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٢ ،
ماتيو اندرسون : تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٩ .

لقد كان الشعب الإنجليزي مهتما اهتماما شديدا بالمقاومة والحرب ولقد كانت القيادة والتوجيه في أيدي أناس من أمثال بيت Pitt الذي سخر كل الطاقات المتوفرة لإنجاح طموحات استعمارية ، بينما كان من سوء حظ فرنسا أن تواجه مسألة التنافس الاستعماري في عهد ملك يعتبر من أضعف ملوك فرنسا وهو لويس الخامس عشر ،ولم تقدر الحكومة الفرنسية موظفيها ولم تقدم لهم المساعدة اللازمة في كندا وفي الهند [١]، وكان مدراء الشركة الفرنسية في باريس يعتقدون بكل سذاجة أن الحرب بين جورج الثاني ولويس الخامس عشر لن تمتد إلى الهند ، وأن السلام سوف يسود العلاقات الموجودة بين الشركتين الفرنسية والإنجليزية في الهند ، فأمروا دوبلكس أن يمتنع من صنع السفن وصرف الأموال لغرض إنشاء الاستحكامات . ولم يكن الشعب الفرنسي أقل مسئولية من حكومته ، فعامة الشعب لم تكن تعني بأمر المستعمرات ،وكان كل همهم مركزا في المنازعات والفتوحات داخل أوربا ، وعلى سبيل المثال لقد كتبوا أن " فرسخا مربعا من أراضي هولندا ، أثمن من مستعمرة " وهذا ماكان يمثل اعتقاد عامة الشعب[٢].

على أية حال ، بانتهاء حرب السنين السبع ، أصبح الإنجليز في الهند دون منافس أوربي ، وبدأ كلايف Clive الذي عاد إلي الهند ثانية ومن بعده وارن هستنجز Hastings وغيره بالقضاء على السيادة الهندية ، وظهر منذ ذلك الوقت وضع ثنائي في الهند ، أخذ في التوسع ليشمل خلال عدة عقود شبه القاره الهندية بأسرها .

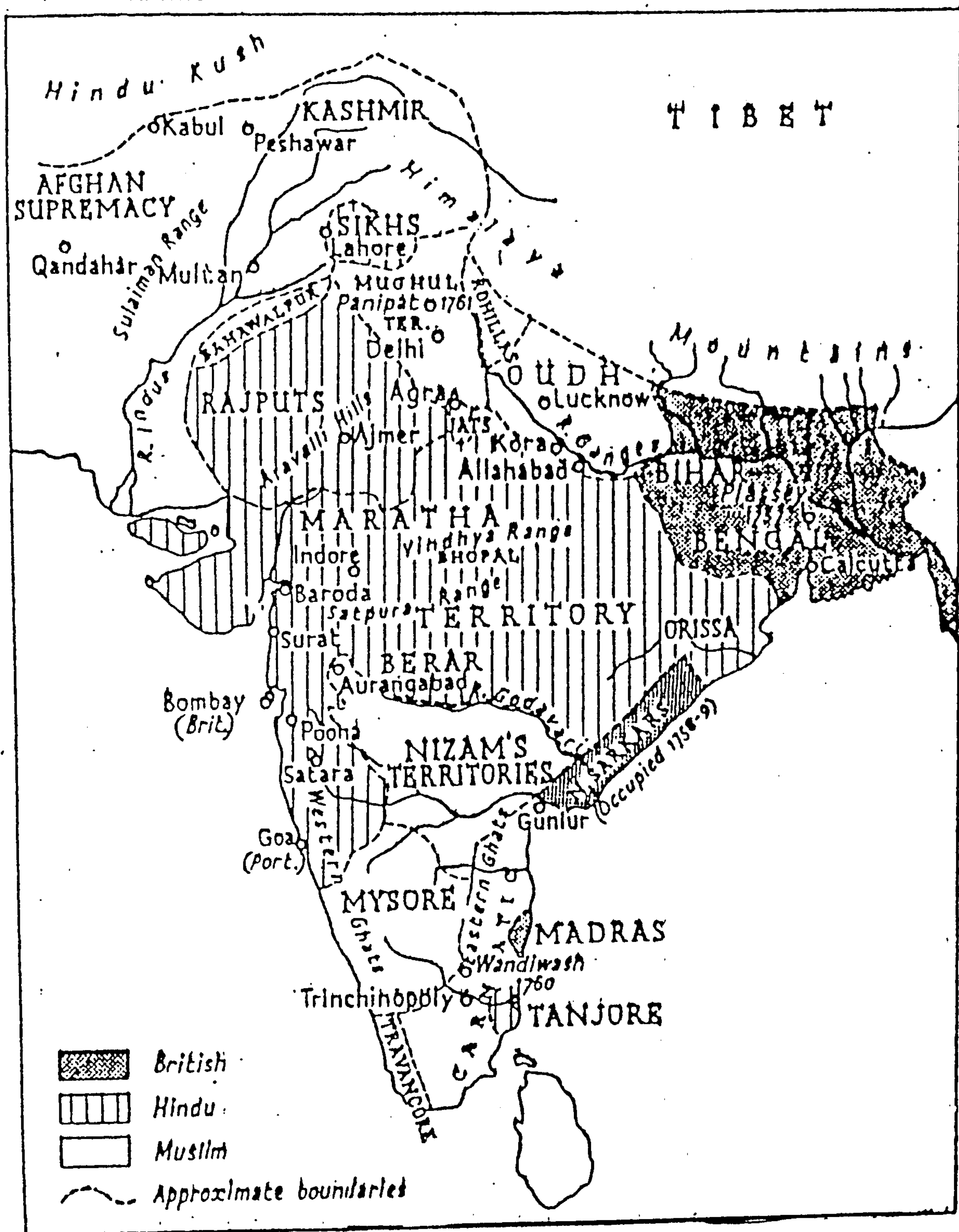
---

(١) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢١٥ ، ٢٢٢ ،
شكري وزميله : أوربا في العصور الحديثة ، جا ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٢ .

الهند في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م

V.A.Smith:
The Oxford History of India, P.482



INDIA, 1761

V.A.Smith:
The Oxford History of India, P.482

الفصل الثالث

وضع ثنائي في الهند

- معاهدة إله آباد بين شركة الهند الشرقية الإنجليزية والسلطان شاه عالم الثاني .
- وارن هستنجز Warren Hastings وتنظيمات الشركة .
- الشركة دولة داخل دولة المغول الإسلامية في الهند .
- استيلاء الشركة على دهلي وتقدمها في أكثر أنحاء الهند .
- اتساع ممتلكات الشركة ، كلكته Calcetta عاصمة .

معاهدة إله آباد

بين شركة الهند الشرقية الإنجليزية والسلطان شاه عالم الثاني

كان الأمير عالي گهر أكبر أبناء السلطان عالمگير الثاني (١١٦٧- ١١٧٣هـ/ ١٧٥٤ - ١٧٥٩م) يتخوف من الوزير (*) آصف جاه المتغلب على شئون دولة أبيه، فكان يعيش خارج البلاط ليأمن شر الوزير الذي دبر اعتقاله وحاصر البيت الذي كان يقيم فيه ، ولكنه تمكن من الهروب بعد معارك مستميتة لاجئا إلى بتهل راو أحد زعماء المرهته ، وذلك في ١٢ من شهر رمضان سنة ١١٧١هـ/ مايو ١٧٥٨م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح عالي گهر ولي عهد السلطان عالمگير الثاني لاجئا شريدا يقضي أوقاته في التجول في الولايات الشمالية الشرقية ، متنقلا من منطقة إلى أخرى ومن حاكم إلى آخر (١).

في هذه الظروف العصيبة بدأ الإنجليز اتصالاتهم مع الأمير عالي گهر، ففي غرة شهر رمضان سنة ١١٧٢هـ / أبريل ١٧٥٩م استقبل الأمير أربعة من مبعوثي الإنجليز ، كما استقبل في غرة شوال من نفس العام وكلاء الإنجليز(٢)، وهو في

(*) الوزير آصف جاه : هو مير شهاب الدين عماد الملك المعروف بغازي الدين خان وزير عالمگير الثاني، وهو الذي دبر اغتيال السلطان والد شاه عالم الثاني وكان مسيطرا على ماتبقى من سلطة السلطان في عاصمة ملكه ، كما كان متحالفا مع المرهته ، ولما تم اغتيال السلطان عالمگير الثاني، أجلس مكانه الأمير محيي السنة ابن السلطان كام بخش ابن أورنگزيب ولقبه بـ شاهجهان الثاني ، في حين أعلن عالي گهر هو الآخر سلطانا للدولة المغولية خلفا لأبيه باعتباره ولي عهده وأكبر أبنائه وذلك في عظيم آباد ببهار . (ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، صفحات ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٤) .

(١) مؤلف مجهول : تاريخ عالمگير ثاني ، ق ١٦٧ أ - ١٦٩ ب .

(٢) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ص ٧٩ ب - ق ٨٠ أ .

وضع لايحسد عليه ، وكان في ضواحي عظيم آباد ، إذ سمع بنبأ مقتل أبيه السلطان عالمگير الثاني ، فأعلن هناك نفسه سلطانا خلفا لأبيه وملقبا نفسه بشاه عالم بهادر شاه ، وذلك في ٤ من جمادي الاولى سنة ١١٧٣ هـ / ديسمبر ١٧٥٩م (١).

بعد ستة أيام من ذلك التاريخ استقبل السلطان شاه عالم الثاني مير شاه علي ومير علي مبعوثي الحاكم الإنجليزي الكولونيل كلايف ومير جعفر حاكم بنغال المنصوب من قبل الإنجليز ، اللذين هنئاه لتولي العرش وقدما له الهدايا بهذه المناسبة (٢).

في سبيل البحث عن موطيء قدم لدولته ، عزم شاه عالم الثاني بالاستيلاء على عظيم آباد ، فحارب حاكمها راجه رام نراين Ramnarayan الذي جرح في المعركة وولى هاربا مع من كانوا يرافقونه من الضباط الإنجليز ، طالبا مساعدة ميرن ابن حاكم بنغال المتواطيء مع الإنجليز (٣)، ولم يتعقبهم السلطان بل أرسل في رجب عام ١١٧٣ هـ / فبراير ١٧٦٠ م مبعوثا شخصيا إلى ميرن طالبا إياه بعدم تقديم المساعدة إلى راجه رام نراين ، ولكن ميرن قتل ذلك المبعوث

---

(١) المصدر نفسه ، ق ١٠٩ ب ،
غلام‌حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ،ج ٢ ، ص ٦٧٦ – ٦٧٧ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٤٤ .

(٢) غلام‌علي خان : شاه عالم نامه ، ق ١٢١ أ .

(٣) ميرزا محمد طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ ،
-- عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٤٤ ،
Sh. Abdur Rashid : History of the Muslims of Indo-Pakistan sub-continent, vol.I, Lahore, 1978, P.192.

ومثل بمرافقيه [1]، وتشاور مير جعفر خان حاكم بنغال مع كلايف فيما يقومان به ، فتقرر إرسال مير ميرن بن مير جعفر مع بعض من ضباط الجيش الإنجليزي على رأس قوات كبيرة لمحاربة السلطان في عظيم آباد ، فبدأت المعركة بين الجانبين وكان النصر في البداية من نصيب السلطان وقائده كامگار خان(*) وهرب ميرن من المعركة إلا أنه رجع ثانية ، وبدأت نيران مدافع الإنجليز تطلق من كل جهة وبكثافة كبيرة ، مما أدى إلى تقهقر قوات السلطان وهروب البعض منها خاصة بعدما قتل أحد قواد السلطان المدعو قادر داد خان ، فرأى السلطان أن ينسحب ويهاجم مرشد آباد عاصمة بنغال ، وذلك في رجب عام ١١٧٣هـ / فبراير ١٧٦٠م [2]، وكان آخر الضباط الفرنسيين المدعو موشير لاس (**) Monsr Law

---

(*) كامگار خان : هو من أعيان المغول الذي بقي وفيا لسلطانهم.

(**) هو الفرنسي Monsr Jean Law الذي تذكره المصادر الهندية تحت اسم " موشير لاس" وكان إنجليزي المولد ، لقد تولى رئاسة فرع الشركة الفرنسية في قاسم بازار ببنغال في عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٦م وأصبح مقربا لدى سراج الدولة الذي اضطر أن يتخلى عنه بضغط من الإنجليز فغادر إلى بهار ، وبقي مزعجا للإنجليز إلى أن وقع في أسرهم في عام ١١٧٤ هـ / ١٧٦١م وغادر الهند إلى فرنسا في العام التالي .

K.K.Datta F.W.I.H. Correspondence, Vol, II (1757 - 1759) pp.475-476)

(١) غلام على خان : شاه عالم نامه ، ق ١٥٣ ب - ق ١٥٤ أ .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ - ٦٨٠ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٤٤ - ٦٤٥ ،

Sh. Abdur Rashid: History of the Muslims of Indo-Pakistan sub-continent, Vol. I, p.193.

يخدم في مدفعية قوات السلطان ولقد أبلي في هذه المعارك بلاءً حسنا فرقي إلى منصب پنجهزاري (*)، وعين بعد أشهر قائدا لسلاح المدفعية ، ولقب بـ " حسام الدولة شهامت جنگ " (١).

توقف السلطان شاه عالم الثاني في بهار لعدة أيام ، ثم هاجم مير جعفر في مرشد آباد ، واستنجد الأخير ثانية بالقوات الإنجليزية كما التحقت إليه قوات عظيم آباد بقيادة ابنه ميرن ، فتجمعت في مرشد آباد قوات كبيرة من الهنود والإنجليز ، ورأى قائد السلطان أنه لاطاقة لهم بمحاربة هذه القوات ، فتقرر التوجه إلى عظيم آباد ثانية ،عسى أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها قبل أن تعود إليها قواتها ، وبدأ السلطان يحاول الاستيلاء على قلعة عظيم آباد التي كانت بيد رام نراين ، فضرب حولها حصارا ، وكادت القلعة أن تفتح إلا أن قوات إنجليزية وصلت لنجدة المحاصرين ، مما أدى إلى إنهاء الحصار والانسحاب إلى خارج المدينة (٢)، وفي نفس الوقت كان قد وصلت قوات أخرى إلى عظيم آباد بقيادة كلايف وميرن وحدث أن نزلت أمطار غزيرة مصحوبة بالرعد والبرق ، وتوفي ميرن في هذه الأثناء إثر إصابته بالبرق (٣)، وبهذا قضي على أحد أعداء السلطان

(*) پنجهز اري : الفرقة التي تتكون من خمسة آلاف جندي .

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ١٧٢ب ، ١٨٠أ ، ٢٢٤ ب .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٣ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٤٥ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٦٤٥ .

Sh. Abdur Rashid: History of the Muslims of Indo-Pakistan sub-continent, Vol.I, p.193.

الأداء . وذلك في شهر ذي القعدة عام ١١٧٣هـ / يونيو ١٧٦٠م .

بعد تنصيب مير قاسم خان حاكما على بنغال ، وبعد انتهاء موسم الأمطار استعد قائد الجيش الإنجليزي الميجر كرنك (*) Maj Carnac ، لمواصلة الحرب ضد السلطان وقائد قواته كامگار خان وقائد مدفعيته الفرنسي موشير لاس ودارت المعركة بين الجانبين في عظيم آباد ، إلا أن قائد السلطان لم يصمد في المعركة ، فقرر الانسحاب وتبعه في ذلك معظم القوات ووقع موشير لاس أسيرا بيد القوات الإنجليزية بعد أن تركته قوات السلطان دون غطاء دفاعي ، وعامله القائد الإنجليزي بكل إعزاز ، طالبا منه أن يتوسط بين الإنجليز والسلطان للمصالحة ، وبعد عدة أيام أرسل الميجر كرنك Maj Carnac مبعوثه إلى السلطان فاسترضوه للمصالحة والتوجه إلى القائد الإنجليزي المنتصر في عظيم آباد ، وذلك في ٢٠ من جمادي الثانية عام ١١٧٤هـ / يونيو ١٧٦١م ، وعلى الرغم من معارضة قائد السلطان لهذه المصالحة وإصراره على مواصلة الاستعدادات لمحاربة الإنجليز (١)، إلا أن السلطان رضي بالصلح ، إذ كان أحمد شاه دراني ملك الأفغان قد قضي على سلطة المرهته وعماد الملك وشاهجهان الثاني في دهلي، وكان يميل إلى عودة السلطان شاه عالم الثاني ، واحتج كامگار خان على هذه

(*) هو الميجر جان كرنك Major John Carnac وكان أحد أعضاء مجلس كلكته والمسئول عن الشئون العسكرية في المجلس في (١١٧٣ - ١١٨٠ هـ / ١٧٦٠ - ١٧٦٧ م) .

(١) غلام على خان : شاه عالم نامه ، ق ٢٤٧ ب - ق ٢٤٨ أ ، غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ ، ٧٠٢ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

المصالحة وتخلى عن السلطان الذي توجه للالتحاق بالجيش الإنجليزي وانفصل عنه الكثيرون في أثناء الطريق (١)، ولقد رحب الإنجليز بالسلطان واستقبلوه بكل إعزاز واحترام وفي مقدمتهم قائدهم الميجر كرنك وسائر كبار رجالات الإنجليز الذين كانوا يمشون في ركاب السلطان ، حتى أوصلوه إلى المكان المعد لنزوله وأجلسوه على العرش ووقفوا على هيئة الاحترام للسلطان إلى أن أذن السلطان للميجر بالجلوس وبقي سائر رجالات الإنجليز الكبار واقفين ، ويذكر مؤرخ السلطان بهذا الخصوص قائلا : " لقد حلف زعماء الإنجليز وقوادهم بعيسى عليه التحية والثنايا بأنهم صادقون ومخلصون مع السلطان ، وتم انعقاد العهود والمواثيق وتقرر من خلالها إعفاء الانجليز من إجراء التحقيقات في معاملات بنغال ودفع الرسوم المتبقية عليهم منذ سنين عديدة ، وذكر لهم السلطان بأنهم لو سلكوا معه طريق الطاعة كأسلافهم فسوف يلقون منه كل خير ، ثم توجه السلطان إلى عظيم آباد ودخل قلعتها في ١٤ من رجب عام ١١٧٤هـ / فبراير ١٧٦١م "(٢).

لاشك أن الإنجليز كانوا على علم بأن السلطان مسير في أموره وأنه لاحول له ولا قوة وفي مثل هذه الحالة كانوا يقومون بمختلف الحيل والتظاهر بالود والوفاء لاستصدار الفرمانات من السلطان لاستغلالها فيما تقتضيه مصالحهم والهروب من المحاسبة ، ويلاحظ أن هذه أول مرة في تاريخ الدولة المغولية يتعامل فيها السلطان مع الأجانب الأوربيين من موقف الضعف والمسالمة ، ولايشير أي مصدر إلى أية حالة من هذا النوع فيما سلف من تاريخ الدولة .

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٠٢ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٤٧ .

(٢) غلام على خان: شاه عالم نامه، ق ٢٥٠ب ، ٢٥١أ ، ٢٥١ب، ٢٥٢أ، ٢٥٣ ب .

هكذا كانت بدايات علاقات السلطان الشريد بالإنجليز المسيطرين على شئون بنغال ، علاقات بدأت بالمواجهات المسلحة وانتهت على ذلك الشكل بلجوء السلطان إلى أحضان الإنجليز المعروفين بالمكر والخداع والمثابرة في سبيل الحصول على الأطماع الاستعمارية .

كما يلاحظ فإن موقف مير جعفر حاكم بنغال السابق وابنه ميرن كان عدائيا مع السلطان ، ولكن قاسم خان حسن علاقاته بالسلطان الذي جاء تقاربه مع الإنجليز متزامنا مع تنصيب قاسم خان حاكما في بنغال وإعفاء جعفر من ذلك المنصب ، وبعد إجلاس السلطان شاه عالم الثاني على العرش من قبل الإنجليز ، جاء إليه النواب قاسم خان مقدما إليه التحف والهدايا وبعد البحث في الشئون المالية للبنغال بحضور المسئولين الإنجليز ، تقرر أن يدفع النواب من عوائد البنغال الى السلطان مبلغا سنويا قدره أربعة وعشرون لك روبية (١).

في الوقت الذي كان السلطان يعيش في وسط الانجليز ، جعل شجاع الدولة حاكم أوده ، بأمر من أحمد شاه دراني السكة والخطبة باسم شاه عالم الثاني بعد أن هزم المرهته هزيمة منكرة ، كما أرسل دراني إلى السلطان خطاب التهنئة ، وأجلس نجيب الدولة عامله في دهلي الأمير جوان بخت على عرش دهلي نيابة عن والده شاه عالم الثاني الذي فرح من سماع هذه الأنباء ، وتوجه في أواخر شوال سنة ١١٧٤هـ / يونيو ١٧٦١م من عظيم آباد إلى إله آباد من توابع إمارة شجاع الدولة ، للتشاور فيما يقوم به إزاء التطور الجديد (٢)، وكان السلطان

---

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٢٥٥ ب - ٢٥٦ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٣٧ .

(٢) المصدر نفسه : آويماق مغل ، ص ٦٤٧ - ٦٤٨ .

يطمع في أن يوطد دعائم دولته من كوره في الشرق الى نربدا Narbada في الغرب . وعين شجاع الدولة حاكم أوده القوى على منصب الوزارة ، كما عين ابن الوزير المدعو مرزا أماني قائدا لمدفعيته ملقبا إياه بآصف الدولة ، وكان من برنامج السلطان الاستيلاء على الحصون الواقعة بيد المرهته ، وتحرك لهذا الغرض إلى كوره في شهر المحرم عام ١١٧٥هـ / أغسطس ١٧٦١م (١)، ولكن تنفيذ هذه الخطة كان أكبر من إمكانات السلطان الذي لم يكن يتمتع بقوات تأتمر بأمره وتتمكن من تحمل أعباء المعارك الكبيرة التي كان يقتضيها تطهير الطريق أمام تقدم السلطان إلى عاصمة ملك آبائه ، إذ على الرغم من أن المرهته تلقوا ضربات مؤلمة بيد أحمد شاه دراني ، إلا أنهم كانوا مسيطرين على المناطق الوسطى والغربية من الهند ، فكان على السلطان أن يعتمد في ذلك على قوات أخرى ، ورأينا أنه طلب من شجاع الدولة أن يساعده في هذا الأمر، ولكنه هو الآخر كان منشغلا بمشاكله الداخلية والتخوف من سلامة إمارته أمام الطامعين إذا تورط في مثل تلك المعارك ، بالإضافة إلى أنه حدث تطور آخر، جعل السلطان ووزيره يركزان اهتمامهما تجاهه ، وهو لجوء قاسم خان حاكم بنغال إلى أراضي شجاع الدولة بعد أن انهزم أمام القوات الإنجليزية ، وذلك في جمادي الأولى عام ١١٧٧هـ / نوفمبر ١٧٦٣م ، وكان قد تلقى وعدا بالمساعدة من السلطان ووزيره شجاع الدولة ، فالتحق بهما في إله آباد (٢)، ولكن السلطان كان يراسل في نفس الوقت الإنجليز ومير جعفر الذي نصب ثانية في حكم بنغال،

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٢٥٧ ب ، ٢٦٧ ب ، ٢٧١ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٣٠٥ ب – ٣٠٦ أ ،

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٣ .

وكان يرى مصلحته في إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة مع الإنجليز [١].

إثر لجوء مير قاسم ، قرر وزير الممالك شجاع الدولة إرسال جيشه إلى بنغال لاستردادها من يد الإنجليز ولقد كتب مؤرخ شاه عالم الثاني في ذلك يقول: " تقرر أن تقدم النصائح إلى هؤلاء النصارى ويطالبوا بالطاعة ودفع الأموال المستحقة عليهم ، وأن يتصالحوا مع مير قاسم ويستمروا في التعايش في تلك الولاية وإلا فسوف يطردون وتطهر تلك البلاد من لوثهم ... ولم يكن السلطان راضيا باتخاذ ذلك النهج ، إذ كان يتلقى عرائض الإنجليز المتضمنة بالطاعة والامتثال والشكوى من مير قاسم بأنه قتل كثيرا من الإنجليز دون ذنب أو تقصير ... ولكن وزير الممالك كان مصرا في تشييد مباني الفساد وإثارة عناد الإنجليز طمعا في الملك والمال " [٢]، وهذا مايشير الى الفوضى المطبقة في المجتمع الهندي الإسلامي آنذاك ، الفوضى التي لم تعم الإدارة والعسكرية فحسب بل التصور والفكر أيضا ، فبدل أن يعتبر مؤرخ السلطان ومرافقه في تحركاته وتنقلاته ، يعتبر محاربة الإنجليز جهادا أو حرب تحرير ، يعتبره إفسادا وصراعا من أجل الجاه والمال . ولكن على الرغم من معارضة السلطان المبطنة لمحاربة الإنجليز إلا أنه كان مسيرا في أموره ، فتوجه إلى بنغال ومعه وزيره شجاع الدولة ومير قاسم في أواسط رمضان من عام ١١٧٧هـ / مارس ١٧٦٤م وذلك برفقة قوات غفيرة ، وتقبل مير قاسم حاكم بنغال الهارب أن يدفع إلى خزانة شجاع الدولة شهريا مبلغا قدره أحد عشر لكا من الروبيات للإنفاق على الجند الذي

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٦٣ .

(٢) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٠٦ أ - ٣٠٦ ب .

جاء بهم إلى بنغال [1]، وكان ذلك الجند جندا كبيرا جدا من ناحية العدد ، ولكنه في نفس الوقت كان يعاني من قلة الخبرة والمهارة الحربية التي كانت تتطلبها الحرب مع الإنجليز ، كما كان الجند في حالة من الفوضى ، وعدم التقيد بالنظم ، غير مبال بالعدو ولقد نصح القواد شجاع الدولة وذكروا له : " بأن الإنجليز يعتمدون في حروبهم على نيران مدافعهم وبنادقهم وليس على التهور واللامبالاة ، فيجب أن تكون محاربتهم بالحيل والتدبير والتخطيط السليم "[2] ، ولكن شجاع الدولة كان قد اغتر بانتصارات أحمد شاه دراني ضد قوات المرهته المكثفة جدا ، فاستصغر الحرب مع الإنجليز ولم يعمل بمشورة القواد الذين كان لهم الخبرة في مثل تلك الحروب .

ومما شجع شجاع الدولة لاتخاذ الموقف الحاسم ضد الإنجليز ، هو أن تمردا وقع في صفوف قواتهم ، وقاد هذا التمرد موشير مدك Monsieur Madac الفرنسي (*) بعد أن تنازع مع الإنجليز في اقتسام الأموال التي منحها ميرجعفر لهذه القوات الأجنبية لقاء مساعدته في تنصيبه على حكم بنغال وطرد مير قاسم

(*) هو : Rene Madac أحد أشهر المغامرين الفرنسيين ، لقد جاء إلى الهند في عهد دوبلكس Dupleix وأسر بيد الإنجليز أثناء سقوط بونديشيري في عام ١١٧٤هـ / ١٧٦١م وبعد إطلاق سراحه تنقل من بلاط إلى آخر إلى أن غادر الهند متوجها إلى فرنسا في عام ١١٩١هـ / ١٧٧٧م .
(F.W.I.H.Correspondence, Vol.VII (1773-1776),p.613)

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٤٦ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٦٣ – ٦٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤٤ .

من أراضي الولاية ، ولقد انضمت تلك القوات المتمردة إلى شجاع الدولة الذي رحب بهم واستخدمهم في قواته ، وكان يصل عددهم إلى حوالي مائة وخمسين فرنسيا (١).

سير وزير الممالك عدة آلاف من فرسانه إلى عظيم آباد لمهاجمة القوات الإنجليزية ، وتمكن سلاح الفرسان من زعزعة القوات المعادية ونشر الرعب بينهم مما دفع زعماء الإنجليز إلى أن يبدوا رغبتهم في المصالحة ، ودفع مبلغ قدره كروران من الروبيات ، ويذكر المصدر المتابع لهذه الأحداث بأن السلطان اعتبر ذلك فتحا عظيما وفوزا كبيرا ، وذكر لوزير الممالك بأن مصلحة الدولة لاتقتضي إثارة المنازعات مع هؤلاء ، ولكن وزير الممالك لم يصغ لنصائح السلطان ، مغترا في ذلك بكثرة جنده ومدفعيته (٢).

بعد رفض مطالب الإنجليز التصالحية ، نصح قواد مير قاسم ، الوزير بأن يباغت الإنجليز بالهجوم في قلعة عظيم آباد ، فإن لم تفتح لايضيع وقته في الاستيلاء عليها ، بل يضرب حصارا حولها ، ويرسل عماله إلى كل جهة لاستمالة الرعايا والتمتع بحمايتهم ، كما وصوه بإرسال جزء من الجند إلى الجهة الثانية من نهر كَنگ Ganges لقطع الطريق أمام السفن الإنجليزية وحرمان

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٤٦ ،
K.K.Datta [illegible]: F.W.I.H. Correspondence, Vol.IV (1764 - 1766), pp.251-252.

(٢) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٠٧ أ - ٣٠٧ ب .

القوات المحاصرة من تلقي الإمدادات ، ولكن الوزير لم يستمع إلى هذه الآراء(١) فهجم بكل قواه على القوات المعادية ، وخاض الجانبان قتالا ضاريا ، وذكر المصدر المتابع لهذه المعركة قائلا : " كانت السماء مغطاة بالدخان والسحب المظلمة من كثرة إطلاق النيران وشدة القتال ، وكان النصارى يقومون بإطلاق نيران مدافعهم بكل شطارة كعادتهم "(٢)، واستمرت المعركة من الصباح إلى الغروب قتل فيها الكثير من القوات المهاجمة في حين كان الإنجليز محصنين في قلعة عظيم آباد ، وعلى الرغم من أنهم تلقوا خسائر في المعارك ، إلا أنهم حافظوا على مواقعهم ، بسبب تهور الوزير الذي لم يقم بنصب المدافع والاستفادة اللازمة منها من جهة ، ولم ينسق أعماله مع الآخرين من جهة أخرى ، مما تسبب في استياء خاطر مير قاسم وقواده ، وبذلك لم تحسم المعركة ، وبحلول الليل انسحب الوزير إلى مواضعه السابقة ، ثم الى بكسر Buxar بعد أن قرب موسم الأمطار (٣)، وهنا كرر الإنجليز مطالبتهم بالصلح ، إذ كانوا يرون بأن حربهم مع السلطان سوف يشوه سمعتهم ، فأبلغوا السلطان عن رغبتهم تلك ولما كان السلطان غير راض عما يقوم به وزيره ، كتب إلى الإنجليز يطمئنهم

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٤٧ ،
ميرزا محمد عبدالقادر : أويماق مغل ، ص ٦٦٤ .

(٢) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٠٧ ب – ٣٠٨ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ق ٣٠٨ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٥ ،
K.K Datta ... : F.W.I.H. Correspondence, Vol. IV (1764 - 1766), p.261.

بعنايته لهم [١]، وكان غلام حسين خان طباطبائي ووالده وسيطين بين السلطان والإنجليز ، حيث قام الأول بنقل الرسائل السرية بين الجانبين ، كما كان لوالده دوره في إقناع السلطان باختيار الموقف المسالم تجاه الإنجليز [٢]، ومن جهة أخرى توترت العلاقات بين شجاع الدولة ومير قاسم الذي لم يكن أسعد حظا عند إخوانه في الدين منه عند الإنجليز ، إذ أن شجاع الدولة بعد أن وعده بالنجدة والمساعدة ، عاد ونكث العهد وخان الود وسجنه واستولى على ما عنده من الأموال ، كما فرق أنصاره وأتباعه بعد أن اعتذر مير قاسم عن دفع نفقة جند الوزير مذكرا إياه بأنه التجأ إليه طلبا للمساعدة فليس بمقدور اللاجيء أن يسدد ذلك المبلغ الكبير في كل شهر [٣]، وهكذا حرم جيش الوزير من قائد خبير في معارك الإنجليز وجاد في محاربتهم فاستغل الإنجليز هذه الأوضاع وتقدموا إلى بكسر إثر انقضاء موسم الأمطار لمهاجمة قوات الوزير الذي كان مايزال في غروره وعدم الاكتراث بقوة أعدائه ، ومع أن القوات الإنجليزية كانت قد وصلت إلى مقربة منه ، كان الوزير يقضي أوقاته في الطرب واللهو واللعب ، متناسيا أنه يقف في مواجهة القوات المعادية ، وبعد تلقيه نبأ الهجوم عليه ، بادر بتنظيم قواته لقتال الإنجليز فوضع مدفعيته في المقدمة

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٥ .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٥١ – ٧٥٢ .

(٣) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٠٩ ب – ٣١٠ أ ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ – ٧٥٥ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٥ – ٦٦٦ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٧ .

وخلفها سبعة آلاف من الفرسان بقيادة شجاع قلي خان ، كما وضع الراجه بيني بهادر Beny Bahadre نائبه في ولايتي أوده وإله آباد على رأس قوات في ساحل نهر گنگ في ميسرة قواته ، كما تولى قيادة الميمنة بنفسه ، وبدأت المعركة وتمكنت قوات الوزير أن تضيق الساحة على القوات الإنجليزية ، إلا أنه لم يراع الحيطة إذ تقدم إلى الأمام تاركا مدفعيته في المؤخرة ، كما تمكنت وحدة إنجليزية من الالتفاف خلف ميسرة قوات الوزير ، الذي أصبحت قواته بين نيران مدافع الإنجليز وبنادقهم ، واقتحمت القوات الإنجليزية مواقع الراجه بيني بهادر وشجاع قلي خان ووصلت إلى الميمنة التي كان يقودها الوزير بنفسه ، ولم تصمد هذه القوات أمام كثافة نيران الإنجليز فولوا هاربين وتفرقوا عن الوزير الذي أخذ هو الآخر طريقه إلى الهروب تاركا الإنجليز يستولون على غنائم كبيرة ، وقد هلك الكثير من قوات الوزير حيث وقعوا في أرض طينية لايقدرون على الفرار ، وهكذا انتهت معركة بكسر Buxar الحاسمة التي وقعت في ٢٧ من شهر ربيع الثاني عام ١١٧٨هـ / ٢٣ أكتوبر ١٧٦٤م ، وكان يقود القوات الإنجليزية الميجر منرو Major Munro (١).

كان السلطان شاه عالم الثاني يرافق الوزير شجاع الدولة خلال هذه الأحداث إلا أنه كان في اتصال مع الإنجليز يتحين الفرصة للالتحاق بهم ، وعندما انهزم

---

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣١١ أ – ٣١٤ أ ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين، جـ٢ ، ص ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣، ٧٦٤،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٦ – ٦٦٧ ،
K.K. Datta : F.W.I.H. Correspondence, Vol.IV (1764-1766), pp. 262-263.

الوزير أمام الإنجليز وعبر نهر كَنك بعد تفرق ماتبقي من قواته ، تباطـأ السلطان في اللحاق به ، واغتنم الفرصة فاتصل بالإنجليز طالبا المصالحة، ولقد درس الإنجليز هذا العرض ثم أعلنوا للسلطان وبيني بهادر بأنهم مستعدون للمصالحة شريطة أن يسلم إليهم مير قاسم خان وسمرو (*) Sumro والجنود المتمردون الذين سبق أن التحقوا بقوات الوزير ، وأن يدفع لهم الوزير تعويضات عن الخسائر التي لحقت بهم نتيجة تلك المعارك ، كما قرروا أنه إذا رفض الوزير هذه الشروط فإنهم سوف يبذلون قصارى جهدهم لطرده من أراضي ولايته وتنصيب أحد خصومه في مكانه ، لقد قبل الراجه بيني بهادر بتسليم مير قاسم ، واعتذر عن تسليم سمرو الذي كان يملك قوات تدافع عنه ، وأبلغ الراجه شجاع الدولة بذلك إلا أن مير قاسم الذي كان قد أفرج عنه يوم المعركة علم بالأمر ، فغادر المنطقة متوجها إلى منطقة نفوذ الأفغانيين ومن هناك إلى منطقة الراجيوت حيث توفى في ضواحي دهلي بحالة مؤسفة ، وفي نفس الوقت رفض الوزير شروط الإنجليز (١)، وعمل لتجميع قواته من جديد ، وفوض أمور ولايته إلى بيني بهادر طالبا إياه أن يشغل الإنجليز بمحادثات السلام ، وتوجه هو إلى الأفغانيين في فرخ آباد طالبا مساعدتهم في حربه ضد الإنجليز ، إلا أنهم

(*) هو قائد مدفعية الوزير شجاع الدولة .

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣١٤ أ – ٣١٥ أ ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٦٥ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٧ ،
K.K.Datta : F.W.I.H. Correspondence, Vol.IV (1764-1766), p.263.

لم يلبوا طلبه واضطر الوزير أن يستنجد بملهار راؤ Malhar Rao أحد زعماء المرهته الذي قبل المساهمة في مقاتلة الإنجليز وتوجه بقوات غفيرة لهذا الغرض حيث اشتبك مع الإنجليز قبل أن يلحق به الوزير ، ومع أن المرهتة قاتلوا ببسالة ، إلا أنهم تقهقروا أمام كثافة نيران مدافع الإنجليز الذين استولوا على غنائم كبيرة ، وتمكن الإنجليز أن يقدموا أنفسهم كمدافعين عن السلطان ، حيث استصدروا منه رسالة تحث المقاتلين بوضع أسلحتهم وفتح قلاعهم أمام القوات الإنجليزية (١)، وبهذه الأساليب وبتفوقهم في التنظيم والتخطيط والتسليح ، تمكنوا من الاستيلاء على قلعة إله آباد التي نزل فيها السلطان بعد أن خسر الوزير معاركه مع الإنجليز بسبب غروره وغطرسته أمام قواده وحلفائه ، وبسبب ما كانت تعانيه الجبهة الإسلامية الهندية من تفكك وملوك الطوائف المتنازعين وعدم رفع الأمراء والحكام على مستوى المسئولية وفهم الأخطار التي كانت تهدد الجميع .

وجد الوزير شجاع الدولة نفسه وحيدا في مواجهة الإنجليز بعد أن تلقى منهم هزيمة منكرة وبعد أن تخلى عنه السلطان ورفض مساعدته الأفغانيون، ففكر فيما يقوم به ، وأشار عليه أحد الزعماء الأفغانيين بأن يغامر بمن تبقى من قواته بالهجوم على الإنجليز طالبا النصر أو الموت ، أو يختار الذهاب إلى قائد القوات الإنجليزية دون غيره طامعا في أن يعامله معاملة حسنة ، واختار الوزير الرأي الأخير وتوجه مع عدد من أفراده للحاق بالجند الإنجليزي ، حيث بادر القائد الإنجليزي وكبار قادته ومساعديه باستقباله والترحيب به ، ورافقوه إلى معسكر الإنجليز مشيا على الأقدام ، وهناك فتح الوزير باب المصالحة

---

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه، ق ٣٢٧ ب – ٣٢٨ ب ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، جـ٢ ، ص ٧٦٨ – ٧٦٩ .

مع الإنجليز (١)، ووقع معهم اتفاقية تقرر بموجبها مايلي :

" يقوم الوزير شجاع الدولة بدفع مبلغ خمسين لك روبية ، تعويضا للخسائر التي تكبدها الإنجليز في حروبهم معه ، لايكون للوزير أى نفوذ وسلطة في ولاية إله آباد وتخصص هذه الولاية للسلطان ، وتقيم وحدة من القوات الإنجليزية في تلك الولاية لتقديم مساعداتها إلى السلطان ، كما يرافق أحد الضباط الإنجليز الوزير شجاع الدولة للقيام بأعمال الوساطة ، ولايكون له حق التدخل في شئون الوزير ، وبموجب هذه الاتفاقية يعتبر كل جانب أصدقاء الجانب الآخر أصدقاء له وأعداء الجانب الآخر أعداءه ، وإذا هوجم أحد الجانبين يبادر الجانب الآخر بالوقوف إلى جانبه والدفاع عنه ، وإذا طلب أحد الجانبين جيش الجانب الآخر للمساعدة ، يتكفل الطالب بنفقات ذلك الجيش " (٢).

وهكذا أصبح سلطان الدولة المغولية الإسلامية في حمى القوات الإنجليزية ، كما أصبح الوزير شجاع الدولة هو الآخر في قبضة تلك القوات ، وفقد جزءا من ملكه كما تحمل الغرامة الحربية الكبيرة التي جعلت خزينته خالية ، بالإضافة إلى أنه كان الطرف الضعيف في المعاهدة ، وما ذكر فيها من دفاع مشترك وتحمل نفقات القوات التي تبادر إلى المساعدة ، كان يعنيه هو في المقام الأول، إذ لم يكن الإنجليز بحاجة إلى قوات الوزير .

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٦٩ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٨ - ٦٦٩ .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٧٠ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٩ .

وهكذا رأينا أن معركة بكسر خطمت طموحات الوزير الذي كان يحلم باسترداد بنغال وضمها إلى أراضيه [١]، ولم ينجح الوزير في ذلك فحسب ، بل اقتطعت أجزاء من أراضيه لصالح السلطان .

فيما يتعلق بمعركة بكسر ، نلاحظ أن كثيرا من المراجع [٢] اعتبرتها معركة بين السلطان شاه عالم الثاني والإنجليز ، في حين أنه كما رأينا بعد الرجوع إلى المصادر المعاصرة المتابعة للأحداث آنذاك لم يكن السلطان يؤمن بجدوى المواجهة مع الإنجليز وأنه كان معارضا لإعلان الحرب ضدهم ، وكان قد أبقى على اتصالاته السرية معهم أثناء الحرب ، وفور ما شعر بأنه يتمكن من الإفلات من يد شجاع الدولة ، انضم إلى الإنجليز معلنا معارضته للحرب ضدهم ، ومع أن السلطان لم يكن يتمتع بنفوذ فعلي إلا أنه كان يتمتع بنفوذ معنوي، وأثناء سير المعارك لم يتمكن القائد الإنجليزي منرو من الاستيلاء على قلعة چناره أحد القلاع المتعلقة بالوزير شجاع الدولة ، وذهب القائد المذكور ضحية إصراره للاستيلاء على القلعة ، ولكن عندما استصدر الإنجليز من السلطان رسالة يدعو فيها المحاربين بإلقاء السلاح وفتح أبواب القلعة ، تمكن خليفة منرو

---

(١) المصدر نفسه : ص ٦٦٩ .

(٢) شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣٢ ،

عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥١ ،

أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ج ٢، ص ٦٤٥ ،

عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٥ ،

V.D. Mahajan: India since 1526, Part.I, p.235.

من الاستيلاء عليها دون قتال[١]، ومعنى هذا أن القتال كان مقصورا بين الإنجليز وحاكم أوده الوزير شجاع الدولة الذي خسر الكثير من ملكه وخزائنه وسمعته بعد هزيمته في بكسر ، وأن السلطان وقف مع الإنجليز وحصل مقابل ذلك على مدينتي إله آباد وكوره من أراضي الوزير شجاع الدولة . كذلك أخطأ البعض عندما كتبوا بأنه : " بعد انتصار الإنجليز في معركة بكسر الحاسمة دخلوا دهلي ، واضطر سلطانها الضعيف إلى الانتقال الى الله آباد " [٢]، لأن السلطان لم يكن يقيم في دهلي حينذاك من جهة ولأن الإنجليز لم يدخلوا دهلي إلا بعد عشرات السنين من معركة بكسر .

خلال هذه الفترة كان هنري ونسترت Henry Vansittart يرأس شركة الهند الشرقية الإنجليزية في بنغال ، ولقد عاد إلى لندن بعد أن تلقى نبأ تعيين اللورد كلايف Clive مكانه حيث عاد كلايف إلى بنغال في عام ١١٧٩ هـ / ١٧٦٥ م وتولى رئاسة الشركة هناك للمرة الثانية ، وفي نفس السنة كان مير جعفر قد توفي ، فعين كلايف مكانه ابنه مير پهلواري الذي لقب بنجم الدولة ، كما عين مير كاظم شقيق مير جعفر حاكما على عظيم آباد ، ثم توجه إلى إله آباد للاجتماع بالسلطان شاه عالم الثاني ووزير الممالك شجاع الدولة الذي استدعى إلى هناك ، وطالب كلايف الوزير والسلطان بإعطاء الشركة الإنجليزية حق الإشراف المالي على الولايات الثلاث ، وهي بنغال وأوريسه وعظيم آباد، ووافق السلطان ووزيره المغلوبان على أمرهما على هذا الطلب مضطرين ، وأصدر

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٨ .

(٢) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص ٢٥٩ .

السلطان مرسوما بهذا الخصوص أعطى الشركة بموجبه ديوانية الولايات الثلاث ، مقابل إعطائه مبلغا سنويا قدره مليونان وأربعمائة ألف روبية [1]، ولقد علق المصدر المتابع لهذه الأحداث قائلا : " تمت الموافقة على مثل هذا الأمر الخطير دون أن تقدم أعذار أو تجري مفاوضات مع الشركة وملك إنجلترا من خلال تبادل المبعوثين والرسائل ، بل تمت الموافقة عليه أسهل بكثير من أن تتم الموافقة على بيع أو شراء حمار "[2].

بموجب هذه المعاهدة التي عرفت باسم معاهدة إله آباد جمعت الشركة الإنجليزية في يدها سلطتي المال والسلاح ، وكان المفهوم الحقيقي لهذه المعاهدة بيع تلك الولايات للشركة الإنجليزية التي أصبحت دولة قائمة برأسها ، لها جيشها وإدارتها ولم يكن السلطان قادرا على أن يعمل غير ذلك لأنه هو نفسه لم يكن له في الهند كلها كرسي يجلس عليه ويدعى ملكيته بل كان لاجئا شريدا هنا وهناك ، ومع ذلك ظل يعتبر الوريث الشرعي الوحيد لهذه الدولة التي لم يبق منها إلا الاسم وذكريات الماضي ، وبتوقيع تلك المعاهدة يكون السلطان قد أصبح موظفا لدى الشركة الإنجليزية [3]، التي أصبحت بعد تلك المعاهدة تشكل

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٧٤ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٩ - ٦٧٠ ،
A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII, p.187.

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٧٤ .

(٣) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ،
احسان حقي : باكستان ماضيها وحاضرها، بيروت ، دار النفائس، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٩٧ ،
أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج٢ ، ص ٦٤٥.

محور تاريخ الهند ، وأصبحت الهند يسودها وضع ثنائي ، إذ بعد ذلك التاريخ كانت الأحداث والتطورات تقوم على عنصر هندي وآخر إنجليزي ، إلى أن تمت للشركة السيطرة التامة على الهند .

بعد هذه الانتصارات التي حققتها الشركة ، كان هناك من يرى استمرار الشركة في الفتح والتوسع والاستيلاء على الأطراف المتناثرة من الدولة المغولية إلا أن اللورد كلايف ورجاله الذين وجهوا شئون الإنجليز في الهند رأوا أن يضعوا حدا لتوسع ممتلكات الشركة ومشاريع فتوحاتها وتحاشي نمو أي علاقة أو ارتباط مع الأمراء المحليين تؤدي إلى إدخال الإنجليز في حروب مكلفة ، ورأى كلايف أن تحصر أملاك الشركة وخططها التوسعية خلال هذه الفترة في بنغال وبهار وأوريسه (١) ، ورأى الحفاظ على إمارة أوده بقيادة شجاع الدولة المنهزم في بكسر لتتوسط بنغال وشمال الهند كدويلة صديقة ، وسار خلفاؤ كلايف على هذا النهج في تلك المناطق حتى نهاية القرن ، وبهذا تخلت الشركة عن وعد قطعته للسلطان بأن تضع في اختياره جيشا لاستعادته عرشه في دهلي . وكان ذلك في عام ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢ م قبل الانتصار في معركة بكسر (٢)، ويوحي ذلك بأنه قد يكون لهذا الوعد أثره في موقف السلطان الاستسلامي مع الإنجليز والتخلي عن شجاع الدولة في أحرج الظروف وتلبية طلبات الشركة الإنجليزية دون تردد أو تأمل ، ولكن بعد أن حصل الإنجليز على مطالبهم ولم يروا لصالحهم الاستمرار في الفتح والتوسع في تلك المناطق ، تناسوا وعودهم للسلطان الذي سئم من البقاء في

---

(١) A.V.Jackson :History of India, Vol.VIII, pp.200-201.

(٢) Ibid: p.202.

إلـه آبـاد في قبضة الضبـاط الإنجليز وإهاناتهم ، فعـزم التوجه إلى دهلـي بعدما تلقى وعودا بالمساعدة من زعمـاء المرهتـه المسيطرين على شئون أواسط الهنـد (١).

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٥ .

وارن هستنجز Hastings وتنظيمات الشركة

بعد تدعيم سلطة شركة الهند الشرقية الإنجليزية التامة في ولايات بنغال وبهار وأوريسه ، عاد اللورد كلايف إلى لندن ليخلفه فيما بعد وارن هستنجز Warren Hastings حاكما عاما لممتلكات الشركة في الهند ، ليكمل بمشروعاته وتنظيماته تشكيل دولة الشركة داخل الدولة المغولية .

لم يكن هستنجز يجهل الهند ونشاطات الشركة فيها ، إذ كان قد التحق في خدمة الشركة ضمن موظفيها في عام ١١٦٣هـ / ١٧٥٠م ثم أخذ يرتقي في وظائفها حتى أصبح عضوا في مجلس إدارة كل من كلكته ومدراس ، وبهذا كان خبيرا ببلاد الهند وحالاتها (١) ، وقد وقع الاختيار على هستنجز بعد أن فقد هنري ونسترت الذي عين لخلافة كلايف ثانية ، إلا أن أخباره وأخبار السفينة التي كانت تنقله انقطعت ولم يعرف عن مصيره شيء ، وكان هستنجز في هذه الأثناء يرأس فرع الشركة في آركات بالدكن إذ استدعى إلى كلكته في عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠ م وأبلغ بتعيينه على رأس الشركة في بنغال ، وقبل أن يباشر عمله قام هستنجز خلال ثلاثة أشهر بمراجعة جميع أوراق الشركة ومعاملاتها وحساباتها ، وكان قد كلف بإصلاح حال الشركة التي كانت تعاني من الفساد(٢).

في فترة حكم وارن هستنجز الذي دام من ١١٨٦ - ١١٩٩هـ / ١٧٧٢ - ١٧٨٥ م ، بصفته حاكما عاما لممتلكات الشركة في الهند ، بدأ الصراع على السيادة

---

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٢،
محمود فهمي المهندس : البحر الزاخر في تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج٢ ، ص ٦٩٣، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٢ .

بصورة جادة بين كل من الشركة الإنجليزية والإمارات الهندية ، الأمر الذي جعل البرلمان الإنجليزي يركز جل اهتمامه على شئون الهند ، مع السعي لأول مرة بصورة جدية لتنظيم حكومة الشركة داخل الدولة المغولية الإسلامية (١)، وعلى الرغم من أن الشعب الإنجليزي لم يكن يحبذ تدخل الدولة في النشاط التجارى الخاص ، إلا أنه اقتنع بوجوب وضع ممارسات شركة الهند الشرقية تحت المراقبة والمتابعة الوطنية (٢).

إن إفقار بنغال وتفشي الفساد في أوساط موظفي الشركة وانغماسهم في تجارات خاصة ، قللت إيرادات الشركة التي كانت تمارس المسئولية على منطقة غنية بالموارد كالبنغال ، وهذا ما نبه البرلمان الإنجليزي وفرض ضرورة النظر في أوضاع الشركة في الهند ، ففي عام ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م قدر اللورد كلايف إجمالي موارد بنغال بأربعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية ، كما قدر الدخل الصافي للشركة بعد دفع المصروفات بمبلغ قدره مليون وستمائة وخمسون ألف جنيه،وإزاء هذه النتائج المشجعة ، رفع مجلس الإدارة قيمة عوائد الأسهم التي بلغ عددها ٢٦٧ سهما ، وقد اقتسم أصحابها نسبة قدرها ١٢ ½ ٪ في عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٧م (٣)، وأحضر موظفو الشركة إلى بلادهم مبالغ مالية ضخمة ،مما شجعت الحكومة بأن ترى من استيلاء الشركة على مناطق غنية في الشرق ، وسيلة لتخفيف الأعباء الضريبية عن كاهل الشعب الإنجليزي ، لاسيما وأن نظام منح تجديدات ميثاق

---

(١) A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII,p.216.

(٢) Ibid:p, 220.

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص٤٧ .

(٣) A.V.Jackson :History of India, Vol.VIII, p.221.

الشركة لفترات قصيرة كان يتيح فرصا ممتازة لتقديم شروط جديدة ، تتناسب مع سعر السوق الامتيازي ، وفي هذا الإطار صدر في عام ١١٨٠هـ / ١٧٦٧م قانون يلزم الشركة لتدفع إلى العرش مبلغا سنويا قدره أربعمائة ألف جنيه ، مقابل الإيرادات المالية والأراضي التي استولت عليها الشركة موخيرا(١)، ولكن الذى حدث هو أن الشركة لم تتمكن من الاستمرار في دفع ذلك المبلغ نحسب بل لجأت للحكومة كي تقرضها ، لأنه بالإضافة إلى الفساد السائد بين موظفي الشركة ، كانت البنغال قد تم نهبها وجرد أهلها المغلوب على أمرهم من القيام بأعمال إنتاجية مما كان له تأثيره الواضح على إيرادات الشركة ، كما أن بنغال أصيبت بمجاعة مخيفة في ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م، ولم يقم البرلمان بإجراء أى تحقيق جاد حول المفاسد وإخفاقات الشركة إلى أن أعلنت الشركة أنها غير قادرة على الاستمرار في دفع المبلغ السنوي المذكور ، فقرر البرلمان إجراء التحقيق الذي أظهرت نتائجه انعدام الالتزام والانضباط بين أوساط الموظفين واستشراء الفساد الإدارى والاختلاس وانشغال عملاء الشركة في التجارة الخاصة والتبذير في أموال الشركة حيث ظهر أن المصروفات السنوية للشركة ارتفعت من ٧٠٠,٠٠٠ جنيه عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٥ م إلى ١,٧٠٠,٠٠٠ جنيه في عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣ م (٢)، وهنا استحوذت الشركة على اهتمام البرلمان وجعلته يقتنع بضرورة إصلاح جذري عاجل ، خاصة وأن

---

(١) Ibid:pp.221-222

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٤٤ .

(٢) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, pp.222-223.

الرأي العـام في إنجلترا أصبح على قناعة بأن الشركة بـدأت تتجه نحو الانهيار ومواجهـة معضلة صعبـة ، فأصدر البرلمان في ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م القانـــون التنظيمي الذي أوجب المزيد من الإشراف من قبل الحكومـة على الشركـة ، كمـا خـول الحكومة لتسليف الشركة مبلغـا قدره ١٤٠٠٠٠٠ جنيه استرليني لتسديـد ما عليها من التزامات ، كما أعطى البرلمان الحق في إدارة الشركة بالهند(١) كما أعيد تكوين مجلس إدارة الشركـة ومجلس المساهمين على نمط أوليجاركيـي بواسطـة رفع المبالغ التي تؤهل الإنجليزي لعضويـة الشركـة أو المساهمة فيها، كما تم في الهند بموجب هذا القانون تأسيس مجلس مكون من أربعـة أعضـاء وحاكم عام ، خول لهما سلطة عامة على الرئاسـات الثلاث في كلكتـه ومـدراس وبمبـيء ، مع تخويل الصلاحية بحسم القضايا المتنـازع عليها بالاستناد علـى أغلبيـة الأصوات ، كما أنشئت إلى جانب ذلك محكمـة عليا مستقلة في كلكتـه من صلاحياتها حق الرفض لكل قرارات الشركـة (٢). وبموجب هذا القانـون أيضـا أصبحـت تحت سيادة التاج جميع الأراضي التي آلت للشركـة ، كما تقرر تكويـن مجلس إدارة مكـون من ٢٤ عضوا يتم انتخابهم بالتصويت من قبل المساهميـن وتنتهي في كل سنة عضوية ستة من أعضائه تملأ أماكنهم بالانتخاب من قبـل المساهمين وعلى هذا المجلس كان يقع عبء الإدارة في الهند ، وكان عليـه أن

---

(١) Ibid: p. 229

موسنييه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ .

(٢) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.230.

موسنييه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٤ ،

آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٧ .

يطلع وزارة الخزانة على كل المراسلات الخاصة بالدخل التي كانت تأتي من الهند ، وأن يطلع وزارة الخارجية بكل المراسلات الخاصة بشئون الإدارة المدنية والعسكرية (١).

كذلك نص القانون أن تكون المدة التي يقضيها الحاكم العام في منصبه هي خمس سنوات وكذلك مدة مماثلة لأعضاء مجلسه الأربعة ، على أن لايكون لهيئة المدراء حق إقالته أو إقالة مجلسه أو أي فرد فيه إلا عن طريق التاج بعد توصية من مجلس المدراء ، كما حدد القانون صلاحيات حكام الولايات وقيدت تصرفاتهم الخارجية ، فلم يعد يسمح لهم بعقد معاهدات أو شن حروب إلا بإذن من المركز(٢)، وبذلك تحولت الشركة رسميا من مؤسسة تجارية إلى دولة مركزية منظمة داخل دولة المغول في الهند ، على رأسها الحاكم العام في كلكته الذي يستمد سلطته من القانون الصادر عن البرلمان الإنجليزى الذي أعطاه حق التحكم الأساسي في العلاقات الخارجية للرئاسات الثلاث (٣) واستمرت هذه التنظيمات إلى نهاية عمر الشركة ، مع إجراء بعض التعديلات عليها من حين لآخر (٤).

كان وارن هستنجز Warren Hastings الذي خلف كلايف في رئاسة مجلس بنغال ، أول من تم تعيينه حاكما عاما لممتلكات الشركة في

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٤٥ .

(٢) المرجع نفسه : ص ص ٤٥ – ٤٦ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٤ .

(٣) A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII,pp. 235-236.

(٤) آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٨ .

الهند ، في إطار قانون تنظيمات الشركة (١)، ولم يكن له هم إلا أن يملأ خزانة الشركة التي آفرغتها الحروب والفساد ، وفي سبيل تدعيم أوضاع الشركة المالية عصر أمراء الهند المستسلمين للشركة اعتصارا وعمل لخلعهم أو القضاء عليهم إذا قاوموا تلبية جشعه ، كما حارب بضراوة الإمارات التي قاومت أعمال السلب والنهب المنظمة وانتهاك العهود التي أقدمت عليها الشركة في تلك الفترة ، وكأن قانون تنظيمات الشركة جاء لينظم مثل تلك الأعمال .

---

(١) محمود فهمي المهندس : البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر ، ج ٤ ، ص ١٩٣ ،
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٧ .

الشركة

دولة داخل دولة المغول الإسلامية في الهند

بعد القضاء على السلطة الإسلامية الوطنية في بنغال وبعد الهزائم التي منى بها حاكم أوده وانتهت باتخاذه نهجا استسلاميا تجاه الشركة ، لم يبق أمام خطط الشركة الاستغلالية التوسعية إلا إمارة ميسور والمرهته ونظام حيدر آباد في الدكن ، وتعاملت الشركة مع هذه القوى الثلاث بالخدعة والسياسة تارة والحرب وعقد الاتفاقيات تاره آخرى ، إلا أنها لم تجد من حاكم ميسور إلا الصمود والتصدي فدخلت الشركة مع هذه الإمارة الإسلامية المجاهدة في حروب متواصلة انتهت في النهاية إلى القضاء على تلك الإمارة واستشهاد سلطانها المجاهد ، بعد أن تآمرت القوى الهندية المحيطة بها ووضعت يدها بيد الإنجليز ضد ميسور .

كانت ميسور من توابع إمارة بيجاپور على الساحل الغربي في الجنوب الهندي التي خضعت لدهلي أثناء حكم السلطان أورنگزيب ، ثم استمرت في تبعيتها لنظام حيدر آباد حتى أيام صلابت جنگ الابن الثاني لنظام الملك آصف جاه مؤسس أسرة نظام في إقليم الدكن ، وأثناء تفكك الدولة المغولية وظهور ملوك الطوائف هنا وهناك ، ظهرت ميسور كإمارة مستقلة في العمل بفضل أعمال وانتصارات حيدر علي (١) بن فتح محمد ، وهو من مواليد عام ١١٣٤هـ / ١٧٢٢م في ميسور ، وأجداده قرشيون توطنوا في دهلي ثم انتقلوا الى گلبرگه Gulbarga

---

(١) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٣ أ - ق ٣ ب .

ببيجاپور Bijapur في عهد محمد عادل شاه (*) (١٠٣٥-١٠٧٠هـ /١٦٢٦- ١٦٦٠م) ، واستقروا هناك (١)، وكان أبوه رجلا يحب الجندية وقد عمل في جيوش الإمارات المتصارعة في ولاية دكن ، ولما بلغ حيدر على سن الرشد سلك هو الآخر نهج أبيه فعمل في جند ميسور حيث برزت قدراته العسكرية في المعارك التي خاضتها الإمارة ضد خصومها ، وكانت هذه الأحداث قد وقعت عندما بلغ الصراع الاستعماري الفرنسي الإنجليزي على أشده في جنوب الهند ، وبدأ جانبا الصراع بالتدخل في الشئون الداخلية الهندية في تلك المنطقة ، ففي عام ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م تآمر الفرنسيون على قتل حاكم آركات أنور الدين خان ونصبوا مكانه حسين دوستخان المعروف بچندا صاحب Shanda Sahib فاستعان ابن الحاكم المقتول وهو محمد علي خان الملقب بأمير الهند والا جاه بالإنجليز كما بادر بعض الإمارات ومنها إمارة ميسور بمساعدته في استعادة ملك أبيه ، واستمرت المعارك بين الجانبين إلى أن انهزم الفرنسيون وحليفهم چندا صاحب الذي أسر في غرة شعبان عام ١١٦٥ هـ / يونيو ١٧٥٢ م وقتل (٢).

(*) محمد عادل شاه : هو أحد حكام إمارة عادل شاه في بيجاپور بالدكن ، وقد أسس هذه الإمارة يوسف عادل شاه (٨٩٥ - ٩١٦هـ /١٤٨٩ - ١٥١٠م) ثم تلقب كل أسرة فيها بـ " عادل شاه " إلى أن انقرضت الإمارة بعد أن استولى أورنگزيب علي بيجاپور في عام (١٠٩٧ هـ / ١٦٨٦ م) .
(أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ، ج٢، ص ٦٣٦) .

(١) ميرحسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٣ ب ، ق ٧ آ -
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ،ص٢٥٦ ،
T.W.Haig حيدرعلى خان بهادر، (دائرة المعارف الاسلامية)،ج٨، ص ١٥٨ .

(٢) مير حسين على كرماني : نشان حيدري ، ق ١٣ ب ،
علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٦ آ .

كان حيدر على قد شارك في هذه المعارك على رأس وحدة من مشاة إمارة ميسور وأبلى فيها بلاء حسنا ، وكان محمد علي خان قد وعد ميسور أن يتنازل لها عن قلعة ترچنا پلي إذا أنجدته وأنقذته من حصار الفرنسيين وحليفهم غاصب إمارته وبعد أن انتهت المعركة بهزيمة أعداء محمد علي خان ، فوض الأخير تنفيذ ماوعده إلى الإنجليز الذين رفضوا هذا الطلب ، فعادت قوات ميسور غاضبة ومن هنا بدأت العداوة بينها وبين الإنجليز ،أدت إلى نشوب معارك بين الجانبين استمرت لعشرات السنين (١).

صعد نجم حيدر على نتيجة البسالة التي أبداها في تلك المعارك التي خاضها ضمن جيش ميسور ضد الفرنسيين وحلفائهم في آركات ، كما ذاع صيته أكثر بعد أن تمكن من إخماد تمرد الجند أثناء عودتهم إلى ميسور بعد أن عجز قائد الجند في ذلك ، فقربه حاكم الإمارة من نفسه واختاره ابنا له بالتبني وعينه مشرفا على الشئون المالية لميسور ، مما أثار حسد المقربين للراجه نندراج حاكم الإمارة فتآمروا لإبعاده ، إلا أنه نجح في القضاء على المؤامرة واعتقل وزير نندراج الذي كان يقود تلك المؤامرة ووضعه في السجن وأصبح هو المسيطر على شئون الإمارة المالية والعسكرية والإدارية (٢).

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ١٥ أ - ١٦ ب .
علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٧ أ .

(٢) ميرحسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ١٦ ب ،
علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٧ أ - ٨ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٧٢ .

كان المرهته قد استغلوا مشاركة قوات ميسور في حرب أركات ، فهاجموا ميسور واستولوا على أجزاء منها وعجز نندراج عن طردهم على الرغم من أنه دفع لهم مئات الألوف من الروبيات مقابل انسحابهم من أراضيه ، وهنا برز حيدر على مرة أخرى كقائد عسكري يتحدى الصعاب ، واستعد لمحاربة المرهته وطردهم من أراضي ميسور بالقوة ، وعلى الرغم من كثافة قوات المرهته واشتهارهم كقوات لاتقهر ، تمكن حيدر علي من محاربتهم وإخراجهم من أراضي ميسور ، بعد أن تلقوا أنباء هزيمتهم النكراء ، أمام قوات أحمد شاه دراني على مقربة من دهلي [1]، وبذلك كسب حيدر علي شهرة عظيمة واشتهر بحيدر علي نايك [*] ، وزاد نفوذه في ميسور وأصبح يقوم بقيادة الإمارة بالاستقلالية ، مما جعله محسودا أكثر لدى حاشية الراجه نندراج الذين بدأو يحرضون الراجه ضده ، ولكن حيدر علي نايك وضع الراجه تحت إقامة جبرية في قلعة الإمارة ، وتمكن من كسب تأييد الناس والجنود بالإنعامات والترقية في المناصب [2]، وبذلك قضى على المؤامرة التي حاكها الهندوكيون الذين عابوا على الراجه تفويض شئون الإمارة إلى ما أسموه أجنبيا مسلما ، وكتبوا إلى زعيم المرهته في پونه يستغيثونه ، قائلين : " إن مسلما خادما أصبح سيدا لميسور ولم يبق للراجه

(*) نايك : مصطلح هندي ، يعني قائد قوات المشاة ويطلق على القائد الذي يملك الشجاعة وحسن السلوك والمهارة في أداء مهامه .
(مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٥ ب ، ق ٦ ب) .

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٢٠ أ – ق ٢٢ أ .

(٢) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٨ أ – ق ٨ ب .

الا الاسم "[1] وهكذا استنجدوا بالمرهته باسم الهندوكية كما وعدوهم بمنحهم مئات الألوف من الروبيات إذا تمكنوا من القضاء على حيدر على ، واستجاب المرهته لهذا الطلب وخاضوا ضد حيدر على معارك غير حاسمة تكبدوا فيها خسائر كبيرة ، وفي نفس الوقت تمكن حيدر علي من استصدار رسالة من الراجه ننداراج إلى زعيم المرهته ، ذكر فيها بأن حيدر علي يعتبر ساعده الأيمن وعلى المرهته أن يتوقفوا عن التدخل في شئون إمارته فعاد المرهته بعد أن تلقوا وعدا بإعطائهم بعض الأموال وذلك في عام ١١٧٣ هـ / ١٧٥٩ م [2].

احتفظ حيدر علي براجه ميسور ، وكان هذا من حسن سياسته إذ قطع الطريق أمام الهندوكيين الذين كانوا يريدون تأليب الأغلبية الهندوكية من رعايا الإمارة ضد حيدر علي ، وفي نفس الوقت كان الراجه منصرفا فيما كان يعتبره تعبدا وتصوفا ، فلم يكن الاحتفاظ به يحد من صلاحيات حيدر علي ، وبعد موت الراجه خلفه ابنه الذي كان هو الآخر في عزلة ، وكان حيدر علي هو السيد الحقيقي والحاكم الفعلي للإمارة ، حيث ضرب السكة باسمه وعمل لبسط رقعة أملاكه غربا حتى بلغت الساحل ، مما جعل الإنجليز يخشون من تزايد نفوذه على مراكزهم في الجنوب الهندي [3] .

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٢٧ ب – ٢٨ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٣٣ أ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٦ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٥٢ .

(٣) T.W.Haig : حيدرعلى خان بهادر (دائرة المعارف الاسلامية) ، ح٨ ، ص ١٥٩ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٥٢ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٦ .

وهكذا اشتهر حيدر علي خلال سنوات قليلة في جميع أنحاء الهند كرجل مقدام شجاع وفارس منتصر ، وكانت تحيط بإمارته قوى عديدة معادية ، أهمها المرهته والإنجليز ونظام حيدر آباد ، ولقد خاض حيدر علي مع جاراته تلك حروبا عديدة ، كان هو المنتصر في معظمها (١).

بعد أن اطمأن حيدر علي على أوضاع دولته وجمع عنده الأسلحة والذخيرة ، بدأ في الاستيلاء على حاميات المرهته الواقعة على حدود دولته ، واشتبك الجانبان وتمكن فيض الله خان بن مير محمد قائد ميسور من هزيمة قوات المرهته مما جعل زعيم المرهته مادهو راو Madhu Rao يتوجه بنفسه إلى محاربة حيدر علي على رأس قوات كبيرة وبرفقة كبار قواده وذلك في عام ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م ، وبعد معارك غير حاسمة عاد المرهته مقابل تلقيهم مبلغا من المال وإبقاء قوات لهم في المناطق المتاخمة لميسور (٢)، إلا أن حيدر علي كان يستغل كل مناسبة سانحة لتوسيع رقعة دولته وإبعاد خطر المرهته أكثر فأكثر ، إلى أن تمكن من بسط حدود ميسور حتى نهر كرشنا Krishna في الشمال ، مستغلا في ذلك حالة التفرقة والتنافس التي كان يعيشها جماعات المرهته بين بعضهم البعض (٣).

في عام ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م هجم نظام علي خان حاكم حيدر آباد علي محمد

---

(١) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٩ أ .

(٢) المصدر نفسه : ق ١٤ب – ق ١٥ أ ،

مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٥٧ أ – ق ٥٨ أ .

(٣) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ١٨ ب .

علي خان حاكم أركات المتمرد الذي كان يتمتع بحماية الإنجليز فرفض أن يطيع حيدر آباد ، وأسرع الإنجليز لنجدته وكاد أن يلحق بحاكم حيدر أباد هزيمة محققة إذ لم تتمكن قواته السيئة التنظيم من الصمود أمام القوات الإنجليزية، فاستنجد بحيدر علي الذي لبى الطلب وأسرع بقواته الجيدة التنظيم والتدريب لنجدة حيدر آباد ، وتمكن من سد هجمات الإنجليز وتقدمهم وكاد أن يلحق بهم الهزيمة ، إلا أن الإنجليز اتصلوا بنظام علي خان سرا وعرضوا عليه عقد المصالحة فقبل ذلك العرض دون استشارة حيدر علي الذي أغضبه ذلك التصرف المتخاذل (١) وكان السبب في ذلك الانقلاب هو تخوف نظام حيدر آباد من تنامي نفوذ حيدر علي وقدراته العسكرية ، وتمكن الإنجليز من تعميق ذلك التخوف لديه ، فقبل الصلح معهم ، وبموجب هذا العقد تنازل نظام حيدر آباد للإنجليز عن بعض الأراضي في إقليم كارناتك Karnatic مقابل أن يتمتع بمساعدة القوات الإنجليزية إذا طلب ذلك ، وبذلك رجع نظام علي خان إلى حيدر آباد تاركا حيدر علي ليواجه بمفرده الإنجليز (٢)، إلا أنه اجتنب المواجهة وقرر بدلا عن ذلك أسلوب الحرب الخاطفة وقام بنشر جواسيسه في أماكن كثيرة ليزودوه بأخبار تنقلات القوات الإنجليزية ، وتلقى أنباء عن تحرك قوات إنجليزية مساعدة للالتحاق

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٨٩ أ ، ٩٥ ب ، علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ١٥ ب - ١٦ أ ، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٢ .

(٢) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٩٦ ب ، علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ١٧ أ - ق ١٧ ب .

بالقوات التي تعتزم محاربته ، فنصب لهذه القوات كمينا ووفق في مهاجمتها والاستيلاء على ما تحملها من الأسلحة والمؤن بعد أن لاذ أفرادها بالفرار[١] وزادت مخاوف جيران ميسور من هذه الانتصارات ، فاتفق المرهته ونظام حيدر آباد على مهاجمة حيدر علي والقضاء عليه ، إلا أن حاكم ميسور كان نشطا في الدبلوماسية كنشاطه ونجاحه في العسكرية ، فتمكن من شراء عودة المرهته بالمال ، الأمر الذي جعل حاكم حيدر آباد نظام علي خان يطلب فرقة عسكرية من مدراس ، وقد حصل على ذلك بموجب الاتفاقية التي كانت قد تم توقيعها بين الجانبين ، إلا أن حيدر علي وفق في هذه الحالة أيضا على التوصل إلى تفاهم مع نظام علي خان وجعله ينقلب على الشركة الإنجليزية ويتفق معه لمقاومتها[٢].

كانت الساحة تشهد كثيرا من هذه التقلبات في مواقف المرهته وحاكم حيدر آباد ، فمرة يقف أحدهما أو كلاهما مع الإنجليز ومرة أخرى مع حيدر علي ، وقد شهدت هذه الفترة معارك متواصلة تقريبا بين حيدر علي من جهة وجيرانه من جهة أخرى ، وخاصة مع الإنجليز الذين كانوا مشتركين في هذه الحروب إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ولكن هذه المعارك لم تكن تنتهي في الغالب بالحسم وتحديد الغالب والمغلوب ، وكان حيدر علي خلال تلك الفترة يعمل ليل نهار لتدريب جنده وتسليحه على نمط حديث ، وقد وزع في حدود ألفين من الجواسيس في حيدر آباد ويونه وأركات ودهلي وبنغال وإيران وكابل ، وكان من وظائف هؤلاء

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٩٦ ب - ٩٧ أ .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٢ - ٦٧٣ ،

A.V.Jackson:History of India, Vol.VIII, p.212.

الجواسيس أن يقدموا له تقارير عن الخبراء والعلماء في المجالات المختلفة وإغرائهم بالهجرة إلى ميسور والتوطن فيها ، كما كان يشتري أنواع الأسلحة من مصادر متعددة وخاصة من فرنسا[1] ، وبذلك تمكن من تكوين قوات جيدة التلسيح والتدريب ، لم تكن ندا للقوات الإنجليزية فحسب ، بل فاقت عليها في مرات عديدة ، ومع أنه قاوم الإنجليز بمفرده ، إلا أنه أثبت بأنه أكثر دهاء ونشاطا من أي أمير هندي من مجموعة الأمراء الذين خاضت معهم الشركة الإنجليزية تجربة عسكرية .

في عام ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م هاجم الإنجليز ميسور بمشاركة من محمد علي خان حاكم أركات ، وتمكنوا من الاستيلاء على قلاع كثيرة ، وتقدم الإنجليز إلى حيدر علي بطلب الصلح إلا أنه رد عليهم بأنه قادم إلى مدراس وهناك يقولون مايريدون ، وأعقب هذا التهديد بحملة خاطفة موفقة لم تنته إلى طرد الإنجليز مما استولوا عليه من أراضيه فحسب ، بل استولى خيالته على كل البلد حتى مشارف ضواحي مدراس ، وتأثرت بذلك موارد الشركة لدرجة كبيرة وجعلتها تلح في طلب الصلح ، وهنا قبل حيدر علي أن يعقد معها الصلح من موقف القوة ، فأملى على الإنجليز شروط معاهدة مدراس التي وقعت في ذي الحجة ١١٨٢هـ / ابريل ١٧٦٩م وبموجبها حصل منهم على مبلغ قدره خمسة وثلاثون لكا من الروبيات ، كما نصت المعاهدة على التعاون الحربي المتبادل ، وعدم السماح للقوات الإنجليزية بالنزول في الأراضي الخاضعة لحيدر علي إلا بإذن منه ، كما اتخذ حيدر علي من

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ١١١ أ - ق ١١١ ب .

جبل يبعد خمسة أميال من عاصمة الإنجليز ، سكنا له (١).

التزم حيدر علي بعهده ولكن الإنجليز لم يفوا بعهدهم ولم يقدموا مساعدة لحاكم ميسور فحسب بل كانوا يحرضون أعداءه عليه ثم يتخلون عنه ، والحقيقة أن الإنجليز كانوا مرتبطين بنفس الالتزامات مع نظام حيدر آباد والمرهته أعداء حيدر علي الأقوياء ، وكأن حيدر علي أراد بتلك الاتفاقية أن يجعل جاريه يشكون في مصداقية الإنجليز ، ويضع الإنجليز في موقف حرج يكشف حقيقتهم أمام الذين يثقون في صداقتهم ، وهذا ما حدث فعلا بعد عقد المعاهدة المذكورة بسنة ، إذ هجم المرهته على ميسور ، وهنا طلب كل واحد منهما مساعدة الإنجليز الذين أحجموا عن الوفاء بالعهد وادعوا انهم على حياد(٢) ، وانهزم حيدر علي في تلك المعركة ، وعزا الهزيمة إلى خيانة الإنجليز ، فازداد حنقه عليهم وأخذ يرقب مناسبة لإشباع غيظه ، كما جرح الإنجليز شعور المرهته الذين كانوا يتوقعون التدخل الإنجليزي المباشر لصالحهم (٣).

لقد تعلم حيدر علي من هذا الوضع ، ومنذ ذلك الوقت قرر أن يعتمد على نفسه ما أمكن ذلك ، فعنى بتكوين جيش قوي من الجنود المدربين ، كما اهتم بأمر إنشاء البحرية ، مستغلا في ذلك فترة الهدوء التي أعقبت مصالحته مع المرهته

---

(١) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ١٧ ب - ق ١٨ أ ،
A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, p.213.
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٨ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٥٣ .

(٢) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, pp.214-215

(٣) Ibid: p.215.

وحاكم حيدر آباد ، وأرسل سفراءه مع الهدايا إلى حاكم إيران كريم خان(*) زند طالبا منه إرسال عدة آلاف من الفرسان إليه ، وصرف في سبيل تكوين جيشه وتدريبه وتسليحه مبالغ باهظة وقامت بينه وبين الفرنسيين صلات قوية حيث قاموا بتدريب كثير من جنوده على فنون القتال الحديثة ، وكانت نتيجة محاولاته تلك تكوين جيش هندي مدرب قوي ، هجم به على المرهته واسترد البلاد التي كان قد فقدها (١)ثم صالحهم ، وشرح المصدر المتابع للأحداث نشاطات حيدر علي ونجاحاته قائلا : " لقد ذاع صيت شجاعته وبطولاته في أنحاء الهند وفي الروم (**)وإيران ، وان خططه في تعبئة القوات أصبح دستورا للفاتحين ، وفي قيامه بتصريف أمور الحكم بحكمة ، يكون ندا لعلماء الإفرنج، وأن رعاياه يتمتعون بالرخاء سواء كانوا مزارعين أو تجارا أو حرفيين ، ويسود ملكه العدل والأمن ، وأن جيشه يقظ في الحراسة والمراقبة ، ومدافعه مربوطة بالخيول بدل الأبقار ، وأنه يبحث عن الخبراء والفنيين في كل مكان ويبعث في طلبهم رجاله بأية وسيلة" (٢).

(*) كريم خان زند : ولد في عام ١١١٦هـ / ١٧٠٥م وتوفى عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م وهو مؤسس الأسرة الزندية التي حكمت إيران من عام ١١٦٣هـ / ١٧٥٠ م حتى ١٢٠٩هـ / ١٧٩٤ م .

(**) تذكر الدولة العثمانية في المصادر الهندية باسم الروم .

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٣ ، عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٥٣ .

(٢) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ١٣ ب - ١٤ أ .

حاول حيدر علي أن يكون حلفا من القوى الهندية المختلفة من أجل العمليات المشتركة لطرد الانجليز من الهند ، فأرسل مبعوثيه إلى المرهته ونظام حيدر آباد وشجاع الدولة حاكم أوده ، ولكن محاولاته تلك لم تثمر(١)، ومع هذا كان يبحث عن كل مناسبة سانحة لمحاربة الإنجليز ، فعندما صمم هستنجز على محاربة المرهته بادر زعيمهم بالمراسلة إلى انجلترا طالبا منع حاكم الشركة من الهجوم عليه ، وأسرع حيدر علي بإرسال مبعوثه إلى البيشوا مع خمسة عشر لكا من الروبيات وثلاثة عشر فيلا وأربع لكات روبية من المجوهرات ، مؤكدا له وقوفه الكامل إلى جانب المرهته في نزاعهم مع الإنجليز ، كما أكد له بأنه سوف يقوم بهجوم كبير على الإنجليز ، وطلب من البيشوا أن لايطلب الصلح مع الإنجليز لا في بنغال ولا في إنجلترا وطمأنه بأن الإنجليز سوف يضطرون إلى طلب الصلح .

لقد قبل البيشوا اقتراح حيدر علي الذي اتصل في نفس الوقت بالفرنسيين في بونديشيري طالبا مشاركتهم في حرب الإنجليز واعدا إياهم بأنه سوف يتكفل بنفقات الحرب ، وقبل الفرنسيون هذا العرض وكلفوا قوات منهم لمساعدة حيدر علي (٢).

إن ميزان القوى في الهند في أواخر القرن الثاني عشر الهجري/الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي كان في شكل مثلث أضلاعه هي شركة الهند الشرقية الإنجليزية ودولة المرهته ودولة ميسور ، وإذا تقاتلت اثنتان من تلك القوى، فإن القوة الثالثة تصبح سيدة الموقف لفترة ما ، أما إذا اتحدت اثنتان من

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ١ ، ص ٤٥٦ .

(٢) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٢٣ أ - ٢٥ أ .

القوى المذكورة ، فإن القوة الثالثة تكون في خطر شديد ، ومن هنا تخـوف الإنجليز من التحالف بين ميسور والمرهته من جهة وبينها وبين الفرنسيين من جهة أخرى (١)، وكان حيدر علي قد أعلن أن أي هجوم على أملاك الفرنسيين يعتبر هجوما عليه ، إلا أن الإنجليز لم يبالوا بهذا التهديد وهجموا على الموانىء الفرنسية إثر الحرب التي نشبت بينهما في عام ١١٩٢هـ / ١٧٧٨ م واستولوا على پوند يشيري Pondicherry وماهي Mahe في العام التالي ،فأعلن سلطان ميسور الحرب على الإنجليز الذين بادروا بإرسال مبعوثهم إليه طالبا منه بعدم نقض اتفاقية السلام والتعاون التي وقعت بينهما ، ولكن حيدر علي رد قائلا: " إنه كان يعتقد في السابق بأن الإنجليز لانظير لهم في المحافظة على العهد والالتزام به ، ولكن التجارب أثبتت أن الإنجليز في مقدمة الذين لايحترمون عهودهم ، بل يبادرون إلى نقضها كلما رأوا ذلك لصالحهم» «وبين للمبعوث الإنجليزي أن الاتفاقية التي يستند إليها في أقواله ، قد انتهكت من قبل الإنجليز لأنهم عبروا ميناء ماهي على الرغم من أن عدم النزول في الأراضي الخاضعة له ، كان أحد شروط الاتفاقية " (٢).

ورد المبعوث الإنجليزي قائلا : " ان الفرنسيين بادروا بمنازعتنا فأدبهم ملكنا الذي أرسل تعليماته إلى مسئولي الشركة في بنغال ومدراس وبمبيء يأمرهم فيها بالاستيلاء على مراكز الفرنسيين في الهند ، ونزولنا في ميناء ماهي كان للاستيلاء على أملاك الفرنسيين فقط ، ولو عملتم بمقتض الصداقة وقمتم بإخراج

---

(١) A.V.Jackson-: History of India, Vol.VIII, pp.250-251.

(٢) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٢٥ أ .

عدو صديقكم من أراضيكم لم نكن نحتاج للنزول في آراضيكم ، وعلى كل حال فلنتغاض عن الماضي ونقوم بتجديد الاتفاقية من جديد "(١)، إلا أن حيدر علي رد على المبعوث الإنجليزي قائلا : " إننا لانثق في أقوالكم وأفعالكم ، ثم إننا لانحصل عن مصالحتكم على شيء لأن أموركم بيد المجلس ولو طالبت مساعدتكم فسوف تنتظرون موافقة المجلس والمجلس بدوره يستشير الآخرين ، وهكذا فحتى لو وافق الجميع على تقديم المساعدة ، فستصل هذه المساعدة بعد فوات الأوان نظرا لطول الوقت الذي تستغرقه هذه الإجراءات ، إضافة إلى هذا كله فنحن لانضع مصالحنا يتحكم فيها الأجانب ، ولا أضع الفرصة تفوتني ، فكما تعلمون عندي قوات من الفرسان الذين تعودوا التقدم والانسحاب إلى مسافات بعيدة ، وعندي من الذخائر ما تكفيني لسنوات ، ولا أتصور أن يكون بيننا وبينكم مجال للاتفاق "(٢) وهكذا كان حيدر علي صارما وصريحا في رده للمبعوث الإنجليزي الذي عاد إلى مدراس خائبا . وانقطعت الاتصالات بين حيدر علي والإنجليز منذ ذلك الحين ، وإزاء هذا الرد الحاسم من حيدر علي ، كتب هستنجز إلى حاكم الشركة في بمبيء يأمره بإيقاف حربه مع المرهته وتوجيه قواته إلى محاربة ميسور لتخفيف الضغط على مدراس ، وحذره قائلا : " إن أي إهمال في هذا الأمر ، سوف تكون له آثاره الوخيمة على هيبة الشركة واستمرارية حكمها "(٣).

نسق المرهته وحيدر علي معاركهما ضد الإنجليز ،فتكفل حيدر علي بمهاجمة الإنجليز في أركات حيث هاجمها في شهر رجب من عام ١١٩٤ هـ / يوليو ١٧٨٠م بقوات

---

(١) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٢٥ أ .
(٢) المصدر نفسه ، ق ٢٥ أ .
(٣) المصدر نفسه ، ق ٢٦ ب .

من فرسانه ومشاته ومدافعه ، وتمكن من الاستيلاء على معظم قلاع آركات بعد أن خدع القوات الإنجليزية بانسحاب تكتيكي وجرها إلى خارج قلعة آركات الرئيسية التي كان الحاكم الإنجليزي يتحصن فيها ، فاستولى سلطان ميسور على القلعة وغنائم كبيرة كما قتل أعداد كبيرة من الإنجليز نتيجة تفجير مستودع البارود، واضطر القائد الإنجليزي إلى الهرب في ظلام الليل ، مستنجدا بقوات جديدة من هستنجز الذي بادر بإرسال الجنرال ايركوت Eyre Coote الخبير في معارك كارناتك على رأس قوات جديدة لمساعدة القوات المحاصرة في مدراس ، حيث قطع عنهم التموين بعد أن نجحت قوة فرنسية بالاستيلاء على السفن الإنجليزية وماكانت تحمله من المواد التموينية ، ولقد تمكن ايركوت أن يصل بقواته إلى مقربة من مدراس في أوائل شهر ذي الحجة سنة ١١٩٤هـ / ديسمبر ١٧٨٠م [١]، مستفيدا من المساعدة التي قدمها له نظام حيدر آباد بالسماح للقوات الإنجليزية بالمرور عبر أراضيه ، ولكن قوات ميسور بقيادة فتح علي ابن حيدر علي حاصرهم بمساعدة من الفرنسيين ، وفي أثناء المعركة تراجع الفرنسيون ، وتركوا الحصار البحري وبذلك انفتح الطريق أمام القوات الإنجليزية للتموين وإمدادها بالرجال والسلاح، وتمكن كوتCoote من الوصول إلى مدراس في أواخر ذي الحجة وقامت بينه وبين قوات ميسور معارك شديدة ، وكان كوت يماطل في القيام بمعركة حاسمة بغية وصول الإمدادات الأخرى من بنغال كما كان ينتظر وصول السفن من

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٢٨ أ - ٢٩ ب ،

ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٧٣ ،

S.P. Sen: The French in India (1763 - 1816), pp.222-223.

إنجلترا ، ومع هذا قامت قوات ميسور بهجوم خاطف على القوات الإنجليزية أصابت الكثير منها بين قتيل وجريح ، وفي هذه الأثناء وصل عدة آلاف من الإنجليز من إنجلترا ورست سفنهم في الساحل حيث شاهدوا المعركة بواسطة المنظار فنزلوا في الشاطيء وقاموا بنجدة قوات الجنرال كوت ، كما وصلت قوات إنجليزية أخرى من بنغال في أواخر صفر عام ١١٩٥هـ / فبراير ١٧٨١م (١)، وتمكنت هذه القوات مجتمعة من إبعاد قوات ميسور بعيدا عن المنطقة المجاورة من حاضرة الرئاسة في مدراس ومع ذلك ظلت الحرب قائمة بين الجانبين وتمكن فتح علي ابن حيدر علي المشهور فيما بعد باسم السلطان تيبو الذي كان يقود المعارك تمكن من القضاء على أكثر من ألفين من جنود الإنجليز في منطقة الكارناتك غربي مدراس ، وتمكنت قوات ميسور من إحكام سيطرتها على ولاية أركات وعاد الجنرال كوت إلى كلكتة دون أن يتمكن من حسم المعركة ولكنه استطاع من خرم الاتحاد بين حيدر علي والمرهته وفي نفس الوقت تلقى حيدر علي إمدادات من الفرنسيين إلا أن الأجل لم يمهله فتوفى في أوائل محرم ١١٩٧هـ / ديسمبر ١٧٨٢م واضطر ابنه أن يرجع إلى العاصمة لتتم فيها مراسم جلوسه على خلافة أبيه (٢). وأثلج موت حيدر علي صدور الإنجليز

---

(١) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٢٩ ب - ٣٠ أ ،
مير حسين على كرماني : نشان حيدري ، ق ١٤١ ب - ١٤٩ ب ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٣ .

(٢) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ١٥٨ ب ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٤ ،
محمود فهمي المهندس : البحر الزاخر في تاريخ العالم ، جـ٤ ، ص ١٩٤ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٥٤ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان ، در مسير تاريخ ، ص ٤٢٠ .

الذين راحوا يعلنون أفراحهم في مدراس ويتبادلون التهاني فيما بينهم ، ولكن موت حيدر علي لم يؤثر على مجرى سياسة ميسور ، لأن آبنه فتح علي(*) كان أشد منه وطأة على الإنجليز وأوجع ضربة (١).

عندما تولى تيپو عرش إمارة ميسور كانت الدولة المغولية في حالة احتضار ولم يكن في البلاد كلها أمير يجمع الناس حوله لخوض المعارك المصيرية ضد الإنجليز ، ولما كان سلطان الدولة المغولية الإسلامية في الهند قد فقد كل مقومات السلطنة ولم يعد غير أمير صغير بين سائر الأمراء الصغار ، رأي تيپو أنه لابد من تركيز الجهود في نقطة واحدة ، فتقدم لملأ هذا الشغور ، وتلقب بالسلطان وأحاط نفسه بهالة من أمارات السلطنة ، مما لم يكن أحد من أمراء الهند في الدولة المغولية قد جرأ عليه من قبل (٢).

استمر العداء بين ميسور والإنجليز ، ولقد نهج تيپو نهج أبيه وهو التصدي للإنجليز بأية وسيلة والتقرب إلى الفرنسيين خصوم الإنجليز التقليديين،

(*) ولد فتح علي المعروف بالسلطان تيپو في يوم السبت ٢٠ من ذي الحجة عام ١١٦٣هـ/ نوفمبر ١٧٥٠م، ونشأ تحت توجيه أبيه الذي رباه تربية عسكرية صارمة بالإضافة إلى تعليمه علوم وثقافات عصره ، وكما لاحظنا أصبح تيپو بعد بلوغه الساعد الأيمن لأبيه في معاركه المتواصلة ضد الإنجليز، ورأينا أنه كان يقود المعارك الشرسة الأخيرة في حياة أبيه والتي ظفر في معظمها وأوقع بالإنجليز هزائم منكرة ، وكان قد تثقف في الفنون العسكرية على أيدي ضباط فرنسيين ، كما أتقن الرياضة البدنية التي تستلزمه الجندية.

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٥٧ .

والانجليز من جانبهم ركزوا نشاطهم في الهند ضد سلطنة ميسور والقضاء عليها بمختلف الوسائل العسكرية وتأليب جيرانها عليها واتباع أساليب المكر والخداع المعروفة عن الإنجليز .

لقد قدم الفرنسيون إلى السلطان تيبو تعزيتهم في وفاة أبيه وأرسلوا ألفي جندي لمساعدته ضد الإنجليز الذين استغلوا وفاة حيدر علي وعزموا على مهاجمة ميسور ، إلا أنهم انصرفوا عن الهجوم بعد أن رأوا القوات الفرنسية قد انضمت إلى صفوف قوات تيبو ، فعادوا إلى مدراس ، إلا أنهم حرضوا بعض عمال ميسور للتمرد (١) ووعدوهم بتقديم مساعدة عسكرية إليهم ولكن السلطان تيبو تمكن من القضاء على المتآمرين ونجح في تدعيم سلطته في دولته في العام الأول من توليه العرش ، كما جدد النظر في تنظيمات أبيه في السنة التالية وأعاد المصطلحات العسكرية الفارسية والتركية بدل المصطلحات الفرنسية التي كانت رائجة في أيام أبيه (٢)، وهذا يدل على أن السلطان تيبو كان يبحث عن الأخذ بوسائل التقدم مع الحفاظ على هوية دولته الإسلامية الهندية ، وقد رتب أمور بلاده ترتيبا حسنا ، وأوصل عدد جيشه إلى عشرات الألوف من الجنود ومئات المدافع وادخر كميات كبيرة من المؤن والذخائر الحربية في سبيل الاستعداد الدائم لمحاربة الإنجليز (٣)، ولكن في الوقت الذي كانت فيه رحى الحرب لاتزال دائرة في الهند ، انتهت الحرب بين فرنسا وإنجلترا بمعاهدة فرساي التي تمت في

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ١٦٦ أ - ١٦٧ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ق ١٦٧ أ - ١٧٥ ب .

(٣) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ، ج ٤ ، ط٤، بيروت، دار الفكر ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م، ص ٣١٨ .

١٦ صفر ١١٩٧ هـ / ٢٠ يناير ١٧٨٣ م ووصلت أنباؤها الى الهند في شعبان ١١٩٧هـ / يوليو ١٧٨٣م وأدت الى منع المواجهة المسلحة بين ميسور والفرنسيين من جهة والإنجليز من جهة أخرى ، وكانت تعزيزات فرنسية كبيرة من سلاح المشاة قد وصلت إلى الهند في مطلع السنة المذكورة، ووجد السلطان تيبو نفسه وحيدا أمام الإنجليز ، غير أن الفرنسيين توسطوا في عقد مصالحة بينه وبين الإنجليز وذلك في ربيع الثاني عام ١١٩٨ هـ / مارس ١٧٨٤م ، تعهد فيها الطرفان بإنهاء الحرب وإطلاق الأسرى ورد ما أخذه كل طرف من أملاك الطرف الآخر (١)، وبذلك تنفس الإنجليز الصعداء بعد أن كانوا يفكرون جديا بإخلاء مقاطعة كرناتك والانسحاب منها (٢)، ومع هذا كانت الاتفاقية في العمل عبارة عن هدنة موّقته استعد من خلالها الطرفان لجولات جديدة من المواجهات المسلحة ، ونرى هنا مرة أخرى بأن مصير المعارك والأحداث كانت مرتبطة إلى حد بعيد بطبيعة العلاقة بين الفرنسيين والإنجليز سلما وحربا ، وهذا ما كان يعيب سلطنة ميسور أشجع الإمارات الهندية وأصمدها أمام التوسع الإنجليزي الاستعماري ، ومع أن تيبو كان يملك إرادته واستقلاليته في اتخاذ القرار ، إلا أن الأحداث كانت أكبر من مقدراته ولم يكن بوسعه أن ينازل الأعداء المحيطين به بمفرده .

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ١٧٨ ب ،
A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII, p.257.
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٥٥ ،
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

(٢) موسنيبه وزميلاه : تاريخ الحضارات العام ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ .

في عهد السلطان تيبو كان يتزعم شركة الهند الشرقية الإنجليزية في الهند رجال أكفاء تمكنوا من تدعيم سلطة الشركة والقضاء على خصومها واحدا بعد الآخر فبعد أن عاد هستنجز إلى لندن في شهر ربيع الأول ١١٩٩هـ / فبراير ١٧٨٥ م خلفه في قيادة الشركة في الهند كورنواليس Cornwallis الذي كان هو الآخر من أقدر حكام الشركة في تلك الظروف المصيرية ، ووضع في مقدمة مخططاته القضاء على تيبو ليتسنى له القضاء على غيره من بعده ، كما قاد الشركة في نهاية هذه الفترة حاكم عام الشركة الشهير ولزلي Richard Wellesley (١٢١٢ - ١٢١٩هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠٥م).لقد بذل الإنجليز أقصى ما في وسعهم للقضاء على سلطنة ميسور المسلمة مستخدمين في ذلك كل وسيلة عسكرية ودبلوماسية وأساليب المكر والخداع وانتهاك العهود وإثارة البسطاء من حكام الإمارات المحيطة بميسور .

كان تيبو يعرف ثقل المسئولية الملقاة على عاتقه وأن عليه أن يتحدى جميع الصعاب بمفرده ، لقد خذله حلفاؤه الفرنسيون ومع هذا لم يقطع صلاته بهم، كما حاول أن يحسن علاقاته بالإنجليز ما أمكن ذلك ، وفي الرسائل المتبادلة بين الجانبين كان تيبو يؤكد دائما على التزامه ببنود المصالحة التي تمت بين الجانبين ، ولقد تلقى في ١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م رسالة من كورنو اليس حاكم عام ممتلكات الشركة الإنجليزية في الهند طلب فيها من تيبو بأن يقوم بإطلاق سراح جميع الإنجليز المعتقلين في دولته ، ورد تيبو على هذه الرسالة قائلا:" بموجب المصالحة التي تمت بين الجانبين أطلق سراح جميع المعتقلين الإنجليز وغيرهم، وطبقا لنصوص الاتفاقية فإنهم خيروا بين الخروج من أراضي ميسور أو البقاء فيها،

فذهب من ذهب وبقي من بقي بمحض إرادته ، وعلى كل حال فإنني أبذل كل اهتمامي لرخاء الناس وأمنهم ، وأؤكد التزامي بالعهود والمواثيق ، وإنني على يقين بأنكم لن تدخروا وسعا في عمل ما يؤدي إلى تدعيم أواصر الصداقة والتحالف بين الجانبين " (١)، ومع كل هذا كان كورنواليس يرى في السلطان تيپو مصدر خطر يهدد مستقبل الإنجليز في الهند ، ومن هنا كان يخطط للقضاء عليه أو الحد من خطورته ، ويتذرع لانتهاك عقد المصالحة المشار إليه ، ولتحقيق برنامجه الغادر عقد سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م معاهدة مع حاكم حيدر آباد والمرهته للقيام بعمليات مشتركة ضد تيپو ، على أن تقسم ميسور بين الأطراف الثلاث عند الاستيلاء عليها (٢)، و لتبرير الهجوم ، ادعى الإنجليز بأن بعضا من قوات تيپو أغاروا على بعض ممتلكات الشركة في أركات ، ولكن تيپو نفى ذلك الاتهام وأكد أن الإنجليز يقومون بنشاطات استفزازية على الحدود وطلب من الإنجليز أن يضعوا حدا لمثل تلك الأعمال التي تتنافى مع روح الصداقة الموجودة بين الجانبين (٣)، إلا أن

---

(١) Letters of Tipu Sultan ، مخطوط فارسي في I.O.L تحت رقم ETHE525 ص ١٥٤- ١٥٦
وكذلك أكد تيپو التزامه باتفاقية السلام المشار إليها في رسائل متبادلة أخرى بين الجانبين، منها ماورد في صفحات ٨٢ - ٨٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠ و ٣٨١ - ٣٨٢ من المصدر الوثائقي المذكور .

(٢) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٢٢٠ ب ،
Sh. Abdur Rashid: History of the Muslims of Indo-Pakistan sub-continent, Vol.I, pp.349-350.

(٣) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٢١٦ أ .

الإنجليز كرروا اتهامهم وجعلوه ذريعة للهجوم على أراضي ميسور بمشاركة من حلفائهم المرهته ونظام حيدر آباد ، فهاجموا أراضي السلطان تيپو من أربع جهات ، ولقد قاوم تيپو هذا الهجوم وأوغل في التقدم حتى مقربة من مدراس، واضطر كورنواليس أن يقود الجيش الإنجليزي بنفسه ، إلى أن انهزم تيپو أمام الحلف بعد أن قاوم قرابة عامين وهزم خلاله الإنجليز في عدة معارك غير حاسمة ، وطلب تيپو الصلح واستجاب الإنجليز لهذا الطلب وفق شروط محددة ، وكان الضباط الإنجليز يرفضون الصلح بعد أن توغلوا داخل أراضي ميسور إلا أن كورنواليس أقنعهم على قبول الصلح قائلا لهم : " في الوقت الحاضر قبول الصلح لصالحنا ، مع أن الاستيلاء على القلعة وأسر السلطان ليس صعبا ، إلا أنه يجب أن ندرك بأن هناك شركاء معنا في كل شيء ، فلا فائدة للشركة لو قضينا في الوقت الحاضر على السلطان " (١).

وهكذا أخر الإنجليز القضاء على كامل سلطنة ميسور حتى يحولوا دون حصول حلفائهم المرهته ونظام حيدر آباد على نصيبهم حسب الاتفاق بينهم .

لقد فرض الإنجليز شروطا مهينة على تيپو مقابل تلبيتهم لطلبه الداعي إلى عقد الصلح من جديد ، ففرضوا عليه غرامة حربية قدرها ثلاثون مليون روبية أرضا ومثل ذلك المبلغ نقدا ، وبذلك استولى الإنجليز وحلفاؤهم على جزء كبير من أراضيه بما في ذلك المنطقة الواقعة في الساحل الشرقي ، واشترطوا عليه أن تكون حراسة أحد أبواب قلعة العاصمة بيد القوات الإنجليزية وأن يترك عندهم اثنين من أبنائه رهينة إلى أن يتم دفع المبالغ المطلوبة كاملا ، ولم يـــر

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٢٣٣ ب – ٢٣٤ أ .

السلطان تيبو مخرجا إلا القبول بما فرض عليه ، فدفع لهم عشرة ملايين روبية في الحال ووضع ابنيه معز الدين وعبدالخالق رهينة عندهم إلى أن يسدد المبلغ المتبقي ، وتم هذا الاتفاق في عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢ م (١).

علي الرغم من أن تيبو استسلم للأمر الواقع مضطرا إلا أنه ظل يبحث بصفة مستمرة عن كل الوسائل والطرق للانتقام ، وكان يطرق كل باب للتحالف ضد الإنجليز وقام في هذا الإطار باتصالات وإرسال المبعوثين والرسائل إلى المرهته وزمان شاه (*) حاكم كابل والفرنسيين وحاكم مسقط ، إلا أن فرنسا كانت الجهة الوحيدة التي تستطيع مساعدته ، وكانت سياسة فرنسا الهندية تتأثر دائما بعلاقاتها مع الإنجليز على المستوى الأوربي ، ولقد أتيحت لتيبو مرة أخرى فرصة الاستفادة من العداء الإنجليزي الفرنسي عندما ظهر في الساحة نابليون بونابارت Napoleon Bounapart الذي أبدى حماسه في القضاء على الوجود الإنجليزي في الهند بالاستيلاء على الطريق البحري بين إنجلترا والهند عبر برزخ السويس ، ومن هنا قام نابليون بغزو مصر في السادس من ذي القعدة عام ١٢١٢هـ/

(*) زمان شاه : خلف والده تيمور شاه في حكم أفغانستان في عام ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م ، واستمر في الحكم إلى عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م حيث خلعه أخوه محمود .

(١) المصدر نفسه ، ق ٢٣٤ أ ،

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٥٥ — ٣٥٦ ،

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٩ ،

السيد قدرة الله الحسيني : العلامة السيدعبد الحي الحسني، ط١، جدة، دار الشروق ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٠،

T.W.haig : تيبو سلطان (دائرة المعارف الاسلامية) ج٦، ص ١٢٠

٢١ ابريل ١٧٩٨م باعتبار مصر مفتاح المواصلات الإنجليزية ولأخذها قاعدة لضرب الإنجليز في الهند إما بالمتاجرة وإما بالاتصال بأمرائها الوطنيين ودفعهم إلى الثورة على الإنجليز ومدهم بما يحتاجون إليه من آلات حديثة والتدريب ، ورأى الفرنسيون أن مصر كطريق تجاري ستعطيهم تجارة الهند ، لأن المعول في التجارة على الوقت وبالاستيلاء على مصر يمكن القيام برحلات أكثر بكثير مما هو المعتاد حول رأس الرجاء الصالح (١).

قبل أن يغادر كورنواليس Cornwallis الهند في ١٢٠٧ هـ / ١٧٩٣ م ، استصدر قانونا لمصادرة كل المستعمرات الفرنسية وبذلك بدأ الإنجليز يعاملون كل بادرة للتفاهم مع فرنسا أو حتى الميل في ذلك الاتجاه كشرارة خطرة للغاية يجب أن تطفأ فورا ، وفي عام ١٢٠٩هـ / ١٧٩٥م غزا المرهته منطقة حيدر آباد وشتتوا جيش النظام ورفض السيرجون شور Sir John Shore خليفة كورنواليس مساعدته خوفا من إثارة حفيظة المرهته الذين قد يردون بالمثل بالتحالف مع تيپو ، ومن هنا بدأ نظام حيدر آباد هو الآخر يبحث عن حليف جديد فاعتمد أكثر من أي وقت مضى على الضباط الفرنسيين لدعم وإصلاح وتدريب قواته (٢) وهنا تدخل شور على الفور من أجل إيقاف هذا البرنامج .

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII,p.301,
حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، ط٢، القاهرة ، مطبعة حجازى، ١٩٣٨م، ص ٧٨ .
عبدالمجيد نعنعي : أوربا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة ، ص ٢٨٤ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٣ .

(٢) A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, p.301.

وأما السلطان تيبو ، فقد واصل البحث عن حلفاء له يساعدونه في التصدي للإنجليز ، وفي هذه الأثناء أرسل بعثة سرية عبر المحيط الهندي إلى جزيرة موريشيوس Mauritius التي كانت تسمى آنذاك جزيرة فرنسا ، وحملها خطابا إلى حكومة باريس واقترح عليها تحالفا دفاعيا هجوميا مع فرنسا بهدف القضاء على الإنجليز في الهند (١)، وفي نفس الوقت عمل تيبو على التعبئة الممكنة على المستوى الإسلامي وأصدر في هذا الصدد مرسوما يؤكد فيه على وجوب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في دولته ويدعو المسلمين كافة للجهاد لاستعادة مجد المسلمين وقهر أعدائهم المتسلطين على شئونهم واستمر في مرسومه قائلا:" بموجب حكم الآية الكريمة القائلة : ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (٢)، أنوي أن أقاتل الكفار المعتدين الذين لايطيعون أهل الإسلام ، إلى أن يتبعوا دين الحق أو يعطوا الجزية ، خاصة في هذه الأيام حيث استغل هؤلاء الأشقياء ضعف سلاطين الهند ويحاولون أن يذلوا أهل الإسلام ، ولم يكتفوا بهذا بل عزموا على حرب المسلمين وقاموا بأعمال السلب والنهب وانتهاك الأعراض في بلاد المسلمين ، وبحول الله وقوته سوف أبذل كل جهدي لنصرة الدين الحنيف ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات

---

(١) Ibid: p. 304,
Sh. Abdur Rashid: History of the Muslims of Indo-Pakistan sub-continent, Vol.I, p.351.

(٢) سورة التوبة ، آية (٢٩) .

تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن * ذلك هو الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * (١). لقد أعلنا الجهاد وبموجب الآية الكريمة التي تقول * الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله * (٢) نعلن إلى المسلمين قاطبة للقاصي منهم وللداني بأن يستيقظوا ، خاصة الذين غفلوا عن مضمون هذه الآية الكريمة التي تقول * ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما * (٣) فأطاعوا الكفار وقبلوا عمالتهم ، ومن هنا نعلن إلى الذين يسكنون في بلاد الكفر وأهل النفاق بأن يهاجروا بكل اطمئنان إلى أراضينا وليعلموا أن الهجرة من ديار الكفر أصبحت من الفرائض ، وليتأكدوا أن معيشتهم هنا سوف تكون أفضل مما هم عليه هناك ، وأن الذين يعانون من ضيق المعيشة هناك سوف يجدون كل رعاية هنا ،ولقد أصدرنا الأوامر إلى جميع المسئولين في الدولة بإيواء كل من يلجأ إلينا ،وعلى الجميع أن يبلغوا محتويات هذا المرسوم إلى كل مكان * ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله * (٤) والسلام على من اتبع الهدى " (٥).

وهكذا أعلن السلطان تيپو الجهاد في سبيل نصرة الدين الإسلامي غير مبال في ذلك بالأعداء المحيطين به من غير المسلمين ، ومن المسلمين الذين رضوا بالذل والهوان والعيش تحت سلطة الغير ، ويلاحظ أنه لم يسم في مرسومه أحدا

---

(١) سورة الصف ، الآيات (١٠ – ١٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١١٢) .

(٣) سورة الاحزاب ، الآية الأولى .

(٤) سورة الكهف ، الآية (٢٣ – ٢٤) .

(٥) Letters of Tipu Sultan : مخطوط فارسى فى I.O.L تحت رقم ETHE 525 ص ٤٩٠ – ٤٩٤ .

بعينه بل أعلن الجهاد ضد الكفار دون أن يستثنى أحدا، ولكن برنامجه التعبوي في هذه المرحلة كان موجها ضد الإنجليز ، وفي نفس الوقت كتب إليه نابليون من مقره في مصر يقول : " لقد سبق لي أن أبلغتك أني وصلت شواطيء البحر الأحمر، وقلبي مليء بالرغبة في أن أخلصك من قبضة الإنجليز الحديدية " (١).

في هذه الفترة كان ولزلي Wellesley المشهور بنجاحاته قد عين حاكما عاما للشركة الإنجليزية في الهند (١٢١٢ - ١٢١٩ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠٥م) ، وكان يراقب عن كثب اتصالات تيبو وتحركاته ، ولقد عمل ولزلي جاهدا لإبعاد نظام حيدر آباد والمرهته عن الفرنسيين ، وشغل نفسه بتقوية التحالف الثلاثي وفي استعادة موارده المالية ودعم جيش مدراس ، كما عالج بصورة ديبلوماسية علاقات الإنجليز غير المستقرة مع حاكم حيدر آباد ، وكانت أول خطوة قام بها هي توقيع اتفاقية مع الحاكم من أجل تخليه عن الكتائب الفرنسية في حيدر آباد ،وبدلا من تلك الكتائب تسلم حاكم حيدر آباد قوة يقودها ضباط إنجليز لتكون متواجدة بصفة دائمة في بلاده ، كما تمكن ولزلي من ضم المرهته إلى ذلك الحلف الذي سيعمل ضد ميسور ، وكذلك طلب من تيبو أن يترك تحالفه مع الفرنسيين وأن يجرد جيشه من السلاح ، إلا أن تيبو تجاهل تلك المطالب (٢)، وكثف نشاطه واتصالاته من أجل الإعداد للمواجهة والمنازلة التي كانت تبدو حتمية ، ولكن كما رأينا فإن الإنجليز قد نجحوا في ضم جارتي ميسور إليهم ولم يبق أمام تيبو إلا أن يعتمد على نفسه في مواجهة ذلك الحلف الثلاثي وأن يأمل وصول الإمدادات الفرنسية

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.304.

(٢) Ibid: p.309

V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II, p.96.

ولقد خطب إلى جنوده وأتباعه وآثار حماسهم وطالبهم بالوحدة واليقظة والاستعداد للتضحية بكل غال ورخيص والاستشهاد في الجهاد في سبيل الله، وذكر أيضا أنه أجرى اتصالات مع إيران وكابل وطلب من حكام البلدين أن يهاجما الهند لتخليصها من الأجانب [١]، ويلاحظ أن ذكر التحالف مع حكام إيران وكابل، كان نوعا من تقوية الروح القتالية لدى الجنود، إذ كان للبلدين المذكورين مشاكلهما ومشاغلهما ولم يكن باستطاعتهما أن يجتازا كل هذه المسافات الطويلة ويزيلا العقبات والموانع الكثيرة لينضما إلى السلطان تيپو في أقصى الجنوب الهندي علما بأن مهاجمتهما على الشمال الغربي للهند لم يكن ذات أثر على مجريات الأحداث في مواقع النفوذ الإنجليزي الذي لم يتجاوز حتى ذلك العهد من بنغال وبعض مناطق الهند الساحلية شرقا وغربا .

في إطار استعداداته للمواجهة، قام السلطان تيپو بتكوين قوات خاصة بلغت أفرادها حوالي عشرة آلاف مقاتل من أبناء المنطقة ولم يسمح بالدخول فيها للمغول والمرهته والبرهمن والأفغان والشيعة، ومع أنه اجتهد في انتقاء الأفراد الموثوق فيهم، إلا أن القوة الخاصة كانت في واقع الأمر تحت إمرة مير صادق المتآمر مع الإنجليز والحاقد على السلطان تيپو [٢]، وبذلك تكون الخيانة قد عملت عملها في ميسور كما عملت قبلها في بنغال بقيادة مير جعفر، وبذلك لم ينجح الإنجليز في التحالف مع جارتي ميسور فحسب، بل نجحوا أيضا في التغلغل داخل دولة تيپو نفسه، وفي نفس الوقت واجه ولزلي أنباء نزول قوات نابليون

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري، ق ٢٣٨ ب - ٢٣٩ أ .

(٢) المصدر نفسه، ق ٢٣٩ ب .

أرض مصر في حزم ، وراقب اتصالات تيپو به وكل تحرك فرنسي صوب المياه الهندية، وفي هذا الإطار وقعت الرسالة التي أرسلها ناپليون إلى تيپو بيد الإنجليز في الخليج (*)، وهنا رأى الإنجليز أن الوقت قد حان للقضاء نهائيا على تيپو قبل أن يتمكن من الحصول على المساعدة الفرنسية العسكرية [1]، فاقترح ولزلي على تيپو أن يسمح بوجود القوات الإنجليزية على أراضيه وأن يتحمل نفقاتها، وأن يطرد الفرنسيين من أراضيه [2]، ولكن ولزلي وجد من تيپو الإصرار على تمسكه بالضباط الفرنسيين في جيشه وتحالفه مع فرنسا ، فهاجم الإنجليز ميسور بمشاركة من المرهته وحاكم حيدر آباد المتحالفين ، وكان الهجوم الإنجليزي من مدراس وبمبيء وكان يقود هذا الجيش الجنرال هاريز Harris كما كان يساعده آرثر ولزلي Arthur Wellesley شقيق حاكم عام الشركة الأصغر ، كما جاء ولزلي نفسه على رأس قوات من بنغال إلى مدراس وذلك في شهر رمضان المبارك عام ١٣١٣هـ/ فبراير ١٧٩٩م ، وكان مير صادق يخفي التطورات والتقارير عن السلطان تيپو، ويقدم له تقارير غير صحيحة ومنها أنه أخبره بأن المرهته رفضوا المشاركة في الحملة مما جعل تيپو يستهين بأمر الحملة ، إلى أن فوجيء بتقدم القوات

(*) كان ناپليون أرسل الرسالة من مصر إلى مسقط لترسل من هناك الى تيپو الذي كانت له علاقات صداقة حميمة مع حاكم مسقط .

(١) عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٤ ،
ونـدل فيليبس : تاريخ عمان ، ص ٨٨ ،
أمين سعيد : الخليج العربي ، ص ٣٧ .

(٢) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٢٤٢ أ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٠ .

المهاجمة في عمق أراضيه ، وفي هذه الحالة اقترح عليه كبير الفرنسيين أن يقوم بتسليمهم إلى الإنجليز إزاء انسحابهم من أراضيه إلا أنه رفض ذلك الاقتراح وأكد أنه مستعد أن يضحي بنفسه ودولته ولن يقبل عار تسليمهم إلى الإنجليز فخرج بنفسه ودافع عن آخر معقل له في قلعته في سرنگاپاتام Seringapatam العاصمة ، وقاتل قتالا مستميتا بعد أن خذله بعض رجاله وأعوانه ، إلى أن لقى ربه شهيدا ، وذلك في ٢٨ ذي القعدة عام ١٢١٣هـ / مايو ١٧٩٩م بعد مقاومة دامت حوالي ثلاثة أشهر . وقام ولزلي بتقسيم ملكه بين الانجليز وحاكم حيدر آباد والمرهته ، كما أجلس على جزء من أراضي ميسور طفلا من ذرية أمراء ميسور القدامى باعتباره حاكم ميسور وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره ، ونفى أبناء تيبو من البلاد ، واستولى على عرشه وصناديق مجوهراته ومكتبته ومستودعات أسلحته وكل ما تركه ، وأرسل الكثير مما ذكر إلى بلاده (١).

ولقد فرح الإنجليز كثيرا بالقضاء على السلطان تيبو سواء الموجودين في الهند أو أعضاء مجلس إدارة الشركة بلندن ، وفي رسالة موجهة إلى الحاكم العام في بنغال بتاريخ الثاني من جمادي الثانية عام ١٢١٤هـ / ٣١ أكتوبر ١٧٩٩م أعرب مجلس الإدارة في لندن عن ارتياحه وفرحه بما حدث قائلا :

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٢٤١ أ - ٢٤٧ ب ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٣ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢١ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II, p.96,
S.P.Sen: The French in India (1763-1816), pp.554-555.

" في اليوم الثالث عشر من الشهر المنصرم تلقينا رسائل رسمية مستعجلة من حاكمنا العام في قلعة سنت جورج Fort St. George تفيد بوقوع حادث مهم وعظيم وهو سقوط سرنكَاپاتام وموت السلطان تيپو ، وبهذا الإنجاز الكبير نكون قد وفرنا الأمن لممتلكاتنا في الهند وتمكنت حكوماتنا المعنية في تطوير فرص السلام ودعم أحلافنا وتحسين أحوال رعايانا المحليين وتقليل المصاريف والديون وزيادة الإيرادات وتوسيع وتطوير تجارة الهند الداخلية والتي كانت ذات أهمية بالغة لازدهار الشركة في أرض الوطن ، هذا بالإضافة إلى زيادة استثماراتنا الأوربية في الوقت المناسب "(١) وهكذا كان الإنجليز وبحق يرون في سلطنة ميسور الإسلامية عقبة كبيرة في طريق توسعة أطماعهم الاستعمارية واستغلال ثروات الهند وأسواقها لصالح السادة في الوطن الأم إنجلترا .

وفي رسالة أخرى مؤرخة في تاريخ ٢٧ رجب عام ١٢١٤هـ / ديسمبر ١٧٩٩م شكر مجلس الإدارة الحاكم العام ولزلي قائلا : " في المجلس العام الذي عقد في يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر ١٧٩٩م تقرر بالإجماع أن يشكر هذا المجلس اريل مونتگتون Earl of Mornington (*) للحكمة والنشاط والتصميم الذي أبداه للقيام بواجبه الشاق كحاكم عام ، وذلك منذ وصوله الهند وحتى فترة الإنهاء السعيد والعظيم للحرب الأخيرة في البلاد والتي سحق فيها سلطان ميسور وقضى بها على نفوذ الفرنسيين في الهند ، وأدى ذلك إلى استقرار وأمن المناطق التي يسيطر عليها الإنجليز في الهند "(٢).

(*) هو حاكم عام الشركة المعروف بولزلي .

(١) K.K.Datta : F.W.I.H. Correspondence, Vol.XIII, (1796-1800), p.131.

(٢) Ibid: p.136.

هكذا كانت نهاية ذلك البطل وهكذا كان فرح الإنجليز من هذه النهاية ،ولاشك أن السلطان تيپو كان آخر حاكم إسلامي كبير يقف في وجه الإنجليز وأطماعهم وقفة صلبة شجاعة غير مبال بالأخطار المحدقة التي كانت تهدد بقاءه وبقاء دولته ، وعمل كل ما كان بوسعه وأخذ بالأسباب التي توفرت لديه ورجح الشهادة على الاستسلام والعيش تحت حماية الإنجليز المهينة ، وقد يقول قائل إنه كان ذات صلات قوية بالفرنسيين وأن منازعاته كانت تشتد بالإنجليز كلما بدأ النزاع بين الإنجليز والفرنسيين في أوربا لينتقل بدوره إلى الهند،أى أنه كان يحارب نيابة عن الفرنسيين أو بمشاركة أو إيماء منهم ، ولا فرق هناك بين استعمار فرنسي واستعمار إنجليزي ، ولتوضيح الحقيقة نقول إنه مما لاشك فيه أن السلطان تيپو كان يبحث عن كل حليف يقف معه في وجه التوسع الإنجليزي ، وفي هذا الإطار كان يأمل أن تكون له أحسن العلاقات وأوسعها مع الفرنسيين الذين كانوا القوة الوحيدة التي باستطاعتها أن تكون ندا للقوة الإنجليزية تدريبا وتنظيما وتسليحا بالإضافة إلي التنافس المحموم بين الجانبين في المجال الاستعماري ، وبناء على ذلك كان تيپو يستغل ذلك التنافس والصراع لصالحه ولم يكن في يوم من الأيام تحت إمرة الفرنسيين بل كان يتحالف معهم في إطار المصالح المشتركة وضد العدو المشترك ، خاصة أن الإنجليز لم يواجهوا ميسور بمفردهم ، بل كانوا دائما يهاجمون ميسور بالتحالف مع بعض الإمارات المتواطئة معهم ، وفي مثل تلك الظروف كان سلطان ميسور مضطرا أن يبحث عن توازن استراتيجي ، ولم يكن ذلك متيسرا إلا بالتحالف مع الفرنسيين بعد أن كان من السهل على الإنجليز أن يفشلوا كل تقارب بين ميسور وجيرانها ويضموا تلك الجيران إلى صفوفهم المعادية لميسور الحرة المستقلة ، والدليل على استقلالية تيپو وتملكه لإرادته هو أننا نقرأ في

بعض المصادر الوثائقية أنه رفض طلبات الفرنسيين في أحرج الظروف ، ولقد رأينا أن الفرنسيين تركوا تيپو وحيدا وعقدوا الصلح مع الإنجليز مما أجبر تيپو أن يعقد معهم هو الآخر صلحا خسر بموجبه حوالي نصف أراضيه وذلك في عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م ، وبعد ذلك كتب إليه الفرنسيون يطالبون منه القيام بتسديد المبالغ المستحقة عن القوات التي كان يقودها سوفرين (*) Suffren وبوسي، Bussy ، ورد تيپو في ذلك قائلا : " إنني أندهش من ذلك الطلب إذ وصلت القوات الفرنسية من موريشيوس في الوقت الذي كاد أن يستأصل الإنجليز من هذه البلاد ، ورفضت مرارا طلبهم لعقد الصلح وذكرت لهم أن مثل هذا الأمر لا يتم الا بموافقة ومشورة مع الفرنسيين ولن أقوم بعقد صلح منفرد ، ولكن القوات الفرنسية بدل أن تزيد الضغط على الإنجليز ، قام قائدهم بوسي بعقد صلح منفرد معهم دون علم مني ، ومع ذلك أبدى استعدادي التام لتأديب أعدائكم إذا كان لديكم مثل هذا الاستعداد " (١).

وكذلك في لحظة حرجه ومصيرية أثناء معركة سرنگاپتام التي تخلى عن السلطان كثير من مقربيه ، طلب كبير الفرنسيين أن يسمح له بتولي مسئولية الدفاع عن الثغرة التي حدثت في القلعة وأبدى استعداده لكل تضحية والاستماتة في الدفاع عن القلعة ، إلا أنه رفض تيپو ذلك الطلب بعد استشارته مع بعض مستشاريه بدليل أنه لايمكن أن يثق في مثل هذا الأمر الخطير على رجل أجنبي

(*) سوفرين : هو قائد القوة البحرية الفرنسية في المياه الهندية في تلك الفترة .

(١) Letters of Tipu Sultan ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

وأنه لا فرق في ذلك بين الإنجليز والفرنسيين [١].

هكذا كانت علاقة السلطان تيپو بالفرنسيين الذين تخلوا عنه في كل مرة تقريبا ولم يقفوا معه حتى النهاية في أي حالة ، ولم تفد هذه العلاقة السلطان تيپو بقدر ما أضرته وعجلت بنهايته ، ولكنه نهاية مشرفة أخلدت ذكراه كبطل إسلامي هندي لم يستسلم للتطميع ولا التهديد ، وقاوم الاستعمار حتى الشهادة .

---

(١) مير حسين علي كرماني : نشان حيدري ، ق ٢٤٤ أ .

استيلاء

الشركة على دهلي وتقدمها في أكثر أنحاء الهند

كان للاستعمار الإنجليزي أولوياته في برامجه التوسعية ، فالمستعمرون الإنجليز في الهند ركزوا اهتمامهم في القضاء على الأخطر فالأخطر واستغلوا في ذلك سذاجة بعض الأمراء الذين نجح الإنجليز في خدعتهم وجعلوهم يبحثون عن بقائهم وأمنهم واستقرارهم في التحالف معهم،وكلما تمكنوا من القضاء على قوة جزئية صمدت أمام مخططاتهم الاستعمارية التوسعية ، بدأوا في القضاء على القوة الأخرى وأبقوا على الأضعف والأخضع ، وهكذا بعد أن نجح الإنجليز في القضاء على سلطنة ميسور الإسلامية المجاهدة ، بدأو يركزون اهتمامهم في وضع حد لقوة المرهته الهندوكية وخطورتها بعد أن استخدموهم ليقفوا معهم في محاربة ميسور ، وبعد أن كان الإنجليز قد جعلوا من إمارتي أوده ، وحيدر آباد محميتين إنجليزيتين خاضعتين لسياسات الشركة الإنجليزية وأطماعها ، وكان الإنجليز وضعوا القضاء على نفوذ المرهته وقوتهم في أولوياتهم بعد القضاء على سراج الدولة واحتلال بنغال ، وبعد هزيمة شجاع الدولة حاكم أوده وفرض شروطهم عليه ،إلا أنهم سرعان ماغيروا مخططاتهم الحربية تجاه المرهته بعد أن رأوا أن عليهم أن يضعوا التصدي لميسور في أولوياتهم تلك ، لأن سلطانها لم يكن من الذين يمكن إخضاعه لسياسات الشركة فحسب بل أصبح أخطر حاكم هندي على وجود الشركة في الهند رغم صغر إمارته وقلة أتباعه مقارنة بالمرهته الذين كان يمتد نفوذهم أراضي واسعة في الغرب والوسط والشرق ، كما كان تحت إمرتهم ألوف مؤلفة من الفرسان والمشاة ، وبعد أن استراح الإنجليز من ميسور وسلطانها المجاهد بدأوا يخططون من جديد للقضاء على نفوذ المرهته الذين ساعدوهم في القضاء على سلطنة ميسور الإسلامية .

إن المرهته هم سكان بلاد المرهت أو مهارشترا Maharashtra

الهندوكيين الواقعة في منطقة جبلية من الهند الغربية ، وينتمون إلى حوالي سبعين قبيلة [١] ومن أهمها قبيلة بهونسله Bhonsle التي كانت الزعامة بيدها في الأوائل [٢] ، وقد عرف المرهته بالقوة وشدة البأس ، واستمروا خاضعين لسلطات دكن الإسلامية إلى أن دب الضعف في هذه السلطات في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي فبدأ المرهته بتكوين عصابات تقوم بأعمال السلب والنهب والاستيلاء على القلاع في قمم الجبال وتمكنوا بقيادة سيواجي Sivaji زعيم العصابة من الاستيلاء على حوالي أربعين قلعة ، واختاروا معاقل لهم بين الغابات ومناطق جبلية وعرة وأعلن سيواجي العصيان ضد علي عادل شاه سلطان بيجاپور من سلطنات دكن الإسلامية الشهيرة [٣] ، وهزم قوات بيجاپور التي أرسلت لمحاربته وقتل قائدها أفضل خان ، وانضم إليه سائر زعماء المرهته ، ولم يتمكن سلاطين المسلمين في دكن أن يركزوا قواهم في القضاء عليه إذ كانوا يشتبكون في نفس الوقت مع قوات أورنگزيب ، وبذلك قويت سلطة سيواجي إلى درجة عقد مع سلطان بيجاپور اتفاقية اعترف بموجبها رسميا بسلطته في سواحل

---

(١) لچهمي نراين شفيق أورنگ آبادي : بساط الغنائم، مخطوط فارسى فى ل.٥.١ تحت رقم ETHE 3018 ، قعب،
Zahiruddin Faruki: Aurangzeb and his time,
Delhi , Andarah-i Adabiyat-i Delli, 1980,P.348.

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٣ ، ص ٩٢١ .

(٣) منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add.26275

غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٣ ، ص ٩٢٢ ،

مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢١ ،

Zahiruddin Faruki: Aurangzeb and his time, p.350.

دكن الغربية [١].

بعد أن تمكن أورنگزيب من ضم دكن إلى دولته ، استمر سيواجي في عدائه للدولة الإسلامية المغولية كما كان يعادي سلطنات دكن الإسلامية ، فاضطر أورنگزيب أن يضع حدا لأعماله العدوانية واعتداءات عصاباته على الآمنين ، وبعد جهد جهيد ومعارك كثيرة تمكن من أسره ، حيث نقل إلى دهلي وسجن هناك تحت حراسة مشددة ، ولكن بعد فترة خففت عليه القيود بوساطة من زوجة السلطان ، فتمكن من الهرب إلى بنغال ، ومن هناك إلى دكن معقل عصاباته ، حيث جمع أنصاره واستعدبهم للدخول في معارك مع قوات الدولة المغولية انتهت إلى أسره ثانية ، إلا أن زوجة السلطان التي كانت تنتمي في أصلها إلى قبائل المرهته ، بذلت محاولات لدى زوجها للإفراج عنه إلى أن نجحت في محاولتها فأطلق سراح سيواجي الذي استمر في معاداته للمسلمين ودولتهم إلى أن توفى في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٠٩١هـ / مايو ١٦٨٠م ، واستمر خلفاؤه في اتباع نهجه المعادي للدولة الإسلامية والمنادي للانتصار للهندوكية ، ولقد بلغ خطرهم إلى حد اضطر فيه أورنگزيب أن ينتقل بنفسه إلى دكن ويشرف على العمليات الموجهة ضدهم وصرف خمسة وعشرين سنة في محاربتهم دون أن ينجح في القضاء عليهم نهائيا [٢]، ومع ذلك تمكن أن يحد من خطورتهم وأن يجعل سلطتهم

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٣ ، ص ٩٢٢ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢١ – ٤٢٢ ،
Zahiruddin Faruki: Aurangzeb and his times, pp.354,358,
Ishwari Prasad: A Short History of the Muslim Rule in India, pp.409-410.

(٢) منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ، ق ١ ب – ٢ ب ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٣ ، ص ٩٢٢ – ٩٢٣ .

لاتتجاوز بعض معاقلهم الجبلية ، إلا أن ذلك كان مكلفا جدا للدولة بشريا وماليا . إثر وفاة أورنكزيب والحروب الأهلية التي نشبت بين أبنائه ، قويت دولة المرهته أكثر فأكثر وأخذوا يوسعون رقعتهم على حساب الدولة المغولية المتهالكة ، إلى أن أصبحوا مسيطرين على الهند الوسطى بما فيها دهلي العاصمة وعلى غرب الهند ،وأصبح ولات الهند المجاورين يدفعون لهم الإتاوات ليأمنوا شرهم [(١)] ، وكانوا ينفقون على الجند كل مايحصلون عليه تقريبا ، وكان يبلغ عدد قواتهم من الفرسان والمشاة إلى حوالي مائتي ألف مقاتل ، بالإضافة إلى مثل هذا العدد من الجنود الذين كانوا يقيمون في القلاع البالغ عددها حوالي سبعمائة قلعة بين صغيرة وكبيرة ، وكانوا يحصلون عن الأراضي التي تخضع لهم خراجا سنويا كان يبلغ اثنى عشر كرورا [(٢)].

كان المرهته في تلك الفترة متحدين متماسكين يؤثرون المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فبعد أن أصبح الراجه ساهو Shahu ابن سيواجي Sivaji شيخا عجوزا استدعى عنده جميع أمراء المرهته وتحدث مع كل واحد منهم ليتعرف على مدى قوتهم ، ولم ير في أبنائه وإخوته أحدا يستحق ويستأهل ولاية عهده ، ووجد بالاجي ويشوانات Balaji Vishwanath زعيما قديرا يتمتع بصفات القيادة ، فربط الحزام الذهبي على ظهره وعينه پيشوايا على جميع قواد المرهته ورؤسائهم طالبا إياهم أن يقدموا له السمع والطاعة [(٣)].

---

(١) المصدر نفسه : ج ٣ ، ص٩٢٣ – ٩٢٥ ،
ميرغلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٢ .

(٢) منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ، ق ١٢ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ق ٢ ب ،
V.A.Smith : The Oxford History of India, pp.434-435.

وترك له تصريف شئون الدولة ، ومن هنا ظهر منصب البيشوائية الرفيع الذي كان صاحبه في الحقيقة وزيرا لسلطان المرهته ، إلا أن البيشوائية أصبحت وراثية كالسلطنة ، واختار البيشوا باجي راو Baji Rao پونه Poona مقرا له وذلك في عام ١١٤٢ هـ / ١٧٣٠ م . ومع التمتع بصلاحيات الصلح والحرب ، أصبح البيشوا حاكما حقيقيا لأراضي دولة المرهته مهارشترا Maharashtra في حين كان سلاطين المرهته يقيمون في ستارا Satara مع صلاحيات محدودة ومع أن دولة المرهته قد انقسمت فيما بعد إلى عدة إمارات وراثية في گجرات Gujarat وگواليار Gwalior واندور وناگپور Nagpur ، إلا أن الجميع كانوا يوقرون البيشوا الجالس في پونه ويطيعونه [1].

استمر المرهته في توسيع رقعة أراضيهم وإرعاب الناس ، وفي عهد البيشوا الثالث بالاجي باجي راو (١١٥٣ - ١١٧٤ هـ / ١٧٤٠ - ١٧٦١ م) ازدادت سلطتهم أكثر من أي وقت آخر لتمتد من كارناتك إلى پنجاب ، ولقد استفحل أمرهم ، وكادوا يستولون على الهند كلها ويقضون على البقية الباقية من نفوذ المسلمين واعتبارهم السياسي ، وكانت حكومة دهلي لعبة في أيديهم ، والمسلمون تحت رحمتهم ، وعجزت قوة المسلمين في الهند عن مقاومة هذه القوة الكثيفة المرعبة ولم يبق أمام المسلمين إلا أن ينظروا إلى الزعيم الأفغاني أحمد شاه دراني كمخلص لهم من هذا الاحتضار [2] ، فطلب سلطان دهلي المغلوب على أمره عالمگير الثاني

---

(١) مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٢ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part. II, p.124.

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي: من نهر كابل الى نهر اليرموك، دار العلم، للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ١٤ .
C.Collin Davies : بيشوا (دائرة المعارف الاسلامية)ج٤، ص ٤١٦ .

(١١٦٧ – ١١٧٣هـ / ١٧٥٤ – ١٧٥٩ م) وأمراؤه مساعدة زعيم الأفغان قائلين :

" إن المرهته منعوا رفع الآذان وإقامة الصلوات ، وأنهم جادون في تخريب الدين الإسلامي فعليه أن يبادر بنجدة المسلمين في الهند " (١)، ولقد لبى أحمد شاه دراني النداء واستعد للتوجه إلى الهند ، وفي نفس الوقت كلف البيشوا أشهر قواده سداسيوابهاوو Sadasiva Bhao ليقود جيش المرهته ضد أحمد شاه ، وقبل أن يتوجه بهاوو إلى دهلي ، حاصر صلابت جنگ حاكم حيدر آباد في دكن وحصل منه على ٦٥ لك روبية ، كما جمع ذهبا كثيرا للإنفاق على قواته ، ثم توجه إلى دهلي حيث أعلن هناك نفسه ملكا بكل غرور مستهينا في ذلك شعور المسلمين والنجدة القادمة إليهم من أفغانستان ، كما توجه البيشوا بالاجي راو بنفسه إلى پنجاب للإشراف على محاربة جند الإسلام ، كما انضم إليهم أيضا سورج مل Suraj Mal زعيم طائفة الجت (*) Juts ،وهكذا جمع الهندوكيون جميع قواتهم للدخول في المعركة المصيرية،كما التفت قوات المسلمين حول أحمد شاه دراني الذي وصل إلى لاهور حيث بقي هناك لمدة سنة واحدة للإعداد للمعركة (٢) ووقعت بين قوات المسلمين وقوات المرهته اشتباكات استمرت لحوالي تسعة أشهر، إلى أن حدثت موقعة پاني پت Panipat الشهيرة الحاسمة في ذي القعدة عام

(*) جت : الاسم القبلي لجماعة من الهندوس الساكنين بين آگره Agra ومترا Muttra وشرقي پنجاب .

(١) مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ،مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم R.187 ق ٥٠ ب .

(٢) غلام علي خان : شاه عالم نامه ،ق ٢٠٢ أ – ٢٠٣ أ ،

منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ،ق ٦ ب – ٧ أ ،

مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ٥٠ ب .

١١٧٤هـ / يونيو ١٧٦١م ، وكانت معركة كبيرة بين المرهته بقيادة بهاوو وبين المسلمين بقيادة أحمد شاه دراني ، وتذكر المصادر أن الهند لم تشهد في سابق عهدها مثل هذه المعركة الكبيرة ، ولقد وقع المرهته في هذه المعركة بين قوات أحمد شاه من الأمام وقوات النواب شجاع الدولة وروهيله من الخلف ، ولم يبق أمامهم مفر ، فقاتلوا ببسالة وقتل ثمانون من زعمائهم الراكبين على الفيلة بما فيهم قائدهم بهاوو وابن البيشوا وسواس راو Visvas Rao ، وتلقى المرهته هزيمة منكرة وخسائر فادحة قضت على آمالهم في تكوين إمبراطورية في شمال الهند [١]، ودخل أحمد شاه دهلي مظفرا بعد أن شتت شمل المرهته ، وطلب منه وزير بلاط سلطان دهلي أن يجلس على عرش الهند بعد هذا الفتح الكبير، إلا أنه لم يقبل هذا العرض قائلا : " بأنه يتصدق بسلطنة الهند مقابل كأس من مياه كابل وهرات " [٢]، واعترف بشاه عالم الثاني سلطانا وأجلس جوان بخت بن شاه عالم على عرش دهلي نيابة عن أبيه [٣]، وكان عالمگير الثاني قد قتل بواسطة وزيره غازي الدين قبل أن يدخل أحمد شاه دراني دهلي .

---

(١) منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ، ق ٧ أ - ٧ ب ،
مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ٥١ أ ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٠٥ - ٧٠٦ ،
M.Longworth Dames : دائرة المعارف الإسلامية ،ج١،ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II,pp.127-129.

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ٥١ أ ،.

(٣) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٠٦ .

هكذا انتهت معركة پاني پت بهزيمة المرهته ووضعت حدا لتقدمهم في شمالي الهند ، إلا أنها لم تقض عليهم نهائيا لأن مراكزهم الأصلية في دكن بقيت آمنة ، وفي نفس الوقت لم يحاول أحمد شاه دراني تثبيت مركزه في بلاد الهند بل رجع إلى مقر حكمه في أفغانستان ، وسرعان ما تمكن المرهته من استعادة قوتهم وأصبحوا مرة أخرى بعد بضعة سنوات خطرا يهدد الجميع في الهند .

كما رأينا في الفصل السابق ، فإن الإنجليز في هذه الفترة كانوا قد مكنوا لأنفسهم في بنغال كما كان لهم وجودهم في كارناتك في الجنوب وفي سورات وبمبيء في الغرب ، ولقد شعروا بالخطر من تنامي النفوذ المرهتي ثانية حيث لم تكن غاراتهم تنقطع على كل أمير أو ولاية في الهند من نهر ستلج في الشمال إلى رأس كومورين Comorin في الجنوب بما في ذلك أراضي إمارة أوده الحاجزة بينهم وبين الإنجليز في بنغال ، وأشارت كل القرائن إلى أن المرهته قد أصبحوا في مقدمة المنافسين للإنجليز حول السيادة في المنطقة ، ومن هنا بدأ الإنجليز يبحثون عن طريقة يضعون بها حدا لخطورة المرهته على مصالحهم وبقائهم في الهند (١)، ومما هيأ للإنجليز هذه الفرصة تلك الفتن التي قامت بين المرهته إثر وفاة الپيشوا الثالث وخلافة ابنه مادهو راو له ، إذ قام نزاع بينه وبين عمه ركهناتهه راو انتهى بمقتل الأول واعتلاء ركهناتهه على منصب الپيشوائية ، إلا أن زعماء المرهته لم يعترفوا به واعتبروه غادرا ، فلجأ ركهناتهه إلى الإنجليز في بمبيء طالبا مساعدتهم إياه (٢)، ولبى الإنجليز طلبه واشترطوا

---

(١) A.V.Jackson :History of India, Vol.VIII,pp.237-239.

(٢) منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ، ق ٥ ب - ٦ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧١ .

لنجدته أن يتنازل لهم عن ميناء سالسيت Salesette وقبل أن يوقعوا الاتفاقية سارت القوات الإنجليزية سنة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م واستولت على الميناء (١)، وشجب هستنجز Hastings حاكم عام ممتلكات الشركة المقيم في كلكته ما أقدمت عليه بمبيء واعتبروا إعلان الحرب أمرا غير حكيم وخطر، واحتج أن رئاسة بمبيء فرضت على نفسها مسئولية هزيمة كل إمبراطورية المرهته من أجل رجل غير قادر على تقديم مساعدة فعالة في هذا الشأن، وأمر بمبيء بسحب قوات الشركة إذا كان هذا ممكنا دون خطر، ولكن قبل وصول هذه التعليمات كانت الحرب قد بدأت لتستمر في سلسلة طويلة من المعارك التي كانت سجالا بين الجانبين ومكلفة للشركة الإنجليزية ، إلى أن صدرت الأوامر من كلكته بإيقاف الحرب وقبول الصلح والتخلي عن حماية ركهناتهه راو (٢)، وبموجب هذه الاتفاقية التي عرفت باتفاقية سالباي Salbai ووقعت في الثالث من شهر ربيع الثاني عام ١١٩٦هـ / ١٧ مارس ١٧٨٢م انسحب الإنجليز عن منطقة بسين Bassein ومناطق أخرى لصالح البيشوا ولكنهم احتفظوا بمنطقة بروج Brooch وجزيرة سالسيت Salesette، ولقد وقعت الاتفاقية على الرغم من اعتراض رئاسة بمبيء التي كانت تراها ناقصة ومذلة (٣)، ولكن هستنجز رضي بذلك الصلح ليتفرغ لمجابهة حيدر علي سلطان

---

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٤ .

(٢) منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ، ق ٥ ب - ٦ أ ،

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٢ - ٦٧٤ ،

A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, pp.244-245.

(٣) — K.K. Datta F.W.I.H. Correspondence, Vol.IX, (1782 - 1785), pp.654-655.

ميسور المتحالف مع الفرنسيين ، ومن جهة أخرى كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت في تلك الفترة استقلالها ، وأصبح الإنجليز مشغولين جدا في حروب الاستقلال الأمريكية ، وفي نفس الوقت كان الفرنسيون قد قرروا الاستفادة من الفرصة والثأر لأنفسهم لما لحق بهم أثناء حرب السنوات السبع ، ونشط الفرنسيون في الهند وقاموا باتصالات مع البيشوا في پونه وأنزلوا بالفعل ضباطا ومعدات حربية في الساحل الجنوبي لمساعدة حيدر علي ، فأراد هستنجز أن يحول دون تكرار ماحدث للإنجليز في أمريكا الشمالية ، فقبل الصلح مع المرهته لمدة عشرين سنة ليتفرغ الإنجليز لمحاربة سلطان ميسور والنفوذ الفرنسي العائد في الجنوب الهندي (١).

إن اتفاقية سالباي Salbai لم تجعل الإنجليز في مأمن من خطر قوات المرهته الكبيرة فحسب ، بل استغل الإنجليز علاقات السلم تلك لجر المرهته إلى صفوفهم في محاربة ميسور كما رأينا ذلك ، وفي نفس الوقت استغل المرهته هذه الفترة لتوسيع نفوذهم ليصبحوا مرة أخرى أكبر قوة هندية وأخطرها أيضا بعد القضاء على سلطنة ميسور الإسلامية ، وكما لاحظنا فإن الإنجليز قبلوا التوقيع على تلك الاتفاقية للتفرغ لمحاربة ميسور والفرنسيين ، وبعد أن تم لهم ما أرادوه من القضاء على سلطنة ميسور وإبعاد النفوذ الفرنسي ، صرف الإنجليز اهتمامهم إلي أن يضعوا حدا لتنامي قوة المرهته ، وساعدهم في ذلك انقسام المرهته فيما بينهم (٢).

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٨٠٤ - ٨٠٥ ،
A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, pp.246-247,
وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٤ ، ص ١٤١٦ ،

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم : حكومة الهند البريطانية ، ص ٣٧ .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٧ ،
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ١ ، ص ٤٥٦ .

في هذه الفترة كان يتولى حكم پونه باجي راو الثاني سابع پيشوا وآخرهم (١٢١٠ - ١٢٣٣هـ / ١٧٩٦ - ١٨١٨م) ، وطلب منه ولزلي التوقيع على معاهدة كالتي وقعتها حيدر آباد وتنص على قبول الجيش الإنجليزي في پونه على نفقتها ، وأن لا تشن بلاده حربا على أحد ولا تحالف أحدا إلا بإذن المقيم الإنجليزي في پونه وأن لاتستخدم في مصالحها أجنبيا غير الإنجليز (١).

لقد رفض باجي راو الثاني أن يتنازل بمحض إرادته عن استقلاله ، ولكن حدث أن وقعت حرب بينه وبين هولكر الزعيم المرهتي في اندور وانهزم أمامه فهرب لاجئا إلى الإنجليز فوقع المعاهدة المذكورة المعروفة بمعاهدة بسين Bassein وبموجبها نصب له ولزلي حاميا إنجليزيا يتوسط في النزاع بينه وبين أمراء المرهته الآخرين ، وذلك في عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م (٢).

بعد أن اطمأن ولزلي إلى خضوع پونه وهي رأس الإمارات المرهتية ، أراد أن يخضع أطرافها أيضا ، فطلب من إمارتي برار ومالوه المرهتيتين المجاورتين توقيع

---

(١) واجد علي خان : گلشن جنگ ،مخطوط،فارسي،في المتحف البريطاني بلندن رقم OR. 1825 ق٩٨ ب
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٦٧ ،
V.A. Smith: The Oxford History of India, P.555.

(٢) Collin Davies: پيشوا(دائرة المعارف الإسلامية) ، جـ٤ ، ص ٤١٦ - ٤١٧ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص٤٢٣ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٦٧ ،
V.D. Mahajan : India since 1526, Part.II , p.109
Sh. Abdur Rashid: History of the Muslims of Indo-Pakistan, sub-continent, Vol.I, p.135.

اتفاقية مشابهة كالتي وقعتها پونه ، واتبع ذلك بإنذار أمير برار بأن يسحب قواته من حدود حيدر آباد الحليفة للإنجليز ، فلما تلكأ بونسلا Bhonsla أمير برار Berar في الاستجابة ، أعلن ولزلي عليه الحرب في عام ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م وقام كل من هولكر أميرأندور وراو سيندهيه Rao Sindia أمير مالوه Malwa لنصرة برار وقتال الإنجليز ، إلا أنهم انهزموا واحتل الإنجليز برار وألحقوها إلى أراضي حليفهم نظام حيدر آباد (١).

بعد ذلك أراد ولزلي أن يخضع سيندهيه لسياسته ، وكانت دولة سيندهيه أقوى الإمارات المرهتية ، تخضع لها آگره ودهلي وقسما كبيرا من أراضي المرهته كما كان شاه عالم الثاني سلطان الدولة المغولية الصوري ، يعيش في كنفهم في دهلي ، ولقد رفض سيندهيه مطالب الإنجليز فنشبت الحرب بين الجانبين في عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣ م انتهت إلى هزيمة قوات سيندهيه وانتصار الانجليز بقيادة الجنرال ليك Lake والاستيلاء على آگره ودهلي وذلك في ٣٠ جمادي الأولى ١٢١٨ هـ / ١٦ سبتمبر ١٨٠٣م وخضع سيندهيه للشروط التي أملاها عليه الإنجليز ومنها قبوله لحامية إنجليزية على أراضيه على نفقته ، وأن لايتدخل قط في شئون الهند(٢) ، وقرر الإنجليز مبلغ مائة ألف روبية راتبا شهريا للسلطان المغلوب

---

(١) مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٣ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.556.

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٣ ، ٦٨٩ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٣ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ،
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٢٧ .

على أمره الذي سبق أن فقئت عيناه بواسطة أحد الأمراء الأفغانيين ، وطلب منه الإنجليز أن يقضي أوقاته داخل القلعة دون أن يتدخل في أي أمر من أمور البلاد(١)

بعد إخضاع دولة سيندهيه ، بقيت هناك إمارة مرهتية واحدة ، هي دولة هولكر في أندور التي رفضت الخضوع للإنجليز بمحض إرادتها ، وأخذت تقاوم التوسع الإنجليزي بحروب عصابات امتدت زمنا طويلا مقارنة بمدة مقاومة الإمارات المرهتية الأخرى التي اندحرت بعد وقت قصير ، وقد تمكن هولكر أن يكبد الإنجليز خسائر كبيرة وأن يحاربهم منذ مطلع عام ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م في شمال الهند وفي دكن في الجنوب وفي كجرات بغرب الهند ، ومع أن هولكر انتصر على الإنجليز في معارك متعددة ، إلا أنه عجز عن استمرار المقاومة فقبل المصالحة مع الإنجليز في عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م ، وبذلك أكملت الشركة الإنجليزية إخضاع الإمارات المرهتيه لسياستها وإرادتها (٢).

على الرغم من أن الإمارات المرهتية خضعت لهيمنة الشركة الإنجليزية وفقدت استقلالها ، إلا أنها كانت تبحث عن وسيلة للانقضاض على الإنجليز وتخليص نفسها من القيود التي فرضتها عليها ولزلي حاكم عام الشركة في الهند ، وفي نفس الوقت كان الإنجليز يشعرون باشمئزاز المرهته ضدهم وكانوا بصدد القضاء على القوات المتبقية في پونه ليستريحوا نهائيا من أي خطر قد يهددهم مستقبلا ، وكان مير كيز هستنجر Margues of Hastings حاكم عام الشركة في الهند

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أوليماق مغل ، ص ٦٨٧ .

(٢) مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٣ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .

(١٢٢٧ - ١٢٣٨ هـ / ١٨١٣ - ١٨٢٣ م) يختلق الأسباب لتنفيذ ذلك المخطط ، خاصة أن البيشوا باجي راو الثاني قد طالب ميركيز هستنجز بإلغاء معاهدة بسين التي أرغمه الإنجليز على توقيعها ، وقد جاءت فرصة الإنجليز عندما قتل أحد مبعوثي الشركة الإنجليزية إلى پونه وأشيع أن أحد رجالات البيشوا قد قام بقتله ، فطلب الإنجليز عن طريق مندوبهم في پونه الفنستون Elphinstone أن يقوم البيشوا بتسليم القاتل إليهم ، ثم علم أن القاتل هرب إلى خانديس وجمع حوله قوات لمقاتلة الإنجليز ، فطالب الإنجليز البيشوا بأن يضع تحت تصرفهم وحدات من قواته للقضاء على الثائر المذكور ، واضطر البيشوا تحت تهديد الإنجليز أن يضع بضعة آلاف من قواته تحت إمرة الإنجليز الذين اكتشفوا في نفس الوقت أن باجي راو يقدم مساعدات للثائر ، فهدده الإنجليز بإعلان الحرب عليه إن لم يسلم إليهم القاتل في غضون شهر واحد ، وفي حالة فشله، عليه أن يتنازل للإنجليز عن أربع من قلاعه يقوم الإنجليز باختيارها (١)، ولم ير البيشوا مخرجا إلا قبول مايطلبه الإنجليز ، ولما لم يتمكن من القبض على الثائر الهارب ، طالبه الإنجليز بتسليم القلاع الأربع التي حددوها وهي شيوكده وپونه ودهازو وبسئي الواقعة على الشاطيء الغربي ، وماطل باجي راو في تسليم القلاع وما كان من الإنجليز إلا أن ضربوا حول مقره الحصار ، وأشار إليه بعض أعوانه بأنه لا جدوى من محاربة الإنجليز وذكروه بما حدث للسلطان تيپو المحارب الباسل الذي هزم الإنجليز لمرات عديدة فاضطر باجي راو لتسليم القلاع الأربعة إلى الإنجليز (٢).

---

(١) واجد علي خان : گلشن جنگ ، ق ١٠ أ - ١٦ أ ،
V.D. Mahajan: India since 1526, Part.II,p.109.

(٢) واجد علي خان : گلشن جنگ ، ق ١٦ أ - ١٩ ب .

لم تنته طلبات الإنجليز إلى هذا الحد ، بل طالبوا البيشوا بالتنازل لهم عن أحمد آباد في گجرات كفدية لدم المقتول ، كما طالبوه بالتنازل لهم عن بلاد كوكن في دكن وعدد من القلاع ، وأن يقوم هو وسائر زعماء المرهته بتسريح جيوشهم لعدم الحاجة إليها وأن لايحتفظوا بأكثر من خمسة آلاف جندي ، وهنا ثارت ثائرة قواد البيشوا فذكروا له قائلين : " إن طلبات الإنجليز لا تعرف حدا،وأنهم سوف يستمرون بخلق الذرائع إلى أن يستولوا على جميع البلاد ، فعليه أن يسمح لهم بمحاربتهم لأن الموت آت لاريب فيه ، ولكن الموت المشرف خير من العيش في الذل ، فإما أن ننتصر ونلقي الإنجليز في البحر وإما نفدي أنفسنا في سبيل العزة والكرامة "(١) ، ورد عليهم البيشوا بأنه سوف يماطل الإنجليز، وعليهم أن يستعدوا لتنفيذ ما سوف يدبره ويعلنه في حينه ، فأخبر الفنستون بأنه قد قبل جميع طلباتهم ماعدا طلب واحد وهو تسريح جيشه في الوقت الراهن، ووعدهم بأن يسلم إياهم صكوك تمليك الأراضي التي طلبوها بعد أن يحصل على توقيعات بعض زعماء المرهته أصحاب الأراضي ، وقبل الإنجليز هذا الاقتراح مؤكدين له أنه كلما استعجل في الحصول على التوقيعات وتسليم صكوك التمليك ، كلما كسب مزيدا من صداقة الإنجليز (٢).

كتب باجي راو الثاني إلى أمراء المرهته قائلا : " إن الإنجليز عازمين على الاستيلاء على بيته وملكه ، وإذا نجحوا في هذا فلا يمنعهم أحد من أن يستولوا على بيوتكم وبلادكم فعلينا أن نتحد ونكون صفا واحدا ونقوم بضرب الإنجليز ضربة قاضية ، لأنهم مازالوا أضعف من أن يواجهوا جبهتنا الموحدة ، فعليهم أن يهتموا

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٢١ آ - ٢١ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٢٢ ب - ٢٣ ب .

بدعم جيوشهم وأن يرسلوا إليه قوات لمساعدته وأن يستعدوا للحرب والهجوم على الإنجليز من كل جهة هجمة رجل واحد "(١)، وهكذا دعى البيشوا المرهته للوحدة والتضامن ومحاربة العدو المشترك بعد أن ضعفت الروح المعنوية لدى المرهته وبعد أن أصيبوا بأزمة الثقة فيما بينهم ، وهذا ما يؤكده الرد الذي تلقاه البيشوا من أمراء المرهته حيث أعرب معظم هؤلاء عن شكهم في مقدرة المرهته الصمود أمام الإنجليز وحتى أن البعض منهم قد شككوا في أن يكون باجي راو نفسه صادقا في دعوته ، واتهموه بأنه سوف يتصالح مع الإنجليز مرة أخرى ، ويبقى الآخرون يدفعون ثمن معاداة الإنجليز (٢).

غادر باجي راو عاصمته پونه بحجة الحصول على توقيعات الصكوك ، واطلع الإنجليز أنه جمع حوله أكثر من مائة ألف من المقاتلين فبذلوا جهودهم لعودة البيشوا إلى پونه وأرسلوا إليه مبعوثا يبلغه بأن الإنجليز لن يطالبوه بأي شيء بل وأكثر من ذلك فسوف يعيدون إليه القلاع والأراضي التي تنازل عنها بطلب منهم، وهكذا رضي بالعودة ليجد الإنجليز لاينفذون وعدهم له ، بل طلبوا منه مجددا تسريح جيشه والاحتفاظ ببضعة آلاف منهم فقط ، إلا أن البيشوا رفض هذا الطلب وطلب من المقيم الإنجليزي في پونه أن يغادر عاصمته فورا ، وأخذ البيشوا موقفا متشددا تجاه الإنجليز بعد أن استشار في ذلك كبار رجالاته ، إلا أن الإنجليز رفضوا قبول أوامر البيشوا غير مبالين بتهديداته التي نفذها البيشوا ، إذ قام في ٢٤ من ذي الحجة عام ١٢٣٢هـ / نوفمبر ١٨١٧م بالهجوم على مقر الشركة والمقيم الإنجليزي الفنستون وتمكن من الاستيلاء عليه وإحراقه بعد أن انسحبت القوات

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٢٦ ب – ٢٧ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٢٧ أ – ٢٨ ب .

الإنجليزية خلف جبل شاداول إثر اشتباك قصير (١)، وكان لهذا الانتصار الأول أثره في رفع معنويات المرهته الذين اعتقدوا بأنهم سوف ينتصرون على الإنجليز بكثرتهم العددية ، فتعقبوا القوات الإنجليزية إلى وراء الجبل ، وفي هذه الأثناء انفصل أحد الضباط الإنجليز الذي كان يعمل في قوات البيشوا ويتلقى إزاء ذلك مبالغ ضخمة ، انفصل عن قوات المرهته وتوجه بمجموعة من خيرة الجنود وأسلحتهم للانضمام إلي بني قومه ، وحاول باجي راو إرجاعه وارضاءه وأرسل في طلبه مبعوثا إلا أنه غدر بذلك المبعوث وقتله وانضم إلى القوات الإنجليزية (٢) وهكذا يكون الضابط الإنجليزي قد نقل إلى قوات الشركة أسرار قوات البيشوا إن كانت قد بقى لها أسرار ، ومع ذلك تقدم المرهته لمواجهة الإنجليز ، وبدأوا المعركة بإطلاق نيران الأسلحة الثقيلة ليعقبها هجوم سلاح الفرسان ، واستمرت المعركة طول النهار ولم يتحرك الإنجليز من مواقعهم ، ولما بدأ فرسان المرهته بالهجوم بادر الإنجليز بإطلاق نيران مختلف أنواع أسلحتهم حيث أصابوا الكثير من قوات المرهته بين قتيل وجريح ، ويذكر أن المعركة كانت شديدة جدا بحيث تركت تلا من قتلى الفرسان والخيول والمشاة ، وبحلول ظلام الليل توقفت الحرب ليستعد الجانبان لاستئنافها في النهار (٣)، وهذا يشير إلى أن انسحاب الإنجليز من بونه كان انسحابا تكتيكيا لاختيار موقع استراتيجي مرتفع ، وعلى كل حال فقد وقعت الحرب الثانية بين باجي راو الثاني والإنجليز في السادس من محرم عام ١٢٣٣ هـ / نوفمبر ١٨١٧م وكانت النتيجة أن تقهقرت قوات المرهته أمام كثافة نيران

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٣٨ ب – ٤٢ ب ،
V.D. Mahajan: India since 1526, part.II,p.109.

(٢) واجد علي خان : گلشن جنگ ، ق ٤٣ ب – ٤٤ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ق ٤٥ أ – ٤٨ ب .

الإنجليز ، وسقطت پونه عاصمة البيشوا بيد القوات الإنجليزية ، إلا أن قواد المرهته كانوا يجمعون قوات جديدة إثر كل هزيمة ويهاجمون بها الإنجليز، ووقعت بين الجانبين سبع معارك من هذا القبيل ، سخر المرهته فيها كل قواهم ، ولكنهم كانوا يخسرون الكثير من مواقعهم وقلاعهم وأراضيهم إثر كل معركة ، وهكذا خسروا في المعركة السادسة قلعة ستاره معقل سلاطين المرهته ، وجمع الپيشوا ما تبقى من قواته للدخول في الجولة السابعة الحاسمة والأخيرة ، ووقعت هذه المعركة في الثالث عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٢٣٣هـ / فبراير ١٨١٨م حيث قتل فيها قائد قواته الشجاع بابو صاحب كوكليه بعد معارك مستميتة انتهت إلى هزيمة المرهته وتشتت جنودهم ، كما هرب الپيشوا نفسه إلى مالوه تاركا ملكه للإنجليز(١) وهكذا انتهت مقاومة باجي راو الثاني سابع بيشوا وآخرهم ، وطبيعي أن تنتهي مثل تلك المقاومة العشوائية بالفشل ، لأنها لم تطور نفسها حسب مقتضيات المعارك، وخلال المعارك السبع الفاشلة التي دخلها الپيشوا نجد أن قواته كررت نفس الأسلوب وهو تخويف الإنجليز بالأمواج البشرية والتركيز على حرب السيوف والرماح، إضافة إلى أنهم كانوا مقتنعين بتفوق الإنجليز وانتصارهم، وإثر كل هزيمة كان الپيشوا يعاتب قواده لأنهم ورطوه في حرب غير متكافئة مع الإنجليز ، ومعنى هذا أنهم لم يكونوا يتمتعون بمعنويات قتالية ، فانتصر عليهم الإنجليز

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٧٧ أ - ٩١ ب ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٩ ،
محمود فهمي المهندس : البحر الزاخر في تاريخ العالم ، ج٤ ، ص ١٩٥ ،
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II,pp.95-96.

المتفوقون عليهم في التنظيم والتدريب وقوة النيران والقتال المدروس ، على الرغم من أن المرهته كانوا عشرات أضعاف الانجليز أفرادا . وبالقضاء على دولة المرهته ، أصبحت شركة الهند الشرقية الانجليزية السلطة العليا ببلاد الهند ، وأصبحت تحكم معظم أجزاء الهند دون منافس ، إما بطريقة مباشرة أو عن طريق من نصبته على الامارات الصورية هنا وهناك ، وفي أواخر أيام شاه عالم الثاني كانت سلطة الشركة قد امتدت الى ضفاف نهر ستلج Sutlej في الشمال(١)

بعد تدمير قوة المرهته ألحقت ممتلكات البيشوا برئاسة بمبيء، وأعلن باجي راو الهارب آخر حكام أسرة البيشوا انقياده للشركة الانجليزية التي قررت أن يدفع له راتبا سنويا قدره ثمانمائة ألف روبية(٢)، وهكذا تمكنت الشركة من أن تجعل من رأس السلطة الاسلامية المتمثلة في سلطان الدولة المغولية ورأس السلطة المرهتية المتمثلة في البيشوا ، تابعين وموظفين لديها ، مع اعترافها الصوري بشاه عالم الثاني سلطانا للدولة المغولية واستغلال هذا الوضع للتوسع وضرب المعارضين،أى أن الشركة كانت تعطي لنفسها ونشاطاتها نوعا من الشرعية من ابقائها على السلطان المغولي الخاضع لهيمنتها .

---

(١) مؤلف مجهول : أحوال دنيابيك خان ،مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم OR.2043 ، ق ٢٦٢ ،
ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ١٠٦ ،
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ١ ، ص ٤٥٦ .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٩ ،
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II,p.96.
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.571.

كان السلطان شاه عالم الثاني شريدا منذ ولايته للعهد ، لا حول له ولا قوة يقضي أيامه متنقلا بين هذا المتغلب أو ذاك ، باحثا عن كل صاحب قوة يساعده في استعادة عاصمة الدولة المغولية دهلي ، وقد أعطى للإنجليز حق الإشراف على الشئون المالية لولايات بنغال وبهار وأوريسه على أمل أن يحصل على مساعداتهم للوصول إلى هدفه ولكن الإنجليز - كما رأينا - خصصوا له راتبا شهريا واستقطعوا له إله آباد من أراضي أوده ليقيم فيها ، وكان من الطبيعي أن لايجازف الإنجليز بتلبية طلب السلطان التي كانت تتطلب المواجهة مع قوة المرهته الفتية في ذلك الوقت حيث كانت تسيطر على الطريق إلى دهلي ، وكانت عاصمة الدولة المغولية تتبادل بين الأفغانيين والمرهته بعد موقعة پاني پت ، ومع ذلك كتب شاه عالم الثاني رسالة إلى الملك الإنجليزي يستنجده فيها للقضاء على المتغلبين واستعادة عاصمة الدولة ولايعرف إن كان الإنجليز قد أبدوا اهتماما بتلك الرسالة وأرسلوها إلى ملكهم أم أهملوها وهو الأرجح ، إلا أن الرسالة تبين مدى ماوصلت إليه الدولة المغولية من وهن واضمحلال ، جعل سلطانها يمد يده إلى كل واحد ولو كان أجنبيا قدم من أرض نائية ليستولي على خيرات الهند ، ولقد بدأ السلطان رسالته بالحمد لله خالق السماوات والأرض والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء لعيسى روح الله عليه السلام ثم يكيل المدائح للملك الإنجليزي ويخاطبه بالأخ العزيز عليه ، وبعد ذلك يقدم شرحا موجزا عن الحالة المتهالكة التي وصلت إليها دولة المغول ويرجع ذلك لعدم التزام أمراء الدولة وقوادها بالعهود وعدم وفائهم للأمانة التي أؤتمنوا فيها وعصيانهم على الدولة ، ويشير في هذا الصدد إلى مقتل والده الذي تم بيد وزيره غازي الدين خان ، ثم يشكر الإنجليز في كلكته الذين خصصوا له

إلـه آبـاد وكَوره ، كما يشير إلى أنه ردا للجميل ، تكرم لهم بديوانية ولايات بنغال وبهار وأوريسه ، ولقد طالب الملك الإنجليزي بأن يضع تحت إمرته قوة إنجليزية مكونة من ستة آلاف مقاتل يستعين بها في استعادة عاصمته وعرشه ، مؤكدا أنه سوف يكون بذلك رهينا لإحسانه الذي لن ينساه أبدا (١).

حدث هذا الطلب في الوقت الذي كان الإنجليز في بمبيء في نزاع مع المرهته وقد هبت كلكته لنجدة بمبيء بعد أن بدأت كفة المرهته في الرجحان ، وفي مثل هذه الحالة لو كان الأمر بمقدور الإنجليز لبادروا بنجدة السلطان وحاربوا في مظلته المرهته الأقوياء ، ولكن-كما رأينا-فإن الإنجليز رأوا أن سلطان ميسور المتحالف مع الفرنسيين هو الأخطر من المرهته ، فركزوا اهتمامهم في هذا الجانب وحاولوا تجنب الصدام مع المرهته ، وبالتالي لم يعيروا اهتماما لطلب شاه عالم الثاني الذي عرض نفسه إلى المرهته وطالب مساعدتهم ووعدهم أن يعطيهم إقطاعات ومبالغ كبيرة ، إذا نجحوا في المهمة ، كما وعدهم بأن يوزع بين الجانبين مناصفة كل مايقع بأيديهم في الحملة (٢)، وقبل المرهته هذا الطلب فتحرك السلطان من إله آباد باتجاه دهلي في حماية المرهته حيث وصلها في عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م ونزل في قلعتها بعدما طرد المرهته بقايا الأفغان، وظهر المرهته بمظهر المدافعين عن السلطان ومدوا نفوذهم من جديد إلى دهلي بعد أن كانوا قد تقهقروا إلى مالوه ودكن إثر تلقيهم هزيمة نكراء من

---

(١) Official letters : ق ٤٢ ب - ٤٤ أ .

(٢) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٥٣ ب - ٣٥٤ أ .

أحمد شاه دراني في پاني پت [1]، ويبدو أن المرهته استغلوا هذا الوضع لاستعادة نفوذهم وكسب حماية المسلمين أو تحييدهم ، والدليل على ذلك أن العلاقات بين السلطان والمرهته لم تلبث أن توترت ، بعد أن رأى السلطان أن وضعه ليس بأحسن مما كان عليه لدى الإنجليز ، وأن المرهته لم يفوا بعهدهم حتى بالنسبة لتقسيم الغنائم الكبيرة التي استولوا عليها بعد هزيمة الأمير الأفغاني محمد ضابطه خان ، وامتنع المرهته عن توزيع هذه الغنائم مناصفة كما كان مقررا [2]، وأخذت العلاقات بين الجانبين تزداد سوءا وأصبح السلطان لايأمن جانب المرهته ولايثق فيهم ، وانتهى الأمر إلي اشتباك بين قوة السلطان. من جانب وقوات الپيشوا وهولكر وسندهيه من جانب آخر ، واضطر السلطان أن يلبي طلباتهم ومنها تفويضهم أمور كَوره وإله آباد وحسابات السنين العديدة من بنغال ، مما كان يعني إثارة غضب الإنجليز [3] الذين قاوموا تقدم قوات المرهته بمشاركة من شجاع الدولة حاكم أوده وزعماء روهيله الأفغان ، ومرة أخرى أراد المرهته أن يظهروا بمظهر المدافع عن السلطان ، إلا أن السلطان اتصل

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٣٦٠ أ - ٣٦١ أ ،
منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ، ق ٧ ب - ٨ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٥ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٤٢ .

(٢) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٦٣أ ، ٣٦٧ ب ، ٣٦٨ أ - ٣٦٩ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ق ٣٨٣ أ ، ٣٨٥ ب ، ٣٨٩ ب ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٥ ،
T.W.Haig : شاه عالم (دائرة المعارف الاسلامية) حـ١٣، ص ١٤٠ .

بشجاع الدولة والإنجليز سرا وأخبرهم أن المرهته يقومون بهذا الهجوم خلافا لمرضاته (١)، وبذل السلطان محاولات للخروج من هذا المأزق ورأى أن يستنجد بالإنجليز فأرسل لهذه المهمة ابنه الأكبر ميرزا جهاندار شاه إلى بنغال للاتصال بهستنجز في هذا الصدد وذلك في عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م ، ومع أن هستنجز رفض أن يلبي ذلك الطلب ، إلا أنه أحسن استقبال ولي عهد السلطان شاه عالم الثاني وأقنع شجاع الدولة بعد إلحاح شديد أن يقرر له إعانة سنوية قدرها خمسمائة ألف روبية (٢)، وقام الامير جهاندار شاه بكتابة رسالتين متتاليتين إلى الملك الإنجليزي نيابة عن والده ، ومحتويات الرسالتين متشابهة للرسالة التي سبق أن كتبها والده إلى ملك إنجلترا ، شرح فيهما الحالة البائسة التي وصلت إليها الدولة المغولية وطلب مساعدة الإنجليز لتخليص السلطان من أيدي المرهته (٣)، ويبدو أن مصير الرسالتين المليئتين بالمديح للملك الإنجليزي كان كرسالة السلطان نفسه وهو الإهمال ، فكتب رسالة أخرى إلى كبار رجالات الشركة الإنجليزية جاء فيها :

" إلى أصحاب الإمارة والعظمة كبار تجار الشركة الإنجليزية حفظهم الله ... إننا نرى دائما أن يعيش جميع سكان البلاد والأمصار ، من المقيم والمسافر والسيار في ظل العدل والطمأنينة يشكرون استمرار النعمة ، ولن يتحقق ذلك على الوجه المطلوب إلا باجتماع كلمة المخلصين ، وخاصة أن في عالم الفساد هذا

---

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٩٠ ب – ٣٩١ ب .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٠ ،

K.K.Datta F.W.I.H.Correspondence, Vol.X(1786-1788),pp. 706-707.

(٣) غلام علي خان : شاه عالم نامه، ق ٤٩٨ أ – ٥٠١ أ و ق ٥٠٩أ – ٥١٢ أ .

لاتستقيم رئاسة الممالك والسياسة المدنية ، وهي انتساق أحوال الأهالي والمهاجر والكاسب والتاجر ، دون الاجتماع والاتفاق ... لاشك أنكم على علم بما حدث لهندوستان من اختلال نتيجة اختلاف بعض أركان الدولة ، وهذا ينذر بظهور الفتن والمصائب التي سوف تؤدي إلى خراب العباد والبلاد ، وتقضي على التجارة والاكتساب وتدمر أسواق البيع والشراء ، وأذكر هنا بأنني قد كتبت رسالة ودية مفصلة إلى ملك ممالك الإفرنج ، عسى أن يطلع على الرسالة ويقوم بمساع حميدة ويصدر أوامره بإرسال العساكر المنصورة لتقديم المساعدة اللازمة قبل أن يتفاقم الخطر ، ويجب أن تغتنموا هذه الفرصة وأن تبادروا بتقديم العون ، إذ لم يسبق لهذه الدولة أن مدت يدها إلى أمثالكم من التجار ، فاغتنموا الفرصة وانتظروا الألطاف والعنايات المتزايدة [١].

وهكذا أراد الأمير جهاندار شاه أن يبلغ التجار بأن مصالحهم التجارية تقتضي الأمن والاستقرار السياسي ، وحسب اعتقاده فإن هذا الأمر لن يتحقق إلا باستعادة الدولة المغولية سلطتها وهيبتها ، ونلاحظ أن سلطان الدولة المغولية البائس وحاشيته وجد الإنجليز أرحم من أتباعه الهنود ، كما رأى أن الإنجليز هم القوة الوحيدة التي بإمكانها أن تقدم له المساعدة العسكرية الفعالة للقضاء على المتغلبين في العاصمة وأقاليم الدولة ، ولكن الإنجليز في هذه المرة أيضا رفضوا طلب السلطان بنفس الدلائل والأسباب التي جعلتهم يرفضون مثل هذا الطلب في السابق ، ولقد واصل ولي عهد السلطان محاولاته اليائسة للحصول على المساعدة الإنجليزية العسكرية إلى أن توفى مكسور القلب في بنارس في ٢٥ من

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٥١٢ ب - ٥١٣ ب .

شعبان عام ١٢٠٣هـ / مايو ١٧٨٩م (١)، ليترك والده السلطان يلقى مصيره المأسوي بيد المتنازعين على المناصب الزائفة .

في عام ١١٩٩ هـ / ١٧٨٥ م قتل أمير الأمراء أفراسياب خان ، وأصر المرهته أن يعين على هذا المنصب الزعيم المرهتي سندهيه Sindia وقبل السلطان هذا التعيين مضطرا ، وأصبح سندهيه مسيطرا على قلاع دهلي وآگره دون أن يكون للسلطان حول ولا قوة ، ولقد حدث بسبب هذا التعيين اضطرابات كبيرة إذ طالب ميرزا إسماعيل بيگ أحد أمراء المغول وغيره بعزل الزعيم المرهتي عن منصب إمارة الأمراء ، وقامت معارك كثيرة بين المتنازعين على ذلك المنصب ، وانضم غلام قادر خان بن ضابطه خان الأفغاني الذي كان قد عين والده قبل وفاته على ذلك المنصب في مبادرة تصالحية بينه وبين السلطان ، انضم إلى ميرزا إسماعيل في معارضة المرهته (٢)، إلا أن المرهته انتصروا على هذا الحلف في معركة وقعت في آگره في أواخر عام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م وانسحب المتحالفون إلى دهلي حيث أنذروا السلطان عن عواقب تحالفه مع المرهته وفي ٢٦ من شوال عام ١٢٠٣ هـ/ يوليو ١٧٨٩م تعهد السلطان أن يبتعد عن المرهته وسلم لهم ابنه ميرزا سليمان شكوه رهينة ، إلا أن غلام قادر خان قاد انقلابا للإطاحة بالسلطان حيث اعتقله وأخرج بيدار بخت بن السلطان أحمد شاه من السجن وأجلسه على عرش دهلي، وزاد في

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٥٢١ أ – ٥٢١ ب ،
K.K.Datta:F.W.I.H. Correspondence, Vol.X (1786-1788),p.707.

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٠ – ٦٨١ ،
V.A.Smith: The Oxford History ofIndia, p.487.

إهانة السلطان باستيلائه على ما في خزانته من أموال كما قطع عنه وعن حاشيته الأكل والشراب مما أدى إلى وفاة بعض الأميرات والأمراء ، ولم يكتف بهذا بل قام في ٢٧ من شوال عام ١٢٠٣هـ / يوليو ١٧٨٩ م بفقأ عيني السلطان وارتكب أنواع الظلم والتعدي ضد أولاد السلطان وأثرياء دهلي لمدة شهر من الزمان(١).

لقد أنشد السلطان قصيدة فارسية بهذه المناسبة نذكر هنا ترجمة معظم أبياتها لأنها تعتبر مرآة لمأساة ذلك العصر ، وفي نفس الوقت تشير إلى القوات والعناصر المؤثرة على مجريات الأمور في الهند :

" صرصر الحادثة قام لإذلالنا .. وقض على هيبة حكمنا

كنا شمسا في سماء الملك الرفيعة .. وسيرتنا إلى ظلام الأفول سيئاتنا

فقأ عيني الزمن وحسن ما حدث .. حتى لا أرى الغير يسيّر ملكنا

ارتكبنا أخطاء ولقينا عقابها .. وعسى أن يغفروا ذنوبنا

قضى صبي أفغاني على شوكة الملك .. ومن غير الله يساعدنا

قضى ثلاثين عاما في حجابتنا .. وتلقى سريعا عقاب مظلمتنا(*)

الحسناوات اللاتي كن مؤنسات .. لاتوجد منهن واحدة تقوم بخدمتنا

حقوق الأطفال التي جمعت في ثلاثين سنة .. نهبت تأكيدا لتحقيرنا

(*) إشارة إلى مصير الجاني الذي قبض عليه بواسطة المرهته ومثل ثم سود وجهه ووضع في القفص الحديدي وتجول به في المدينة تشهيرا به ، ثم فقئت عيناه وبعد ذلك قتل في الخامس من جمادي الثانية عام ١٢٠٤هـ/ فبراير ١٧٩٠م (شاه عالم نامه ، ق ٥٣١ ب - ٥٣٢ أ) .

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨١ ،

V.D.Mahajan: India since 1526, Part.I,p.235.

غدروا بعهودهم ومواثيقهم .. وهكذا حافظوا على ولائنا

أرضعنا أفعيا وربيناه .. ليكون في النهاية سببا لسفك دمائنا

إن المغل والأفغان خدعونا .. ودبروا معا اعتقالنا

إن السلطان تيمور الذي تربطه بي النسبة (*) سوف يسرع في المجيء لمساعدتنا

إن مادهوجي سيندهيه ابني وفلذة كبدي سوف يحاول ليقتص من مظلوميتنا

أخبروا عن مأساتي الى نظام (**) .. ليأتي ويسأل عن أحوالنا

الراجه والراو والزميندار والأمير والفقير يا أسفا إذا لم يقوموا بمواساتنا

ضاعت أحوالنا كما ضاع الأئمة من يزيد جعل القدر رزقنا في ذلتنا

كان الذهب ومتاع الدنيا مرضنا .. ومن فضله سبحانه زال مرضنا

ان آصف الدولة والإنجليز (***) أعزائي .. ولن يكون عجبا لو قاموا بنجدتنا

أيتها الشمس لقد أفلت اليوم بفعل الفلك .. وغدا سوف يعيد الله سلطاننا" (١)

وهكذا تحكي أبيات القصيدة التي أنشدها السلطان المنكوب، مأساة ذلك الزمان، وهي ليست مأساة رأس الدولة فحسب، بل انها مأساة أمة ودولة، تتغنى بأمجادها الماضية ولكن لايسعفها واقعها المرير.

قضي السلطان بقية حياته في عاصمة الدولة المغولية دهلي في أحضان

(*) إشارة إلى الزواج الذي تم بين تيمور شاه بن أحمد شاه دراني وابنة عالمگير الثاني بعد استيلاء أحمد شاه دراني على دهلي إثر هزيمته للمرهته.

(**) إشارة إلى حاكم حيدر آباد بالدكن.

(***) إشارة إلى حاكم أوده المجاورة للإنجليز في بنغال.

(١) غلام علي خان: شاه عالم نامه، ق ٥٢٥ أ - ٥٢٦ أ.

المرهته إلى أن استولى الانجليز على دهلي في ٣٠ جمادى الأولى ١٢١٨هـ/١٦ سبتمبر ١٨٠٣م ، وأصبح السلطان يتلقى منهم راتبا شهريا الى أن توفي في ١٧ من شهر رمضان عام ١٢٢١هـ / نوفمبر ١٨٠٦م عن عمر يناهز الثانية والثمانين ، بعد أن كان سلطانا اسميا لمدة ٤٨ عاما وخمسة أشهر قضاها في الأقاليم الشرقية وفي دهلي ، وخلفه ابنه الثالث السلطان أكبر الثاني (١) (١٢٢١ - ١٢٥٣ هـ / ١٨٠٦ - ١٨٣٧ م) الذي لم يكن أحسن حالا من أبيه .

هذه الأحداث تشير بوضوح الى تفكك الجبهة الاسلامية الهندية والى عدم الشعور بالمسئولية تجاه الأخطار التى كانت تهدد الجميع ، وبالتالى سنحت هذه الأوضاع لشركة الهند الشرقية الانجليزية لتستمر فى نهجها التوسعى وبسط سيطرتها على ماتبقى من الأراضى والاقاليم الهندية .

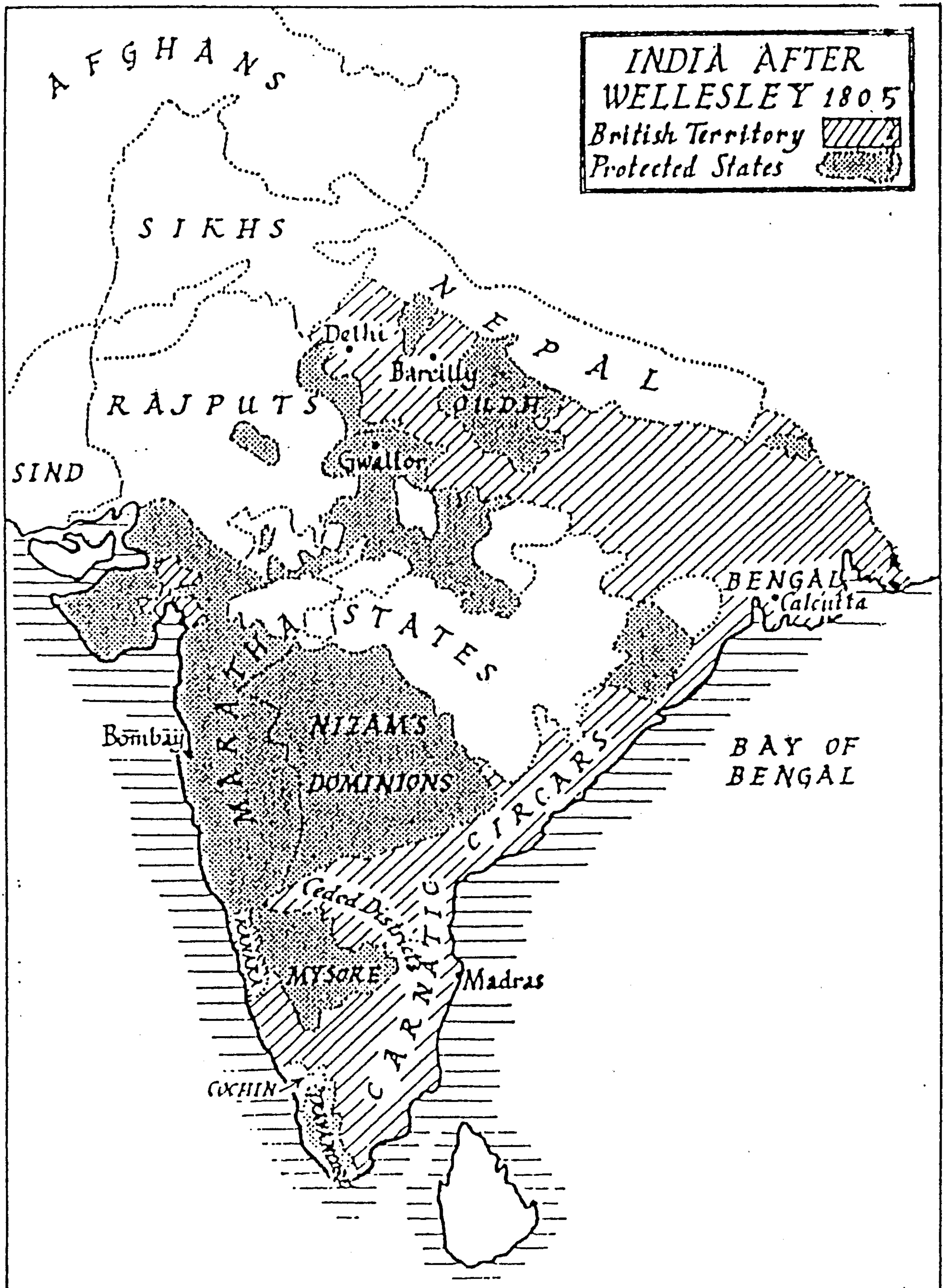
---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٤ ،
غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٣٨٠ أ .

الهند بعد ولسلي
١٢١٩هـ / ١٨٠٥م
السيادة الإنجليزية المباشرة
المحميات الإنجليزية

الأفغان
السيخ
الراجبوت
السند
دهلي
أوده
البنغال
كلكتا
بمبي
خليج البنغال
مدراس

Philip Mason:
The Men Who Ruled India, P.89



Philip Mason:
The Men Who Ruled India, P.89

اتساع

ممتلكات الشركة ، كلكته Calcutta عاصمة

في الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري إلى أكثر من الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي الى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي) وهي الفترة التي قامت فيها الشركة الإنجليزية بالتوسع في الأراضي الهندية ، فإن مسرح حروب الشركة كان داخل الهند وضد الإمارات الهندية ، وبتوسع سيادة شركة الهند الشرقية الإنجليزية إلى نهر ستلج Sutlej في الشمال أصبحت الهند في معظمها داخل سيادة الشركة ، وأصبحت هذه السيادة أكثر قربا من البلدان الآسيوية الغير الهندية ، مثل نيبال وبورما وأفغانستان ، وبالتالي أصبحت الشركة قاب قوسين أو أدنى من الصدام بهذه القوات الغير الهندية ، وذلك وقاية لمستعمرتها الكبرى الهند من أي خطر من خارج الهند قد يهددها آجلا أو عاجلا .

بعد استيلاء شركة الهند الشرقية الإنجليزية على دهلي وقضائها على سلطة المرهته ، بقيت هناك البنجاب والسند اللتان لم تخضعا لسلطة الشركة خضوعا مباشرا ، وبدلا من أن تبدأ الشركة بإخضاعهما وإلحاقهما إلى سيادتها ليكون التوسع يخطو خطواته الطبيعية التدريجية ، أخذت الشركة تفكر في إخضاع ما ورائهما ، وهي أفغانستان التي أُصبحت منفصلة عن دهلي إثر غزو نادر شاه للهند وقيام أحمد شاه دراني بإحكام سيطرته على بلاد الأفغان المتاخمة للهند بعد وفاة نادر شاه حاكم إيران .

يرجع المؤرخون سبب هذا الاهتمام الإنجليزي لأفغانستان ، إلى التنافس الاستعماري بين الإنجليز والروس ، إذ أراد الإنجليز التقدم إلى ضفاف جيحون في

آسيا الوسطى قبل أن يصلها الروس [١] ويهددوا أمن الهند ، ويذكر أن خطة الاستيلاء على أفغانستان لم تكن من تفكير أوكلند Aukland حاكم عام الشركة في الهند (١٢٥٢ - ١٢٥٨هـ / ١٨٣٦ - ١٨٤٢ م) ، بل كانت بإيحاء من وزارة الخارجية الإنجليزية للحيلولة دون وقوع كابل في فم الدب الروسي [٢] المتقدم جنوبا ، ولا تنسى في هذا الصدد أن أفغانستان كانت في فترات تاريخية مختلفة ، نقطة الإنطلاق لفتح الهند والاستيلاء عليها ، ورأينا أنه كيف استنجد المسلمون بأحمد شاه دراني على المرهته فجاءتهم النجدة الإسلامية الأفغانية التي هزمت المرهته وخلصت دهلي من قبضتهم ، وبما أن الشركة الإنجليزية قد وصلت بنفوذها إلى ما وصل إليه المرهته سابقا في دهلي وما حولها ، تكون قد فكرت أن تؤمن سيادتها من هجوم أفغاني محتمل لاسيما وأن حكام أفغانستان منذ عهد مؤسسها كانوا ومازالوا يرون أن حدود دولتهم تشمل حتى مناطق داخل الهند ، وفي هذه الفترة كان حاكم أفغانستان الأمير دوست محمد خان في نزاع حدودي مع حاكم پنجاب رنجيت سنگه ، وقد طلب في ذلك مساعدة الإنجليز ضمن رسالة تهنئة لأوكلند في ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م بمناسبة تعيينه حاكما عاما للهند ، ولكن أوكلند لم يلب هذا الطلب ورد على الرسالة بأن يقوم الصديقان بحل مسائلهما بالطرق الودية [٣] ،

---

(١) مير غلام محمد غبار : آفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٥٢٣ ،

سيد قاسم رشتيا : افغانستان درقرن نزده ،ط٢،كابل، انجمن تاريخ افغانستان ١٣٣٦ هـ ش ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٨٥ .

(٣) سيد قاسم رشتيا : أفغانستان در قرن نزده ، ص ٦٦ ،

مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٥١٩ ،

Andre singer: Lords of the Khyber, London, Faber, 1984, pp. 94-96.

Lawrence Ziring: Iran , Turkey, and Afghanistan A Political chronology, New York, Preager publishers, 1981, p.41.

ويئس الأمير من الإنجليز بهذا الرد واعتبر أنهم قد رجحوا صداقة رنجيت سنكه على صداقته ، فتوجه إلى حاكم إيران وقيصر الروس وكتب إليهما يطلب مساعدتهما في نزاعه مع السيخ ، وأوضح لقيصر الروس أنه لو انهزم أمام السيخ المتحالفين مع الإنجليز فسيكون هذا تهديدا لإيران ولروسيا ، ولكن الرد الذي تلقاه حاكم أفغانستان من البلدين المذكورين لم يكن يتضمن تعهدا محددا ماعدا الإعراب عن الترحيب بعلاقات الصداقة والتأييد عن مواقف أفغانستان (١).

كان الإنجليز يراقبون الأوضاع ، فقاموا بإرسال مبعوث خاص إلى كابل لإبعاد حاكمها عن التقرب إلى إيران وروسيا وذلك في ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧ م ، وفي نفس الوقت وصل إلى كابل مبعوث روسي حاملا رسالة ودية إلى دوست محمد خان من قيصر الروس ، وأراد دوست محمد خان أن يستغل هذا الوضع التنافسي لكسب حماية الإنجليز في استرداد بشاور إلى حدود دولته ، ولكن الرد الذي تلقاه من الإنجليز هو الرفض ثانية لذلك الطلب ، فقطع دوست محمد خان محادثاته مع الوفد الإنجليزي وبدأ المفاوضات بصورة جدية مع الوفد الروسي الذي وعده بالمساعدة الروسية لاسترداد پشاور من السيخ (٢).

---

(١) سيد قاسم رشتيا : آفغانستان درقرن نزده ، ص ٦٧ ،
Andre Singer: Lords of the Khyber, p.96.

(٢) مير محمد صديق فرهنگ : افغانستان درپنج قرن آخير، ويرجينيا، مركزفرهنگى سنالي ١٣٦٧هـ/١٩٨٨م ، ص ١٦٦
سيد قاسم رشتيا : أفغانستان در قرن نزده ، ص ٦٩ — ٧٠ ،
ش. ن. حق شناس: دسايس وجنايات روس در آفغانستان ، تهران، كميته فرهنگى دفتر مركزي جمعية اسلامى افغانستان ١٣٦٣هـ ش.، ص ٤
Charles Miller: Khyber, British India's North-West Frontier, London, Macdonald and Janes, 1977, pp.27-28.

قرر الانجليز في الهند أن يقوموا بتغيير الحكم في أفغانستان ونصب حاكم يرضى بسياساتهم ومطالباتهم ، وفي هذا الاطار وجدوا ضالتهم في شاه شجاع وهومن الأسرة الحاكمة السابقة الذي كان يعيش في منفاة ببنجاب ، وفي الرابع من شهر ربيع الثاني عام ١٢٥٤هـ / ٢٦ يونيو ١٨٣٨م تم في لاهور عقد حلف ثلاثي بين الشركة الانجليزية ورنجيت سنكه وشاه شجاع ، تقرر بموجبه الاعتراف بشاه شجاع حاكما لأفغانستان والاستعداد لمساعدته في استرداد عرش آبائه ، مقابل التنازل عن جميع الادعاءات الأرضية خارج حدود سيادة دوست محمد خان الفعلية ، وأن يكون هناك مقيم بريطاني في بلاط كابل وأن لاتقيم كابل علاقات مع سائر الدول الأجنبية الا بموافقة من الانجليز(١)، وبعد ذلك بثلاثة أشهر أعلن الحاكم الانجليزي العام للهند الحرب على افغانستان بسبب ما أسماه اعتداء حاكم كابل على الحليف الانجليزي رنجيت سنكه ، فتحركت القوات المكونة من حوالي تسعة عشر ألف جندي الى أفغانستان عبر السند وبلوجستان بصحبة شاه شجاع ، كما تحركت قوات أخرى من حاكم بنجاب عبر بشاور بصحبة تيمور ابن شاه شجاع (٢)، ودخلت القوات

---

(١) سيد قاسم رشتيا : أفغانستان در قرن نزده ، ص ٧١ ،
مير محمد صديق فرهنك : أفغانستان در بنج قرن آخير ، ص ١٦٧ ،
احسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٨٦ ،
Charles Miller: Khyber, British India's North-West Frontier, p.32.

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٧٧٨ - ٧٧٩ ،
مير محمد صديق فرهنك : أفغانستان دربنج قرن آخير ، ص ١٦٧ ، ١٦٩ ،
Lawrence Ziring: Iran, Turkey, and Afghanistan A Political Chronology, p.42.
Charles Miller: Khyber, British India's North-West Frontier, p.35.

الإنجليزية إلى قندهار في السادس من صفر عام ١٢٥٥هـ / ٢٠ أبريل ١٨٣٩م دون مقاومة وبعد ثمانية أيام أجلس الإنجليز شاه شجاع على العرش، وأخذوا منه تعهدا بقبول قوات إنجليزية دائمة في أراضيها مع جزء من نفقاتها ، وبعد شهر ونصف تحركت القوات الإنجليزية إلى كابل واستولت على غزنه ودخلت كابل في ٢٧ جمادي الأولى عام ١٢٥٥هـ / ٧ أغسطس ١٨٣٩م بعد أن غادرها دوست محمد خان إلى بخاري طلبا للمساعدة، وجلس شاه شجاع على عرش كابل بعد غياب دام ثلاثين سنة (١).

هكذا نجح الإنجليز في احتلال كابل وتنصيب شاه شجاع على عرشها، إلا أنهم ما لبثوا أن واجهوا مقاومة إسلامية اتسعت يوما بعد يوم وضيقت الساحة على الإنجليز ، وفي نفس الوقت تمكن الأمير الهارب دوست محمد خان من العودة إلى أفغانستان والانضمام إلى المقاومة ، ولكنه بعد اشتباكات مع الإنجليز ترك المقاومة في شهر رمضان ١٢٥٦هـ / نوفمبر ١٨٤٠م واتجه بمفرده إلى كابل واستسلم للإنجليز الذين رحبوا به وأرسلوه مع عائلته إلى كلكته حسب رغبته بعد أن

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٧٧٩ ،
سيد قاسم رشتيا : أفغانستان در قرن نزده ، ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٨٧ ،
مير محمد صديق فرهنگ : أفغانستان درپنج قرن آخير ، ص ١٧٣ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.605.
V.D.Mahajan: India since 1526, Part.II,p.602.

رفض مقابلة شاه شجاع وقبول وزارته (١)، وبذلك أضر دوست محمد خان بالمقاومة التي كانت استبشرت بعودته ، ولكنها استمرت رغم ذلك لأنها كانت موحاة من دافع ديني ووطني ، فنظمت نفسها ووسعت دائرتها ، وخططت للقضاء على سلطة الإنجليز في البلاد ، واجتمعت قيادة المقاومة في كابل في شهر رجب عام ١٢٥٧ هـ / سبتمبر ١٨٤١ م لدراسة ماسوف تقوم به ، وقررت الهجوم على الضباط الإنجليز الموجودين في المدينة ثم الهجوم على قلعة بالاحصار للقضاء على المقيم البريطاني مكناتن Macnaghten وغيره، ووزعت الأدوار على المشتركين في الجلسة لتنفيذ الخطة ، كما حددت اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك لعام ١٢٥٧هـ / نوفمبر ١٨٤١م يوم بداية العمليات تيمنا بذكرى انتصار المسلمين الكبير في غزوة بدر ، وفي صباح اليوم الموعود هاجمت أفواج من المجاهدين مقر القائد العسكري الإنجليزي وتمكنوا من قتله وقتل سائر الضباط ورجالات الإنجليز الموجودين هناك ، وتابع المجاهدون هجومهم على أماكن الضباط الإنجليز وموظفيهم ، ووصلت أخبار هذه الانتصارات إلى المناطق القريبة من كابل وجعلت أعدادا كبيرة من الناس يبادرون بالتوجه إلى كابل والمشاركة العملية في الجهاد وفي نفس الوقت وصل من بخاري الأمير محمد آكبر خان بن دوست محمد خان الذي لعب دورا قياديا في استمرارية المقاومة ضد الإنجليز ، وسقطت الحاميات الإنجليزية

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٧٨٠ - ٧٨٢ ،
ميرغلام محمد غبار : آفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٢ ،
سيد قاسم رشتيا : آفغانستان در قرن نزده ، ص ٩٢ ،
مير محمد صديق فرهنگ : آفغانستان درپنج قرن آخير، ص ١٧٥ - ١٧٧ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٨٨ ٠

بيد المجاهدين واحدة تلو الأخرى ، ورأى المقيم البريطاني أن ينقذ ما تبقى من الإنجليز بالوسائل الدبلوماسية المخادعة ، فكتب إلى زعماء المقاومة عهدا قرر فيه سحب القوات الإنجليزية من أفغانستان وخلع شاه شجاع وإعادة دوست محمد خان وعدم التدخل في شئون أفغانستان ، وقبلت المقاومة هذا العرض وأعطت للإنجليز مهلة لثلاثة أيام ليقوموا خلالها بسحب قواتهم من كابل[١] إلا أنهم كانوا يماطلون في الانسحاب وتنفيذ تعهداتهم على أمل أن تصلهم إمدادات جديدة وأن يتمكنوا من إحداث الوقيعة بين زعماء المقاومة الذين كشفوا المؤامرة الإنجليزية وعزموا أن يعاملوهم بمثلها ، حيث قرروا دعوة المقيم البريطاني وكبار الضباط الإنجليز إلى حفل عام يشترك فيه زعماء المقاومة ويتدارسون إجراء التعديلات على المعاهدة التي سوف تبرم بين الجانبين ، وتقرر أن يباد كبار الإنجليز الذين سوف يشتركون في الحفل ، ولقد قبل مكناتن الاشتراك في الحفل بعد تردد وتخوف[٢]، وأثناء انعقاد الجلسة عرض محمد أكبر خان على الحضور الوثائق

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٧٨٣ ،
سيد قاسم رشتيا : أفغانستان در قرن نزده ، ص ١٠٠ — ١٠٤ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٥٥٥ — ٥٥٦ ،
Charles Miller: Khyber, British India's North-West Frontier, pp.64-65.
V.D.Mahajan: India since 1526, Part.II, p.602.

(٢) سيد قاسم رشتيا : أفغانستان درقرن نزده ، ص ١٠٥ — ١٠٧ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان در مسير تاريخ ، ص ٥٥٦ — ٥٥٨ ،
Charles Miller: Khyber, British India's North-West Frontier, pp.66-67.

التي جمعها عن المؤامرة الإنجليزية التي كانت تقضي باغتيال بعض زعماء المقاومة وإغراء البعض الآخر لقبول منصب الوزارة وطلب الإمدادات الجديدة ، وهنا قام الوفد الأفغاني المفاوض بقتل رئيس الوفد الإنجليزي مكناتن وعدد من مساعديه، وقبل خليفة مكناتن شروط الأفغان التي كان منها تسليم المدفعية الإنجليزية باستثناء ستة مدافع والاحتفاظ بعدد من كبار الإنجليز وعائلاتهم رهائن حتى عودة دوست محمد خان (١)، وبدأ الإنجليز إخلاء كابل في السادس من ذي القعدة ١٢٥٧هـ / ديسمبر ١٨٤١م ، ولكنهم أخذوا معهم تسعة مدافع مما اعتبره زعماء المقاومة نقضا للتعهد فتخلوا عن حمايتهم ونتج عن ذلك أن تعرضت القوات الإنجليزية لمذبحة مروعة لم ينج منها سوى الطبيب برايدن Brydon الذي تمكن من الوصول إلى جلال آباد في الثالث عشر من ذي القعدة ليخبر عن إبادة الجيش الإنجليزي بكامله ، كما قتل المجاهدون شاه شجاع في ٣ صفر ١٢٥٨هـ / مارس ١٨٤٢م (٢)، وبذلك تم القضاء على الإنجليز وحكمهم في كابل ، ولكن أوكلند عزم على الثأر وإرسال

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٧٨٣ - ٧٨٤ ،
ميـر محمد صديق فرهنگ : أفغانستان درپنج قرن أخير ، ص ١٨٦ - ١٩٠
سيد قاسم رشتيا : أفغانستان درقرن نزده ، ص ١٠٨ ،
Andre Singer: Lords of the Khyber, pp.98-99.

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٧٨٥ ،
سيد قاسم رشتيا : أفغانستان درقرن نزده ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ،
مير محمد صديق فرهنگ : أفغانستان درپنج قرن أخير ، ص ١٩٢ - ١٩٣ ،
V.A. Smith: The Oxford History of India, p.605.
V.D.Mahajan: India since 1526, Part.II, p.602.

القوات إلى كابل من جديد ، إلا أن خليفته النبره Ellenboraugh رأى أن إبقاء أفغانستان تحت الحكم الإنجليزي المباشر ليس أمرا سهلا فبحث عن الحلول الأخرى فاتصل بالأمير الهارب المستسلم دوست محمد خان وعرض عليه إعادته لحكم أفغانستان ووعده بأن تنسحب القوات الإنجليزية من بلاده وأن يكون هو حر التصرف فيما يتعلق بالشئون الداخلية لأفغانستان ، وقبل الأمير دوست محمد خان هذا العرض وكتب لابنه محمد أكبر خان وسائر زعماء المقاومة بأن ينسحبوا أمام القوات الإنجليزية التي دخلت كابل في مظاهرة عسكرية لاستعادة هيبة الإنجليز العسكرية والسياسية في الهند ، وذلك في ١٨ شعبان ١٢٥٨هـ / سبتمبر ١٨٤٢ م، ثم غادرتها في شهر رمضان من نفس السنة ، ليعود إلى عرشها دوست محمد خان بعد غياب دام أكثر من ثلاث سنوات ، وبذلك انتهت الحرب الأفغانية الإنجليزية الأولى التي فقد فيها الإنجليز جيشا بكامله (١)، ولكنهم وفقوا في النهاية أن يحولوا دون التوسع الروسي المحتمل إلى الهند (٢)، كما تمكنوا من قطع الطريق أمام أية نجدة إسلامية أفغانية للمسلمين في الهند ، وسهلوا مهمتهم في إخضاع السند وپنجاب اللتين بقيتا حتى ذلك الوقت خارجتين عن الخضوع المباشر لسيادة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، وإن كانتا متعاونتين مع سياسة الشركة في هجومها على أفغانستان كما رأينا آنفا .

---

(١) سيد قاسم رشتيا : أفغانستان در قرن نزده ، ص ١١٨ ، ١١٩، ١٢٠ ، ١٢٢ ، مير غلام محمد غبار : أفغانستان در مسير تاريخ ، ص ٥٦٥ — ٥٦٦ ،

Lawrence Ziring: Iran, Turkey, and Afaghanistan A Political Chronology, p.42.

(٢) مير محمد صديق فرهنگ : أفغانستان درپنج قرن آخير ، ص ١٩٩ .

كانت السند جزءا من أقاليم الدولة المغولية إلى أن جاءت حملة نادرشاه على الهند وانفصلت أفغانستان عن دهلي ، فأصبحت السند تحت نفوذ الحكام الأفغانيين قبل أن يبتلى هؤلاء الحكام بفتن داخلية فيما بينهم .

فيما يتعلق بالإنجليز فإن بدايات علاقاتهم بالسند ، ترجع إلى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، إذ تمكنوا في عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٨م من فتح محطات تجارية في تهته Tatta وشاه بندر بموافقة من غلام شاه حاكم السند آنذاك من أسرة كلهوره [1] التي خلفها في حكم السند أمراء أسرة تالپور الذين قطعوا العلاقات التجارية مع الشركة الإنجليزية بطلب من شاه زمان دراني حاكم أفغانستان إلا أن مير غلام علي خان تالپور حاكم حيدر آباد في السند قام في عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م بإرسال مبعوث إلى بمبيء طالبا استئناف العلاقات التجارية مع الشركة ،ولكن حكام بمبيء طالبوا بدفع الغرامات عن الخسائر التي لحقت بهم في الفترة السابقة قبل أن يقوموا باستئناف العلاقات ، إلا أنهم رحبوا بإعادة العلاقات دون الإصرار على مطالبتهم تلك بعد أن تخوف الإنجليز من هجوم نابليون المحتمل الذي قام باتصالات في بلاط شاه زمان ، فقام الإنجليز بإرسال مبعوث إلى غلام علي خان حيث عقدت بين الجانبين اتفاقية من سبعة بنود في غرة جمادي الثانية ١٢٢٣ هـ / ٢٤ يوليو ١٨٠٨ م ، تقرر فيها أن يكون الجانبان صديقين وأن يعتبر كل جانب صديق الجانب الآخر صديقا له وعدوه عدوا له ، وأن يبادر كل طرف بتقديم المساعدة إلى الطرف الآخر كلما لزمت تلك المساعدة ،

---

(١) منشي عطا محمد شكار پوري :تازه نواى معارك ،كراچي،سندهى ادبى اردو،١٩٥٩م ص ٩٥٢ .
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٧ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.607.

كما تقرر أن يقوم في بلاط حيدر آباد مندوب من الشركة ، وأن تسمح للشركة بفتح محطة تجارية في مدينة تهته Tatta (١).

في العام التالي عقدت الشركة الإنجليزية اتفاقية مع حكام السند وهم مير غلام علي ومير كرم علي ومير مراد علي ، تعهد هؤلاء الحكام بموجبها بعدم السماح لأي أوربي آخر بالإقامة في الأراضي السندية ، ووقعت الاتفاقية في العاشر من رجب عام ١٢٢٤ هـ / ٢٠ أغسطس ١٨٠٩م ، وكان توقيعها بسبب مخاوف الإنجليز المتزايدة من تقدم النفوذ الفرنسي الروسي إثر التقارب الذي ظهر بين نابليون والاسكندر الأول Alexander I (١٢١٥ - ١٢٤٠هـ/ ١٨٠١- ١٨٢٥م) قيصر الروس (٢).

توالى عقد مثل تلك الاتفاقيات بين شركة الهند الشرقية الإنجليزية وحكام السند من أسرة تالپور البلوچية ، وفي كل مرة كانت الشركة تقيد حكام السند أكثر فأكثر وتطلق يد الشركة في شئون السند وتمهد لسيطرتها الكاملة عليه ، ففي صفر من عام ١٢٣٦هـ / ٩ نوفمبر ١٨٢٠ م عقدت اتفاقية بين الجانبين تعهد بموجبها حكام السند أن لايسمحوا بالإقامة في أراضيهم لأي شخص أوروبي وأمريكي ، كما تعهدوا بعدم السماح لأية غارة تقوم بها قبيلة من القبائل على الأراضي الخاضعة للشركة منطلقة من أراضي السند (٣)، وبعد مرور اثنى عشر عاما

---

(١) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٩٥٢ - ٩٥٣ ،
مير غلام محمد غبار آفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٧ .

(٢) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٩٥٣ - ٩٥٤ ،
مير غلام محمد غبار: آفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٧ .

(٣) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٩٥٥ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.607.

عقد الجانبان اتفاقية أخرى في ذي القعدة من عام ١٢٤٧هـ / ابريل ١٨٣٢ م تقرر فيها فتح الطرق البرية والبحرية أمام السلع التجارية وعدم تقييد حركة التجار ومعاملاتهم ، كما سمح لحكام السند أن يحصلوا على ضرائب من السلع المستوردة طبقا للائحة الثابتة التي يكون قد وافق عليها المندوب الإنجليزي (١) وبعد مرور ستة أعوام أخرى عقدت هناك اتفاقية أخرى بين حكام السند وشركة الهند الشرقية الإنجليزية في محرم عام ١٢٥٤هـ / ابريل ١٨٣٨ م تقرر بموجبها أن يقيم في حيدر آباد وزير مفوض للإنجليز ، وأن يكون الوزير المفوض حرا في اختيار مكان إقامته من وقت لآخر ، كما يكون له حرسه الخاص الذي يحدد الإنجليز عدد أفراده ، وفي شوال ١٢٥٤هـ / ديسمبر ١٨٣٨ م عقدت اتفاقية أخرى بين الإنجليز ومير رستم في خيرپور ، أصبح الحاكم المذكور وخلفاؤه بموجب تلك الاتفاقية خاضعين للإنجليز يتصرفون في الإطار الذي يحدده الإنجليز ، كما تقرر أن لاتكون للحاكم المذكور أية علاقات أو مراسلات مع أي حاكم آخر ، كما تعهد الإنجليز أن لايستمعوا لاستغاثة رعايا خيرپور ضد حاكمهم ، وأن الإنجليز سوف يقومون بتقديم مساعدة عسكرية لحاكم خيرپور للضرورات الأمنية داخل السند أو خارجه (٢)، وفي ذى القعدة من عام ١٢٥٤هـ / فبراير ١٨٣٩م وقعت اتفاقية سلمت بموجبها قلعة كراچي وقصبتها إلى القوات الإنجليزية (٣)، وبعد ذلك بيومين وقعت اتفاقية عسكرية

---

(١) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٩٥٦ – ٩٥٨ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٦٢٧ ،
V.A. Smith : The Oxford History of India, p.608.

(٢) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٩٦٦ – ٩٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٦٩ .

بين اللورد أوكلند Aukland حاكم عام الشركة في الهند وبين حكام حيدر آباد الأربعة في السند مير نور محمد خان ومير نصير محمد خان ومير محمد خان ومير صوبدار خان ، بعد أن كان الإنجليز قد عقدوا معاهدة منفردة مع مير رستم خان حاكم خيربور ، وبموجب هذه الاتفاقية التي عقدت بين أوكلند وحكام السند الأربع المذكورين أعلاه تقرر أن تستقر في السند قوة إنجليزية مكونة من خمسة آلاف جندي على حساب حكام السند ، وأن لايستمع الإنجليز إلى شكايات رعايا السند ضد حكامهم ، وأن يرجع النزاع بين حكام السند إلى المقيم الإنجليزي للفصل فيه ، وأن يحمي الإنجليز حكام حيدر آباد من أي اعتداء أجنبي، وأن تكون ثلاثة آلاف من جنود السند تحت إمرة الضباط الإنجليز على نفقة حكام السند، وأن تعفى التجارة الإنجليزية من دفع الضرائب في أراضي الحكام المذكورين ، كما تقرر أن يخضع حكام حيدر آباد للإنجليز في شئون الحماية ، وأن لايقوموا بأي اتصال مع الحكام والدول الأخرى (١)، كما وقعت اتفاقية مشابهة مع مير شير محمد خان حاكم مير پور في ٢٧ ربيع الأول ١٢٥٧ هـ / مايو ١٨٤١ م (٢).

وهكذا تمكنت شركة الهند الشرقية الإنجليزية خلال ثلاثين سنة تقريبا أن تسيطر على شئون السند السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وبعد الكارثة التي أصابت الإنجليز في أفغانستان ، تجرأ أمراء السند عليهم معترضين اختراق أراضيهم ، وما كان من الإنجليز إلا أن صبوا كأس غضبهم على هذه الولاية الأسيرة ، فوجهوا قواتهم إلى احتلال السند وإلحاقه إلى ممتلكاتهم بطريقة مباشرة ، وذلك

---

(١) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواى معارك ، ص ٩٧٠ - ٩٧٣ ، مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٨ .

(٢) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواى معارك ، ص ٩٧٤ .

في محرم عام ١٢٥٩هـ / فبراير ١٨٤٣م وقمعوا المقاومة الغير متكافئة التي أبداها الشعب السندي المسلم ، وأسر أمراء السند واحد بعد الآخر ووزعت أموالهم بين الضباط الإنجليز وألحق السند إلى سيادة الشركة (١).

هكذا كانت نهاية الصداقة الإنجليزية لأمراء السند الذين لم يترددوا في تلبية طلبات الشركة ضمن الاتفاقيات المتتالية التي كانت تؤكد دائما على تلك الصداقة ، وهكذا قضت الصداقة الإنجليزية على الأصدقاء السنديين لتتفرغ في القضاء على آخر صديق من هذا النوع ، وهو إمارة السيخ في پنجاب .

كانت پنجاب من أقاليم الدولة المغولية منذ تأسيسها حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري حين أغار نادر شاه حاكم إيران على الهند ، فدخلت پنجاب ضمن أراضي أحمد شاه دراني بعد وفاة نادر شاه ، مستغلا في ذلك ضعف السلطة المركزية في الدولة المغولية ، إلا أن خلفاء أحمد شاه لم يتمكنوا من الحفاظ على هذه الأراضي الشاسعة نتيجة الفتن الداخلية التي ابتلوا بها ، فوقعت پنجاب بيد عمالهم من السيخ بقيادة رنجيت سنگه وذلك في مطلع القرن الثالث عشر الهجري / نهاية القرن الثامن عشر الميلادي(٢) في عهد شاه عالم الثاني حيث كانت

---

(١) المصدر نفسه : تاره نواي معارك ، ص ٦٦٤ ، ٦٦٨ ،
میر غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٨ ،
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.110.
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٦٢ ،
T.W.Haig : السند(دائرة المعارف الاسلامية) حـ١٢، ص ٢٥٩ .

(٢) منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٨٣٠ ،
میر غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٩ ــ ٤٣٠ ،
A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.268.
V.A.Smith : The Oxford History of India, p.611.

الفوضى تسود كل منطقة ، ولم يبق هناك إقليم يتمتع بالاستقرار والنظم ،بل كانت العصابات تتحكم في مقادير الناس ، وكل من استطاع من طائفة السيخ أن يجمع حولها جمعا ، قام بأعمال السلب والنهب ، وتكوين إمارة خاصة بها (١).

لقد عظم شأن السيخ في عهد مؤسس دولتهم في پنجاب رنجيت سنگه (*) Runjeet Singh حيث امتد حكمهم بالإضافة لپنجاب إلى الملتان والسند وكشمير ، وتمكن أن يكون جيشا قويا بمساعدة من ضباط أوربيين (٢).

في هذه الفترة كان الإنجليز قد تغلبوا على خصومهم في الجنوب الهندي وغربه ووسطه ، ووجهوا بعد ذلك قواتهم صوب الشمال دون الخوف من أي تشتت في جوانبها .

لقد رحب الإنجليز بنمو قوة الإمارة السيخية المتعاونة معهم في العداء السافر ضد الإسلام والمسلمين ، واعتبروها إمارة حاجزة بينهم وبين أي هجوم محتمل من آسيا الوسطى لنجدة المسلمين في الهند كما جرى في خلال قرون عديدة مضت، وبارك الإنجليز نهج السيخ الإرهابي ضد المسلمين وأطلقوا يدهم ضمن الحدود التي سمحوا بها ، وفي الفترة مابين ١٢١٤ - ١٢٢٣هـ / ١٨٠٠ - ١٨٠٨ م التقى رنجيت سنگه أربع مرات بمبعوثي الإنجليز السياسيين في إطار علاقات الصداقة وتبادل الآراء بين الجانبين ، وفي كل مرة كان المبعوث الإنجليزي يحمل هدايا

(*) ولد رنجيت سنگه في عام ١١٩٤هـ/١٧٨٠م وتوفي في عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م .

(١) جيمز سكنر : تذكرة الامراء ،مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add.27254 ق ١٩٢ ب .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٨ ،
منشي عطا محمد شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٨٣٠ - ٨٣١ ،
المنجد في الأعلام ، ص ٣١٠ .

إلى زعيم السيخ [١]، وكان الإنجليز يأملون من صديقهم أن لايسمح بعبور أية نجدة إسلامية شمالية فحسب ، بل كانوا يأملون منه أيضا أن يقف في صفهم إذا تعرض الهند لهجوم نابليون ، فقد كتبوا إليه قائلين : " إنهم في نزاع مع الفرنسيين ، فإذا حدث أن احتاجت القوات الإنجليزية لاستخدام أراضي السيخ، فعليه أن لايمانع في ذلك وأن يقدم لتلك القوات جميع التسهيلات ، وأن يعمل لتأمين عبور القوات الإنجليزية عبر أراضي السيخ دون أن يتعرضوا لأي أذى " [٢]، ولكن رنجيت سنگه ماطل في الرد على الطلب الإنجليزي ذلك ، وخشي أنه لو سمح باستقرار هذه القوات في أراضيه فكيف يكون السبيل لإخراجهم إن أصروا على البقاء وبعد مناقشة الموضوع مع مستشاريه قبل طلب الإنجليز شريطة أن يقبلوا بامتداد حدود ملكه إلى نهر جمنا [٣]، إلا أن الإنجليز الذين وطدوا أقدامهم في دهلي إلى ضفة ستلج ، لم يكونوا ليقبلوا ذلك الاقتراح الذى يحول دون مطامعهم التوسعية في الشمال ، فأرسلوا في ذي القعدة عام ١٢٢٣ هـ / أواخر عام ١٨٠٨م تشارلزمتكاف Charles Metcalfe مبعوثا إلى رنجيت سنگه ليفاوضه في إقرار حدود دولته عند نهر ستلج ، وكان المبعوث يحمل تعليمات محددة تؤكد قائلة " يجب على رنجيت سنگه أن ينسحب من جميع الأراضي التي تقع وراء نهر ستلج ، ولايسمح به بعبور ستلج في المستقبل وأن القوات الإنجليزية سوف ترابط في الجانب الآخر

---

(١) مير غلام محمد غبار : آفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٠ ،
A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII,pp. 270-271.

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ١٤٩ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ق ١٤٩ ب ، ١٥٤ أ ، ١٥٤ ب .

من النهر" [١] وقد هدد الوفد الإنجليزي زعيم السيخ بأنه لو لم يقبل عقد اتفاق على ذلك الأساس ، فعليه أن يستعد للحرب ، واندهش رنجيت سنگه من استماع تلك العبارات ، ورأى أن أحلامه قد تحطمت وأنه لايملك القدرة في مخالفة الإنجليز، فطلب من متكاف أن يبقى في لاهور إلى أن يتلقى الرد منه ، فبقي هناك لمدة أربعة أشهر من ذي القعدة ١٢٢٣ - صفر ١٢٢٤هـ / يناير إلى ابريل عام ١٨٠٩م دون أن يتلقى الرد [٢] فرأى رئيس الوفد الإنجليزي أن رنجيت سنگه يماطل في تلبية مطالب الإنجليز ، فطلب من القوات الإنجليزية أن تحسم الموقف وتطرد قوات السيخ وهنا بادر رنجيت سنگه بالموافقة على مطالب الإنجليز فعقدت بين الجانبين اتفاقية جاء فيها :

" لقد تمت المفاوضات بين الإنجليز ورنجيت سنگه في جو من الود وحسن النيه ،واشترك فيها متكاف نيابة عن الإنجليز ، ويؤكد الجانبان في هذه الاتفاقية على الصداقة والتحالف القائمين بينهما وتدعيمهما ... وبموجب هذه الاتفاقية تقرر أن لايتدخل الإنجليز في شئون رنجيت سنگه وأراضيه الواقعة في هذه الجهة من نهر ستلج ، وأن لايحتفظ رنجيت سنگه في أراضيه بقوات أكثر من حاجته ،وأن لايتدخل في شئون الذين يقعون خارج الحدود المعينة لأراضيه (*)، وأن نقض أي

(*) أي في شئون السيخ على ضفة نهر ستلج الجنوبية .

(١) شكار پوري : تازه نواي معارك ، ص ٨٣٠ ،
مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ١٥٤ ب ،
سكنر : تذكرة الأمراء ، ق ١٥٩ ب .

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ١٥٤ ب - ١٥٥ ب ،

Ikram Ali Malik: A Book of readings on the History of the Punjab,
Lahore, University of the punjab, 1970,
PP. 14-15

شيء من هذه الاتفاقية ، يكون بمثابة الغائها الكامل ... وحررت الاتفاقية في آمرت سر بتاريخ الحادي عشر من ربيع الأول عام ١٢٢٤هـ / ٢٥ ابريل ١٨٠٩ م، باللغتين الإنجليزية والفارسية ، وتبودلت بين الجانبين ، بعد أن تم توقيعها وختمها من قبل الطرفين "(١).

بهذه الاتفاقية جعل ستلج هو الحد الشمالي الغربي لأملاك شركة الهند الشركة الإنجليزية في الهند (٢)، وقد التزم رنجيت سنگه ببنودها طيلة حياته وكان يتم بين الجانبين تبادل الرسائل والهدايا ، كما كان رنجيت سنگه يوصي أبناءه وأحفاده بالمحافظة على الصداقة الموجودة بين الجانبين والالتزام بالعهد (٣)، وكانت دولته تمتد من نهر ستلج إلى پشاور ، ودخله السنوي كان يقدر بأكثر من ثلاثين مليون روبية (٤)، كما كان يصل عدد أفراد جيشه حوالي ثمانين ألف جندي و ٣٧٠ مدفعا(٥)، إلا أنه توفى فجأة في عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م بعد أن اشتركت قواته في الحملة الإنجليزية على أفغانستان ، وبعد وفاته تشتت شمل إمارته سريعا نتيجة المنازعات التي وقعت بين أخلافه، وتورط جيشه في هذه

---

(١) مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ١٥٧ أ – ١٥٨ ب .

(٢) كنيش داس : رسالهٔ صاحب نما، مخطوط فارسی فی المتحف البريطانی، بلندن تحت رقم OR. 1693 ق ٢٥٨
C.Collin Davies : البنجاب (دائرة المعارف الاسلامية) ج٤، ص ٢٠١
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.611.

(٣) عبدالكريم : تاريخ پنجاب تحفة للأحباب ، غازه‌مطبعة محمدی، ١٢٦٥هـ، ص ٦٠.

(٤) جيمز سكنر : تذكرة الأمراء ، ق ١٦١ أ .

(٥) مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٠ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.614.

النزاعات الداخلية التي ذهب ضحيتها أربعة أمراء في ست سنوات هلكوا كلهم قتلا [١]، ورأى وزير دليب سنگه الابن الثالث لرنجيت سنگه الذي تولى الحكم في ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م أن يشغل الجيش في حرب خارج بلاده ، فهجم على الجانب الآخر من نهر ستلج في الأراضي الخاضعة لسيادة الشركة الإنجليزية ، وهذا ما أعطى هاردنك Harding حاكم عام الشركة (١٢٦٠ - ١٢٦٤هـ / ١٨٤٤ - ١٨٤٨م) فرصة كان ينتظرها للانقضاض على إمارة هؤلاء الأصدقاء الذين لم تعد الشركة بحاجة إلى صداقتهم ، فوقعت بين الجانبين أربعة حروب في أواخر عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م وأوائل عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م انتهت بانتصار الإنجليز ودخولهم إلى لاهور حيث أملوا على السيخ صلحا تنازلوا بموجبه للإنجليز عن أراضي بين نهري ستلج وراوي ، وقبلوا إشراف الإنجليز في الشئون الداخلية لپنجاب ، وتسليم جميع المدافع المتبقية لدى السيخ إلى الإنجليز ، وبقاء الجيش الإنجليزي في البلاد لمدة ثماني سنوات ، ودفع غرامة حربية مقدارها خمسة ملايين روبية ، وأن يكون هناك مقيما إنجليزيا عاما مقره في لاهور [٢].

---

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٢ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٢ ،
C.Collin Davies : ة البنجاب (دائرة المعارف الاسلامية) ج٤، ص ٢٠١.

(٢) عبدالكريم : تاريخ پنجاب تحفة للأحباب ، ص ٢٦ - ٢٧ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٢ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٣ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.617.

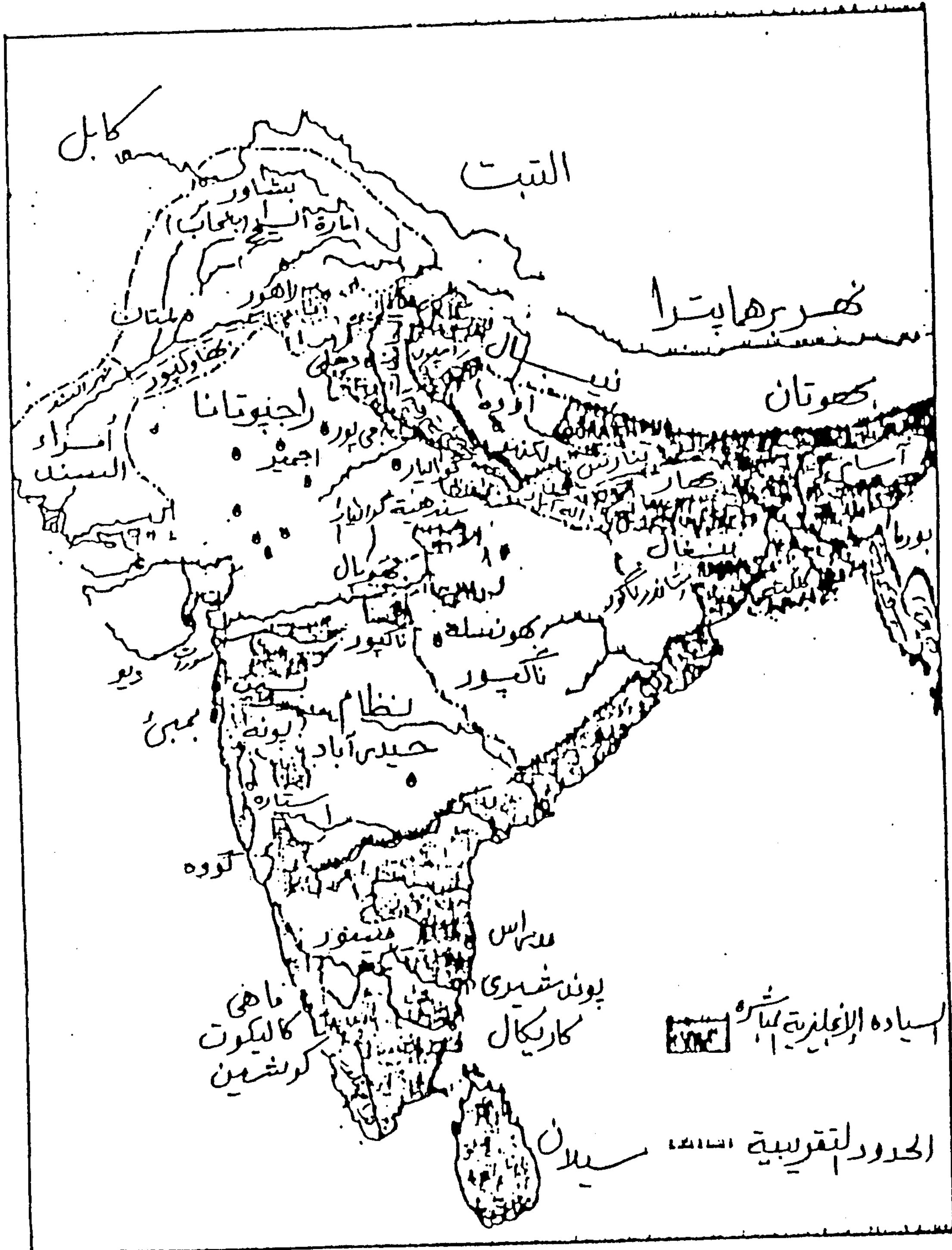
لم يقتنع الإنجليز إلى هذا الحد ، إذ بعد مرور ثلاث سنوات رأوا أن يقضوا على الإمارة السيخية نهائيا ويلحقوها بالأراضي التي تخضع لسيادة الشركة ، وعلى الرغم من أن البنجابيين وأصدقائهم الأفغانيين قاموا ببعض المقاومة لاستعادة ما خسروه ، إلا أن هذه المقاومة كانت أضعف من أن تطرد القوات الإنجليزية بعد كل تلك الخسارات التي تكبدتها بنجاب سواء في الفتن الداخلية بين المتنازعين على السلطة ، أو في حروبها مع الإنجليز التي انتهت إلى نزع السلاح عنها كما رأينا ، فقام حاكم الشركة دلهوزي Delhousie (١٢٦٤ - ١٢٧٢ هـ / ١٨٤٨ - ١٨٥٦م) بالاستيلاء على بلاد بنجاب كلها في عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨ م ونفي حاكمها دليب سنگه إلى لندن (١) .

وهكذا انتهت عن الوجود دولة السيخ بيد أصدقائها وحلفائها الإنجليز ، بعد أن استنفدت خدماتها للأصدقاء سواء بالمشاركة في حروب أعدائهم كما رأينا في أفغانستان ، أو بإرعاب بعض الإمارات والكيانات الهندية المحلية كالسند التي وقعت في أحضان الشركة الإنجليزية ، وكان من أسباب هذا الوقوع تخوفها من غارات السيخ وأطماعهم ضد أراضيها ، وبزوال إمارة السيخ في بنجاب ، قضت الشركة الإنجليزية على آخر كيان مستقل في الهند ، لتمتد سيادة الشركة إلى الحدود الطبيعية للهند من كشمير شمالا إلى رأس كومورين جنوبا ، بعد قرن من التوسع وعمليات الاستيلاء ضد أقاليم الدولة المغولية المفككة ، لتستمر الشركة بعد ذلك لإحكام سيطرتها على المستعمرة الهندية من عاصمة المستعمرين كلكته ، وكان

---

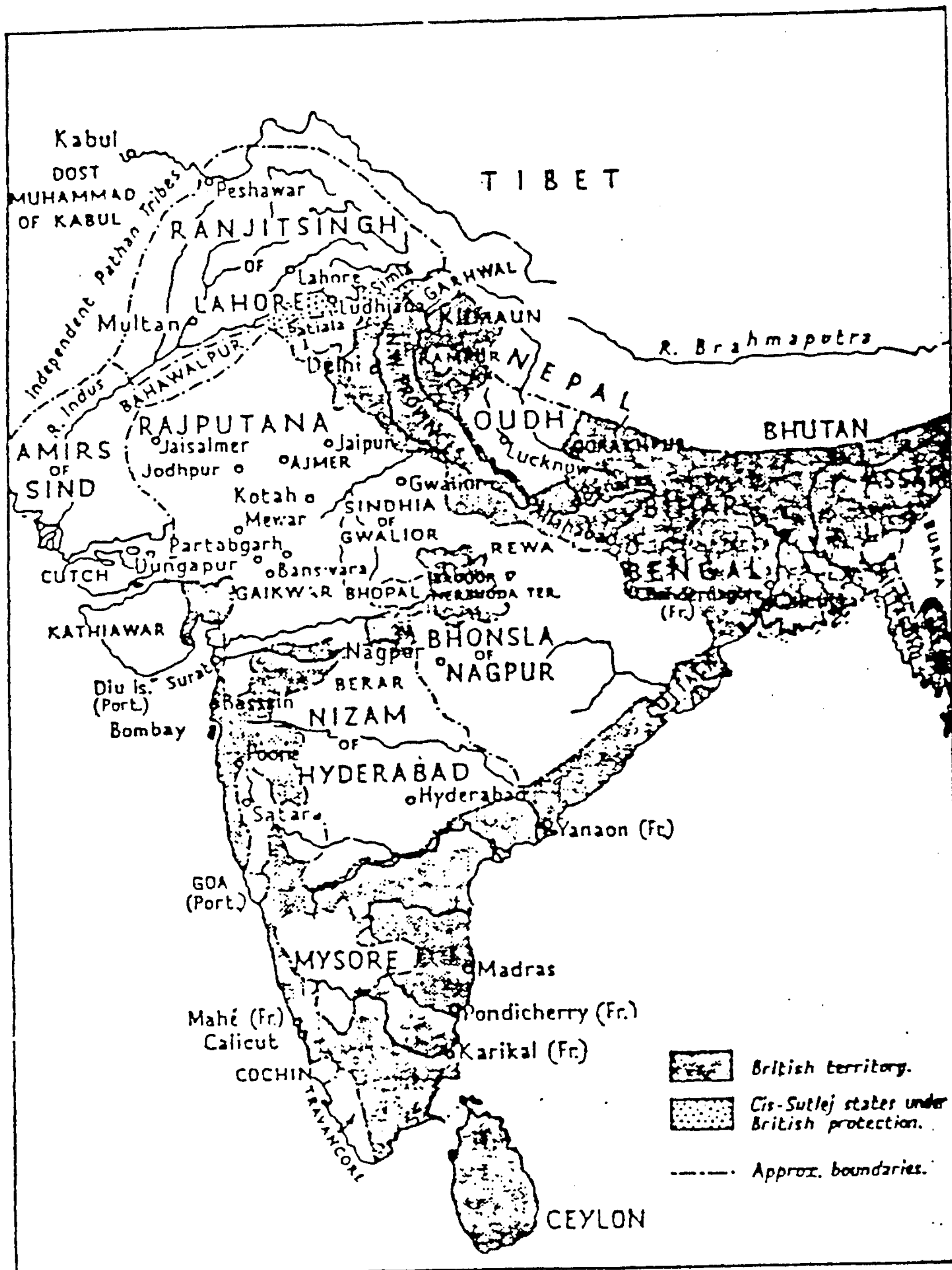
(١) مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٣ ،
عبدالحي الحسني :الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٨٧ ،
V.A. Smith: The Oxford History of India, p.618.

لتفكك الدولة المغولية من الداخل الدور المهم في نجاح الشركة الإنجليزية كما كانت لها وسائلها في إحكام سيطرتها على الأراضي الهندية .



الهند في ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م

V.A.SMITH:
The Oxford History of India, P. 602



INDIA, 1836

V.A.SMITH:
The Oxford History of India, P. 602

الفصل الرابع
وسائل شركة الهند الشرقية الإنجليزية لإحكام سيطرتها على جميع الهند

- سياسة الإلحاق .
- قانون الشغور .
- عصر السكك الحديدية .
- التنصير .
- اللغة الإنجليزية وتطبيق القوانين الإنجليزية .

ضاعت الهند من أيدي المسلمين نتيجة تفكك الجبهة الإسلامية الهندية واضمحلالها سياسيا وعسكريا واقتصاديا وثقافيا وفكريا ، وكان على رأس العوامل التي أدت إلى ذلك التفكك والاضمحلال ، الحروب العائلية التي نشبت عند تولي كل سلطان مغولي العرش منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، ولقد أفقرت هذه الحروب الدولة بشريا واقتصاديا ، كما أضعفتها عسكريا وسياسيا وأمنيا ، وفتحت المجال لاستضعاف السلطة المركزية وانفصال الأقاليم واحدة بعد الأخرى ،كما فتحت المجال أيضا للحاقدين على الحكم الإسلامي وللانتهازيين،وأوقعت السلاطين في أحضان المتغلبين الذين لعبوا بالسلاطين الضعاف وفق أهوائهم وأغراضهم الضيقة على حساب مصلحة الدولة العامة، ومهدت هذه الأحداث الطريق للقادم الجديد الغريب ، ليملأ الفراغ ويتحكم في مصير الهنود ، ويحول دون عودة الحكم الإسلامي في الهند بعد ما استمر قرونا عديدة ، مداولة بين الأسر الحاكمة المسلمة .

خلف السلطان شاه جهان (١٠٣٧ - ١٠٦٩هـ / ١٦٢٨ - ١٦٥٩م) أربعة أبناء وهم دارا شكوه وسلطان شجاع وأورنكَزيب وسلطان مراد ، وقد عين الأول وليا للعهد ، كما عين الثاني حاكما على بنغال وعين الثالث حاكما على دكن كما تم تعيين سلطان مراد حاكما على كَجرات ، وكان دارا شكوه يضمر الشر والحقد على إخوته الثلاثة الذين تعهدوا معا للتخلص منه بعد وفاة والدهم [1] الراقد في

---

(١) بهشتي : آشوب هندوستان، مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم ، OR.2043 ق ٣آ، - ٤ أ
J.Sarkar: History of Aurangzib, Vol.I and II, p.167.

فراش المرض ، ولقد فرض ولي العهد الرقابة على السلطان وحظر عليه الاتصال خارج قلعة أكبر آباد ، وكان دارا شكوه يكثر الصحبة بالمعتزلة فاتهم بالانحراف عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وسرب السلطان شاه جهان رسالة إلى ابنه الثالث آورنگزيب المعروف بمناصرته لأهل السنة ، قائلا فيها: " إن ممالك الهند قد تشرفت بالدين الإسلامي نتيجة للجهود المضنية التي بذلها السلاطين العظام، فلا ينبغي أن يوضع مصير هذه البلاد بيد ذلك المنحرف عن طريق الشريعة "(١) وبهذا يكون السلطان قد أعطى الضوء الأخضر ليبدأ النزاع في حياته ، وهو ما وقع فعلا حيث خرج دارا شكوه في عام ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م على رأس قواته لمقاتلة أخيه أورنگزيب ، وهنا شعر السلطان بالمخاطر التي سوف تنجم عن هذا النزاع العائلي، فبذل مجهوده ليمنع القتال بين أبنائه وحاول أن يضع نفسه بين الجيشين، إلا أن دارا شكوه أسرع بالهجوم على أخيه ، ولكنه انهزم وانسحب إلى دهلي ، وطلب شاه جهان الراقد في فراش المرض من ابنته أن تقوم بالوساطة بين إخوتها ، وتبدي لهم اندهاش والدهم من محاربتهم بعضهم البعض ووالدهم مازال في قيد الحياة ، وأن تعرض للإخوة الثلاثة بأن يتركوا ولاية پنجاب لداراشكوه على الرغم من أنه أساء التصرف معهم ، وذلك حفاظا على تماسك الدولة ، وأن تحذرهم من أنهم إذا رفضوا هذه المصالحة فإنه يخشى أن يلجأ داراشكوه إلى إيران ويتكرر ما حدث لهمايون ، وطلب السلطان من ابنته أيضا أن تحذر أبناءه بأن حمل السلاح ضد بعضهم البعض سيضر الجميع وستنتهي إلى ضياع السلطة من أيدي أسرتهم ، ولكن الإخوة الثلاثة لم يقبلوا هذه الوساطة وذكروا أن دارا شكوه خارج عن الدين

---

(١) ميرامن بن كرومرداس منشي :گواليارنامه، مخطوط فارسى بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add. 14374 ق ٩٥ ب - ٩٦ ب .

فتجب محاربته شرعا [١].

استمرت المعارك بين داراشكوه من جهة وأخويه أورنكَزيب وسلطان مراد من جهة أخرى ، وتلقى الأول الهزائم واحدة بعد الأخرى ، وتكبدت الدولة في هذه المعارك الاستنزافية خسائر كبيرة في الأرواح والأموال ، وتذكر المصادر أرقاما مرعبة من الخسائر البشرية والمالية التي تركتها هذه الحروب ، وتقول إنه في المعركة التي وقعت بين الجانبين في مالوه قتل من الطرفين ثلاثون ألفا وأن داراشكوه جمع حوله في كَجرات ألوفا من الفرسان والمشاة والعبيد والحرفيين وعامة الناس ووزع عليهم ذهبا لايعد ولا يحص ليشتري ولاءهم في محاربة إخوته وأنه على أثر هذه الحروب أصبحت الهند كما تصير الحديقة الخضراء الزاهرة ، أثناء موسم الخريف وأن المدن الهندية أصبحت خرابا من البنغال إلى السند ومن آتك إلى دكن وذلك بسبب الطاعون والقحط [٢] ، كما ارتفعت أسعار الغلات ارتفاعا شديدا ، وكان من العسير جدا الحصول على حفنة من الشعير ، وأصبح العيش صعبا لكل ذي حياة [٣] ،وكانت قوات داراشكوه من الكثرة بحيث إذا نزلوا مدينة عامرة، غادروها خرابا ودمارا [٤] ، علما بأنه نزل مدنا كثيرة إثر هزائمه المتوالية أمام إخوته وانسحابه من مكان إلى مكان ، إلى أن آسر في السند وجيء به إلى

---

(١) بهشَتي : آشوب هندوستان ، ق ١٠ ب ،
غلام باسط : تواريخ ممالك هندوستان، مخطوط فارسی فی المتحف البريطانی بلندن تحت رقم Add. 27250 ق ١١٩ أ - ١١٩ ب .
سيد أحمد خان :جام جم، مخطوط فارسی فی المتحف البريطانی بلندن تحت رقم OR. 145 ق ١١ أ .

(٢) بهشتي : آشوب هندوستان ، ق ١٧ أ ، ٢٢ ب ، ٣٨ أ ، ٤٣ ب .

(٣) ميرامن بن كرومرداس منشي : گواليار نامه ، ق ١٠٥ أ .

(٤) بهشتي : آشوب هندوستان ،ق ٢٢ أ .

العاصمة حيث وضع في السجن ثم قتل بإيماء من السلطان بعد أن تبين أنه مايزال يحيك المؤامرات ضد الدولة [١].

ان هذه الأرقام والمعلومات ، مهما تكون مليئة بالمبالغات إلا أنها تشير بوضوح إلى الأضرار الجسيمة التي تكبدتها الدولة بشريا وماديا ، وباستطاعة المرء أن يقول بأن هذه الحروب العائلية كانت بداية النهاية للدولة المغولية التي فقدت فيها الكثير من خبرائها الأوفياء في المجالات المختلفة ، كما أضرت بهيبة الدولة وجعلت المتربصين الحاقدين على الحكم الإسلامي ينشطون من جديد سواء باستغلال الأوضاع والاصطياد في الماء العكر بالميل إلى صف هذا الجانب أو ذاك ، أو بتشكيل العصابات المعادية للدولة وترويع الآمنين ، كما نراه في نشاطات السيخ والمرهته المخربة .

من المؤسف أن هذه الحروب لم تنته بانتهاء داراشكوه ، بل استمرت بين الإخوة الثلاثة الباقين على قيد الحياة إلى أن تمكن أورنگزيب من القضاء على جميع خصومه العائليين والانفراد بالسلطة . كما قام السلطان أورنگزيب في أيام حكمه بضم اقليم الدكن بأسره الى الدولة المغولية ، بعد أن قضى على إمارتي بيجابور وحيدر آباد في عامي ١٠٩٧هـ / ١٦٨٦م و ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧م [٢]، وقد كلفت

---

(١) غلام باسط : تواريخ معالك هندوستان ، ق ١٢٠ ب ،

J.Sarkar: History of Aurangzib, Vol.I and II, p.339.

Zahiruddin Faruki: Aurangzeb and his times, pp. 70-71.

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ، ٣٦٧ ،

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٥٤٠ .

الدولة هذه الحروب الكثير من الخسائر ، بالإضافة إلى أن إمارة بيجاپور كانت الحاجز المهم بين الدولة المغولية وبين حملات المرهته [1]، وكانت المصلحة الإسلامية تقتضي الإبقاء على مثل هذه الإمارة ودعمها لتستمر في مقاومتها ضد أعداء الحكم الإسلامي وتوفر للدولة المغولية الكثير من الرجال والأموال .

بعد وفاة أورنگزيب في ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م لم تنعم دولته المترامية الأطراف بالأمن والاستقرار ، إذ لم يلبث أن بدأت الحروب العائلية بين أبنائه الثلاثة محمد معظم ومحمد أعظم ومحمد كام بخش ، إلى أن انتصر محمد معظم بهادر شاه المعروف أيضا بشاه عالم الأول (١١١٩ هـ - ١١٢٤ هـ / ١٧٠٧ - ١٧١٢ م) على منافسيه العائليين بعد حروب دامية قتل فيها أخواه [2]، ووزع بهادر شاه على أنصاره أموالا طائلة وخلعا فاخرة [3]، ابتهاجا لذلك الانتصار الشخصي الذي جاء على حساب هيبة الدولة ومقوماتها البشرية والمادية ، وجعل المتربصين للحكم الإسلامي من السيخ والمرهته ينشطون أكثر في معاداة الدولة .

---

(١) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٢٢٧ .

(٢) نعمت خان عالي : تاريخ شاه عالم بهادرشاه ،مخطوط فارسي في المتحف البريطاني تحت رقم OR. 1655 ق ٢١٩ ب .
سيد محمد قاسم عبرت : عبرت نامة ،مخطوط فارسي في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم Or. 1935 ق ١٢ ب .
غلام باسط : تواريخ ممالك هندوستان ، ق ١٢٣ أ ،
سيد أحمد خان : جام جم ، ق ١١ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٥٥٩ - ٥٦١ ،
Stanley Lane-Pool: Mediaeval India under Mohammedan Rule (A.D.712-1764), Delhi, A Universal publication, 1971,P.287.

(٣) سيد محمد قاسم عبرت : عبرت نامه ، ق ١٨ ب .

تكررت هذه المأساة بعد وفاة بهادر شاه الأول ، إذ نشبت من جديد حروب الوراثة على عرشه بين أبنائه الأربعة ، محمد عظيم الدين ومحمد معز الدين ومحمد رفيع الشأن وجهان شاه ، وفي البداية تحالف الإخوة الثلاثة على حرب محمد عظيم الدين الذي كان مقربا لدى أبيهم في حياته ، وفي المعركة الكبيرة التي وقعت بين الجانبين قتل محمد عظيم الدين ونودي بمعز الدين سلطانا حسب الاتفاق الذي كان قد تم بين الإخوة المتحالفين الذين مالبثوا أن تنازعوا فيما بينهم على توزيع التركة ، فنشبت معركة بين معز الدين جهاندار شاه من جهة وأخويه محمد رفيع الشأن وجهان شاه من جهة أخرى ، انتهت بقتلهما وانفراد معز الدين بالعرش لبعض الوقت (١)، ولقد لعب ذو الفقار خان وهو من كبار رجالات عهد أورنكزيب ، دورا كبيرا في هذه الفتنة ، إذ كان على خلاف مع عظيم الدين وهو الذي حرض معز الدين لمقاتلة عظيم الدين ، ثم محاربة أخويه الآخرين (٢)، ومنذ ذلك الوقت بدأت في الدولة المغولية سلطة الوزراء المتغلبين الذين جعلوا السلاطين الضعاف ألعوبة في أيديهم ، مما كان لهذا التحول أثره الكبير في

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٣٤ أ ، ٣٦ أ ، ٣٦ ب ، ٣٩ أ ،
غلام باسط : تواريخ ممالك هندوستان ، ق ١٢٣ أ ،
محمد قاسم : أحوال الخواقين، مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add. 26244 ق ٣٦ أ
سيد أحمد خان : جام جم ، ق ١١ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٥٦٤ — ٥٦٦ .

(٢) غلام باسط : تواريخ ممالك هندوستان ، ق ١٢٣ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٥٦٤ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.433.
V.D.Mahajan: Mughal Rule In India, Delhi, S.Chand, 1964,P.291.

زعزعة أمن الدولة واستقرارها السياسي ، وفي إضافة عامل آخر في عوامل التفكك المتزايدة التي كانت الدولة تعاني منها . وعلى أي حال لم تستقر الأوضاع لمعز الدين إذ سير حملة ضد ابن أخيه فرخ سير ابن عظيم الدين حاكم إقليم بنغال ، والتقى الجانبان في إله آباد حيث أسر معز الدين ووزيره ذو الفقارخان وقتلا ، ليخلو الجو لفرخ سير ويتولى عرش الدولة المغولية في يوم الجمعة ٢٣ من ذى القعدة عام ١١٢٤هـ / ديسمبر ١٧١٢م [١].

في خلال شهري المحرم وصفر من عام ١١٢٤ هـ شهد عرش دهلي أربعة سلاطين [٢] وبانتصار فرخ سير وتوليه السلطة ، يكون عرش الدولة المغولية قد شهد في نفس العام خمسة من السلاطين أو أدعياء السلطنة من أبناء بهادر شاه الأول وأحفاده، وطبيعي أن تكون لهذه الأوضاع آثارها السيئة على مختلف شئون الدولة وأقاليمها الشاسعة النائية . وعلى الرغم من أن فرخ سير(١١٢٤هـ – ١١٣١هـ/ ١٧١٢ – ١٧١٩م) استمر في الحكم أكثر من ست سنوات ، إلا أن اعتلاءه على العرش كان راجعا إلى تدبير الأخوين سيد عبدالله خان وسيد حسين علي خان اللذين أحكما قبضتهما على

---

(١) سيد محمد قاسم عبرت : عبرت نامه ، ق ٤٠ أ ، ٤٩ ب ،
غلام باسط : تواريخ ممالك هندوستان ، ق ١٢٣ أ ،
سيد أحمد خان : جام جم ، ق ١٢ أ ،
محمد قاسم : أحوال الخواقين ، ق ٥٩ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٥٦٩ – ٥٧٠ .

(٢) سيد أحمد خان : جام جم ، ق ١٢ أ .

شئون الحكم وجعلا من سلطة فرخ سير سلطة اسمية (١)، وعندما أراد أن يحد من سلطتهما ويظهر بمظهر السلطان الحقيقي ، قام الأخوان بعزله ثم سجنه وقتله، ونصبا مكانه محمد رفيع الدرجات بن رفيع الشأن بن بهادر شاه الأول في التاسع من شهر ربيع الثاني عام ١١٣١هـ / فبراير ١٧١٩م ، ولكنه توفي بعد ثلاثة أشهر(٢)، فنصبا مكانه أخاه الأكبر محمد رفيع الدولة ولقباه بشاه جهان الثاني ، وفي نفس الوقت ، أعلن أحد أحفاد أورنگزيب نفسه سلطانا في آگره ، مستغلا ردة الفعل الغاضبة التي عمت الناس ضد المتغلبين الغادرين بفرخ سير ، ولكن الأخوين تمكنا من السيطرة على الوضع في أواخر شهر رمضان عام ١١٣١هـ / أغسطس ١٧١٩م، وتوفي رفيع الدولة في السابع من ذي القعدة من السنة المذكورة وأجلس في مكانه روشن اختر بن جهان شاه ابن بهادر شاه الأول ،في الخامس عشر من ذي القعدة ، ولقب بأبي الفتح ناصر الدين محمد شاه (٣)، وبذلك يكون في عام

---

(١) غلام باسط : تواريخ ممالك هندوستان : ق ١٢٣ ب ،
كستبن برويت : أحوال بي بي جليانا ، ق ١٠ أ ،
V.D. Mahajan: Mughal Rule in India, pp.292,294.

(٢) سيد محمد قاسم عبرت : عبرت نامه ، ق ٦٩ ب ،
مؤلف مجهول : تاريخ سلطنت فرخ سير ، ق ٨٣ ب ،
محمد قاسم : أحوال الخواقين ، ق ١٤٧ أ ،
V.D.Mahajan:Mughal Rule in India, pp.293,294.

(٣) محمد قاسم : أحوال الخواقين ، ق ٨٤ ب ، ٨٧ ب ، ٨٩ أ ، ٩١ ب ،
سيد محمد قاسم عبرت : عبرت نامه ، ق ٧٦ أ – ٧٦ ب ،
كستبن برويت : أحوال بي بي جليانا ، ق ١٠ أ ،
عبدالرزاق الحسيني الخوافي : مآثر الامراء، مخطوط فارسى فى ل ١٠٥٠ تحت رقم ETHE 622 ق ٢٥٥ ب
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٥٨٢ – ٥٨٣ ،
M.M.Ali: History of the Muslims of Bengal. Vol.IA,p.545.

١١٣١هـ / ١٧١٩ م قد تولى عرش الدولة المغولية أربعة سلاطين ، بالإضافة إلى نيكو سير بن محمد أكبر بن أورنگزيب الذي أعلن نفسه ملكا في آكره إلى أن قبض عليه وأعيد إلى سجنه الذي كان يقضي فيه أيامه منذ عهد أورنگزيب . وهكذا وصلت سلطة الأمراء المتغلبين إلى أقصى حد لها ، بعد أن تمكنوا من عزل ونصب أربعة من السلاطين ، وأصبحت سطوتهم مستولية على قلوب خاصة الناس وعامتهم وبما أنهم كانوا يتمتعون بالخيل والحشم والعصبية ، لم يكن بمقدور هؤلاء السلاطين وحاشيتهم معارضتهم(١) ، والجدير بالذكر أن هؤلاء المتغلبين الذين كانت السلطة الحقيقية بأيديهم في حدود عشر سنوات ، كانوا ينتمون إلى أسرة السادات، وهم من الأشراف الذين كانوا قد اختاروا الإقامة في منطقة بارهة بالهند .

نجح محمد شاه (١١٣١ - ١١٦١هـ / ١٧١٩ - ١٧٤٨م) في نهاية الأمر من الإطاحة بأسرة السادات بعد معارك دامية ، وساعده في ذلك كبار رجالات الدولة القدامى منهم قليج خان الذي لقب بنظام الملك آصف جاه وعين حاكما على إقليم الدكن (٢) ، وعاد بعض الاستقرار إلى البلاط المغولي كما يلاحظ من طول السنوات التي قضاها محمد شاه في الحكم (٣) ، إلا أن الدولة المغولية تلقت في عهده ضربة

---

(١) كستبن برويت : أحوال بي بي جليانا ، ق ١٠ أ .

(٢) سيد محمد قاسم عبرت : عبرت نامه ، ق ١٠٢ أ ، ١٠٥ ب ، ١٠٧ أ ،
غلام باسط :تواريخ ممالك هندوستان ، ق ١٢٣ ب - ١٢٤ أ ،
مؤلف مجهول : تاريخ سلطنت فرخ سير ، ق ١٢٠ أ - ١٢١ ب ،
V.D.Mahajan: Mughal Rule in India, pp.295-296.

(٣) M.M.Ali:History of the Muslims of Bengal, Vol.IA, p.545.

قاسية قصمت ظهرها ونهبت خزائنها وأنهت ماتبقى من هيبتها ، وهي الغزو الذي قام به نادر شاه حاكم إيران (١١٤٨ - ١١٦٠ هـ / ١٧٣٦ - ١٧٤٧ م) ضد أراضي الدولة الإسلامية المغولية الهندية في ذي الحجة ١١٥١هـ/ مارس ١٧٣٩م .

كان نادر شاه يطارد الأفغانيين الذين استغلوا الفوضى والضعف السائدين في أواخر عهد الدولة الصفوية فقاموا بتوسيع نفوذهم داخل الأراضي الإيرانية ، وحتى أنهم تمكنوا لفترة من الاستيلاء على عاصمتها ، إلى أن ظهر في الساحة الإيرانية نادر شاه كقائد مقتدر أخذ بيده زمام أمور البلاد وبذل مجهوده ليضع حدا لغارات الأفغان ضد إيران ، وفي هذا الإطار كتب إلى الحاكم المغولي في كابل بأن لايسمح بدخول هؤلاء الأفغان إلى كابل وأن يقوم بإخراج من هرب إليها، ولكن الحاكم رفض ذلك الطلب فما كان من نادر شاه إلا أن قام بالاستيلاء على كابل عنوة ليتوجه من هناك إلى لاهور(١)، وكان قد أرسل مبعوثا له إلى محمد شاه سلطان الدولة المغولية في دهلي طالبا إياه بمنع لجوء الأفغان إلى أراضيه مؤكدا أنه ليست لديه أية أطماع في الأراضي المغولية ، ولكنه عاقد العزم لمطاردة الأفغان إلا أن محمد شاه ، لم يلب هذا الطلب فحسب بل لم يسمح بعودة المبعوث ، مستصغرا نادر شاه وقائلا : " إنه ليس في مستواه حتى يرسل إليه مبعوثا أو يرد على رسالته " (٢)، وقام نادر شاه بإرسال مبعوثين آخرين بعد الاستيلاء على قندهار وكابل ، ولكن محمد شاه أهمل شأنه مرة أخرى ، وبعد أن تمكن نادر شاه من الاستيلاء على لاهور ، كرر مطالبته تلك من سلطان الدولة المغولية كما طالبه بالإفراج عن مبعوثيه ، ولكنه لم يتلق أي جواب من سلطان دهلي ، فتحرك نادرشاه من لاهور قاصدا الاستيلاء على دهلي ، وقبل أن يتقاتل الجانبان في پاني پت بعث نادر شاه إلى محمد شاه رسالة يحثه فيها أن يقوم الطرفان بحل خلافهما

---

(١) شيخ محمد علي حزين :تذكرة شيخ محمدعلى حزين،مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى تحت رقم gAdd. 14374 ٧٥ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٧٥ ب .

بالطرق السلمية ، وقد ضم في رسالته رباعية فارسية قال فيها : (*)

" نحن نريد السلام ولكن الزمن يريد الحرب ، وقلبي متضايق جدا من هذا الوضع ، وسوف نهلك جميعا في هذا البحر المميت ، وتكون ألواح سفينتنا ظهر التمساح "(١)، ولكن محمد شاه رد لهذه المناشدة السلمية برباعية مماثلة قال فيها :(**)" الصلح بعيد والعزم هنا كله للحرب، ولن تر غير السهام والبنادق ، لقد اخترت طريق الهلاك وتقترب من النهاية ، وأنه يعيش في قيدنا هنا عدد من الإفرنج من أمثالك " (٢)، وهكذا لم يؤكد محمد شاه العزم على الحرب فحسب ، بل استفز نادر شاه عندما أهانه وشبهه بالإفرنج (***)،وعلى أى حال ، لقد تقابل الجيشان الهندي والإيراني قرب دهلي في پاني پت في التاسع من ذي الحجة عام ١١٥١هـ / ٢٠ مارس ١٧٣٩م ،وانتهت المعركة بهزيمة محمد شاه هزيمة منكرة واستسلامة لنادر شاه ومرافقته

(*) " مابصلح ايم وفلك درپي جنگ است اينجا
دل ازاين حادثه بسيار به تنگ است اينجا
ما تباهي شد گانيم دراين بحرفنا
تختۀ كشتي ماپشت نهنگ است اينجا

(**) " صلح دور است مصمم هم جنگ است اينجا
تنگ دل چون نشوى تيرو تفنگ است اينجا
چون تباهي شدۀ ملك عدم نزديك است
چند نادرچوتو درقيد فرنگ است اينجا "

(***) وهذا يشير أيضا الى أنه كيف كان سلاطين المغول حتى هذه الفترة يستصغرون شأن الأوربيين .

(١) مؤلف مجهول : تاريخ بنجاب ، ق ٣٧ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٣٧ أ .

في الدخول إلى دهلي [١]، حيث أشيع بأن نادر شاه قد قتل بتدبير من محمد شاه ، فهاجم جيشه أهالي المدينة وقتلوا منهم المئات ، وهنا وقعت الكارثة لعاصمة الدولة المغولية ، حيث قام الجيش الغازي بإقامة مذابح جماعية لأهالي المدينة العزل ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الآدميين، كما قام الغزاة بأعمال السلب والنهب والتخريب ، إلى أن التمس محمد شاه من نادر شاه بأن يكف عن القتل ، فأمر نادر شاه بإيقاف المذابح[٢]،وكانت جثث الموتى منتشرة في كل مكان ، إلى أن اضطر المسئولون بأن يقوموا بإحراق الجثث دون تمييز بين مسلم وهندوكي ، منعا لانتشار الوباء[٣]. ورجع نادر شاه إلى إيران في السابع من صفر عام ١١٥٢هـ / ١٦ مايو ١٧٣٩م وأبقى على محمد شاه سلطانا بائسا للدولة المغولية المتهالكة ، ولقد حمل حاكم إيران عرش الطاووس والمجوهرات والكنوز [٤]، كما ضم إلى أراضيه كلا من السند وكابل وبنجاب،

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٣٧ ب ،

شيخ محمد علي حزين : تذكرهٔ شيخ محمد علي حزين ، ق ٨٠ ب ،

J.Sarkar: Fall of the Mughal Empire, Vol.I, p.2

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ٣٧ ب ،

سيد بهادر شاه ظفر : پشتانه د تاريخ به رنړاكي، پشاور، يونيورستى بك ايجنسى ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥م ، ص ٨٥١ .

V.D.Mahajan: Mughal Rule in India, P.307.

(٣) شيخ محمد علي حزين : تذكرهٔ شيخ محمد علي حزين ، ق ٧٨ ب .

(٤) مؤلف مجهول : تاريخ پنجاب ، ق ٣٧ ب ،

غلام باسط : تواريخ ممالك هندوستان ، ق ١٢٤ ب ،

James Burgess: The Chronology of India History, Medieval and Modern , Second Reprint in inddia, Delhi Cosmo publications, 1975, P.178.

منهيا بذلك على حكم المغول في هذه الأقاليم[1]، وكانت الأموال الهندية التي حملها نادر شاه إلى إيران من الكثرة بحيث جعلت الدولة في إيران تستغني عن جمع الضرائب من رعاياه لمدة ثلاث سنوات[2]، وكان من آثر هذا الغزو الرهيب أن كثر المخالفون والأعداء ، ورفعت أعلام التمرد في كل مكان ، وضاع الجيش والخزانة، وحدث اختلال عظيم في البلاد، وشيئا فشيئا لم يبق للعرش إلا الاسم[3].

بطبيعة الحال ، ليست هناك ضربة أكثر قاتلة لهيبة الدولة من أن تحتل عاصمتها وأن يقع في الأسر سلطانها وأن تنهب خزائنها وأن تقضي على جيوشها وأن يشرد أو يقتل خيرة أبنائها ، ولا يستغرب في مثل هذه الحالة أن تأخذ أقاليم الدولة النائية طريقها إلى المحافظة على نفسها بنفسها بعد أن أصبحت العاصمة لاتملك ماتعطيه أو مايخوف به أو تقدر على دفع الأخطار عن أقاليمها، وطبيعي جدا أيضا أن يوجد في مثل هذه الحالة طامعون يحاولون الاستئثار بأكبر قدر من هذه التركة الضخمة التي أصبحت مكشوفة لكل طامع ومغامر .

تكررت هذه المأساة بعد بضعة عشر عاما عندما قام أحمد شاه دراني حاكم أفغانستان بالهجوم على دهلي في عام ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م مطالبا سلطانها عالمگير الثاني (١١٦٧هـ - ١١٧٣ هـ / ١٧٥٤ - ١٧٥٩ م) بمبلغ قدره عشرون مليون روبية والتنازل له عن الأراضي الواقعة وراء سهرند مقابل قبوله الصلح والعودة إلى أراضيه ، ولم يكن بمقدور السلطان ووزيره تلبية هذه الطلبات المالية، فطلبا

---

(١) شيخ محمد علي حزين : تذكرة شيخ محمد علي حزين ، ق ٧٩ ب ،
V.D.Mahajan: Mughal Rule in India, p.307.

(٢) أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٩٥ .

(٣) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٢٤١ ب - ٢٤٢ أ .

منه بكل عجز وإلحاح العودة ولكنه لم يستمع لهذا الملتمس وتقدمت قواته إلى العاصمة فاستولت عليها دون مقاومة (١)، وفي التاسع والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١١٧٠هـ / يناير ١٧٥٧م حضر السلطان عالمكير إلى مسجد القلعة لأداء صلاة الجمعة واستمع إلى الخطبة فإذا بالخطيب يقرأ الخطبة باسم أحمد شاه درانی في حضور السلطان وكبار العلماء والقضاة والمفتيين ، وحدث نفس الشيء في مسجد الجامع ، ولم يعترض أحد من العلماء والفضلاء على هذا الوضع ، مع أن السلطان كان حاضرا وغير معتقل وغير مقتول وغير هارب ، وأثناء وجود أحمد شاه درانی في دهلي ، ارتفعت الأسعار بصورة كبيرة ، وكان جنوده يقومون بأعمال السلب والنهب في الأسواق والمحلات ، وكانت المدينة في حالة من الفزع والخوف ، وذاق الناس الأمرين ، وكان الأثرياء قد غادروا المدينة كما غادرها كثير من الفقراء أيضا (٢)، كما قام الجنود بضرب رجالات عالمكير وتحقيرهم طالبين منهم الأموال، كما قاموا بالاستيلاء على المدافع المنصوبة على أبراج القلعة وأبوابها واغتصبوا كل مدفع أو بندق وقع بأيديهم ، وسخروا الناس العاديين في نقل تلك المدافع ، كما قاموا بتفتيش بيوت الأمراء والقواد وصادروا كل ماوقع بأيديهم من المجوهرات والأشياء الثمينة ، وحتى البيوت التي هاجرها أصحابها كسروا أبوابها ودخلوها واستولوا على مافيها ، ويذكر المصدر المشاهد للأوضاع قائلا: " ... لقد باع الناس مابحوزتهم بأرخص الأثمان ليدفعوا المبالغ التي تطلب منهم، وانتحر الكثيرون بأكل السم ، ولم ينج أحد من هذه المحنة التي استمرت

---

(١) مؤلف مجهول : تاريخ عالمگير ثاني ، ق ٩٠ ب ،

James Burgess: The Chronology of India, p.203.

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ عالمگير ثاني ، ق ٩٣ ب ، ٩٨ ب .

من ١٤ من جمادي الأولى عام ١١٧٠ هـ إلى نهاية الشهر ، وحتى كثير من الذين دفعوا ، عاد الجنود إليهم ثانية ناهبين بيوتهم " [١]، وبهذه الطريقة حصل أحمد شاه أموالا هائلة ثم غادر دهلي في الثاني من جمادي الثانية وعاد إلى الناس بعض الطمأنينة ، كما عادت الخطبة باسم عالمكير [٢].

وهكذا أجهضت غارة أحمد شاه دراني على البقية الباقية من هيبة عاصمة الدولة المغولية وسلاطينها الضعاف البائسين الذين أصبح لهم باطن الأرض خير من ظاهرها . ومن المؤسف أن هذه الغارة حدثت في نفس العام الذي حدثت فيه موقعة پلاسي الحاسمة في بنغال التي أنذرت بأن سيادة شركة الهند الشرقية الإنجليزية قائمة وقادمة ، ولكن لم تكن السلطات الإسلامية الموجودة آنذاك على مستوى المسئولية لتفكر في إطار أبعد وأوسع وتعلم أن زوال الواحدة منها تعجل بزوال الأخرى ، وأن مصلحة الجميع في رعاية المصلحة الإسلامية العليا على مستوى الهند كلها ، وفي مظلة الدولة المغولية التي كانت مازالت تتمتع بالنفوذ المعنوي في الساحة الهندية وإن زالت سيادتها العملية نهائيا بعد غارتي نادر شاه وأحمد شاه .

---

(١) المصدر نفسه : ق ٩٩ ب — ١٠٠ أ .

(٢) المصدر نفسه : ق ١٠٢ ب — ١٠٣ ب ،

J. Sarkar: Fall of the Mughal Empire, Vol. II, pp.70-72.

أفاد تفكك الجبهة الإسلامية الهندية جماعات السيخ والمرهته لتنشط أكثر وتقتطع من تركة الدولة المغولية ماتستطيع اقتطاعها، وكان عمليات هذه الجماعات من العوامل المهمة لإضعاف الحكم الإسلامي في الهند وتمهيد الطريق أمام سيادة شركة الهند الشرقية الإنجليزية .

ظهر مذهب السيخ في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بيد أحد الدراويش المدعو گورونانك ديو Guru Nanak الذي ولد في تلوندي راي بهونه في پنجاب عام ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م في عهد السلطان بهلول اللودى (٨٥٥ – ٨٩٤ هـ/ ١٤٥١ – ١٤٨٨ م) وتوفي في عام ٩٤٥ هـ / ١٥٣٩ م [١].

درس نانك قليلا من علوم الدين ثم ساح في بعض البلاد الإسلامية ومنها مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وبعد عودته إلى الهند دعا إلى التقريب بين المسلمين والهندوكيين ، وكتب نصائح ومواعظ في هذا الصدد باللغة البنجابية، سماه السيخ " كرنته " وكان ذلك في عهد بابر شاه (٩٣٢- ٩٣٧هـ /١٥٢٦- ١٥٣٠م) مؤسس الدولة المغولية الإسلامية في الهند [٢].

لم يكن نانك يقصد إلى تشكيل جماعة سياسية ، إلا أن خليفته الرابع في زعامة مذهبه المدعو كورو رامداس Guru Ramdas استفاد من جو التسامح المفرط الذي منحه السلطان أكبر (٩٦٣ – ١٠١٤هـ /١٥٥٦ – ١٦٠٥ م) لسائر الديانات والمذاهب ،لقد منحه أكبر أرضا في پنجاب أنشأفيها أمرتسر Amritsar

---

(١) سجان راي : خلاصة التواريخ ، ص ٦٩ ،
سيد بهادر شاه ظفر : پشتانه دتاريخ په رنړاكي ، ص ٩٤٧ ،
احسان حقي : باكستان ماضيها وحاضرها ، ص ١٢٧ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.431.

(٢) عبدالكريم : تاريخ پنجاب تحفة للأحباب ، ص ٣ – ٤ ،
سيد بهادر شاه ظفر : پشتانه د تاريخ په رنړاكي ، ص ٩٤٧ ،
إحسان حقي : باكستان ماضيها وحاضرها ، ص ١٢٧ .

التي أصبحت مركزا لجماعة السيخ ومقدسة لديهم، وتحول أتباع نانك إلى طائفة عسكرية منذ عهد شاهجهان (١٠٣٧ هـ - ١٠٦٩ هـ / ١٦٢٨ - ١٦٥٩ م)وقاموا بأعمال عدائية ضد السلطان آورنكزيب الذي آسر زعيمهم تيغ بهادر Tegh Bahadur وقتله[1]، ومنذ ذلك الوقت أصبح السيخ من ألد أعداء الحكم الإسلامي في الهند وعاملا من عوامل إضعاف الدولة المغولية وهدمها، وكلما زاد ضعف الدولة كلما وسع السيخ وجودهم وسلطتهم في پنجاب، خاصة بعد غارتي نادر شاه وأحمد شاه، وكانوا في اشتباك دائم مع القوات الإسلامية إلى أن تمكنوا في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ،من تأسيس دولتهم في پنجاب بمباركة من شركة الهند الشرقية الإنجليزية وتحالف معها ، ثم قضى عليها الإنجليز- كما رأينا في الفصل الثالث - بعد أن استغنوا عن خدماتها لهم .

---

(١) عبدالكريم : تاريخ پنجاب تحفة للأحباب ، ص ٥ ،

سيد بهادر شاه ظفر : پشتانه د تاريخ په رنړاكي ، ص ٩٤٨ - ٩٤٩ ،

V.D. Mahajan: Mughal Rule in India, p.169.

V.A.Smith: The Oxford History of India, pp.409,431.

كان من أهم النتائج التي ترتبت على غزو نادر شاه المدمر للهند ، هو انفصال إقليم كابل عن الدولة المغولية وبالتالي فقدت الهند الإسلامية معقلا مهما أنجدها مرارا في أوقات الشدة ، وبعد ذلك الوقت على الرغم من أن أحمد شاه دراني هجم مرات عديدة على الهند مشتتا شمل أعداء الحكم الإسلامي من المرهته والسيخ ، إلا أنه كما رأينا رجح مصالح دولته على المصلحة الإسلامية العليا على مستوى شبه القارة الهندية ، فقام هو الآخر بنهب موارد الدولة واقتطاع أجزائها الشمالية الغربية .

لم تتوقف نتائج غزو نادر شاه على ماذكرناه ، بل تعدى ذلك إلى انفصال الأقاليم النائية الأخرى انفصالا عمليا وان لم تقطع انتمائها وولائها الاسمى لدهلي ، إلا أن كل واحد من الحكام المحليين انشغلوا بمشاكل مناطقهم التي فرضها عليهم انشغال العاصمة بمشاكلها وأوضاعها المأساوية التي لم تنته بعد ذلك أبدا ، ومن هنا ظهر في الساحة الهندية دول أو دويلات داخل الدولة المغولية المتهالكة ، وأصبح منصب حكام الأقاليم في دكن وبنغال وأوده وغيرها يتوارث بعد أن كان سلطان الدولة هو الذي يعين الحاكم أو الوالي هنا وهناك،ومع الأسف الشديد ابتليت هذه الإمارات أيضا بما ابتليت به الدولة المغولية وهو المنازعات العائلية التي كانت تحدث من حين لآخر للاستئثار بالسلطة ، وكانت الشركات الاستعمارية الأوربية تجد لها موطيء قدم بالانحياز لهذا الطرف أو ذاك ، كما شاهدنا ذلك في فصلي الثاني والثالث .

إن سلاطين الدولة المغولية المتأخرين ، يتحملون قسما كبيرا من مسئولية انهيار الدولة ، وذلك بسبب عدم تمكنهم من إرضاء أعوان الدولة القدامى وفشلهم في إيجاد طبقة حاكمة جديدة مؤهلة تتحمل أعباء الحكم بكفاءة ومهارة ،

بالإضافة إلى أن بعض هؤلاء السلاطين قد غرقوا أنفسهم في حياة الترف واستكانوا للراحة إلى أن أفلتت الأمور من أيديهم فكان انفصال الأقاليم من قبيل إنقاذ مايمكن إنقاذه في مثل تلك الأوضاع ، ونرى الشاهد فيما قلناه في الرسالة التي بعثها مؤسس أسرة نظام في حيدر آباد بالدكن ، إلى السلطان محمد شاه ، إذ يقول فيه : " بعد وفاة حضرة السلطان عالمكير قدس الله سره العزيز ، حدث أن عزل كبار الأمراء القدامي للجيش ، فتدهورت أوضاع الحكم ، ووصلت الأوضاع إلى قمة مأساتها في عهد السلطان الشيهد(*) ، بسبب تغلب عبدالله خان(**). وتعلمون أن الأمير تيمور استولى على الهند بسواعده ، وفوض الحراسة والقيادة إلى أهل توران ، فلم يخذلوه في يوم من الأيام ... وتعلمون أن حضرة السلطان عالمكير قدس الله روحه وضع مفتاح الفتح والظفر في يدي خان فيروز جنگ... وتعلمون أني بذلت كل مجهودي لاستعادة هيبة الدولة بإعادة الضوابط التيمورية والعالمكيرية حتى نتمكن من القضاء على أهل البغي والشر ... ولكنني لم أجد أذنا صاغية فاضطررت إلى العزلة ... ولو ألقيتم نظرة على الدول التي اضمحلت ، لتجدون أن السبب المهم في ذلك إبعاد الرجال المخلصين القدامى عن شئون الحكم ، والاستسلام لحياة الترف والفسق والفجور ... إن السلاطين مكلفون بالمحافظة على شرع الله ورعاية خلق الله وتنفيذ العدل والإنصاف ، والتقدير عن أركان الدولة وأمرائها القدامى الذين يعرفون حق الملح ... إن السلاطين العظام يتحدون المخاطر ويقارعون المفسدين ويحترزون عن دخول أبواب الفسق والفجور حتى يكونوا قدوة

(*) يقصد السلطان فرخ سير .

(**) هو سيد عبدالله خان قطب الملك ، الذي كان مع أخيه سيد حسين على خان يتحكمان على شئون الحكم في عهد فرخ سير .

صالحة لغيرهم ... على السلاطين أن لايغفلوا لحظة واحدة عن أمور الحكم وإعداد الجيش وتدريبه ، وعيب عليهم أن يستكينوا للراحة في قصورهم ، وتعلمون أن أجدادكم كانوا يوصون دائما بالتخشن في المعيشة ، على درجة كانوا يرجحون أن تلد نساؤهم على ظهور خيولهم ، وأن طرب السلاطين العظام في صوت البندقية وتعبئة الجنود ، وليس في غناء المطربين ومجالسة المطربات ، وأن بقاء الحكم في استمرارية الجهاد ، وان هذا الحقير سيعمل مابوسعه لإصلاح الأمور".(١) وهكذا أشار نظام الملك آصف جاه إلى عوامل مهمة في انهيار الدولة المغولية ، وعلى رأس هذه العوامل عدم تمسك السلاطين بأحكام الشرع الحنيف وانغماسهم في حياة الترف وإبعادهم المخلصين عن شئون الحكم .

إن انفصال الأقاليم ، أو بالأحرى تلاشي نفوذ العاصمة في أقاليم الدولة ، جعل السلاطين الضعاف لايجدون من يساندهم ويقدم لهم دعما ماديا وعسكريا لاسترجاع سلطتهم ، وفي نفس الوقت فإن تلاشي السلطة المركزية جعل كل إقليم وكل حاكم يدفع بنفسه المخاطر ، بالإضافة إلى المشاكل التي حدثت بين الإمارات في نزاعات حدودية وخراجية ، وكل هذا أتاح للشركة الإنجليزية أن لا تواجه كل إمارة وكل أمير بمفرده فحسب ، بل وتستخدم جيرانه أيضا في حربه كما رأينا في حروب ميسور ، وعندما كانت الدولة قوية ومتماسكة شاهدنا أن جميع محاولات الشركة الإنجليزية في التحدي لسيادة الدولة المغولية باءت بالفشل الذريع وقمعت كل محاولة من ذلك القبيل .

---

(١) Official Letters ، ق ٤١ أ - ٤٢ ب .

إن هذه الأحداث والتغيرات ، قضت على نفوذ الدولة في أقاليمها وبالتالي قضت على موارد الدولة المالية واقتصادياتها ، وما ادخرت في العاصمة خلال العهود الماضية ، نهبها نادر شاه وأحمد شاه أبدالي والمرهته ، ووصل السلاطين إلى مرحلة من البؤس لم يكونوا يقدرون على دفع رواتب جنودهم وموظفيهم في العاصمة وفي البلاط أيضاً وتقدم لنا المصادر التي عاشت تلك الأوضاع والأحداث شرحاً وافيا عن الانهيار الاقتصادي والأمني والاجتماعي في عهد هؤلاء السلاطين الضعاف ، وعلى سبيل المثال يذكر مؤرخ عهد عالمگير الثاني (١١٦٧- ١١٧٣هـ/ ١٧٥٤ - ١٧٥٩م) الذي يمثل قمة ضعف الدولة المغولية وتفككها ، يذكر أنه كيف فقدت الدولة مقوماتها للبقاء فيقول : " إن تماسك الدولة وقوتها تعتمد على أشياء ثلاث ، الخزانة والأرض والجيش ، وعلى السلطان أن يعمل لدعم هذه القطاعات لتستمر دولته في البقاء ، ولكن هذه العناصر كانت في انتقاص في عهد هؤلاء السلاطين ، ومن هنا لم يكن هناك انتظام أو انتساق أو هيبة ، وحتى الأراضي التابعة للعاصمة ، والأراضي السلطانية التي بقيت تحت تصرف الدولة حتى عهدي محمد شاه وأحمد شاه ، وكان يتم من حاصلاتها تسديد رواتب منسوبي الدولة ، خرجت من سيطرة الدولة في عهد عالمگير الثاني ، ونظرا لضيق المعيشة وخلو الخزانة في هذا العهد ، اضطر كثير من الفرسان لبيع خيولهم ، ولم يكن المشاة يملكون مايغطون به أقدامهم " (١).

كانت السلطة في عاصمة الدولة المنعزلة عن الأقاليم ، بيد عماد الملك

---

(١) مؤلف مجهول : تاريخ عالمگير ثاني ، ق ٢٨ ب .

آصف جاه وزير السلطان عالمكير الثاني(*)، وقد احتفظ بهذا المنصب نتيجة مساعدة المرهته له ضد منافسيه ، وفي المقابل فقد أطلق يد المرهته في النهب والسلب واستسلم لطلباتهم التي لم تعرف حدا ، وقد نهبوا مجوهرات الأميرات ووالدة أحمد شاه ، وقالوا لآصف جاه بأنهم لن يسمحوا بإركاب الأميرات إلا بعد أن يتسلموا المال الموعود ، فتكفل لهم الوزير ووعدهم بمنحهم مبلغا وقدره أربعون لكا من الروبيات من خزينة السلطان، ولما كانت الخزينة خالية، كان الوزير يقوم بتوفير الأموال من الرعايا قسرا(١)، وكلما ماطل الوزير عن دفع المبالغ التي يطلبها المرهته ، كلما هددوه بالهجوم على العاصمة ، وكلما عجز عن توفيرالمبلغ تنازل لهم عن أجزاء من الأراضي التي بقيت في حوزة الدولة ، وفي ذلك ذكر المصدر المذكور قائلا: " كان ركناتهه راو وملهاراو زعيما المرهته يطالبون آصف جاه في كل يوم بمبالغ جديدة ، ولم يكن بمقدور الوزير تلبية هذه الطلبات الكبيرة المتكررة ، فبدأت العلاقة تسوء بين الجانبين ، وعبرت قوات المرهته نهر جمنا بقصد العودة (**)، ورأى الوزير بأن عدم ترضية المرهته يعني نهايته ، فبادر بإرضائهم حيث أعطى لهم اثنتين وعشرين محلة ، كما تنازل لهم عن بعض إقطاعاته، ومقابل ذلك انصرف المرهته من العودة "(٢)وساءت الأوضاع إلى درجة عجز فيها

(*) النشاط الوحيد الذي يذكره المصدر عن السلطان من حين لآخر ، هو خروجه لزيارة قبور أجداده في مقبرة همايون وزيارة قبور الأولياء ، والتلطف بالدراويش والفقراء في المقابر .

(**) يقصد العودة إلى العاصمة دهلي.

(١) المصدر نفسه ، ق ٦ آ ، ١١ آ ، ١١ ب ،

V.D.Mahajan: India since 1526, Part.I, p.234.

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ عالمگير ثاني ، ق ٢٧ ب .

الوزير عن دفع رواتب جنده ، ففي غرة رمضان عام ١١٦٧هـ / يونيو ١٧٥٤م تجمع فرسان آصف جاه أمام منزله طالبين رواتبهم ، وعرض الوزير إلى السلطان بأن يوقع بصرف شهرين من رواتب الجند اعتبارا من غرة جمادي الأولى ، ويعدهم بصرف الشهرين الآخرين بعد تصفية الحسابات ومعرفة ماهو موجود في الخزانة ، ولكن الخزانة كانت خالية والبلاد كان يعبث بها المفسدون ولم يكن باستطاعة السلطان أن يقطع قواده أرضا يحصلون منها على رواتبهم ورواتب حاشيتهم ، ولما رأى الوزير أنه عاجز عن صرف رواتب جماعته ، سمح لهم بنهب بيوت الأثرياء (١)، وتقرر تحصيل النقود من الرعايا على أمل أن يمتنع أفراد الوزير من نهب البيوت بعد أن يستلموا رواتبهم، إلا أن الوضع لم يتغير وكان عامة الناس يعيشون في جو من الخوف والرعب .

نتيجة للفوضى وفقدان الأمن الذي كانت العاصمة تعيشه ، تكونت هناك عصابات من اللصوص الذين كانوا يهاجمون البيوت وينهبون ويسرقون مافيها وحتى بعض الذين كانوا في سابق الأيام من الوجهاء وكبار رجال الدولة ، لجأو إلى تكوين العصابات المسلحة لتوفير أسباب المعيشة ، إذ انقطعت عنهم رواتبهم كما فقد الآخرون إقطاعاتهم بسبب سيطرة المتغلبين على الأقاليم (٢)، ولقد غادر الأثرياء والوجهاء أماكنهم إلى مناطق أخرى ولكن الناس كانوا كثيرا مايقعون فريسة للصوص وقطاع الطرق أثناء بحثهم عن مكان آمن (٣)، وهكذا كانت العاصمة

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٨ آ ، ٩ آ ، ١٥ آ ، ١٦ آ ،
J.Sarkar: Fall of the Mughal Empire, Vol.II,p.6.

(٢) مؤلف مجهول : تاريخ عالمگير ثاني ، ق ١٤٨ آ .

(٣) المصدر نفسه ، ق ٨٨ آ .

تخسر رؤوس الأموال والتجار وأصحاب الحرف وغيرهم .

وأما ملاك الأراضي فكانوا لايفكرون إلا في أنفسهم ، ولم يتنبهوا بأن اضمحلال الدولة وتلاشي سلطتها سوف يضر في النهاية بمصالح هؤلاء أيضا ، وقد وصفهم مصدر معاصر بقوله : " إن الكثير من طبقة ملاك الأراضي أناس انتهازيون وقصيرو النظر ، ينقضون عهودهم في كل فرصة مواتية ، فإذا رأوا أى تحول أو انقلاب أو تغيير سلطة أو ضعف ، يتناسون كل ماعليهم من واجبات تجاه الحكام وغيرهم ، ومن هنا كان السلاطين السابقون لايثقون فيهم وكانوا يراقبونهم ويوقفونهم عند حدودهم، فكانت البلاد معمورة والرعايا والمسافرون في أمن واطمئنان ، كما كانت المزارع والأراضي الزراعية منتجة ومزروعة ، وكانت الولايات متماسكة ، كما كان الناس سعداء، إلا أن الوضع متغير في الوقت الحاضر،إذ أصبح ملاك الأراضي يعبثون في الأرض فسادا ، وليس هناك من يحد من تصرفاتهم ويوقفهم عند حدودهم ، فترى البلاد تسير إلى الفساد والخراب، أكثر فأكثر"(١)، وتطور الوضع إلى أن كل انسان كان يملك ثروة ، كان بإمكانه أن يشتري من السلطان مرسوما يعطيه حق جمع الموارد المالية في المناطق التي خرجت عن نطاق سيطرة الدولة الفعلية ، وإذا استطاع ذلك الثري من التغلب على ملاك الأراضي في منطقة معينة ، فإنها تصبح منطقة حكمه أو نفوذه ، وعندما تزداد قوته فإنه يبدأ في التوسع ليصبح من أرباب الأراضي (٢).

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٩٨ .

(٢) A.V.Jackson : History of India, Vol.VIII, p.191

وهناك مصدر آخر ذكر إحصائية (*) لعدد الولايات وعدد القوات وإجمالي الإيرادات السنوية للدولة المغولية خلال مراحلها المختلفة، فبين أنه في عهد السلطان أكبر (٩٦٣ – ١٠١٤هـ / ١٥٥٦ – ١٦٠٥م) كان اجمالي إيرادات الدولة يصل إلى أكثر من خمسة وسبعين سَنْكَه (**) وخمسة وسبعين يربا (***)" (١) من الروبيات (****) وهذا مبلغ ضخم جدا يصل الى أكثر من ألف تريليون Trillion من الروبيات ، مما يشير إلى ضخامة ثروات الهند وقوة دولة المغول الاقتصادية .

كما ذكر أن عدد الأفراد المنتمين إلى قوات الدولة في ذلك العهد كان ثمانمائة ألف فارس وعشرة آلاف من ركاب الفيلة ومليون ونصف مليون من المشاة وغيرهم . وفي عهد جهانگير (١٠١٤ – ١٠٣٧هـ / ١٦٠٥ – ١٦٢٨م) ذكر المصدر أن إجمالي إيرادات خزانة الدولة قد بلغ "خمسة وسبعين سنكه وخمسة وعشرين أربا (*****)

(*) لقد نقل المؤلف هذه الإحصائية عن المذكرات التي كتبها جده في هذا الخصوص، وكان جده هذا قد عمل مشرفا ماليا في دكن واطلع على كثير من شئون الدولة المالية .

(**) سَنْكَه : يساوي عشر تريليونات .

(***) يرب : يساوي واحد مليارد .

(****) ملحوظة : إن الأرقام المذكورة هي أرقام هندية قديمة ومتروكة في الوقت الحاضر ، وقد وجدت شرحا لها في الجزء الثالث من الموسوعة التاريخية الحضارية لعصر السلطان أكبر الأول المسمى بآئين أكبري لمؤلفه أبي الفضل علامي في حين لاتذكر القواميس الأردية من تلك الأرقام إلا لك وكرور وأُرب ولقد سألت بعض المثقفين والجامعيين من الهند وباكستان عن معنى هذه الأرقام فاعتذروا بأنهم لايعرفونها .

(*****) أُرب : يساوي مائة مليون .

(١) لچهمن نراى شفيق اورنگ آبادي : حقيقت هاي هندوستنان ، مخطوط فارسي في I.O.L تحت رقم ETHE 426 ق ١٢ أ .

من الروبيات ، وبلغ عدد قوات الدولة ثمانمائة ألف من الفرسان وخمسة عشر ألفا من ركاب الفيلة وخمسة وعشرين ألفا من ركاب الجمال ومليون ونصف مليون من المشاة وغيرهم، كما كان عدد الولايات يصل خلال ذلك العهدين إلى خمس عشرة ولاية. وأما في عهد شاه جهان (١٠٣٧ - ١٠٦٩هـ / ١٦٢٨ - ١٦٥٩م) فقد بلغ إجمالي إيرادات خزانة الدولة إلى ثلاث وأربعين سنكه وخمسة وسبعين اربا ، كما بلغ عدد قوات الدولة إلى سبعمائة ألف من الفرسان وعشرة آلاف من ركاب الفيلة ومليون ونصف المليون من المشاة وغيرهم ، وأما في عهد السلطان عالمگير (١٠٦٩ - ١١١٨ هـ / ١٦٥٩ - ١٧٠٧ م) فقد بلغ إجمالي إيرادات خزانة الدولة إلى خمس وثلاثين سنكه وخمسين أربا، وبلغ عدد الولايات في هذين العهدين إلى خمس وعشرين ولاية [1].

لم يذكر المصدر عدد قوات الدولة في عهد آورنگزيب كما لم يذكر السلاطين الذين جاءوا بعده إلى عهد محمد شاه (١١٣١ - ١١٦١ هـ / ١٧١٩ - ١٧٤٨ م) وقد يكون سبب ذلك النزاعات العائلية وعدم الاستقرار الذي شهدته الدولة بعد أورنگزيب ، كما أن عهد آورنگزيب نفسه بدأ - كما رأينا - بحروب دامية توزعت فيه قوات الدولة بين أبناء شاهجهان المتصارعين فيما بينهم على وراثة العرش.

لقد ذكر المصدر إيرادات الدولة في عهد محمد شاه وبعض من أتى بعده دون أن يشير إلى عدد قواتهم ، مما يدل على أن هؤلاء السلاطين لم يكونوا يملكون قوات تستحق الذكر مقارنة بمئات الألوف من القوات التي كانت الدولة تملكها في عهد قوتها واستقرارها.

---

(١) المصدر نفسه ، ق ١٢ أ - ١٢ ب.

وقد ذكر المصدر أن إيرادات خزانة الدولة في عهد محمد شاه قد بلغ إلى واحد وستين كرورا وأربعة وسبعين لكا وخمسة وأربعين ألفا وسبعمائة وخمسة وسبعين روبية ، وذلك قبل غزو نادر شاه للهند واحتلاله دهلي ، ونقصت الإيرادات بعد ذلك الغزو في ماتبقى من عهد محمد شاه إلى اثنين وثلاثين كرورا وخمسة وثلاثين لكا ، لتهبط في عهد ابنه أحمد شاه (١١٦١ - ١١٦٧هـ / ١٧٤٨ - ١٧٥٤م) إلى عشر كرورات وفي عهد عالمكَير الثاني (١١٦٧ - ١١٧٣ هـ / ١٧٥٤ - ١٧٥٩ م) إلى أربع كرورات ، وأشار المؤلف إلى أنه في أيامه هو (*) كان قد انقطعت إيرادات سلاطين الدولة المغولية انقطاعا كاملا (١).

وهكذا نرى أنه في الوقت الذي بدأت الشركة الانجليزية تتحول من التجارة إلى السياسة والتوسع وبسط السيادة ، لم تكن الدولة المغولية المتهالكة تملك مالا ولا جيشا ، وأن الشركة الإنجليزية عندما قامت بالعمليات العسكرية ، فإنها لم تواجه الدولة المغولية ، بل واجهت الولاية الدولة ، أي الولايات التي وجدت نفسها مضطرة أن تقوم لشئونها بنفسها بعد أن أصبحت سلطة سلاطين الدولة المغولية لا تتعدى حدود عاصمتهم بل وحتى هذه السلطة قد زالت من أيديهم أيضا ، وأصبحوا يعيشون داخل القصر في عزلة تامة ، لاحول لهم ولا قوة ، وكان لانخفاض إيرادات الدولة ثم لانقطاعها الأثر المدمر القاتل لكل أمل في إحياء سلطة الدولة في مجتمع يضع فيه المحاربون أنفسهم ، لخدمة من يدفع أكثر .

بالإضافة إلى ماذكر ، فان الهند بلاد الشعوب المختلفة في الدين والعرق واللغة ، وأن بعضها أجنبي عن بعض الآخر ، فقد كان سلاطين المغول الأوائل يقومون

(*) لقد قام بتدوين مؤلفه في عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩ م .
(١) المصدر نفسه ، ق ١٥ ب ، ١٧ أ ، ١٧ ب .

بعقد المصاهرات مع كبار الأسر التي تتمتع بالنفوذ داخل المجتمع الهندي الإسلامي مثل السادات والمغول والأفغان ، وكذلك بالأسر التي تتمتع بالتأثير على المجتمع الهندوكي مثل زعماء الراجپوت ، فكانوا يختارون من تلك الأسر زيجات لهم ولأبنائهم ، وبهذه الطريقة كانوا يدعمون نفوذهم ويتمتعون بحماية مختلف فئات رعاياهم ، ولكن في عهد سلاطين الدولة المتأخرين ، فقدت الدولة هذه الميزة ، فكان السلاطين يتصاهرون مع أسر " غير معروفة وغير مهيبة الجانب ، فكان الأمراء يولدون من بطون نسوة يجهلن أنسابهن" (١) ومعنى هذا أن الدولة لم تكن تتمتع بعصبية تضحى من أجلها ، خاصة وأن السلاطين لم يقوموا بواجبهم تجاه الدعوة الإسلامية خير قيام ، وطبيعي أن دولة لاتستند إلى دعوة ولا إلى عصبية ، في مثل ذلك المجتمع وتلك الأوضاع ، تكون عرضة للمخاطر والضياع . وكان هم الحكام في الغالب هو جمع الأموال وعدم الاهتمام اللازم في نشر الدعوة الإسلامية ، ونتيجة لذلك لم تترسخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس غالبية المسلمين الهنود وبالتالي لم ينتبهوا بالقدر اللازم إلى المخاطر التي تهدد مستقبلهم ، وفي هذا الخصوص ذكر المفكر الاسلامي أبو الأعلى المودودي رحمه الله قائلا : " إن الجانب الأكبر من دنيا الإسلام يشتمل على الممالك التي فتحت على أيدي المسلمين المجاهدين من الصدر الأول لتاريخنا . والذين افتتحوها لم يكونوا خرجوا من بيوتهم لفتح الأسواق ولا لجلب الغنائم . وانما خرجوا في الأرض يرفعون كلمة الله في أنحائها ويطلبون الموت في هذا السبيل . كان القوم أشربوا في قلوبهم حب الآخرة قبل طلب الدنيا ، فلم يجترئوا بأن يجعلوا مفتوحيهم مطيعين لهم

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٥ .

يعطونهم الجزية عن يد وهم صاغرون ، بل صبغوهم بصبغة الإسلام ، واجتذبوا رعاياهم كلهم أو السواد الأعظم منهم إلى الملة الحنيفية السمحة ، وأثبتوا فيهم الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية إثباتا جعلهم أنفسهم حاملين لمشعل الإسلام ومعلمين لعلومه ومعارفه . وهذه الممالك تتبعها في التاريخ ممالك آخرى ، وإن فتحت في عهد متأخر عن ذلك الصدر الأول ، في عهد كان الحماس الإسلامي قد فتر فيه واسترخى وغلب في قلوب الفاتحين طلب الغنائم والفتوح على روح الجهاد في سبيل الله ، إلا أن الإسلام تمكن - برغم ذلك - من أن يتأصل في تلك البلاد وينمو وينتشر ، وأن ينزل فيها على مر الأيام منزلة الدين القومي والثقافة القومية .

أما القطر الهندي فمن سوء نصيبه أن أمره يختلف عن كلا هذين النوعين من الأقطار فهذا القطر فتح جانب قليل جدا منه في الصدر الأول . وهذا الجانب القليل أيضا ابتلى بتيار الباطنية الذي اجترف كل ما كان فيه من آثار التعليم الإسلامي والحضارة الإسلامية . ولما ابتدأت بعد ذلك سلسلة فتوح المسلمين في الهند ، لم يكن الفاتحون على شيء من خصائص الفاتحين الأول . بل استعمل هؤلاء كل ما أوتوا من القوى في توسيع مملكتهم بدل إشاعة الإسلام . وطالبوا الناس بإطاعتهم أنفسهم بدل إطاعة الله والرسول ، وبأن يؤدوا إليهم الخراج بدل أن يعتنقوا الإسلام فكان من نتيجة ذلك أن بقى السواد الأعظم من أهالي الهند غير مسلم على رغم حكم المسلمين قرونا متعددة ، ولم تتمكن الحضارة الإسلامية من أن ترسخ في أراضي الهند أبدا . ثم إن الذين أسلموا من أبنائها لم يمن أحد بأن يتعهدهم بالتعليم والتربية الإسلامية ... إن الزمان الذي كانت سلطة المسلمين السياسية فيه قد امتدت على الهند بكل قوتها ، كانت آثار الإسلام ضعيفة فاترة فيها حتى في ذلك الحين ، ولم تكن البيئة في هذه البلاد إسلامية خالصة ... لغفلة حكام

المسلمين . وأنه بسبب استيلاء الديانة والحضارة الهندوكية على جو القطر الهندي وبسبب كون التعليم والتربية الإسلامية غير كاملة بين المسلمين أنفسهم لم يتسن لمعظم مسلمي الهند أن يكونوا أصحاء في عقيدتهم كاملين في إسلامهم راسخين في ثقافتهم وتهذيبهم، كما عساهم أن يكونوا لو أنهم عاشوا وسطا إسلاميا خالصا"(١).

وهكذا اهتم الحكام للجباية أكثر من اهتمامهم لأمر الدعوة ، فكانت النتيجة أن زلزلت عروشهم بعد أن خويت خزائنهم .

هكذا كانت الظروف مواتية لشركة الهند الشرقية الإنجليزية لتملأ الفراغ الذي تركه تفكك الدولة المغولية ، بعد أن تمكنت الشركة من إبعاد منافساتها الأوربيات ، لتستولي على الهند بحفنة قليلة من الجيش المدرب المنظم والمسلح تسليحا متفوقا ، يقوده رجال برروا كل وسيلة لنيل غايتهم وهي السيطرة الكاملة على الهند وإحكامها بالوسائل المختلفة .

---

(١) أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية ،دار الفكر بدون مكان الطبع وتاريخ النشر، ص ٢٦ - ٢٨ .

سياسة الإلحاق

اتبع حكام الشركة الإنجليزية في الهند سياسة الإلحاق Annexation منذ انتصار الإنجليز في موقعة پلاسي (١١٧٠هـ / ١٧٥٧م)، وذلك باستخدام القوة والتدخل في المنازعات المحلية وإبرام الاتفاقيات مع الأمراء المحليين الذين كانوا يعجزون في النهاية عن تسديد الالتزامات المالية الباهظة التي تعهدوها بموجب تلك الاتفاقيات ، فيتنازلون عن أراضيهم وسيادتهم لصالح الشركة .

لقد رأينا في الفصلين الثاني والثالث أنه كيف تمكن الإنجليز من القضاء على حاكم بنغال سراج الدولة ، ثم تابعوا تقدمهم داخل أراضي أوده المجاورة إلى أن اضطر حاكمها شجاع الدولة من ترك المقاومة والقبول بالأمر الواقع والتعامل مع الإنجليز من موقف الضعف والاضطرار ، ولما كانت الشركة الإنجليزية في بدايات تحولها إلى التوسع ، لم تكن تطمئن من نتائج المجازفة بالتوسع الشامل وقبول مخاطر المجابهة مع قوة المرهته المرعبة في ذلك الوقت والتي كانت أوده تحول بينها وبين تقدمها صوب بنغال، فرأت الشركة أن مصلحتها تقتضي بأن تحافظ على إمارة أوده لتكون حاجزة بين بنغال وهجمات المرهته ، ولقد قدمت الشركة إلى أوده قوات لتساعدها في صد الهجمات المعادية مقابل تحملها لنفقات هذه القوات. وفي الحدود الشمالية لأوده، كانت تقع أراضي روهيله التي كان يحكمها الأفغان الذين استغلوا عهد الاضطراب الذي أعقب غزو نادر شاه، فكونوا لهم إمارة في الزاوية التي تقع بين أعالي نهر گنگ وجبال هماليا[1]، وكانت أراضي روهيله تغطي

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٧ ،

A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.240.

M. Longworth : افغانستان .(دائرة المعارف الإسلامية)ج٢،ص ٤٠٩

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.508.

الجانب المكشوف من أوده التي كانت تغطي بدورها الجانب المفتوح من بنغال، وبذلك كانت إمارة روهيله تشكل الخط الدفاعي الأول ضد المرهته ، ومن هنا فعندما ناشد الروهيله دعم الوزير شجاع الدولة حاكم أوده ، طلب الوزير إلى الإنجليز التعاون معه في صد العدو المشترك ، ولقد قبل الإنجليز هذا الطلب ، فأرسلت كلكته لواءا عسكريا تحت قيادة روبرت بيكر Robert Baker، وتكفل شجاع الدولة بدفع ٢١٠٠٠٠ روبية في كل شهر كإعانة للقوة الإنجليزية ، وذلك في عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٣م ، وفي نفس الوقت تكفل شجاع الدولة للشركة بدفع مبلغ قدره خمسة ملايين روبية إزاء استعادة سلطته على مدينتي كَوره Gora وإله آباد Allah-abad بعد أن غادرهما السلطان شاه عالم الثاني متوجها إلى دهلي (١)، كما رتبت اتفاقية بين الوزير والروهيله ، تعهد الوزير بموجبها على طرد المرهته مقابل أن يدفع له زعيم الروهيله حافظ رحمت خان معونة مالية قدرها أربعة ملايين روبية ، وتم هذا الاتفاق بحضور قائد القوة الإنجليزية ، ولقد تمكنت القوة المشتركة التي ضمت كلا من أوده وروهيله والإنجليز ، من إجبار المرهته على الانسحاب وصد خطرهم إلى حين ، وهنا طالب الوزير بدفع إعانته لكن حافظ رحمت خان تهرب من الدفع مما أدى الى نشوب الحرب بين الجانبين (٢).

---

(١) — A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.241

— Collin Davies وذ (دائرة المعارف الإسلامية) ، ج ٣ ، ص ١١٦ ،

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.508

(٢) — A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.241

M. Longworth Dames : حافظ رحمت خان (دائرة المعارف الاسلامية) ج٧، ص ٢٦٥

V.D.Mahajan: India since 1526, Part. II, p.63.

طلب الوزير مساعدة هستنجز Hastings العسكرية في حربه ضد الروهيله ولبى حاكم الشركة ذلك الطلب بعد أن وعده الوزير بمنحه أموالا كبيرة، وتمكن شجاع الدولة بمساعدة هذه القوة من هزيمة الروهيله وقتل زعيمهم حافظ رحمت خان والاستيلاء على أراضيهم وذلك في عام ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م ، بعد أن قتل الكثير من الروهيله في تلك الحرب الدامية وهرب الآلاف إلى الجبال (١).

لقد أبدى مجلس إدارة شركة الهند الشرقية الإنجليزية في لندن استياءه ومخاوفه من تورط جنود الشركة في نزاعات الأمراء المحليين في الهند والالتزام بدعم جانب على جانب آخر ، وذلك في رسالة مؤرخة في ٢٢ شوال ١١٨٩هـ /١٥ ديسمبر ١٧٧٥م إلى رئاسة الشركة في كلكته ، حيث قال فيها : " لقد أعربنا في خطابنا المؤرخ في ١٧٧٥/٣/٣م اهتمامنا البالغ عندما علمنا أن أسلحتنا استخدمت في فتح بلاد روهيله Rahillah لمصلحة شجاع الدولة ، وقد أبدينا عدم موافقتنا على تلك الإجراءات وليس لدينا آية أسباب تجعلنا نغير في موقفنا ، ولا ندين المبدأ الذي أفضى في نهاية الأمر إلى حرب روهيله لأنه مخالف للنظام الذي سرنا عليه فحسب ، بل نرفض رفضا باتا الاتفاقيات والالتزامات التي دخل فيها موظفونا مع شجاع الدولة ، لاسيما عندما أخفق حافظ رحمت خان في الوفاء بشروطه... وبدلا عن الدخول في اتفاقية مع الوزير - الأمر الذي لم يترك أي مجال للمصالحة مع الروهيله - فلقد كان من واجب رئيسنا والمجلس الرفض الفوري والقاطع لكل الطلبات التي تضر بسمعة الشركة ، لاسيما عندما يتعلق الأمر بتجهيز حملة بعيدة ،

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٧٧ - ٦٧٨ ،
M. Longworth Dames : حافظ رحمت خان(دائرة المعارف الاسلامية)ج٧، ص ٢٦٥.
مير غلام محمد غبار : آفغانستان درمسير تاريخ ،ص ٤١٩ .

ربما أدى فشلها إلى نتائج وخيمة . وعلى الرغم من أن القتال قد بدأ مع الإصرار الواضح على القضاء على الروهيله ، إلا أننا فرحنا جدا عندما أنهيت هذه الحرب بطريقة أكثر تشريفا لنا حيث خصصت إعاشة لابن حافظ رحمت خان ... ونأمل من القائد العام لقواتنا أن يعمل على محو آية انطباعات سيئة لما قام به موظفونا ضد الروهيله "(١). وهكذا كان عدم الرضا الذي أبداه مجلس الإدارة ناتجا على قلقه أن تنتهي الأوضاع إلى خسارة الشركة وتحملها أعباء مالية ، وأما لو كانت الخسارة على حساب الآخرين فيتحول موقف مجلس الادارة من المخالفة إلى الموافقة والتأييد ، حيث رحب باستقرار لواء من الشركة في أوده على نفقة هذه الامارة وذكر في نفس الخطاب قائلا: " ان الاحتفاظ بلواء من الجنود في خدمة صوبه أوده Subah of Oude هو إجراء نوافق عليه موافقة تامة وذلك لأن اللواء المذكور سوف يساعدنا على زيادة القوة الحقيقية لجيشنا دون أن نصرف المزيد من الأموال ، إذ تتحمل صوبة أوده كل رواتب الجند ومصاريف الكتيبة " (٢).

بعد القضاء على روهيله بقليل ، توفى الوزير شجاع الدولة حاكم أوده في ٢٣ من ذي القعدة عام ١١٨٨هـ / يناير ١٧٧٥م وخلفه في حكم أوده ابنه آصف الدولة ميرزا أماني (١١٨٨ - ١٢١٢هـ / ١٧٧٥ - ١٧٩٧ م) الذي كان حاكما ضعيفا ، وازداد النفوذ الإنجليزي في عهده أكثر من السابق ، حيث رفع إعانة الجيش الانجليزي الى ٢٦٠٠٠٠ روبية في الشهر تلبية لطلب هستنجز ، كما تنازل للشركة

---

(١) K.K.Datta : F.W.I.H.Correspondence, Vol.VII, (1773-1776), pp.130-131.

(٢) Ibid: p.132.

عن بنارس بعد أن كان أبوه قد رفض طلب الحاكم الإنجليزي بهذا الصدد عدة مرات، وكانت إيرادات بنارس تبلغ الى عشرة ملايين روبية في السنة ، ولقد لعب مختار الدولة مير مرتضى كبير رجالات حاكم أوده دورا كبيرا في إقناع آصف الدولة على ذلك التنازل بعد أن تلقى من الوكيل الإنجليزي وعدا بحمايته ومساعدته في المستقبل (١)، ولكنه قتل بتدبير من آصف الدولة بعد أن تزايد نفوذه يوما بعد يوم ، كما قام خليفة شجاع الدولة بقتل وإخراج الكثير من كبار رجالات أبيه ، كذلك قام بتسريح قوات أوده التي كانت تصل إلى حوالي ثلاثين ألفا من الفرسان وحوالي ستين ألفا من المشاة ، وقضى على بعض هذه القوات بمساعدة الإنجليز كما تفرق الباقون ، وقد ألقى نفسه وإمارته في أحضان الحماية الإنجليزية ، وكان يقضي أوقاته بمشاهدة مصارعة الديوك ولعب النرد والشطرنج وأنواع اللهو واللعب، ولم يكن يهتم بأمور الحكم ، بل وضع جميع الصلاحيات بيد الإنجليز ، ولم يكن يتم أي شيء إلا بموافقة الوكيل الإنجليزي ، وكان يصرح بأن الوكيل الإنجليزي يعتبر أخا له وهو الأقدر منه في تصريف أمور الحكم وعلى الجميع أن لايترددوا في طاعته (٢). ولقد بارك مجلس إدارة الشركة بلندن هذه التطورات ، وأكد في رسالة مؤرخة في ٢٢ شوال ١١٨٩هـ / ١٥ ديسمبر ١٧٧٥م الى حاكم عام الشركة في كلكته بأن يستمر في إحكام سيطرة الشركة على شئون أوده ، وأن يقنع حاكمها بتحمل

---

(١) غلام علي خان : شاه عالم نامه ، ق ٤١٣ أ – ٤١٣ ب ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٨ – ٦٧٩ ،
C. Collin Davies :اوذ(دائرة المعارف الاسلامية)، جـ٣، ص ١١٦ .
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤١٩ .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٩ .

كامل نفقات اللواء الذي يستخدم أفراده في الدفاع عن المناطق التي يبسط نفوذه عليها ، كما شدد الخطاب على الشروط الضرورية التي يجب أن تطالب بها الشركة آصف الدولة ، وهي أن قوات الشركة لن تتجاوز حدود المناطق التي امتلكها شجاع الدولة بموجب اتفاقية عام ١١٧٨هـ/١٧٦٥م ، وكذلك محافظات كوره وإله آباد اللتين ضمتا إلى أملاكه بموجب اتفاقية بنارس ، وكذلك يجب أن تكون تلك القوات خاضعة لاستدعاء الشركة في حالة الحاجة لها لخدمتها الفورية ، واستنادا لتلك المبادئ طالب المجلس بتوقيع اتفاقية مع خليفة شجاع الدولة ، مع التأكيد بأن الشركة ستقدم له كل مساعدة ممكنة وفاعلة تحتاجها بلاده في حالة غزوها من أية جهة [(١)]. وقد طالب المجلس بابقاء مجموعة من خيالة أوده ، وذكر في هذا الخصوص قائلا : " بما أن وجود مجموعة جيدة من فرسان الخيالة لن تكون ذات فائدة عظيمة في حالة الحرب فحسب ، بل ستقدم خدمات فريدة في دحر الغارات التي سيشنها الأعداء من الهنود الذين يثيرون بخيولهم في البلاد فسادا ،ثم ينسحبون من الساحة قبل أن يتمكن جنود المشاة من مواجهتهم ، فإننا نرى أنكم ستكونون قد قدمتم خدمة ضرورية للشركة اذا أقنعتم نباب أوده [(*)] Nabob of Oude ليحتفظ بمجموعة من فرسان الخيالة النظاميين الذين يشرف عليهم ضباط أوروبيون ويكونون تحت إمرتنا "[(٢)]. وهكذا حاز حاكم أوده ثقة الشركة إلى درجة لاتخشى

(*) أصل المصطلح هو " نواب " أي نائب السلطان ، وقد نقله بعض المصادر الانجليزية بلهجة عامية Nabob .

(١) K.K.Dātta ....: F.W.I.H.Correspondence, Vol. VII (1773-1776), p.132.

(٢) Ibid:p.132.

فيها عن وجود هذه المجموعة من القوات فحسب ، بل تعتبرها مساندة لمخططاتها ومدافعة عن الأخطار التي قد تواجهها .

لقد كانت لهذه النوعية من العلاقات بين الشركة الإنجليزية وإمارة أوده ، آثار استراتيجية بالنسبة لبقاء الشركة الانجليزية وتحديها الصعاب والمخاطر التي واجهتها ، ولقد رأينا في الفصل الثالث أنه كيف كانت الشركة قد أوشكت على النهاية في منطقة كارناتك نتيجة للضربات الموجعة التي تلقتها من إمارة ميسور المسلمة المجاهدة وحلفائها الفرنسيين ، ولكن قاعدة الشركة في بنغال لم تصب بأذى فحسب ، بل كانت دائما تنجد الشركة في المناطق الأخرى في الظروف الحرجة وتمول عمليات الشركة هنا وهناك ، وكان لإمارة أوده دورها في هذا الأمن والسلامة التي تمتعت بها الشركة في بنغال ، اذ حمتها هذه الإمارة من الهجمات البرية التي كان من الممكن أن تتعرض لها من قبل خصومها وخاصة من قبل المرهته كما أشرنا إليه سابقا ، ولو تمكنت هذه الإمارة من الصمود أمام أطماع الشركة ،لربما تغيرت مجريات الأحداث ، وذلك بانشغال كلكته في المخاطر القريبة لها ، وبالتالي عجزها حينئذ عن إرسال المساعدات العسكرية إلى الجنوب والغرب حيث كانت فروع الشركة هناك تتلقى الضربات القاتلة ، لو لم تسعفها مساعدات بنغال التي كانت تعتبر من أغنى أقاليم الهند خصوبة وثراءا ، الى أن حولها الانجليز من أفقر الاقاليم الهندية ، نتيجة نهب ثرواتها وتدمير مواردها، وتسخير امكاناتها في خدمة مجهود الشركة الحربي . ولقد ردت الشركة لكل معارضة وعدم الاستجابة لمطالبها المالية ، بالعنف والقهر والضم ، ويعتبر مصير بنارس وحاكمها من أوضح الأمثلة في هذا المجال .

كانت بنارس Banaras من توابع إمارة أوده Oudh إلى أن تنازل

عنها آصف الدولة لصالح السيادة الإنجليزية ، وكان يحكمها في هذا الوقت راجه چيت سنگه Raja Chait Singh خلفا لوالده بلوانت سنگه Balwant Singh الذي ترك له ملكا فسيحا وأموالا كثيرة (١).

كما أشرنا فإن كلا من رئاستي مدراس وبمبيء كانتا تعتمدان لدرجة كبيرة جدا على بنغال في حصولهما على الأموال ، ونتيجة لتكاليف حروبهما الباهظة في عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م وتمويل ذلك من بنغال ، نضبت الخزينة من الأموال وأصبحت خالية رغم محاولة هستنجز انتهاز كل نوع من أنواع الفرص السانحة لجمع الأموال، وتحت ضغط هذه الظروف المالية الحرجة للشركة ، طلب هستنجز إعانة مالية ضخمة من راجة بنارس المذكور آنفا ، إلا أن الراجة رفض ذلك الطلب مما دفع بهستنجز أن يتوجه بنفسه إلى بنارس لتحصيل مايريده من أموال (٢).

في طريقة إلى بنارس ، وصل هستنجز إلى بكسر حيث كان الراجه چيت سنگه Raja Chait Singh في استقباله ومن هناك رافقه إلى بنارس ، حيث كرر له هستنجز مطالبته ببذل قصارى جهده لجمع الأموال وتوفير نفقات الشركة ، وامتنع الراجه مرة أخرى عن تلبية هذا الطلب ، وما كان من هستنجز إلا أن أمر بوضعه تحت المراقبة والإقامة الجبرية ، ثم كون لجنة للتحقيق معه كما أرسلت وحدة من جنود الشركة إلى إحضاره ، إلا أن أفراد الراجه قاموا بقتل وجرح الضباط والجنود

---

(١) آمر سنگه خوشدل : بزم خيال، مخطوط فارسي في المتحف البريطاني تحت رقم (Or. 1751 ق ٣٩ أ .

V.D. Mahajan: India since 1526, part.II, p.64.

(٢) آمر سنگه خوشدل : بزم خيال ، ق ٣٩ ب - ٤٠ أ ،

A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.254,

V.D.Mahajan: India since 1526, part.II, p.65.

الإنجليز وإنقاذ الراجه الذي أمر لاستدعاء جنوده الذين هزموا الوحدة الإنجليزية مما جعلهم أكثر جرأة فدبروا قتل الحاكم العام أو أسره بهجوم ليلي خاطف إلا أن هستنجز علم بالأمر وغادر المكان إلى منطقة آمنة وذلك في غرة شهر رمضان عام ١١٩٥هـ / أغسطس ١٧٨١م حيث استدعى قوات أخرى لحمايته (١).

في صباح اليوم الأول من شهر رمضان ، هاجم رجال الراجه ، بنارس وحديقة مادهوداس التي كان قد غادرها الحاكم العام الإنجليزي ، وقاموا بإيذاء الانجليز ونهبهم كما أهانوا المتعاونين معهم ، ونودي في المدينة أن أي واحد يعرف عن رجال الشركة والمتعاونين معها شيئا ولايخبر عن ذلك فسيلقى عقابا ، كما أصدر الراجه أوامره إلى ملاك الأراضي بأن أي واحد منهم يتمرد ضد الشركة ، فسيعفى من دفع الضرائب لمدة عام كامل ، كما قام رجاله بنهب السفن الإنجليزية التي كانت قد قدمت من بنغال برفقة الحاكم العام، وقد كسروا كثيرا من السفن وألقوا بها في البر ، كما أغرقوا البعض الآخر (٢)، وأسروا أعدادا كبيرة من الإنجليز وفيهم عدد من التجار الفرنسيين ، وكان هستنجز قد غادر مدينة بنارس ولجأ إلى حصن چنار Chunar الواقع على ضفة نهر كَنَك (٣).

طلب الراجه چيت سنگه Raja Chait Singh إلى آصف الدولة حاكم أوده الوقوف إلى جانبه للقيام بطرد الإنجليز إلى كلكته ، وطمأنه بأنه سوف يتمكن من الاستيلاء على قلعة چنار Chunar المحاصرة ، خاصة أنها

---

(١) علي ابراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٣٦ ب - ٣٧ ب ، أمر سنگه خوشدل : بزم خيال ، ق ٣٩ ب - ٤٠ أ .

(٢) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٣٧ ب - ٣٨ ب .

(٣) أمر سنگه خوشدل : بزم خيال ، ق ٤٢ أ .

تعاني من قلة المؤن (١)، إلا أنه لم يتلق أي رد إيجابي فحسب بل أكثر من ذلك أعلن آصف الدولة وقوفه إلى جانب هستنجز المحاصر الذي استدعى القوات من كل مكان ، فوصلته قوات مساعدة من إله آباد حيث تمكنت من الاستيلاء على القرى الواقعة في الجانب الآخر من النهر المحازي لقلعة چنار وأرسلت من هناك المواد التموينية إلى داخل القلعة ، كما تمكنت القوات الإنجليزية من تفريق قوات الراجه وذلك في العاشر من شهر رمضان عام ١١٩٥ هـ / أغسطس ١٧٨١م (٢)، وتوالى وصول القوات الإنجليزية التي تمكنت في النهاية من هزيمة قوات بنارس في غرة شهر شوال ، وهرب الراجه واضطر أعوانه إلى طلب الأمان ، ووافق الإنجليز على الطلب شريطة أن يغادروا قلاعهم بأيد خالية دون أن يحملوا معهم أية أموال ومجوهرات ، فدخل الإنجليز القلاع بعد أن غادرها أعوان چيت سنگه ، واستولوا على مافيها من الذهب والفضة والفروش والخيام وغير ذلك ،ثم عاد هستنجز إلى كلكته محملا بما استولى عليه من بنارس (٣).

هكذا قضى على مقاومة بنارس ونهبت ثرواتها بعد أن خذلها حاكم أوده ،ومرة أخرى نرى دور أوده في تدعيم سيطرة الشركة في هذه المنطقة من الهند،إذ كانت القوات القادمة من أراضيها أسبق القوات التي بادرت لنجدة حاكم عام الشركة المحاصر ، ورغم هذا التخاذل بحق مصير بلاده وتلك الخدمات التي قدمها حاكم أوده للشركة ، طالبه هستنجز حاكم عام الشركة هو الآخر بتقديم الإعانات المالية

---

(١) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٣٨ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٣٩ ب – ٤٠ ب .

(٣) أمر سنگه خوشدل : بزم خيال ، ق ٤٤ أ – ٤٥ أ ،

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.515.

لملأ خزانة الشركة التي أفرغتها حروب ميسور، والتمس حاكم أوده إعفاءه من هذه الطلبات التي لايقدر عليها، ولكن رد عليه هستنجز بأنه لايهمه ضيق معيشة النواب أو بسطه ، وما يهمه هو حاجته الكبيرة للنقود ، وتوجه هستنجز شخصيا إلى أوده وارتكب بحق عائلة النواب تلك المأساة التي لم يسبق لها مثيل ، إذ أجبر آصف الدولة أن يكره حرمه وسائر أميرات القصر بتسليم حليهن ومجوهراتهن إلى الشركة الإنجليزية ، وحصل هستنجز على تلك المجوهرات بالتهديد والتجويع والتعطيش (١).

مع أننا لاحظنا بأن سياسة الإلحاق وتوسيع نفوذ الشركة عن طريق عقد الاتفاقيات الثنائية قد طبقت منذ عهدي كلايف وهستنجز ، إلا أن هذه السياسة قد أصبحت نهج الشركة وطبقت بصورة أوسع وأشمل في عهد حاكم عام ممتلكات شركة الهند الشرقية الإنجليزية ولزلي Richard Wellesely (١٢١٢ - ١٢١٩هـ/ ١٧٩٨ - ١٨٠٥م) الذي ترك جانبا سياسة التحفظ عن التدخل في الشئون الداخلية للإمارات الهندية والتورط في منازعاتها التي اتبعه شيئا ما خليفتا هستنجز، كورنوالس Cornwallis (١٢٠٠ - ١٢٠٧ هـ / ١٧٨٦ - ١٧٩٣ م) والسير جان شور Sir John Shore (١٢٠٧ - ١٢١٢ هـ / ١٧٩٣ - ١٧٩٨ م) ولقد وضع ولزلي خطة لاستيلاء الشركة على جميع الهند ، وذلك بتدعيم إدارات الشركة بالقوة العسكرية وقمع أية مقاومة ، وقبل أن يعين حاكما عاما ، كان ولزلي قد عمل

---

(١) مير غلام محمد غبار : آفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤١٩ ،
آلبر ماله : تاريخ قرن هيجدهم ، ص ٢٢٧ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, pp.515-516.
V.D. Mahajan: India since 1526, part.II, p.65.

لسنوات في مجلس رقابة الشركة ، ومن هنا فقد كان خبيرا بالأوضاع وملما بتطورات مجريات الأحداث (١).

لقد تولى ولزلي قيادة الشركة الإنجليزية في الهند ، في الوقت الذي كانت هذه الشركة تواجه تحديات كبيرة ، وشعر ولزلي أن سياسة سلفه السيرجان شور المتحفظة تجاه التدخل في شئون الإمارات الهندية ، قد أدت إلى تقدم النفوذ الفرنسي في تلك الإمارات ، مما كان يهدد مستقبل الإنجليز الاستعماري في الهند. وكما شاهدنا في الفصل الثالث لقد جدد السلطان تيبو حاكم ميسور قواه ، ووطد علاقاته مع الفرنسيين وكان يبحث عن كل حليف يشاركه في معاداة الإنجليز، كما أن نظام حيدر آباد قد أغضبه حياد الإنجليز تجاه نزاعه مع المرهته مما أدى إلى هزيمته فبدأ يميل إلى الفرنسيين واستخدم ضباطا منهم لتدريب جيشه وتنظيمه ، كما كان ضابط فرنسي آخر يقوم بتدريب قوات سندهيه المرهتية ، ولاشك أن هذه الإمارات كانت القوة المؤثرة الهندية في تلك الفترة ، وأن انحيازها إلى جانب الفرنسيين والسماح لهم بتدريب تلك القوات الهندية وتسليحها ، كان تهديدا جديا للوجود الإنجليزي في شبه القارة الهندية ، خاصة بعد أن تولى نابليون الحكم في فرنسا ولم يخف أهدافه في طرد الإنجليز من الهند ، ومن هنا رأى ولزلي أن سياسة عدم التدخل سياسة عقيمة وفاشلة لاتتناسب مع الوضع القائم في الهند فصمم أن تحول شركة الهند الشرقية الإنجليزية إلى القوة العسكرية الأقوى في الهند لتتمكن من الاشتراك بفعالية في الصراعات القائمة على السيطرة فيما

---

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٦٤ ،
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.76.
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤١٩ .

أفرزه تفكك الدولة المغولية ، ولتلبي نداءات الاستعانة من الإمارات المتنازعة التي تتوجه إليها ، وتكون الشركة في النهاية هي المسيطرة على الأوضاع سواء بتوسيع ممتلكاتها بالضم والإلحاق ، أو بمد نفوذها في الإمارات الهندية والتحكم على شئونها ، وعلى الأخص في المجال العسكري والعلاقات الخارجية ، وذلك بعقد الاتفاقيات (١)، ولقد اختار ولزلي سياسة الإلحاق Annexation تجاه الإمارات الصغيرة الضعيفة ، وأما فيما يتعلق بالإمارات الكبيرة القوية فقد جعل ولزلي هذه الإمارات تدخل في حلف مع شركة الهند الشرقية الإنجليزية سمي بنظام الحلف التعاوني(٢) System of Subsidiary Alliance

وطبقا لهذا النظام فإن الحاكم الذي كان يقبل به كان عليه أن يقبل بالاعتراف بسلطة الشركة الإنجليزية العليا في الهند ، وأن يمتنع عن إجراء الاتصالات أو المحادثات مع أية دولة أو إمارة إلا بموافقة من سلطات الشركة العليا ، وأن لايقوم باستخدام أي واحد من الأوربيين في شئون إمارته ، وأن يعزل الموجودين منهم ماعدا الإنجليز، وأن يقبل بإقامة مندوب إنجليزي في بلاطه وأن يقبل شركة الهند الشرقية الإنجليزية حكما في المنازعات التي قد تحدث مع إمارة أو إمارات أخرى ، وأن يسمح باستقرار قوات إنجليزية في أراضيه وعلى نفقته (٣)، ومقابل

---

(١) V.D.Mahajan: India since 1526, part.II,p.92.
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, part.II,p.76.

(٢) Ibid:p.77,
V .D. Mahajan: India since 1526, part.II,p.94.

(٣) V.A.Smith: The Oxford History of India, p.552,
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, part.II,p.77,
V.D. Mahajan: India since 1526, part.II,p.94.

قبول تلك الشروط ، تعهدت الشركة بالدفاع عن الحاكم الذي قبل بنظام الحلف التعاوني ، أمام أي خطر داخلي أو خارجي (١).

بالدخول في ذلك الحلف ، كانت الإمارة تفقد استقلالها السياسي وتصبح محمية إنجليزية ، وكانت النتيجة لاتختلف كثيرا عن الضم المباشر ، بل كانت الشركة الإنجليزية تكسب ماتهدف إليه دون أن تتحمل الخسائر البشرية والمادية التي تحملتها في الإلحاق بالقوة للإمارات التي قاومت الإنجليز ورفضت الدخول في الحلف التعاوني • وبتطبيق هذا النظام زادت موارد الشركة ، وكانت الإمارات التي قبلت به تتكفل النفقات أو تتنازل عن أجزاء من أراضيها لتتمتع بحماية الشركة ، وكانت الفوضى وفقدان الأمن والاستقرار السياسي الذي كانت تعيشه الهند، قد ساعد الشركة في نجاح سياسته تلك ، إذ كان حكام الإمارات الخائفة من جيرانها يسارعون بقبول ذلك الحلف لتأمن إماراتهم شر الهجوم والغارات ، دون أن يعيروا اهتماما لمعنى السيادة والاستقلال السياسي ، مقتنعين بما كانوا يحملونه من ألقاب في غير موضعها • كذلك مكن الحلف التعاوني الشركة الإنجليزية من أن تبعد الحروب عن حدودها وتجعل من الإمارات التي دخلت الحلف حاجزا ضد امتداد المعارك إلى الأراضي التي تخضع مباشرة لسيادة الشركة ، كما تمكن ولزلي أن يقضي بهذه الطريقة على النفوذ الفرنسي خاصة بعد القضاء على السلطان تيپو الذي رفض الدخول في الحلف ، إذ كان على كل إمارة تدخل في الحلف ، أن يخرج من أراضيها الأوربيين من غير الإنجليز(٢) ، وعمل ولزلي على تسريح جيوش

---

(١) Ibid:p.94

(٢) Ibid:p.95

تلك الإمارات أو تخفيض عدد أفرادها ، بعد أن اعتمد كل حاكم في دفاعه الخارجي وأمنه الداخلي على القوة العسكرية الإنجليزية المتفوقة ، طبقا للاتفاقيات الثنائية التي لعبت دورا هاما في نمو سيادة الشركة الإنجليزية وإحكام سيطرتها على الهند (١).

مرت شركة الهند الشرقية الإنجليزية في اتباع هذه السياسة بمراحل، حيث بدأتها بمشاركتها في الحروب الهندية عندما قدمت إعانات في شكل كتائب عسكرية لبعض الأمراء الوطنيين الذين كانوا يتمتعون بالسيادة ، كما رأينا ذلك في مساعدة هستنجز لحاكم أوده في حربه ضد روهيله ، وفي المرحلة الثانية ساعدت الشركة في تدريب قوات بعض الأمراء وشاركتهم في حروبهم كما شاركوها في حروبها ومثال ذلك ما رأيناه في حيدر آباد بالدكن حيث دربت الشركة قوات هذه الإمارة تحت قيادة آرتر ولزلي Arthur Wellesley واستخدمتها في عملياتها المختلفة، ثم جاءت بعد فترة قصيرة مرحلة أصبحت فيها الحاجة للحليف المحلي هو توفير المال وليس الرجال ، والتزم الإنجليز برعاية وتدريب ودفع رواتب عدد محدد من الجنود (٢) . وفي الحقيقة لقد صرف الأمراء المحليون مبالغ ضخمة في المحافظة على مجموعات الجنود التي كانت إدارتها سيئة وكان التحكم عليها صعبا لاسيما وأنها كانت تدخل في عراك مسلح مع بعضها البعض ، فزعم بعض الأمراء أنه بقبولهم تسريح جنودهم أو تخفيض أعدادهم إلى درجة كبيرة سوف يوفر لهم مواردهم المالية ويتخلصون من هؤلاء الجنود المتمردين ويجلسون في قصورهم عن

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.315

(٢) Ibid: p.316

V.D.Mahajan: India since 1526, part.II, p.94.

طريق الدخول في عقود مع إدارة مقتدرة وماهرة تقوم بجدية بتدبير العمل العسكري مقابل إعانة محددة ، وعندما كانوا يعجزون عن دفع النفقات العسكرية بانتظام كانوا يخصصون قطعا من الأراضي لدفع رواتب الجنود (١). ومن الجدير ذكره أنه بعد القضاء على النفوذ الفرنسي العسكري في الإمارات الهندية ، لم يبق أمام الأمراء المحليين مرجع آخر غير الإنجليز ليقوم بتدريب قواتهم وتنظيمها على نمط أوربي حديث ، فكان الأمراء يضطرون إلى تسريح جيوشهم تحت ضغط الإنجليز وإصرارهم، وكان توقيت هذا التسريح بيد الإنجليز ، فعلى سبيل المثال عندما أراد آصف الدولة حاكم أوده تسريح قواته ، طلب مجلس إدارة الشركة في لندن الإبقاء على مجموعات من هذه القوات (٢)، ولكن بعد فترة (١٢١٦هـ / ١٨٠١م) أجبرت الشركة في عهد ولزلي حاكم أوده على تسريح قواته حتى يمكن دعم المزيد من القوات الإنجليزية (٣)، كما أجبره ولزلي على أن يتنازل له عن جزء من أراضيه الواقعة بين نهري كَنْكْ Ganges وجمنا Jamuna بما في ذلك أراضي روهيله التي سبق أن استولت عليها أوده بمساعدة من الشركة الإنجليزية (٤). وهكذا لم تلتزم

---

(١) A.V.jackson : History of India, Vol.VIII,p.317

(٢) K.K.Data : F.W.I.H. correspondence, Vol.VII (1773-1776), p.132.

(٣) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII,p.318

(٤) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٣ ،

K.Ali:A New History of Indo-Pakistan, part.II,p.87

A.J.Wensinck : سعادت على خان (دائرة المعارف الاسلامية)ج١١،ص ٣٩٢

C.Collin Davies : اوذ (دائرة المعارف الاسلامية) ، ح٣، ص ١١٦ .

الشركة نفسها بالتزاماتها بموجب الحلف التعاوني الذي وضعته لصالحها ، ومع ذلك فكلما كانت تشعر بأن الضم المباشر أنفع لها ، لم تكن تتردد في إلحاق أراضي الإمارات الداخلة في الحلف إلى سيادتها المباشرة .

لم تكن الأموال التي تطالبها الشركة الإنجليزية بموجب الحلف التعاوني متناسبا مع موارد الإمارات الهندية ، فكانت النتيجة أن يقوم حكام هذه الإمارات بتحصيل الأموال من رعاياهم ولو تم ذلك على حساب رخاء الأهالي ، وكان الحكام يقبلون غضب رعاياهم وإفقارهم ، ليتجنبوا مطالبة الشركة بالتنازل لها عن الأراضي لتسديد ما التزموا به من النفقات ، ومع ذلك فقد رأينا في أوده أن الشركة استولت على جزء من أراضيها على الرغم من أن حاكمها لم يتأخر عن دفع الأموال التي التزمت بها بموجب الحلف التعاوني .

كذلك كان من الآثار السيئة لذلك النظام أيضا ، أن حكام الإمارات الهندية وجدوا أنفسهم في فراغ عن تحمل مسئوليات الحكم بعد أن ضمنت لهم الشركة بقاءهم ، فاستكانوا لحياة الترف والانغماس في الفساد ، وكلما استمروا على رأس إماراتهم كلما ازدادت غضبة رعاياهم عليهم وفي نفس الوقت ازدادت حاجتهم إلى الاعتماد على شركة الهند الشرقية الإنجليزية والاستسلام لمطالبها على حساب ثروات الهند ورخاء الهنود (١).

على أية حال لقد تمكنت الشركة بفضل اتباع سياستها الإلحاقية والتحالفية ، أن تقضي على خصوم الشركة الأقوياء ، أو أن تجبرهم في الالتحاق بالحلف التعاوني ، واستمرت الشركة في اتباع هذه السياسة إلى أن قضت بها على آخر إمارة هندية وهي إمارة السيخ في پنجاب .

---

(١) V.D.Mahajan: India since 1526, part.II, p.95
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥١٦ .

قانون الشغور

من الوسائل التي استخدمتها شركة الهند الشرقية الإنجليزية في إحكام سيطرتها على الهند ، هي تجارتهم في العروش والحكام إلى جانب تجارتهم في الأموال ، ومن خلال استعراضنا لتاريخ الفترة المتأخرة من الدولة المغولية رأينا أنه كم كانت تلك الإمارات والألقاب كثيرة ، وكم كثر المتنازعون على حكم الإمارات من حين لآخر ، ولقد استغلت الشركة هذه الأوضاع للكسب المادي وذلك بالحصول على أموال باهظة عن الحكام الذين ساعدتهم في الوصول إلى الحكم، ومع أن هذا النظام الذي سمي بقانون الشغور Doctrine of lapse ينسب إلى دلهوزي Delhousie حاكم عام الشركة في الهند (١٢٦٤هـ - ١٢٧٢هـ/١٨٤٨ - ١٨٥٦م) الذي قام بالاستيلاء على كل إمارة يموت أميرها من غير أن يعقب عقبا مباشرا، إلا أن المساومة على تنصيب الحكام على الإمارات وحصول مكاسب للشركة بهذه الوسيلة ، كان قد بدأ منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري إثر بدء النزاعات المسلحة الاستعمارية في كل من كارناتك في الجنوب وبنغال في الشرق .

ولقد رأينا في الفصل الثاني أنه كيف وقف الإنجليز إلى جانب محمد علي خان ونصبوه حاكما على تلك المنطقة بعد أن قاتلوا جندا صاحب حاكمها السابق وأسروه وقتلوه وذلك في عام ١١٦٥هـ / ١٧٥١م (١)، ونتيجة لذلك وسع الإنجليز نفوذهم في منطقة كارناتك ، وعندما خلا الجو لهم تماما ولم يبق هناك من ينافسهم استغنوا من الإبقاء على تلك الإمارة وألحقها ولزلي إلى ممتلكات الشركة

(١) علي إبراهيم خان : گلزار إبراهيم ، ق ٦ أ ،
ميرحسين على كرماني : نشان حيدري ، ق ٨٩ أ ،
هرنام سنگه : تاريخ سعادات جاويد، مخطوط فارسى فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم OR. 1820 ق ١٥٧أ - ١٥٧ ب .

الإنجليزية بتهمة وجود علاقات بين حاكمها والسلطان تيبو حاكم ميسور[١] الذي قضي على إمارته الإنجليز بمساعدة من آركات وحيدر آباد وپونه .

في بنغال رأينا أن الإنجليز انهزموا أمام قوات سراج الدولة وأنهم التمسوا الصلح معه وتعهدوا له بدفع مئات الآلاف من الروبيات إذا تصالح معهم وسمح لهم باستعادة مراكزهم في كلكته[٢]، إلا أنهم تمكنوا من إجراء اتصالات مع مير محمد جعفر خان أحد كبار رجالات حاكم بنغال ورتبوا معه تنصيبه في حكم هذه الولاية مقابل أن يساعدهم في القضاء على سراج الدولة ويقدم لهم مبلغا قدره ثلاثون مليون روبية ، وقد تم تنفيذ ما اتفق عليه ، إذ قامت قوات الشركة بالهجوم على سراج الدولة ، وفي اللحظة التي كادت تحسم المعركة لصالح قوات بنغال، أخذت المؤامرة طريقها إلى التنفيذ فشتت الطابور الخامس قوات سراج الدولة من الداخل ، كما قاموا بأسر المذكور وقتله ، ثم أجلس مير جعفر المتآمر على عرش إمارة بنغال في يوم السبت السابع من شوال عام ١١٧٠هـ / يونيو ١٧٥٧م وقام بجمع الأموال وتوزيعها على الإنجليز حسب الوعد الذي كان قد قطعه لهم[٣]، بل والأكثر من ذلك أنه شارك الإنجليز في معاركهم ضد ولاية أوده المجاورة ، وبفضل

---

(١) A.V.Jackson:History of India, Vol.VIII,p.314
K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, part.II,p.87.

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٦ .

(٣) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٧ ، ٦٤٠ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٣٧ .

هذا التآمر وذلك الانتصار الذي لم يكن الانجليز يتوقعونه ، أصبحوا أصحاب كلمة مسموعة في المنطقة بعد أن كانوا يتذللون للسماح لهم بممارسة أعمال التجارة المعتادة والتعهد بعدم تكرار ما بدر منهم من تدخل في شئون بنغال الداخلية (١).

استمر مير جعفر على رأس إمارته تلك لأكثر من ثلاث سنوات ، ثم رأى الإنجليز أن يجعلوا منصبه شاغرا ويتساوموا في تنصيب آخر مكانه بعدما ثبت لهم أن هذه التجارة تدر عليهم مكاسب ضخمة وسهلة تفوق بكثير المكاسب التي يحصلون عليها عن طريق التجارة في البضائع ، فرتبوا الأمر مع صهر مير جعفر لينصبوه حاكما على أمل أن يكون أكثر نشاطا وسخاءا لملأ خزينة الشركة الإنجليزية ، ولقد رفض مير جعفر التنازل لصهره مير محمد قاسم خان ، إلا أن الإنجليز أجبروه على ذلك إذ طوقت قوات الشركة مقر إمارته وأجبرته على الخروج وأجلست مكانه مير محمد قاسم وذلك في يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول عام ١١٧٤ هـ/ أكتوبر ١٧٦٠ م وأبقت الشركة على بعض قواتها هناك تحسبا لأي طارئ إلى أن غادر مير جعفر مرشد آباد إلى كلكته مع أفراد عائلته حاملا معه الخزانة ومجوهرات نفيسة نادرة وكنوز مما تركها حكام بنغال القدامى (٢)، وهكذا تكون الشركة الإنجليزية قد كسبت من نصب مير جعفر وعزله ، حيث أن هذه الأموال الطائلة التي حملها معه إلى كلكته في وسط الإنجليز لم تكن لترجع إلى خزينة بنغال بل ذهبت هي الأخرى إلى أيدي حكام الشركة لتأخذ طريقها من هناك إلى لندن ، كما احتفظ الإنجليز

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٩٤ - ٦٩٥ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٤٦ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.470.

بمير جعفر تحسبا لأي طارئ وضغطا على مير قاسم حتي يلبي كل طلب تجنبا من إقصائه وإعادة مير جعفر مكانه ، وهو ماحدث بعد فترة وجيزة إذ وجد مير قاسم خزانة الإمارة خالية فلم يتمكن من تسديد المبالغ التي كان قد وعد بدفعها إلى الإنجليز ، فاضطر أن يتنازل لهم عن أراضي منطقة بردوان Burdwan وثلاث محلات أخرى القريبة من كلكته ، وبدأ بالاستيلاء على مجوهرات ونقود النبلاء والأعيان [(١)] الذين كسبوا هذه الأموال نتيجة ارتباطهم بأسر بنغال الحاكمة ،وذلك ليوفر طلبات الإنجليز من جهة ويسدد رواتب جنده من جهة أخرى بعد أن لم يجد في خزانة الإمارة ماينفقه . ومع كل هذا لم تكن طلبات الشركة المالية تعرف حدا، إذ طالبته مجددا بدفع مليونين من الروبيات ، إلا أن مير قاسم رفض تلبية هذا الطلب وذكر في رسالة للإنجليز أنه ليس مديونا لهم بدينار أو درهم بعد أن حصلت الشركة الإنجليزية على بردوان وثلاث محلات أخرى مقابل أن تتوقف الشركة عن أية مطالبة مالية ، وأنه نفذ جميع التزاماته المالية للشركة ، بل ودفع خمسمائة ألف روبية إضافية حتى تتأكد الشركة عن صداقته تجاهها، وأنه لم يحدث أن استقرض عن القائمين بأمور الشركة أي مبلغ ، وليس لهم عليه أية مستحقات، وبالتالي فلن يدفع لهم شيئا [(٢)]. وكان رد فعل الإنجليز ازاء هذا الرفض ، أن قاموا بأعمال النهب وإخلال الأمن في أراضي حاكم بنغال والاستخفاف به وإحداث عشرات من المراكز الخاصة لهم في بنغال دون إذن من مير قاسم، كما استولوا على أموال الرعايا والتجار غير الإنجليز بالقوة، وفرضوا أسعار البيع والشراء حسب

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٦٩٧ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.470

(٢) Official letters : ق ١ ب – ٢ ب .

هواهم حيث كانوا يشترون بأبخس الأثمان ويبيعون بأضعاف مايشترون ، وتحملت خزينة الإمارة من جراء ذلك خسارة سنوية بلغت مليونين ونصف مليون من الروبيات (١) .

لقد اشتكى مير قاسم خان عن هذه الأوضاع دون جدوى إلى هنري ونسترت Henry Vansittart رئيس الشركة الإنجليزية في كلكته ، وبلغت الحالة إلى الحد الذي عجز النواب عن القيام بأعباء إمارته المالية ، وذلك نتيجة انقطاع إيرادات الإمارة عن الضرائب والخراجات شيئا فشيئا ، إذ تحكم الإنجليز في موارد الإمارة دون أن يدفعوا الضرائب ، فأبلغ مير قاسم كلكته في جمادي الأولى عام ١١٧٦ هـ/ نوفمبر ١٧٦٢م بأنه سوف يستمر في إعفاء الشركة من دفع الضرائب إلا أنه يطالب حاكم كلكته بالسماح لتحصيل الضرائب عن سائر الإنجليز، لأن جميع المعاملات التجارية تتم تحت حماية هؤلاء تهربا من دفع الضرائب مما جعل خزانة الإمارة تتحمل خسائر كبيرة ، إلا أن كلكته لم تقبل هذا الالتماس (٢)، فأصدر مير قاسم إلى عماله تعليمات تقتضي بعدم السماح لمزاولة أعمال التجارة إلا لمن يقوم بدفع الضرائب ، وتنفيذا لهذه التعليمات منعت السلطات المختصة في بنغال التجار الإنجليز من تصدير بضائعهم أو تسويقها بعد أن رفضوا التقيد بالتعليمات وهنا قام الإنجليز في بعض الأماكن باعتقال موظفي الجمارك ونقلهم إلى كلكته لمحاكمتهم ومعاقبتهم ، مما جعل مير قاسم يرد بالمثل حيث أصدر أوامره لاعتقال

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٥ أ - ٥ ب .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧١٦ ،

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.471.

بعض الإنجليز (١)، وكما رأينا في الفصل الثاني أدت هذه التطورات إلى نشوب معارك بين الجانبين ولجوء مير قاسم إلى أوده لتعيد الشركة الإنجليزية ميرجعفر إلى حكم بنغال ثانية بعد أن احتفظته في كلكته لمثل هذا اليوم لتساوم في تنصيبه من جديد .

في الحقيقة لم يكن هناك إجماع لدى حكام الشركة في إقصاء ميرجعفر، بل كان هناك جناح معارض لتعيين مير قاسم من الأول وكانوا يرون في مير جعفر الشخص الذي لايشك في ولائه للشركة ، بالإضافة إلى ذلك فإن بقاء مير جعفر في كلكته مقر حاكم الشركة جعله يوثق صلاته أكثر بالجناح المعارض لمير قاسم- خاصة بعد أن عجز هذا الأخير عن تلبية طلبات الشركة المالية التي لم تعرف حدا. في يوم من الأيام - ويخطط للإطاحة به والعودة إلى حكم بنغال تحت حماية الشركة والولاء لها ، وفي هذا الإطار قد بعث برسائل إلى لندن يستعطف روبرت كلايف الذي كان له الفضل في تنصيبه حاكما لبنغال في الفترة الأولى ، ثم عاد إلى إنجلترا بعد انتهاء مدة عمله حاكما لرئاسة الشركة في كلكته ، وقد كتب مير جعفر إليه في رسالة مطولة يستعطفه فيها ويؤكد على إخلاصه للشركة الإنجليزية شاكيا عدم تقدير الشركة لهذا الإخلاص والولاء فيقول :

" قرة عينى النواب المحترم الأعز لدى قلبي من نفسي أطال الله عمره وزيد إقباله ... بعد مغادرتكم اختلت أحوالي كثيرا بطريقة يعجز القلم عن تحريرها ومع ذلك سوف أطلعكم على بعض من هذه الحالات . قبيل مغادرتكم تفضلتم بتقديمي إلى الميجر كليو والمستر هستنجز يدا بيد ورأيت في أقوالكم وأعمالكم كل خير

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧١٨،

V.D.Mahajan: India since 1526, part.II,p.39.

وصلاح لأحوالي ، فقمت بتعيين الميجر المذكور في عظيم آباد وأعطيته الفيل والحصان والجواهر وغيرها ، ولم أقصر في تلبية أي طلب منه أو من هستنجز ، وتعلمون أنني اعتمدت عليكم وعلى عهود الشركة الإنجليزية دون أن أبالي بتكوين جيش هندي ودون أن أشرك أحدا في أمور بنغال معتمدا في ذلك على الشركة الإنجليزية فقط ... ومغترا في ذلك على درجة لم أسمع أي اعتراض أو تشكك في صداقة الشركة والتزامها بعهودها ، وحدث أن أخبرني النواب ناصر الملك (*) بأن هناك مؤامرة لقتله بمشاركة من مير قاسم خان وتأييد من الميجر كليو وهستنجز إلا أنني طمأنته مؤكدا أنه لايمكن أن يغدره هذان الشخصان اللذان سلمني لهما النواب ثابت (**)جنك بيده ، وفي هذه الأثناء فجعت بموت ناصر الملك بصاعقة أصابته في منتصف الليل ليرتحل عن هذه الدنيا ويملأ قلبي هما وغما ، وقمت بتعيين الميجر كليو في مكانه في عظيم آباد معتبرا إياه ساعدي الأيمن في تلك المنطقة ... وفي هذه الأثناء تلقيت نبأ وصول خلفكم ونسترت إلى كلكته ،فاعتبرته فضلا إلهيا سوف يسعفني في هذه الأوضاع الفوضوية ، وحملت هستنجز برسالة إليه شرحت فيها أحوالي طالبا مساعدته في تلك الأوضاع التي كنت أمر فيها بحالة نفسية سيئة،إلا أنهم بدل أن يواسوني ويقفوا إلى جانبي ، دبروا عزلي وإجلاس مير محمد قاسم خان مكاني مقابل ماوعدهم من الأموال ، ثم توجهوا معا إلى مرشد آباد حيث بادرت باستقبال ونسترت في قاسم بازار قبل أن يصلوا إلى مرشد آباد ، وهناك أكدوا على العهود حالفين بالله وحضرة عيسى عليه السلام كما

(*) هو مير مدن بن مير جعفر صاحب الرسالة .

(**) يقصد كلايف ، وقد تلقب كبار الإنجليز بمثل هذه الألقاب التي كانت رائجة بين الأمراء المحليين في تلك الفترة .

حلفت لهم حسب طلب ونسترت ، وهكذا اطمأننت على عهودهم وتحلفهم ، إلا أنه في اليوم التالي عرضوا علي ما اتفقوا عليه في كلكته خلافا لكل تعهداتهم ، فانسحبت من الجلسة ودخلت إلى القلعة ، وفي صباح اليوم التالي جاء الميجر كليوسيف جنگ ومير محمد قاسم خان بقوات طوقت القلعة طالبين خروجي منها فاخترت الخروج حيث أجلسوا مير محمد قاسم خان علي " مسند نظامت "(*) وأرسلوني إلى كلكته مع عدد من أفراد عائلتي من النساء والأطفال، وبذلك شوهوا صورة الشركة الإنجليزية لدى الخواص والعوام ، كما قام هستنجز وغيره بموافقة ونسترت والميجور كليو وغيرهما بنهب النقود والمجوهرات والأقمشة وسائر الأجناس التي كانت في السفينة النسائية ، ولم يتركوا لراكبات السفينة إلا الملابس التي كن يلبسنها ، ثم استولوا على النقود والأجناس والمجوهرات التي كانت في خزانة " نظامت "(**) ووزعوها فيما بينهم ... وهكذا أساؤوا إلى سمعتكم وسمعة الشركة في هذه البلاد ، ولأن إهانتي هي إهانة لحضرتكم العزيز على من نفسي، أطلعتكم على مجريات الأحداث لتتخذوا على ضوئها ماترونه مناسبا "(١).

هكذا كانت سذاجة هؤلاء الناس الذين لم يعرفوا الإنجليز على حقيقتهم وصدقوهم في كل ماقالوه ، وحتى أن مير جعفر أصبح يتوقع أن يتألم الإنجليز من فقدان ابنه العزيز لديه كما يتألم هو ، حتى وبعدما عرفهم على حقيقتهم أعماه حبه للسلطة الزائفة وجعله يتعامل ويتساوم معهم من جديد ليعيدوه إلى مرشد آباد بعدما انقلب عليهم مير قاسم الذي عجز عن الوفاء بطلبات الشركة

(*) أي منصب الولاية .

(**) أي الولاية أو الإمارة .

(١) Official letters : ق ٤٤ أ - ٤٦ ب .

الإنجليزية المالية بعد أن استولت الشركة على الكنوز والخزائن وموارد الإمارة الاقتصادية ، وقد دفع مير جعفر للشركة في هذه المرة أكثر من أربعة عشر مليونا من الروبيات [1]ليصبح حاكما لبنغال للفترة الثانية التي استمرت من ١١٧٧هـ إلى ١١٧٩هـ / ١٧٦٣م - ١٧٦٥م ونجح في اختبارات الولاء للشركة الإنجليزية التي جعلت حكم بنغال الصوري وراثيا في أسرته بعد وفاته ، حيث أجلسوا مكانه ابنه الأكبر مير پهلواري الملقب بنجم الدولة ، وفي هذه الفترة أصبحت الشركة الإنجليزية تسيطر تماما على مجالات الحياة في بنغال ، كما أصبح الحاكم الصوري موظفا لدى الشركة التي قررت لنجم الدولة راتبا سنويا قدره ستة ملايين روبية ، دون أن يكون له حق التدخل بأي أمر من أمور الإمارة [2]، ومنذ ذلك الحين تطورت تجارة الشركة الإنجليزية في العروش والحكام في إقليم بنغال ، من المساومة في تنصيب من يدفع أكثر ، إلى المساومة لتنصيب من يقتنع بأقل راتب تحدد له الشركة ، فبعد وفاة نجم الدولة في الثاني والعشرين من ذي القعدة عام ١١٧٩هـ / مايو ١٧٦٦ م خلفه شقيقه سيف الدولة الذي حددت له الشركة راتبا سنويا قدره مليونان وأربعمائة ألف روبية، وبعد أن توفي هو في عام ١١٨٣هـ / ١٧٧٠ م ، تم تنصيب الابن الثالث لمير جعفر وهو مبارك الدولة [3]في مكانه ، وقامت الشركة بتقسيم

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٩١ .

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٧١ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٦٩ - ٦٧٠ .

(٣) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٧٥ ، ٧٨١ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٠ ،
K.K.Datta : F.W.I.H. Corresponden ce, Vol.XII (1793-1795), p.542.

ولايات بنغال وبهار وأوريسه إلى ست مناطق وعينت على رأس كل منطقة لجنة إنجليزية تقوم بالإشراف على شئونها دون مشاركة من الهنود ، وصدرت الأوامر بعزل جميع الهنود الذين كانوا يعملون في تحصيل الخراج ، وقام بعملية العزل والنصب هذه وارن هستنجز Warren Hastings حاكم عام ممتلكات الشركة في الهند في عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م ، وأرسل المعزولين ليقيموا في كلكته (١).

استمرت الشركة بهذه الطريقة في إحكام سيطرتها على بنغال ، وبعد وفاة مبارك الدولة في عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م أجلست على كرسي الحكم في بنغال ابنه الأكبر ناصر الملك ، وقد أخبر حاكم عام الشركة في الهند مجلس إدارة الشركة في لندن عن هذه التطورات في خطاب بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٢٠٨هـ /٢٧ أكتوبر ١٧٩٣ م قائلا : " ... وبما أن حق التربع على عرش الصوبدارية (*) قد أسس في الأسرة الحالية وأكدته الشركة ، فنحن نرى أن ناصر الملك الابن الأكبر للنواب الذي توفي ينبغي أن يعتلي عرش الصوبدارية والقرار الذي اتخذ وفق ذلك قد أرسل إلى المسئول عن دفع الإعانات والرواتب في " نظامت " بغرض إخطاره بذلك ومطالبته بالمثول أمام النواب ناصر الملك والتفاهم معه حول اليوم الذي سيجلس فيه على " مسند " والإعلان على الناس والاعتراف به صوبدارا على تلك المقاطعة. كما قررنا أيضا أن الرواتب والمعاشات التي كانت تدفع للنواب السابق والتي تبلغ في مجملها مليونا وستمائة ألف روبية في العام ، يجب الاستمرار في دفعها للنواب

(*) أي المقاطعة أو الولاية .

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٨٨ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧١ .

الحالي وأفراد أسرته ، شريطة أن يخضع ذلك الدفع لإجراءات تصفية الديون"(١).

إن ما حدث في بنغال ، حدث في الأقاليم الهندية الأخرى التي وقعت واحدة بعد الأخرى تحت سيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي تابعت الاتجار بعروشها وحكامها وتحويل هؤلاء الحكام إلى موظفين لديها واعتبار مناصبهم شاغرة إذا شعرت الشركة أن بقاءهم لايفيدها في شيء .

في أوده الإمارة المجاورة لإقليم بنغال ، رأينا أن حاكمها الوزير شجاع الدولة انهزم أمام قوات الشركة ثم استسلم لشروطها ، وقبل أن يدفع لها مبلغا قدره خمسة ملايين روبية وأن يتنازل عن أجزاء من أراضيه ، ومقابل ذلك اعترفت الشركة به حاكما على أوده (٢)، وبعد وفاته في يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي القعدة عام ١١٨٨هـ / يناير ١٧٧٥م ، تخوف ابنه محمد يحي ميرزا أماني أن ينازعه في خلافة أبيه أحد من أفراد الأسرة الحاكمة ، فاتصل بالمندوب الإنجليزي طالبا منه الإسراع قي إجلاسه على خلافة أبيه ، إلا أن الإنجليز طلبوا منه التريث والتأني ، ولكن ميرزا أماني ألح عليهم في تنفيذ طلبه واعدا إياهم بدفعهم مبالغ كبيرة ، فقبل الإنجليز عندئذ بإجلاسه على حكم أوده وأعلنوا عن ذلك في الملأ ، قبل أن ينتهي كبار رجالات الإمارة عن إجراءات تدفين شجاع الدولة (٣)

---

(١) K.K.Katta : F.W.I.H. Correspondence, Vol.XII, (1793-1795), pp.294-295.

(٢) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٧٧٠ ،
ميرغلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤١٨ .

(٣) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٣ ، ص ٩٤١ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩٦ .

وامتد النفوذ الإنجليزي في جميع مجالات الإمارة ، وأصبح ميرزا أماني الذي لقب نفسه بآصف الدولة يأتمر بأمر المندوب الإنجليزي الذي كان المرجع لحل الأمور وعقدها ، وأقنعه أن يتنازل للشركة عن منطقة بنارس التي كانت إيراداتها إلى خزانة الإمارة تصل إلى عشرة ملايين روبية في العام ، ووصل استسلام آصف الدولة لإرادة الشركة الإنجليزية إلى الحد الذي أعلن أمام حشد من أتباعه بأن المندوب الإنجليزي أخوه والمتصرف في شئونه بكامل الصلاحيات ، ويجب على الجميع أن يطيعوه في كل ما يأمرهم (١). ولقد نزع عن جنوده السلاح خوفا من أن يثوروا عليه، ولما رفض محبوب علي خان أحد كبار قادته نزع السلاح عن القوات التي تحت إمرته ، تكفلت القوات الإنجليزية تنفيذ ذلك بالقوة حيث خدعوا محبوب علي خان بإجراء لقاء ودي معه ، ثم باغتوا القوات الموالية له وجردوها عن السلاح . وكان من نتيجة إطلاق أيدي الإنجليز في جميع شئون الإمارة ومجالاتها الحيوية ، أن قام الإنجليز بنهب كل ماوصلت إليه أيديهم وأصبحت عاصمة أوده التي كانت تضاهي دهلي في سابق عهدها ، أصبحت أشبه ببلدة مهجورة غير معمورة ، بعد أن غادرها الشرفاء والفضلاء والتجار والحرفيون (٢)، وكان لطول المدة التي قضاها آصف الدولة على رأس الإمارة (١١٨٨هـ - ١٢١٢هـ / ١٧٧٥ - ١٧٩٧م) أثره الكبير في القضاء على أية معارضة للسيطرة الإنجليزية ، وبعد وفاته في عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧ م خلفه ابنه وزير علي خان ، ولم يمض على تنصيبه عدة شهور حتى عزله حاكم عام الشركة السير جان شور (١٢٠٧ - ١٢٢٢ هـ / ١٧٩٣ - ١٧٩٨ م) باتهام أنه ليس ابنا حقيقيا لوالده ، وساوم سعادت علي خان آخا آصف الدولة الذي قبل أن يوفر

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٣ ، ص ٩٤٣ - ٩٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٤٦ - ٩٤٧ .

للشركة مزيدا من المكاسب وأن يتنازل لها عن قلعة إله آباد المنيعة وأن يزيد في الخراج المقدم للشركة ، مقابل تنصيبه حاكما على أوده [١]، وظل مخلصا ومقدرا للإنجليز طوال الفترة التي قضاها على رأس الإمارة (١٢١٢ - ١٢٢٩هـ / ١٧٩٨ - ١٨١٤م) وأخذ منه الإنجليز امتيازات كثيرة وجعلوا أوده في عهده دولة تابعة لهم تماما واستمر خلفاؤه تابعين للشركة الإنجليزية وموظفين لديها، على الرغم من الألقاب التي كانوا يحملونها، إلى أن جاء دلهوزي Dalhousie حاكما عاما للشركة في الهند (١٢٦٤ - ١٢٧٢هـ / ١٨٤٨ - ١٨٥٦ م) وضم كثيرا من الإمارات الهندية إلى ممتلكات الشركة تطبيقا لقانون الشغور Doctrine of lapse الذي اشتهر باسمه على الرغم من أنه كان يعمل به قبله منذ قرن من الزمان تقريبا، وكان القانون الآنف الذكر يعطي الشركة الحق في الاستيلاء على كل إمارة يموت أميرها من غير أن يعقب عقبا مباشرا ، ولم تكن للإمارات الهندية تسمح باختيار خليفة للأمراء المتوفين إلا بإذن من الشركة [٢]، ولكن الشركة لم تتقيد حتى بهذا القانون الذي سنته ، إذ أقدم دلهوزي إلى خلع واجد علي شاه آخر أمراء أوده المنصبين من قبل الشركة والمخلصين المستسلمين لها ، ونفاه إلى كلكته وضم

---

(١) K.K.Datta F.W.I.H. Correspondence ,Vol.VIII, (1777-1781),p.600.

ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٨٢ ،

إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٦٢ ،

مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤١٩ .

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٦،

V.D.Mahajan: India since 1526, part.II,p.193.

شيلادهار : تاريخ هند ، ص ١٦٧ .

إمارته إلى أملاك الشركة ضما مباشرا ، وذلك في عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦م [١].

في پونة عاصمة البيشوا زعيم المرهتيين الذين كانوا أصحاب السلطة الفعلية في غرب الهند ووسطها ، استغلت الشركة الإنجليزية المنازعات الداخلية العائلية لصالح تجارتها بالعروش والحكام والتعرف على الأوضاع أكثر فأكثر ومد نفوذ الشركة وتوسيع ممتلكاتها شيئا فشيئا. وكما رأينا في الفصل السابق فإنه بعد وفاة البيشوا بالاجي راو Balaji Rao (١١٥٣ - ١١٧٤هـ / ١٧٤٠ - ١٧٦١م) حدث نزاع في خلافته بين ابنه وشقيقه ، انتهى بقتل ابنه نراين راو Narayan-rao وتولي شقيقه ركهناتهه راو Raghunathrao على منصب البيشوائية في پونه ، وهنا حدث نزاع بين أنصار رضيع نراين راو المقتول وبين ركهناتهه راو الذي اتهم بالغدر في الوصول إلى زعامة پونه ، وبعد أن عجز المذكور عن الصمود والحفاظ على سلطته ، لجأ إلى الإنجليز في ميناء سورات طالبا مساعدتهم في إعادته إلى زعامة پونه ، وطبيعي أن يكون الإنجليز قد فرحوا عن هذا التطور والأوضاع التي كانوا يبحثون عنها ، فلبوا دون تردد طلب زعيم المرهته الهارب إليهم مقابل وعد بتنازله لهم عن ميناء سالست وبسين القريبة من بمبيء [٢].

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩٦ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٠ .

(٢) منشي حسام الدين : شرح أحوال مرهته ، ق ٥ ب ،
غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٨٠٣ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧١ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤،
مير غلام محمد غبار : أفغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٢٢ .

ولكن في نفس الوقت قرروا أن يقفوا الى جانب من يؤمن لهم مكاسب أكثر ويتعهد بالابتعاد عن الفرنسيين ، وفي هذا الإطار أصدر هستنجز تعليماته إلى رئاسة بمبيء لتقديم العون العسكري لإعادة ركهناته راو ، وذلك في أوائل عام ١١٩٢ هـ / ١٧٧٨م ، كما أرسل لهذه المهمة قوات من بنغال إلا أن قوات بمبيء اشتبكت مع قوات المرهته قبل وصول قوات كلكته ، وانهزمت هزيمة نكراء وقبلت أن تعقد صلحا مع المرهته من موقف الضعف هذا ، إلا أن هستنجز أنكر عليها ذلك ورفض عقد الصلح وأمر قائد قوات كلكته التي كانت قد وصلت إلى ميناء سورات بمتابعة الحرب مع المرهته ، وهناك تمكن ذلك القائد بتوسط من ركهناتهه راو من كسب تأييد فتح گاكوار Fath Gaekwar أحد قواد المرهته واعدا إياه بمنحه إمارة كَجرات مقابل اشتراكه معه في حرب بني قومه ، وتقدمت القوات المشتركة للاستيلاء على أحمد آباد عاصمة كَجرات في أواخر عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩ م وتمكنوا من الاستيلاء على قلعتها بعد عدة أيام من الاشتباكات ، وأجلس فتح گاكوار على عرشها، إلا أن زعماء المرهته في پونه وستاره أجروا معه اتصالات وتمكنوا من خلالها أن يقنعوه بترك التحالف مع الإنجليز مقابل اعترافهم بإمارته في كَجرات ،فاضطرت القوات الإنجليزية للانسحاب والعودة إلى سورات بصعوبة بالغة استغرقت قرابة أربعين يوما (١).

لم يكن باستطاعة قوات بمبيء الاستمرار في محاربة المرهته بمفردها،ولم يكن باستطاعة كلكته إرسال المزيد من القوات إلى الساحل الغربي حيث تمكن المرهته من قطع جميع طرق الإمدادات بين بنغال في الشرق ورئاسة بمبيء في

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، جـ٢ ، ص ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣، ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٧٢ .

الغرب ، ويبدو أن هزيمة قوات بمبيء وعدم تمكن قوات كلكته من حسم المعارك، قد رفع معنويات المرهته المعارضين للإنجليز وأقلق المتواطئين معهم ، ونرى أن حاكم برار المرهتي المنافس لحاكم پونه الراحل قد سمح قبل ذلك بعبور قوات كلكته عبر أراضيه (١)، ولكن في هذه المرة رفضت برار السماح بعبور القوات الإنجليزية القادمة من بنغال ، على الرغم من أن هستنجز قام بإرسال مبعوث خاص إلى حاكمها مع ثلاثمائة ألف روبية نقدا وتحف وهدايا أخرى من الحلي والمجوهرات والأقمشة ، وبذل المبعوث مجهوده لكسب موافقة الحاكم المرهتي ، إلا أنه رفض قبول مطالب الإنجليز وذكر أن سلوك الإنجليز الغادر مع حكام بنغال وأوده خير درس لكل من يثق بعهودهم وصداقتهم ، بالإضافة إلى أنه يعتبر نفسه تابعا لكبار زعماء المرهته في الدكن سلما وحربا ، ويكفي أنه لم يقم بمهاجمة بنغال وعظيم آباد مراعاة لعهود سابقة (٢)، ونظرا لهذا التغير في موقف حاكم برار، ونظرا لخطورة الأوضاع في الجنوب الهندي حيث بادر حيدر على حاكم ميسور بالهجوم على رئاسة مدراس بدعم فرنسي ، تصالحت الشركة مع پونه وتخلت عن ركهناتهة راو الذي اختار العيش في كلكته (٣)، وبذلك فشلت محاولة الإنجليز الأولى في اختراق صفوف المرهته وتنصيب رجلهم المفضل على پونه ، ليعيدوا الكرة بعد القضاء على عدوهم الأخطر وهو السلطان تيپو سلطان ميسور .

لقد سنحت لشركة الهند الشرقية الإنجليزية فرصة التدخل في شئون پونه ثانية ، في عهد الپيشوا باجي راو الثاني Bajirao II (١٢١٠ - ١٢٣٣هـ / ١٧٩٦ - ١٨١٨م) الذي غلب أمام منافسيه في عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م ولجأ إلى

---

(١) غلام حسين خان طباطبائي : سير المتأخرين ، ج ٢ ، ص ٨٠٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٢٠ .
(٣) منشي حسام الدين : شرح أحوال المرهته ، ق ٦ أ .

الإنجليز في بمبيء طالبا مساعدتهم لإعادته إلى عاصمته پونه ، وقبل الإنجليز هذا الطلب مقابل تعهد باجي راو الثاني بأن يدخل مع الإنجليز في نظام الحلف التعاوني بعد إعادته إلى عرشه ، وتمكن الإنجليز في هذه المرة من الاستيلاء على پونه وإعادة حاكمها إليها وإحكام سيطرتهم على عاصمة الپيشواء كما ذكرنا في الفصل السابق ، وعلى الرغم من أن الپيشوا تضايق صدرا من تدخلات الإنجليز ومطالباتهم التي لم تعرف حدا ، وحاول التخلص منهم ودخل معهم في معارك دموية [1] ، إلا أن هذه المحاولة جاءت متأخرة بعد أن انفردت الشركة الإنجليزية بالمرهته المتنازعين فيما بينهم ، وبعد أن ساعد المرهته الإنجليز في القضاء على سلطنة ميسور المسلمة المجاهدة ، ولم يتمكن الإنجليز في النهاية من إحكام سيطرتهم على پونه فحسب ، بل وتمكنوا أيضا من القضاء على سلطة الإمارات المرهتيه الأخرى واحدة بعد الأخرى ، مستخدمين في ذلك وسائل متعددة ، منها التجارة بالعروش وتطبيق ما عرف بقانون الشغور Doctrine of Lapse .

---

(١) واجد علي خان : گلشن جنگ ، ق ٤٨ أ ، ٥٤ ب ، ٦٨ ب .

عصو السكك الحديدية

من العوامل المهمة التي ساعدت شركة الهند الشرقية الإنجليزية في السيطرة على الهند والتحكم على مصيرها واستغلال مواردها وغزو أسواقها ، هي الإمكانات والتسهيلات التي وفرتها لها الثورة الصناعية في مجالات المواصلات ووسائل النقل والاتصالات والإنتاج، وتسخير هذه الإمكانات في استعمار الهند وقهر الرافضين لهذا الاستعمار من أبناء الهند .

في الحقيقة جاءت هذه الثورة الصناعية على حساب ثروات الهند ورخاء شعبها ، سواء في نشأتها أو في نموها وتطورها وتنوع مجالاتها وانعكاساتها، وذلك بفضل نشاطات شركة الهند الشرقية الإنجليزية التي لم تعرف الملل واليأس وتحدت الصعاب إلى أن تحولت من الشركة التجارية التي تبحث عن لقمة عيش إلى الشركة الدولة التي قهرت الإمارات الهندية واحدة بعد الأخرى ، مستولية على ثرواتها وكنوزها ومواردها.

كما رأينا في الفصول السابقة ، كانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية، تقوم بنشاطاتها بحذر من مراكزها الصغيرة التي تأسست في بعض المناطق الساحلية، إلى أن جاءت موقعة پلاسي ١١٧٠ هـ / ١٧٥٧م وانتصرت فيها الشركة على حاكم بنغال واستولت نتيجة لذلك على نواحي وسيعة في تلك الولاية ، ثم تمكنت خلال سنوات قليلة من أن تخضع لسيادتها بنغال وبهار وأوريسه والسواحل الشرقية ، لتأخذها قاعدة لتقدمها إلى سائر المناطق الهندية .

كانت بنغال من أغنى الأقاليم الهندية ، إلا أنها بعد أن وقعت تحت سيطرة الشركة ، أصبحت بمرور الأعوام من أفقر الأقاليم ، وذلك بسبب نهب ثرواتها بواسطة الإنجليز ونقل هذه الثروات إلى لندن لتنعش اقتصاديات إنجلترا وتساهم

في قيام ثورتها الصناعية التي جاءت متزامنة مع القحط الرهيب الذي أصاب بنغال وذهب ضحيته ثلث سكانها وذلك في عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠ م الذي يعتبر بداية لتلك الثورة الصناعية في مراحلها الأولى (١).

كانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية قد تأسست في الأصل لغرض استيراد السلع الشرقية إلى أوربا ، وكانت نشاطاتها التجارية في مراحلها الأولى تتركز في نقل البضائع الهندية من النسيج والتوابل وغيرها من السلع التي كان الإقبال عليها شديدا في أسواق أوربا ، ولكن مع تطور فنون الصناعة في إنجلترا، بدأت أسواقها تسد أبوابها أمام السلع الهندية لتحل محلها البضائع الإنجليزية ، بل وأكثر من ذلك أخذت الشركة تفتح أسواق الهند أمام تلك البضائع التي استوردتها من إنجلترا ، وأصدر البرلمان الإنجليزي قرارات تمنع الشركة من استيراد البضائع الهندية إلى إنجلترا ، ولما كانت الشركة تحتكر تجارة الهند، ترك ذلك المنع أثره في الأسواق الأخرى أيضا (٢).

كانت الخطوة التالية إيجاد الموانع أمام الصناعات الهندية ومطاردة منتاجتها في الأسواق الهندية الداخلية وفتح المجال أمام المنتجات الإنجليزية ونتيجة لذلك قضى على صنائع النسيج الهندية ، وتضررت من جراء ذلك الأعداد

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ ،
هنري و. ليتل فيلد : تاريخ أوربا ،ط٢،تهران،شركت انتشارات علمى وفرهنگى ١٣٦٦هـ ش ، ص ١ ٢
Tara Chand: History of the freedom movement in India, Vol.I,Lahore, Book Traders, 1961,P.333.

(٢) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ — ٤٩٥ ،
V.A.Smith : The Oxford History of India, p.641.

الكبيرة من النساجين والحرفيين وأهل الصناعات المختلفة في بنغال وبهار ، ثم توالت هذه الإجراءات في سائر مناطق الهند مصاحبة تقدم الشركة الإنجليزية في أنحاء الهند المختلفة ، ومدمرة صناعات الهند المختلفة كتصنيع السفن والتعدين وتصنيع الزجاج والورق وغيره . وطبيعي أن لاتصمد الصناعات اليدوية القديمة أمام الفنون الصناعية الجديدة ، خاصة وأن تلك الصناعات اليدوية وقعت تحت ضغوط سياسية واقتصادية ، ولم تبذل أية محاولة لاستخدام الفنون الصناعية الجديدة وأدواتها في الهند ، بل كان الإنجليز يحاولون أن لايسمحوا بانتشار الصنائع في الهند ، وبذلك توقف النمو الاقتصادي الهندي بقطع الطريق أمام تطوير الصناعات والتحكم على موارد البلاد وأسواقها لصالح مخططات الشركة الاستغلالية ، ونتيجة لذلك ظهر هناك فراغ في التسويق ملأته المنتجات الإنجليزية الصناعية ، وتسبب هذا الوضع في ازدياد البطالة السريع ، وانتشار مزيد من الفقر في أوساط الهنود ، وتحويل الهند إلى مستودع للمواد الخام لإنجلترا الصناعية ، التي تقوم بالتالي بتسويق منتجاتها الصناعية في الأسواق الهندية (١).

إن انحلال الحرفيين والصناعيين ، أدى إلى حدوث البطالة على نسبة كبيرة جدا ، وأصبح مئات الألوف من الذين كانوا يشتغلون في الحرف والصناعات المختلفة ، أصبحوا مهددين بالموت بعد أن عجزوا عن توفير ما يسد رمقهم ، ولقد مات الكثيرون منهم ، وحتى أن اللورد بنتنك William Bentinck حاكم عام الشركة (١٢٤٣ - ١٢٥٠ هـ / ١٨٢٨ - ١٨٣٥ م) اعترف في عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤ م

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ ،

V.A. Smith: The Oxford History of India, pp.641-643.

خلال إحدى تقاريره بأن تاريخ العمل والتجارة لم يشهد مثيلا لهذا البؤس والشقاء، وأن سهول الهند قد ابيضت من عظام نساجي القطن [1]، وعلى الرغم من ذلك كان أعداد هؤلاء الذين يفقدون أعمالهم في تزايد مستمر بسبب تقدم هذه السياسة الإنجليزية إلى المناطق النائية ، واضطروا للالتجاء إلى الأرض والزراعة التي كانت تستوعب أعدادا كافية من المزارعين ولم تكن تتسع للمزيد ، فكان التجاء هؤلاء إلى الأرض ، عبئا ثقيلا على الزراعة ، وفقرا مزيدا للبلاد ، واستمرارا لتزايد الفجوة بين نسبة الزراعة والصناعة ، لأنه بالقضاء على الصناعات والحرف لم يبق أمام الناس إلا التوجه إلى الأرض والزراعة والعودة إلى الحياة الريفية ، حتى ذكر أنه في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كان هناك ٥٥ ٪ من سكان الهند يرتزقون من الزراعة ، وارتفعت هذه النسبة في أواخر القرن الى ٧٤ ٪ [2].

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ،
Sed Moinul: The Great revolution of 1857, Carachi, Pakistan Society, 1968,p.19

(٢) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .

كان اهتمام الشركة الأساسي موجها لجمع أكبر قدر من الثروات الهندية ومنح أكبر قدر من الفوائد للسادة أصحاب الأسهم ، ولم تكن الشركة تعير اهتماما إلى مجالات المواصلات والتعليم والصحة وإنشاء المستشفيات وما إلى ذلك ، ولكن بعد أن بدأ الإنجليز في جمع المواد الخام وتسويق المنتجات الإنجليزية الصناعية اتخذوا سياسة جديدة تجاه تطوير وسائل النقل والاتصالات ، بحيث تسهل عليهم استغلال الهند الاقتصادي بربط سواحل الهند بمدنها وأريافها، خاصة بعد أن لم يبق في المدن ما ينهبونه ، إن كانت بقيت هناك مدن ، بعد أن خلت من التجار والصناع والحرفيين ، بالإضافة إلى أن ربط سواحل الهند بمدنها الداخلية، كان يفيدهم في إحكام سيطرتهم السياسية ودعم خطواتهم العسكرية ، ومن هنا جاء التفكير في إنشاء شبكات من السكك الحديدية والطرق البرية ، علاوة إلى تطوير الملاحة البحرية والنهرية بإدخال السفن البخارية في هذا المجال .

على السواحل الهندية أنشئت مدن جديدة لتنشيط التجارة الخارجية،وكانت هذه المدن مثل بمبيء وكلكته ومدراس وكراتشي تقوم بجمع المواد الخام كالقطن بغرض تصديرها إلى خارج الهند ، كما كانت تتلقى في المقابل البضائع والمنتجات الصناعية ، وخاصة الإنجليزية منها، لتوزيعها في أسواق الهند[1]، ومن هنا كانت هذه المدن تختلف اختلافا كبيرا عن المدن الكبيرة التي ظهرت في الغرب مثل ليوربول Liverpool ومانشستر Manchester وبيرمنغهام Birmingham حيث كانت هذه المدن الأوربية الكبيرة مراكز صناعية وإنتاجية بمصانعها الضخمة أو كانت موانيء لتصدير السلع المصنوعة إلى الخارج ، في حين لم تكن المدن

---

(١) جواهر لعل نهرو : نكاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨١٤ .

الهندية الجديدة تنتج شيئا ، غير كونها مستودعات ومرافيء لصالح المبادلات التجارية الإنجليزية . وكانت الضرورات الاستعمارية تحتم ربط هذه المدن الساحلية بداخل الهند ، لتتمكن من جمع المواد الخام وإرسالها إلى الخارج ، وتقوم في نفس الوقت بتوزيع وتسويق السلع الإنجليزية المستوردة في داخل الهند، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى إنشاء الطرق ثم إنشاء السكك الحديدية ، لتسهيل اتصال المدن الساحلية بداخل الهند ومراكزها الإدارية ، وقد تم إنشاء أول خط حديدي هندي في بمبيء عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣ م ثم توالى تمديده إلى سائر المدن الساحلية المهمة وكذلك إلى المدن الداخلية ليدعم السيطرة الإنجليزية ويسهل استغلال الهند واستعمارها مدنا وأريافا ، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي الذي أطلق عليه عصر السكك الحديدية (١).

في البداية كانت البضائع الأجنبية تستورد إلى الموانى والمدن الساحلية وتوزع وتستهلك في المناطق القريبة لهذه المدن ، ولكن بعد إنشاء الطرق والسكك الحديدية ، تقدمت هذه البضائع أكثر فأكثر إلى داخل الهند لتغزو أسواق المدن والأرياف وتلاحق وتطرد الصناعيين والحرفيين من الأرياف والمناطق النائية أيضا، وبانتشار البضائع الإنجليزية في أرجاء الهند عبر الطرق والسكك الحديدية ،وعلى الأخص انتشار الأقمشة الإنجليزية ، اختفت الصناعات اليدوية الهندية التي كان يشتغل فيها ملايين الحرفيين والعمال من الهنود(٢).

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٨١٥ ،

V.D.Mahajan: India since 1526, part.II, p.155.

روبير شنيرب : تاريخ الحضارات العام ،ج٦، بيروت منشورات عويدات، ١٩٦٩م، ص ١٧٩ .

V.A.Smith: The Oxford History of India, pp.643-644.

(٢) جواهر لعل نهرو : نكاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨٠٩ .

على الرغم من انحطاطها السياسي ، كانت الهند تمتلك ثروات كبيرة ،وكانت هناك صناعات متنوعة وكثيرة تصدر منتوجاتها إلى مختلف بلدان العالم ، وكانت مدينة داكا Dacca شهيرة في منسوجاتها وكانت تصدر الأقمشة بكميات كبيرة ، وكانت حياة المدينة في الهند تنمو وتتسع إلى جانب الأرياف والحياة الزراعية ، وفي المدن الهندية كانت توجد معامل يشتغل فيها الصناع والمهنيون بطريقة جماعية ، وفي بعض هذه المعامل كان يشتغل مائة شخص وأكثر ، إلا أن هذه الصناعات توقفت عن العمل بعد أن فقدت أسواقها الداخلية والخارجية أمام هجوم البضائع الانجليزية ومنتوجات مصانعها الضخمة في عصر الميكنة الأغزر إنتاجا والأرخص ثمنا من الصناعات اليدوية ، وكذلك بسبب منع استيراد المنسوجات الهندية إلى إنجلترا وبالتالي إلى سائر الأسواق ، وتشجيع مقاطعة البضائع الهندية ، في حين كان أي عمل من هذا النوع ضد المنسوجات الإنجليزية في الهند يستوجب السجن[1] وكما أشرنا كان لعصر السكك الحديدية الدور المهم في القضاء على الصناعات الهندية بعد أن ربط الخط الحديدي المدن بعضها ببعض مخترقا أرياف الهند ومناطقها النائية ، ومجمعا مواد خامها وموزعا البضائع الإنجليزية في أسواقها ومحكما السيطرة الإنجليزية على جميع الهند .

في نفس الفترة ، شرعت شركة الهند الشرقية الإنجليزية في إنشاء الخطوط الملاحية البخارية في أنهار الهند الكبرى[2] ، بعد أن حلت البواخر محل السفن

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٨٠٧ .

(٢) محمد بيرم الخامس التونسي : صفوة الإعتبار بمستودع الإمصار والاقطار، ج٤ القاهرة المطبعة الاعلامية بمصر ١٣٠٢هـ ، ص ١٧ .
عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العرب الحديث، ج١، القاهرة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٦، ص ١٥٣ .
أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٩٩ .

الشراعية في العمل بين الجزر البريطانية وبين إنجلترا وأوربا وأثبتت نجاحها، وكان هذا التطور في مجال المواصلات في الهند عاملا مهما آخر في تمكن الشركة من تنظيم ابتزاز ثروات شبه القارة الهندية ، وإحكام سيطرتها على أراضي الهند المترامية الأطراف .

كذلك أخذت الخدمة البرقية في الهند في الانتشار منذ عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م حيث وضع لأول مرة سلك على ضفتي نهر هوجلي للربط بين شطري كلكته برقيا،واستمرت هذه الوسيلة الاتصالية في الانتشار لربط بعض المدن الهندية ببعضها، ولم يحل عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٦ م حتى كانت هذه الخطوط البرقية تغطي ٤٥٠٠ ميلا[١]، وذلك في إطار السياسة الإنجليزية الرامية إلى التحكم التام في مصير الهند وتلقي الأخبار والتقارير عن مجريات الأحداث أولا بأول .

---

(١) محمد بيرم الخامس التونسي : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج١، ص ١٧ ،

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: سياسة الامن لحكومة الهندفي الخليج العربي الرياض، مطبوعات دارالملك عبدالعزيز،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٩٢ .

شيلادهار : تاريخ هند ، ص ١٧٨ ،

عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩١ .

التنصير

كان التنصير مصاحبا للاستعمار الأوربي ومساعدا له أينما حل وسيطر، إلا أن نسبة نجاح المنصرين تختلف من قطر إلى آخر ، وعلى العموم فان نجاحهم في البلدان الإسلامية المستعمرة كان متواضعا جدا وذلك بسبب رسوخ الديانة الإسلامية التي حصنت الشعوب المسلمة وأعطتها المناعة ضد المخططات التنصيرية وما شاكلتها، إلا أن المنصرين كانوا دائما يبحثون عن ثغرات يتسللون من خلالها لإثارة المشاكل للمسلمين ، كإثارتهم الأقليات الموجودة في العالم الإسلامي ، وأما في شبه القارة الهندية التي حكمها المسلمون لعدة قرون ، فكان المنصرون يجدون لهم مجالا واسعا لإثارة ضغائن الأغلبية الهندوكية ضد المسلمين الذين اغتصب منهم الاستعمار حكم الهند ، بعد أن تهاونوا في القيام بواجبهم نحو الدعوة الإسلامية ، ورضوا أن يكونوا أقلية في مجتمع حكموه لقرون متوالية .

ترجع بدايات النشاط التنصيري في الدولة المغولية في الهند إلى عصر السلطان جلال الدين أكبر (٩٦٣ - ١٠١٤هـ/ ١٥٥٦ - ١٦٠٥م) أشهر سلاطين الدولة المغولية قاطبة ، وكان عصره عصر السيادة البرتغالية في المياه الهندية .

في عام ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢م أصبح السلطان أكبر على مرأى من الأسطول البرتغالي بعد أن ضم إلى دولته ولاية گجرات المطلة على الساحل الغربي للهند ، وباشر إخضاع قلعة سورات الساحلية التي كانت قد أنشئت وحصنت للتصدي ضد البرتغاليين الذين كانوا يلحقون أنواع الأذى بالمسلمين [(١)]، ويقومون بأعمال القرصنة ضد

---

(١) نظام الدين أحمد الهروي : طبقات أكبري ، ص ٣٠٠ ،
محمد شريف : إقبال نامهٔ جهانگيري ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ،
V.A.Smith: Akber the Great Mogul, pp.80-81.
V.D.Mahajan: Mughal Rule in India, p.82.

الحجاج والتجار بدافع من الحقد الصليبي والجشع الاستعماري ، وعلى الرغم من أن الدولة المغولية في عهد قوتها كانت هي القوة المسيطرة الضاربة في بر الهند ، إلا أنها كانت واستمرت ضعيفة ومتخلفة في البحر والمعارك البحرية ووسائلها ، ومن هنا مدت يد الحاجة إلى البرتغاليين كي لايتعرضوا لحجاجها وتجارها، وعانت في ذلك الكثير ، على درجة أنه في عام ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م أفتى عبدالله سلطان پوري كبير العلماء في الدولة بعدم فرضية الحج على الهنود، بسبب سيطرة البرتغاليين على الطريق البحري وضرورة الاستئذان منهم ودفع الرسوم إليهم مما يعني قبول الذل والخضوع لولايتهم (١).

هكذا كانت بداية العلاقات بين الدولة المغولية في الهند والوجود البرتغالي في المياه الهندية ، ومعروف أن البرتغاليين كانوا قد وضعوا التنصير ضمن أوليات مخططاتهم ، واتبعوا في ذلك وسائل البطش والقهر .

لقد تطورت العلاقة بين البرتغاليين والدولة المغولية ، بعد أن أبدى السلطان أكبر رغبته في التعرف على معارف حكام گووه Goa ومعتقداتهم الدينية ، وبدأ تردد البرتغاليين إلى محافله منذ عام (٩٨٣ هـ / ١٥٧٥م) حيث اشترك بعض من قساوستهم في المناقشات التي كان السلطان يقيمها بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة (٢)، مما شجع البرتغاليين أن يطمعوا في تنصير أكبر نفسه ، فقاموا بإرسال بعثات تنصيرية متعددة، منها ما أرسلوه في عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م برئاسة الأب رودلفو Rodolfo والأب مونسرات Monserrate

---

(١) عبدالقادر بدايوني : منتخب التواريخ ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) أبو الفضل علامي : أكبر نامه ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ .

وقابل السلطان الإرسالية بالترحاب وسمح لهم ببناء كنيسة في مدينة آگره العاصمة، كما أجلس ابنه الأمير مراد عند هؤلاء ليتعلم منهم دروسا، إلا أن أعضاء الإرسالية لم يلبثوا أن شعروا بخيبة أمل، لأن السلطان لم يكن غنيمة سهلة، وبعد أن قاموا ثلاث سنوات في بلاط أكبر عادوا إلى گووه Goa دون أن يحققوا أهدافهم(١)، إلا أن البرتغاليين واصلوا إرسال مثل هذه البعثات بين حين وآخر على أمل أن ينجحوا في نشر النصرانية داخل الدولة المغولية في الهند، ولكن هذه الإرساليات لم تحرز نجاحا في التنصير، إلا أنها كانت تتمكن من الحصول على إذن ببناء الكنائس في بعض الأقاليم الهندية المغولية، وكذلك السماح لها بالنشاط التنصيري، وتطورت العلاقة بين الجانبين إلى أن بعث السلطان أكبر برسالة ودية إلى فردناند الثاني ملك أسبانيا والبرتغال في شهر ربيع الأول عام ٩٩٠ هـ / ابريل ١٥٨٢ م، وعلى الرغم من أنه لم يتأكد وصول الرسالة إلى فردناند، إلا أن محتوياتها تتضمن مخاطبة ملك أسبانيا والبرتغال بـ " محي المراسم العيسوية " كما تتضمن مطالبته بإرسال التوارة والإنجيل والزبور المترجم إلى العربية أو الفارسية إذا تيسر ذلك(٢)، مما يشير إلى انفتاح السلطان أكبر أمام مختلف المعتقدات والثقافات، وهو ما شجع الأوربيين للتوجه إلى الهند تجارا ومنصّرين وهذا في الوقت الذي لم يكن الكاثوليكي الأوربي يتحمل البروتستانتي الأوربي في الدول الأوربية .

---

(١) جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص ٩١-٩٢ .

بدايوني: منتخب التواريخ، ص ٢٢٣ ،

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.347.

(٢) عبد الصمد أفضل محمد: مكاتبات علامي، لكنهو، نول كشور، ١٢٨٠هـ، ص ٣٧-٣٩

على الرغم من أن المنصرين لم يحرزوا نجاحا يذكر في تنصير الهنود المسلمين والهندوكيين ، إلا أنهم استمروا في نشاطاتهم في الدولة المغولية في عهد خلفاء أكبر أيضا ، وهناك قصة يذكرها مصدر مخطوط لها دلالاتها من حيث التزام البرتغاليين والبرتغاليات بالتنصير في جميع الأحوال، وكذلك من حيث عدم وجود التصور الإسلامي الصحيح لدى بعض الأوساط الإسلامية المسئولة التي كانت لها تأثيرها في اتخاذ قرارات الدولة .

والقصة هي أن في عهد السلطان شاه جهان(١٠٣٧ - ١٠٦٩هـ/ ١٦٢٨ - ١٦٥٩ م) وقع مجموعة من البرتغاليين الرجال والنساء في أسر قوات الدولة المغولية ، فوزعوا على سيدات البلاط إماءا وعبيدا ، وكانت إحدى الأسيرات تسمى جليانا التي اعتقت في مرض موت سيدتها، فرحلت مع أمها إلى القس أنتون منكلياون الذي كان مقيما في دهلي ، وهنا قضت فترة من الوقت في صحبة هذا القس الذي زوجها إلى رجل من الإفرنج ، واتفق أن مات زوجها في إحدى المعارك ، فحاولت جليانا الأرملة في عهد أورنگزيب (١٠٦٩هـ - ١١١٨هـ / ١٦٥٩م - ١٧٠٧م) أن تصبح خدامة في البلاط ، ونجحت في محاولتها تلك حيث أصبحت خدامة لدى زوجة أورنگزيب أم محمد معظم بهادر شاه حيث نالت إعجابهما وتحسينهما لها [1]، وحدث أن بغى بهادر شاه ضد أبيه أورنگزيب الذي تمكن من هزيمته واعتقاله وسجنه هو وأمه ، كما أمر بفصل جميع الخدمة من خدمتهما فأبعدت عنهما جليانا، وبعد فترة سمح السلطان بأن تقوم جارية بخدمتهما، حيث نجحت جليانا مرة أخرى بالفوز لهذه المهمة ، وتمكنت هذه السيدة النصرانية البرتغالية من كسب عطف بهادر شاه وأمه لها، بدرجة أن بهادر شاه تعهد بأنه إذا رحل أورنگزيب عن هذه الدنيا وتمكن هو من

---

(١) كستبن برويت : أحوال بي بي جليانا ، ق ٤ أ - ٤ ب .

الجلوس على العرش ، فإنه سوف لن يرد أي طلب من جليانا ، وستكون مرتبتها فوق جميع الأمراء والمقربين ، وحدث أن تولى بهادر شاه حكم الدولة المغولية (١١١٩ - ١١٢٤ هـ / ١٧٠٧ - ١٧١٢م) بعد وفاة والده وإثر معارك دامية مع إخوته ، فأوفى بما وعد لجليانا ، حيث لم يكن يرد لها أي طلب ، وقد وصلت منزلتها إلى الحد الذي كان كبار القواد يمشون في ركابها مشيا على أقدامهم(١)، وتمكنت من المحافظة على منزلتها في أيام حكم خلفاء بهادر شاه حتى أوائل عهد السلطان محمد شاه (١١٣١ - ١١٦١ هـ / ١٧١٩ - ١٧٤٨ م) الذي أجلس على العرش بواسطة الأمراء المتغلبين ، وكانت أمه في غاية الهم والقلق خوفا على ابنها من أن يكون مصيره هو ما أصاب من سبقه من السلاطين الضعاف البائسين ، فطلبت من جليانا أن تقوم بتقديم النذور إلى أوليائها لسلامة ابنها من يد المتغلبين الظالمين ، فطمأنتها السيدة النصرانية البرتغالية قائلة لها : " إن اسم محمد شاه هو محمد يحي ، وعليها أن تسلم ابنها في حماية يوحنا ورعايته ، لأنه هو الذي يتولى حفظه ، وإذا تمكن محمد شاه من الاستقلال والتفرد بالسلطة ،فعليها أن تقدم نذرا ليوحنا ، فرضيت أم السلطان بهذا العرض وتعهدت بالوفاء به " (٢)، وحدث أن تنازع الأمراء فيما بينهم وقضى على الأخوين حسين علي خان وعبدالله خان اللذين كانا مسيطرين على شئون الدولة وكان يخشى منهما على محمد شاه الذي زاد في قرب جليانا ومرتبتها ، كما وفيت أمه بأداء النذر ليوحنا ، ولقد توفيت السيدة النصرانية البرتغالية في بداية حكم محمد شاه ، وخلفتها في البلاط إحدى قريباتها المسماة بسكوله والمعروفة بجلينا ، واستمرت هي الأخرى في لعب

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٥ أ - ٨ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٩ ب ، ١٠ أ .

دور سلفها إلى أن توفيت في أيام حكم عالمگير الثاني(١١٦٧-١١٧٣هـ/١٧٥٤-١٧٥٩م) (١).

ترجع هذه القصة إلى فترة تعد من أحلك الفترات في تاريخ الدولة المغولية في الهند ، وذلك بسبب المنازعات الدامية التي كانت تقوم على وراثة العرش إثر وفاة كل سلطان ، وكانت لهذه المنازعات أكبر الأثر في إضعاف الدولة وسلطتها المركزية، وبالتالي في تمهيد الطريق أمام السيطرة الإنجليزية، ولايستبعد أن تكون لمثل هذه الأيدي التنصيرية التي تسللت إلى البلاط دورها في حياكة المؤامرات وضرب الأسرة الحاكمة بعضها ببعض ، خاصة أن المنصرين دائما يستخدمون النصرانيات ولطافتهن في تنفيذ مخططاتهم أو التمهيد لها، وقد رأينا أن السيدة المذكورة قضت بعض الوقت عند أحد القساوسة ثم بذلت محاولاتها للالتحاق في سلك خدمة البلاط ونجحت في ذلك ، مما يزيد الاحتمال بأنها قد دخلت هذه الخدمة بناء على تعليمات القساوسة المنصرين وأنها كانت تقوم بتنفيذ ما كلفت به ، وهو إثارة الفتن والضغائن في البلاط ، والتشويش على عقائد نساء القصر ورجاله ، وهو ماتراه في تقديم النذر ليوحنا ، في حين لايجوز في شريعة الإسلام أن تقدم النذور الا لله .

إن اثارة الفتن بين المسلمين وإضعاف سلطتهم والتشويش على عقائدهم يعتبر أكبر نجاح للتنصير ، لأنه من الصعب جدا على المنصرين أن يتمكنوا من تنصير المسلم، ولو كان مسلما تقليديا، وذلك لفطرية الإسلام وبعده عن التعقيدات، فنراهم يبحثون عن نجاحهم في اتباع طرق قد تجعل المسلم يبتعد عن العقيدة الإسلامية الصحيحة دون أن يشعر بذلك ، خاصة في مجتمع مليء بمختلف العقائد

---

(١) المصدر نفسه ، ق ١١ أ .

والأديان والمذاهب والعادات ، والملل والنحل ، والثقافات والحضارات ، وما يتركه كل ذلك من تأثير في سلوكيات الناس وأفكارهم ومعتقداتهم ، وعلى الأخص في غياب التوعية والتوجيه السليم ، وتهاون الحكام والعلماء في أداء واجبهم تجاه نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة .

في عهد سيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، زاد النشاط التنصيري مستخدما في ذلك المجالات المختلفة من تعليم وصحافة وصحة وغير ذلك . ولقد نشر المنصرون في أرجاء الهند في عهد الحاكم العام و لزلي (١٢١٢ - ١٢١٩هـ/ ١٧٩٨ - ١٨٠٥ م) [(١)] وأخذ الإنجليز يتدخلون في عادات الهنود وعقائدهم وأمور دينهم ، بعد أن كانوا في سابق أيامهم يتعاملون في هذا الجانب بحذر حتى يجتنبوا الكره الذي تولد لدى الهنود ضد البرتغاليين الذين كانوا يتبعون أساليب البطش والسخرية ضد الذين يخالفونهم في المعتقدات ، إلا أن الإنجليز بدأوا يسلكون مسلك البرتغاليين بعد أن رأوا أن الإمارات الهندية الوطنية تسقط أمامهم واحدة بعد الأخرى وأن الشركة أصبحت أقوى سلطة ، فساقوا مع جيوشهم المسلحة جيوشا من القساوسة والمنصرين ، إلا أنهم واجهوا نفورا ومقاومة حتى في أوساط الجنود الذين أصبحوا تحت إمرتهم ، إذ ثار الجنود الهنود في عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م في ويلور Vellore من أعمال مدراس ردا للأعمال التنصيرية وزحفوا إلى القلعة التي كانت معتقلا لأبناء المجاهد الشهيد السلطان تيبو ، وقتلوا الحراس الإنجليز واستولوا على القلعة ، إلا أن الإنجليز قضوا على هذا التمرد وعاقبوا المشاركين فيه ونقلوا أبناء السلطان تيبو إلى كلكته تخوفا من أن يكون لبقائهم في تلك المنطقة تأثير في إثارة الهنود ضد

---

(١) عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٨٦ .

الإنجليز[١]، ولكن رغم وقوع هذه الأحداث ، استمر المنصرون في مخططاتهم التنصيرية متمتعين بحماية الشركة ومحاولين إكراه الناس على الدخول في النصرانية ، مما تسبب في تكرار حوادث ويلور في أماكن أخرى ، منها ماوقع في تراونكور (*) Travancore في عهد الحاكم العام منتو Mento (١٢٢٢-١٢٢٨هـ / ١٨٠٧-١٨١٣م) حيث دبر الهنود قتل المقيم الإنجليزي ، إلا أنه هرب من أيديهم فقتلوا ثلاثين إنجليزيا ، وأدت هذه الأحداث إلى أن يناقش البرلمان الإنجليزي موضوع التنصير في الهند ، فتقرر تنظيم حركة التنصير بطريقة تخدم المصالح الإنجليزية ولاتثير مخاوف الهنود تجاه معتقداتهم الدينية ، وتقرر أيضا أن لايذهب إلى الهند من القساوسة إلا من حصل على تصريح بذلك ، وأن يتم تعيين قسيس أكبر يكون المرجع الأعلى لحركة التنصير وتقوم الخزينة الهندية بتغطية نفقاته [٢]، ومع ذلك لم يكن القساوسة يخفون عداءهم وإهاناتهم لمعتقدات أهل الهند ، وكانوا يقومون بالتوزيع المجاني للكتب والرسائل المحشوة بالطعن على أديان أهل الهند وزعمائهم الدينيين ، كما كانوا يذهبون إلى اجتماعات المسلمين والهندوس في حماية السلطات الإنجليزية المستعمرة ، ويعملون لتحقير عقائدهم دون مبالاة ، قاصدين بذلك حملهم على التدين بمذهب الإنجليز[٣].

(*) منطقة في جنوب كيرالا Kerala بجنوب الهند .

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣،

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.559.

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٣) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٠٠ ،

محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط٦، دار الفكر ١٩٧٣م ، ص ٤٠- ٤١ .

لقد استخدم التنصير الطباعة والصحافة والتعليم لتنفيذ مقاصده ، وقام القس بإنشاء أول مطبعة أهلية في مدينة سرامبور Serampore ، كما قاموا بإصدار أول صحيفة إنجليزية وأول مجلة شهرية وأخرى أسبوعية باللغة البنغالية ، وذلك في عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨م [١].

في خطوة تطويرية لفاعلية النشاط التنصيري وجلب اهتمام الهنود قام المنصرون بتشجيع العامية وإحياء اللغات المحلية في الأقاليم الهندية المليئة بتعدد اللغات واللهجات ، لتحل محل الفارسية والسنسكريتية اللتين كتبت بهما تراث الهند الثقافي والحضاري ، وبالتالي لتقطع العلاقة بين ذلك التراث والأجيال المقبلة ، وتكون مانشرته المطابع التنصيرية مرجعا لبدايات دخول تلك اللغات المحلية مرحلة الكتابة والطباعة ، وحتى أنهم اهتموا في ذلك إلى أقل اللغات واللهجات شأنا والتي يتحدث بها القبائل البدائية في الغابات والمناطق الجبلية البعيدة عن المدينة والحضر ، ولقد وضعوا لهذه اللغات القواعد والقواميس ، وكتبوا بها الكتب والرسائل التنصيرية ، وحاولوا ان يترجموا الإنجيل إلى كل هذه اللغات ما أمكن ذلك [٢].

كان من نتائج ذلك أن ظهر هناك مثقفون هنود يقدرون هذه الأعمال ويرجعون الفضل إلى هؤلاء المنصرين في إحياء لغاتهم وتراثهم الشعبي ، ويبتعدون بنفس الحماس عن اللغة الفارسية ، لغة الدول الإسلامية وثقافتها وحضارتها في شبه القارة الهندية .

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٢٠ ، ٥٢٤ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, p.651.

(٢) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ — ٥٢٧ .

استفاد المنصرون من التسهيلات التي وفرتها المواصلات الحديدية والاتصالات البرقية ، في الانتقال من منطقة إلى أخرى والاتصال بمختلف فئات الناس في المدن والأرياف ، وذهب بهم الحلم إلى أن يفكروا في توحيد الهند دينيا تحت الراية النصرانية ، وأصدروا بيانا في كلكته في عهد الحاكم العام دلهوزي Dalhousie (١٢٦٤ - ١٢٧٢هـ / ١٨٤٨ - ١٨٥٦م) ذكروا فيه أنه مادام أصبحت مختلف مناطق الهند مرتبطة بعضها ببعض بفضل السكك الحديدية والاتصالات البرقية فقد حان الوقت ليرتبط فيه أهل الهند بدين واحد ، وذلك بترك أديانهم ومعتقداتهم والدخول في النصرانية دين السادة الإنجليز ، وامتد نشاطهم التنصيري إلى المؤسسات التعليمية والمستشفيات والسجون والأسواق ، ولم يتركوا فرصة إلا واستغلوها للسخرية من عادات الهندوس والمسلمين ، وإظهارها في مظهر اللاحضاري ، وجعلوا المدارس التي فتحوها شبكة لاصطياد الجيل الناشيء من الهنود وتنصيرهم ، وكانوا يمتحنون الطلاب في الكتب الدينية النصرانية ويعطون الجوائز لمن يجيب حسب عقائدهم ، كما فتحوا مدارس للبنات موجهين إياهن برفع الحجاب ، وكان الأولوية للحصول على الوظائف الصغيرة التي تركت للهنود ، لمن يحمل شهادة من هؤلاء القسس المنصرين (١).

لاشك أنه لم يكتب أي نجاح لمثل هذه المخططات الطموحة في تنصير أهل الهند ولا في تنصير نسبة ضئيلة من الهنود ، لأن اجتثاث العقائد التي ترسخت في

---

(١) عادل حسن غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ص ١٤١ - ١٤٢ .
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٠٠ ،
ول ديورانت : الهند وجيرانها ، ص ٤٠٥ .

نفوس الناس خلال القرون والأجيال ، لايمكن أن يتم بهذه السهولة التي كان يحلم بها المنصرون ، خاصة وأن التنصير كان في خدمة الاستعمار الإنجليزي الذي سلب من الهنود استقلالهم ونهب مواردهم وأفقر أغنى أقاليمهم ، وجزأ البلد الواحد إلى مئات من الإمارات والدويلات المحمية المتواطئة مع الإنجليز ، والمتنافرة بين بعضها البعض . وطبيعي أن يكون المسلمون أشد رفضا لهذه المخططات وأقل تأثرا بها ، وذلك بسبب المناعة العقائدية التي زودهم بها الدين الإسلامي، وبسبب أن الإنجليز سلبوا منهم السيادة وجعلوهم محكومين مضطهدين بعد أن كانوا أصحاب السيادة خلال قرون متمادية ، وطبيعي أيضا أن يكون الإنجليز بنفس السبب ، يضعون في اعتبارهم أن يبقوا المسلمين في حالة أكثر ضعفا وتخلفا وتفرقا ، ليأمنوا أية يقظة أو تحد من جانبهم لاستعادة مجدهم الضائع ، والقضاء على الاستعمار الإنجليزي وأحقاده الصليبية .

مع كل ما ذكرناه من فشل في تنصير الهنود ، إلا أننا لا ننكر أن التنصير كان من الأسباب التي خلقت طبقة من المثقفين الهنود تتفهم الطبيعة الإنجليزية وتتفاهم معها ، وتتأثر بالأفكار الأوربية في السياسة والاجتماع والاقتصاد، وحتى في مجال الإصلاح الديني في أوساط الهندوكيين من الطبقة المتوسطة ، حيث ظهر هناك من هؤلاء من حاول إصلاح الهندوكية متأثرا بالأفكار الغربية ، وفي مقدمة هؤلاء يأتي راجارام موهن روي Raja Ram Mohan Roy الذي قام بهذه المحاولة في بنغال ، وسوامي دايا نندا ساراسواتي Swami Dayananda Sarasvati الذي قام بنفس الدور في پنجاب [1]، وذلك في النصف الأول من

---

(١) جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨٤١ – ٨٤٢ .

V.A.Smith: The Oxford History of India, pp.651-652,731.

القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وعلى الرغم من أن هؤلاء المتأثرين بالتنصير والأفكار الغربية ادعوا إصلاح الهندوكية ، إلا أنهم قاموا في الحقيقة بإحياء الهندوكية وتنشيطها بطريقة اتخذت من الإسلام والمسلمين موقفا أكثر عدوانية ، وهذا في حد ذاته يعتبر أكبر نجاح للتنصير الذي قدم بتخريب الهنود بعضهم ببعض خدمة كبيرة للاستعمار ، والجدير بالذكر أن الجمعيات التي تأسست في هذا الإطار ، كانت المشاركة في إدارة أعمالها ووضع برامجها حكرا للذين تعلموا الإنجليزية [1]، علما بأن تعليم الإنجليزية نشأ وترعرع تحت إشراف المنصرين وطبقا لمناهجهم وتوجيههم .

---

(١) جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨٤٢ .

اللغة الإنجليزية
وتطبيق القوانين الإنجليزية

في المجال التعليمي ، كانت السياسة الإنجليزية هي السماح لدرجة من التعليم يكون في خدمة المستعمرين ولايرتقي بالهنود إلى التقدم العلمي والتقني وخلال أعوام طويلة من سيطرة الشركة لم يبذل أى اهتمام للمجال التعليمي ، بل قضى على التعليم القديم أيضا ، وصودرت الأوقاف التي كانت تمول المدارس وبعض المؤسسات التعليمية ، وكانت الشركة تبحث عن جمع الأموال بكل وسيلة حتى ترضى أصحاب الأسهم ، وفي هذا الإطار أخذوا يصادرون الأراضي الوقفية ، وكان يطلب من مسئولي هذه الأراضي أن يثبتوا وضعها، ولما كانت المستندات ضائعة أو قديمة متآكلة ، اتخذها الإنجليز ذريعة لانهاء وقفيتها وإدخالها تحت تصرفهم ، وطرد القائمين على شئونها ، وبذلك كانت المدارس والمؤسسات التعليمية تتوقف عن العمل بعد أن كانت تفقد الإعانات التي كانت تحصل عليها من تلك الأراضي الوقفية ؛ كما كان مجموعات كبيرة من المدرسين والموظفين في تلك المدارس يفقدون أعمالهم وينضمون إلى سائر الذين منحهم الإنجليز حياة البؤس والشقاء(١).

بعد فترة بدأ الإنجليز في اتخاذ خطوات بطيئة نحو تعليم بعض الهنود، وكان ذلك لتلبية متطلبات سيطرتهم على الهند ، إذ كان الإنجليز يتولون بأنفسهم المناصب الإدارية العالية ، ولكن لم يكن باستطاعتهم القيام بالأعمال الصغيرة ، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى وجود أعداد كبيرة من صغار الموظفين ، وبالتالي جاء

---

(١) ويل دورانت : اختناق هندوستان، تهران ، انتشارات كام وانتشارات سحر، ٢٥٣٦ شاهنشاهى ، ص ٧٥ .
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٢٨ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

تأسيس المدارس الإنجليزية لإعداد هذه الكوادر في إطار دفع عجلة الاستعمار الإنجليزي للهند ، ووضع تعليم اللغة الإنجليزية في أولويات اهتمامات هذه المدارس ، ليتمكن المتخرجون منها من أداء الدور المطلوب منهم بتنفيذ مايتلقونه من التعليمات من السادة الإنجليز (١).

بدأ تعليم اللغة الإنجليزية في الهند في العقد الرابع من القرن الثالث عشر الهجري / العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي في المدارس التنصيرية ثم قامت سلطات الشركة الإنجليزية في العقد التالي بتوسيع تعليم الإنجليزية إثر التقرير الذي قدمه مكولي Macaulay في عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م في عهد الحاكم العام ويليم بنتنك William Bentinck (١٢٤٣ - ١٢٥٠ هـ / ١٨٢٨ - ١٨٣٥ م) (٢) .

لقد نوقشت في هذه الفترة قضية اللغة التي يجب أن تتخذ لغة عامة في الهند المليئة بمختلف اللغات واللهجات ، وظهر في هذا الصدد آراء مختلفة ، ورأى البعض أن تختار اللغة الإنجليزية لهذا الغرض ، وعارض البعض هذا الرأي بدليل أن تعلم اللغة الإنجليزية سوف يفتح أمام الهنود آفاقا جديدة من العلم والمعرفة مما قد يتسبب تهديدا لاستمرارية الاستعمار الإنجليزي ، وهناك من رأى اتخاذ اللغتين الفارسية والسنسكريتية لغتين رسميتين للبلاد إرضاء للمسلمين

---

(١) جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨٣٨ .

(٢) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٢٥ ،
عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٨٧ ،
شيلا دهار : تاريخ هند ، ص ١٧٩ .

والهندوس [1]، وبعد البحث والدراسة التي قام بها مكولي المكلف بوضع أنظمة التعليم الجديدة في الهند، ظهر أن اتخاذ اللغة الإنجليزية لغة رسمية للبلاد وتشجيع تعلمها سيكون أكثر نفعا للشركة، لأن الإنجليز كانوا بحاجة إلى عشرات الآلاف من الموظفين وصغار الفنيين، واستقدام هذه الأعداد الضخمة من بريطانيا أو سائر البلدان الأوربية كانت مكلفة جدا للشركة التي كانت تبحث عن الاستغلال والحصول على أكبر قدر من الأرباح، في حين كان استخدام الهنود يتيسر بأقل تكلفة، خاصة بعد أن أقفل الإنجليز أبواب المعيشة أمام الهنود وأصبحوا يتسابقون إلى قبول الوظائف والأعمال بأرخص الرواتب والأجور بحثا وراء توفير الحد الأدنى لمتطلبات المعيشة. ويبدو أن تجربة تعلم بعض الهنود الإنجليزية في المدارس التنصيرية يكون عاملا آخر لتشجيع الإنجليز لاتخاذ قرار تعليم الإنجليزية، بعد أن رأو أن أمثال هؤلاء المتعلمين كانوا على استعداد أكثر للتعامل مع الشركة والتكيف مع مصالحها. ومن هنا تقرر تعليم الإنجليزية في الهند واتخاذها لغة رسمية وذلك في عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م، أعقبه تأسيس معهد تعليم اللغة الإنجليزية في كلكته، ثم انتشرت المدارس في مناطق مختلفة، إلى أن تأسست هناك جامعات في كل من مدن كلكته ومدراس وبمبيء في عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م متزامنة مع ثورة الهند الفاشلة ضد الاستعمار الإنجليزي [2].

---

(١) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية، ص ٢٨٤ .

(٢) جواهر لعل نهرو : كشف هند، ج ٢، ص ٥٢٥ ،
هـ . ا . ل . فشر : تاريخ اوربا فى العصر الحديث، ط٧، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٦م، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .
شيلا دهار : تاريخ هند، ص ١٨٠ .

لقد كان إعداد هؤلاء المتعلمين يتم بطريقة يكونون هنودا باللون والدم وإنجليزيا بالطبع والعقلية ، حسب ما صرح مكولي نفسه [1]، فكانت الخطة أن يعلم الهنود على قدر ينفع تجارة الشركة وإحكام سيطرتها على الهند ، ومع كل هذا ومع أن التعليم لم يصبح مجانيا ، كانت المدارس الرسمية التي أنشأت حتي أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، لاتستوعب أكثر من ٤ ٪ من إجمالي أبناء البلاد وبناتها [2].

إن مايجدر ذكره في هذا الصدد هو أن المسلمين قاطعوا هذه المدارس ، ولم يقبلوا إلى تعلم الإنجليزية والالتحاق بالمدارس إلا في الفترات المتأخرة من تاريخ الاستعمار الإنجليزي للهند ، وحتى في هذا الوقت المتأخر أيضا كانت أعداد المسلمين الذين أقبلوا إلى ذلك التعليم قليلة جدا ، فكانت الغالبية العظمى من الذين تتلمذوا في تلك المدارس التنصيرية الاستعمارية من الهندوس ، وخاصة من طبقة التجار الهندوس الذين تواطئوا مع الإنجليز ضد المسلمين منذ أن أصبحت الشركة صاحبة السيادة العليا في بنغال ، وأصبحت هذه الطبقة التي تكونت في إطار السيطرة الإنجليزية ومخططاتها الاستعمارية تمجد حكم الإنجليز في الهند وتدافع عنه [3].

بمرور الأعوام زادت في المدن هذه الفئات التي تربت بالإنجليزية ، وبدأت

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٩٨ ،
شيلا دهار : تاريخ هند ، ص ١٨٠ .

(٢) ويل دورانت : اختناق هندوستان ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٣) ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ص ١٠١ - ١٠٢ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٤٩ .

تنمو طبقة متوسطة جديدة ، تشتغل في الأعمال الحرة المختلفة من محاماة وطب وتجارة ووسطاء المعاملات وأمثالها . وكانت هذه الطبقة في معظمها مرتبطة بالمستعمرين الإنجليز ، وتقتات مما تحصل عليه من موائد الإنجليز الاستعمارية ، وكان هؤلاء في غالبيتهم من صغار الموظفين الذين يساعدون الإنجليز في أعمالهم الإدارية ، كما كان مجموعة كبيرة منهم يعملون في حقل المحاماة ويكسبون ثروة من المرافعات والدعاوي التي كانت تعرض إلى المحاكم ، وهناك كانت فئة أخرى من هؤلاء يعملون كوسطاء تجاريين بين التجارة والصناعة الإنجليزية والأسواق الهندية [١].

كانت بنغال مركز الحكم الإنجليزي ، سباقة في هذا الاتجاه ، وفيها بدأ تعليم الإنجليزية لأوائل مجموعات الهنود ، ومنها انتشر التثقف بالإنجليزية والتكيف بالإنجليز إلى سائر أنحاء الهند في ظل السيادة الإنجليزية وتوجيهها ، وفي طوال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ظهر في بنغال عدد من رجال الثقافة والسياسة الذين تولوا التوجيه الثقافي والسياسي في سائر الأقاليم الهندية . وكما ذكرنا فإن بنغال كانت أقدم مقاطعة هندية خضعت لسيادة الشركة الإنجليزية وبالتالي كانت أكثر اطلاعا عن الشركة الإنجليزية والمراحل التي قطعتها في تقدمها إلى إخضاع الهند وإحكام سيطرتها عليها ، وفي ضوء هذا الماضي وذلك الموقع ، كانت بنغال أكثر تقبلا وإقبالا إلى التثقف بالإنجليزية والتحمس لها ، ولا نعني بذلك بنغال الأغلبية المسلمة ، بل نقصد بذلك الأقلية الهندوكية الحاقدة على الإسلام والحكم الإسلامي في الهند ، الأقلية

---

(١) جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨٤٤ – ٨٤٥ .

الهندوكية التي تواطئت مع الشركة الإنجليزية منذ أول يوم ثبتت أقدامها في كلكته ، وعملت لاستمرارية تفوق الشركة وإضعاف المسلمين الاقتصادي والسياسي .

ولكي نعرف على مدى تأثير تعلم الإنجليزية واستخدام المتشبعين بالتوجيه التنصيري الاستعماري في إحكام سيطرة الإنجليز على الهند ، يكفي أن نشير بأنه أثناء قيام ثورة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م لم تحرك بنغال ساكنا ، مع أن شرارتها الأولى اشتعلت على مقربة من كلكته [١]، ومع أن بنغال كانت أكثر الأُقاليم الهندية سلبا ونهبا ومهانة من قبل الإنجليز ، إلا أن بنغال أسيزة التآمر الصليبي الهندوكي لم تشترك في تلك الثورة فحسب ، بل بقيت كسابق عهدها قاعدة لإمدادات القوات الإنجليزية ومنجدة لهذه القوات في أوقات الشدة .

كما أشرنا لم يكن الغرض من تأسيس الإنجليز المدارس والجامعات في الهند، هو القضاء على الجهل والأمية والتخلف ، ورقي البلاد إلى أعلى المستويات في مختلف المجالات ، بل كان الغرض منه هو توفير المتطلبات الإدارية للمؤسسات الإنجليزية الاستعمارية المتنامية ، وخارج هذا الإطار لم تكن السلطات الاستعمارية لتسمح بأن تتكون لدى الهنود ملكة البحث العلمي وقدرة الاختراع والاتجاه إلى التقدم العلمي والتقني والارتقاء بالهند من مجتمع استهلاكي إلى مجتمع إنتاجي، والدليل على ذلك أنهم في الوقت الذي قرروا فتح المدارس وتعليم الإنجليزية ، لم يكونوا يسمحون باستيراد مكائن الطباعة وتداولها بين الهنود ، وكانوا يتخوفون من أن يمتلك الهنود أي نوع من أنواع المكائن ويعتبرونه تهديدا

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٢١ .

لمستقبل الإنجليز الصناعي الاستعماري [1]. ويذكر أن نظام حيدر آباد أكبر الإمارات الهندية التي استمرت في حمى الإنجليز في إطار الحلف التعاوني ، أبدى رغبته لمشاهدة المكائن الأوربية ، فأحضر إليه المقيم الإنجليزي في بلاطه مضخة رياحية وماكينة طباعة ، وبعد إرضاء غريزته الاستطلاعية ، نقلت الماكينتان إلى المستودع ضمن هدايا وأشياء أخرى جاء بها الإنجليز لصديقهم حاكم حيدر آباد، ولكن عندما اطلعت كلكته على هذه الأنباء ، أبدت استياءها من المقيم الإنجليزي في حيدر آباد ،خاصة أنه زود إحدى الإمارات الهندية بماكينة طباعة ، وأبلغ المقيم كلكته بأنه قادر على تدمير هذه الماكينة سرا إذا تلقى أوامر بذلك [2].

مع أن الشركة الدولة لم تكن تسمح بانتشار المطابع الأهلية ، إلا أنها لم تكن تقدر على القيام بأعمالها الإدارية المتسعة دون الاستعانة بالمطابع ، فمن هنا تأسست مطابع حكومية في كلكته ومدراس وبعض المدن الأخرى ، وكما أشرنا في السابق كان المنصرون هم الذين قاموا بإنشاء أول مطبعة أهلية في الهند، ولكن التنصير كان في خدمة توطيد سيطرة الإنجليز الاستعمارية ، وبرامجه كانت موجهة لزعزعة عقائد الهنود ، واجتثاث تراث الهند الإسلامي ، فمن الصعب الفصل بينه وبين الاستعمار ، ووصف إمكاناته ووسائله ونشاطاته بالأهلية .

على الرغم من أن الإنجليز فرضوا القيود وأخذوا الاحتياطات الممكنة لعدم تزود الهنود بوسائل التقدم العلمي والتقني ، والحيلولة دون تنمية قدراتهم الاختراعية ، إلا أنه لم يكن باستطاعته الإنجليز أن يحولوا دون تأثر الهنود

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٥١٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٥١٩ – ٥٢٠ .

بالآفاق الرحبة التي فتحتها أمامهم الإنجليزية في مجالات الفكر والثقافة والتعرف على دنيا الاكتشافات العلمية والإنجازات الصناعية ، وبمرور الأعوام تكونت في الهند طبقة من المثقفين والإداريين والفنيين المربين والمدربين تحت إشراف وتوجيه إنجليزي ، كان لها دورها المستقبلي في مختلف مجالات الحياة في الهند، وبما أن هذه الطبقة كانت في معظمها تتكون من الهندوكيين المرتبطين بالاستعمار الإنجليزي ، كانت النتيجة هي إبعاد المسلمين عن المشاركة الفعالة في شئون البلاد ، وذلك بسبب تخلفهم في مجال التعليم والتخصص العلمي من جهة وبسبب تعمد الاستعمار الإنجليزي في الحيلولة دون تزود المسلمين بالوسائل التي قد تمكنهم من استعادة سيادتهم التي اغتصبها منهم ذلك الاستعمار .

حكم المسلمون الهند لقرون متوالية ، وكانت الشريعة الإسلامية هي الأساس العام لحكم البلاد ، فكانت المحاكم تصدر أحكامها في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية ، ولكن عندما ثبت الاستعمار الإنجليزي أقدامه في الهند ، وآنست الشركة الإنجليزية من نفسها القوة ، بدأت تعمل من أجل إقصاء أحكام الشريعة الإسلامية عن شئون الحياة وإحلال القوانين الجديدة التي وضعوها محل الشريعة الإسلامية ، وفي هذا الإطار كان الإنجليز يقومون بعزل القضاة المسلمين وتعيين قضاة منهم محلهم (١).

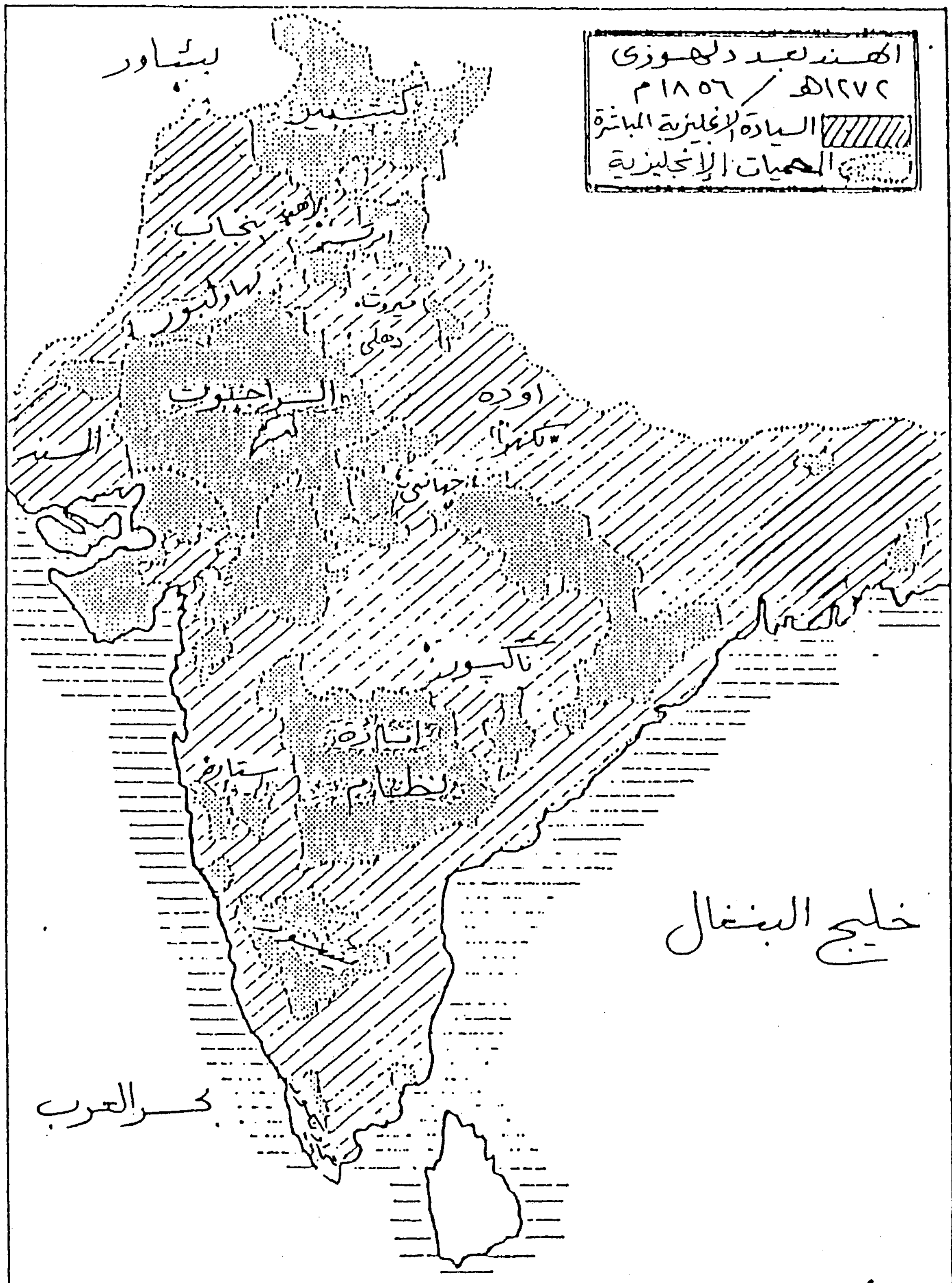
عندما بدأت المدارس الإنجليزية تبدأ بتخريج من تولت تعليمهم وتثقيفهم، أصبح هؤلاء المتخرجون عونا للإنجليز في خططهم الرامية إلى إقصاء الشريعة ، حيث دخلوا في مجال المحاماة والقضاء بعد أن تشبعوا بالثقافة الإنجليزية

---

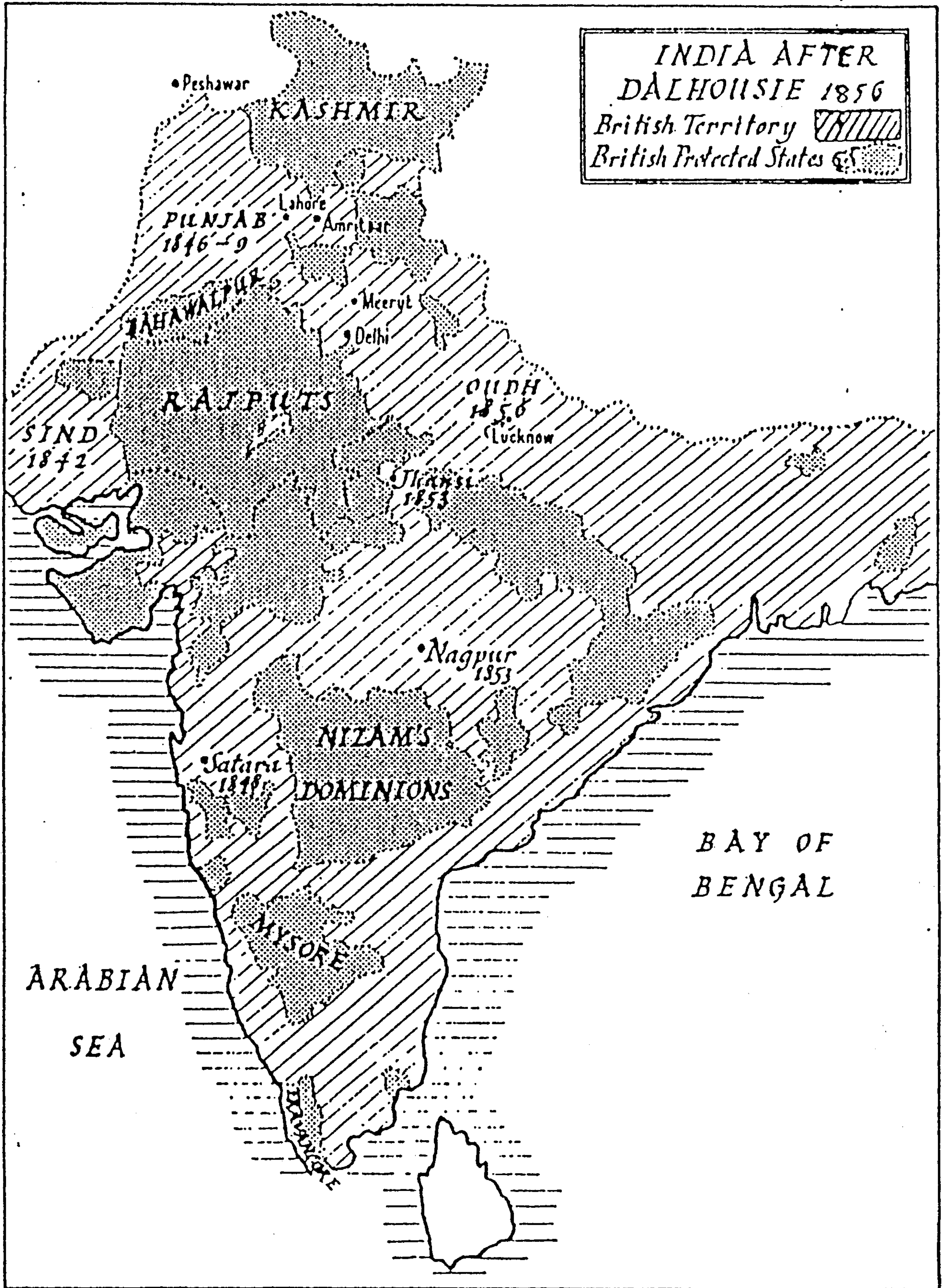
(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٠٥ .

وتحمسوا لتطبيق القوانين الإنجليزية ، وكانت من نتائج ذلك أن فقد آلاف القضاة والموظفين المسلمين وظائفهم ، بعد أن ألغى الإنجليز المحاكم الشرعية ، ونفذوا في الشئون المدنية والجنائية قوانينهم الوضعية ، وحصروا أحكام الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية بين المسلمين أنفسهم ، ثم جعلوا أمر هذا التنفيذ المحدود أيضا بيد المحاكم المدنية العامة بدل القضاة المسلمين[١]، حيث كانت تلك المحاكم بيد غير المسلمين من الإنجليز أو أعوانهم الهندوكيين الذين تثقفوا في المدارس الإنجليزية وتربوا وفق مناهجها .

(١) أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية ، ص ٢٩ ،
غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث ، ص ١٤٢ .



Philip Mason:
The Men Who Ruled India, P. 151



Philip Mason:
The Men Who Ruled India, P. 151

الفصل الخامس

الثـورة الهنديـة

(١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧م)

- رد الفعل لسيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية على كل الهند .
- إخماد الثورة ، سقوط دولة المغول الإسلامية في الهند .
- إنهاء حكم الشركة ، الهند الإمبراطورية ، طريق الإمبراطورية

رد الفعل

لسيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية على كل الهند

في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م قامت في الهند ثورة غاضبة كرد فعل لسيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية على الهند وسياستها الابتزازية والاضطهادية والاستفزازية والاستهتارية ، فكانت لهذه الثورة دوافعها الاقتصادية والاجتماعية والدينية والنفسية ، حاول فيها الهنود التخلص من نير سلطة الشركة الأجنبية التي لم يكن يهمها إلا استغلال خيرات الهند وتسخير الهنود في تحقيق أطماعها الاستعمارية وتجريدهم عن وسائل التقدم والرقي ببلادهم في المجالات المختلفة ، إلا في الإطار المحدد الذي يستوجبه دفع عجلة الاستعمار إلى الأمام . ففي المجال الاقتصادي رأينا أن الشركة الإنجليزية حيثما تقدمت في الهند وبسطت سلطتها ، أخذت في القضاء على الصناعات الوطنية واستغلال خيرات البلاد ، وطردت المنسوجات القطنية الهندية من أسواق أوربا ، ثم أقدمت لتصدير الخيوط القطنية إلى الهند إلى أن أغرقت الهند بالمنسوجات القطنية ، ووضعت يدها على محصولات الهند من القطن لترسل إلى إنجلترا وتحول إلى قماش يتم تسويقه في الهند وسائر الأسواق الآسيوية بأضعاف أسعاره ، وبذلك انتشرت البطالة بين العمال والحرفيين والموظفين الهنود ، كما أن الزراعة لم تعد تتحمل هذا العبء الثقيل الذي ترتب على فقدان مئات الآلاف من الهنود أعمالهم ووظائفهم ، حتى أن طبقة ملاك الأراضي المرتبطين بالطبقات الحاكمة عجزت عن توفير مرتبات الموظفين فعملت على تخفيض بعض المرتبات والمخصصات الأخرى[1] ، وكان من نتائج ذلك انتشار الفقر والشقاء

---

(١) مؤلف مجهول : ظفرنامهٔ وقايع غدر ، مخطوط فارسي في I.O.L تحت رقم ETHE 431 ق ٤٧ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٨ ،
عادل حسن غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث، ص ١٤٠
حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٠ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٨٧ .

في أنحاء الهند وإثارة النفوس ضد سيطرة الشركة الابتزازية ، لاسيما وأن الإنجليز قد فرضوا ضرائب لاتطاق على الزراع والتجار والصناع ، بعضها مكرر بطريقة غير مشروعة ، فكانت هناك على سبيل المثال ضريبة الأرض المزروعة بالقطن ثم ضريبة الحصاد ، ثم ضريبة عرضه على السوق ثم ضريبة تحويله إلى الخيوط ، ثم ضريبة نسجه وفي الأخير ضريبة بيع النسيج في الأسواق ، ويزيدون الأمر سوءا بأنهم بعد فرض الضرائب الثقيلة هذه كانوا يتركون الأمر عبثا في داخل الأسواق دون أنظمة تحد من أطماع التجار ،وكانت نتيجة عدم التدخل هذا حدوث احتكار الغلات بواسطة التجار الجشع الذين كانوا يقومون بشراء كميات كبيرة من الغلات في موسم الحصاد بأرخص الأثمان ، ثم يبيعونها بأضعاف ما اشتروها ، في وقت الشدة ونفاد محاصيل الموسم لينتج عن ذلك القحط الذي كان يتسبب بدوره في هلاك البعض (١). كذلك كانت الغطرسة الإنجليزية تستخف بالهنود وتذلهم وتمتهن كرامتهم وتنظر إلى معززيهم نظرة الازدراء والاحتقار ، وكان الإنجليز يعاملون الهنود معاملة سيئة جعلتهم لايقدرون على إفصاح ما في قلوبهم إذ لم تكن السلطات الإنجليزية تستمع إلى شكاويهم ، بل كانت تكذب دعاويهم الحقة وتصدق شهود الزور في المحاكم من السفهاء والأرازل إمعانا في إذلال الهنود الشرفاء، وعلى سبيل المثال كانوا يطلبون من وجهاء الهنود أن يخلعوا أحذيتهم أثناء مراجعتهم إلى السلطات الإنجليزية ، في حين لم يكونوا يطلبون هذا الأمر من

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٧ آ - ٧ ب ،
Syed Moinul Haq: The Great Revolution of 1857,pp.19-20.

بني قومهم والأرازل الذين كانوا ينفذون الأعمال الاستفزازية والاستخفافية ضد أهالي الهند الشرفاء ، الذين كان يطلب منهم أن يوقروا الإنجليز ، في حين لم يكن الإنجليز يردون تسليمهم [1]، وكانوا يجبرون الشرفاء على القسم حتى في صغائر الأمور ، في حين لم يكونوا متعودين على ذلك بل كانوا يعدون القسم شكا في شرفهم ، وكانت نساؤهم ملتزمة بالحجاب ، فلو دخل أحد بيتهم ورأى النساء فإنه كان عارا لايغسل إلا بالدم ، ومع ذلك فإن بيوتا كثيرة كانت تتعرض لمثل هذه الانتهاكات والاستفزازات ، وقد اجتمع حول الإنجليز جماعة من الحلافين الكذابين النهابين ، في الوقت الذي ملئت سجونهم بشرفاء أهل الهند[2].

كان نقض العهود من العوامل التي أدت إلى ثورة أهل الهند ضد سلطة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، ولقد رأينا أن الإنجليز كانوا يملون شروط الاتفاقيات على الأمراء المحليين ومع هذا كانوا يبادرون لنقض هذه العهود إذا شعروا بأنهم ليسوا بحاجة إلى استمرارية تلك الاتفاقيات ، وقد رأينا أن الشركة كيف تمكنت من بسط نفوذها بواسطة عقد الاتفاقيات الثنائية وتكوين الأحلاف التعاونية مع الإمارات والكيانات الهندية ، ولكن بعد أن نجحت الشركة في القضاء على جميع منافسيها بدأت في عهد دلهوزي (١٢٦٤ - ١٢٧٢هـ/١٨٤٨ - ١٨٥٦م) تتنصل عن هذه الاتفاقيات وذلك بالقضاء على العديد من تلك الإمارات وإلحاقها إلى سيادة الشركة المباشرة ، وتأتي أوده في مقدمة مثل هذه الإمارات حيث ألحقت إلى سيادة الشركة المباشرة ونفي آخر حكامها واجد علي شاه إلى كلكته

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٦ أ ، ٩ ب .

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٨٣ .

دون أن يستمع إلى تظلماته أحد من السلطات الإنجليزية ، وذلك على الرغم من أن هذه الإمارة كانت تخضع عمليا إلى الشركة بعد أن قبلت الدخول في حلفها ولم يحدث أن قاومت الشركة أو رفضت مطالبها التي كانت تتعارض تماما مع مصالح رعاياها .

ولم تقم الشركة بإزالة إمارة أوده ونفي حاكمها فحسب ، بل لم يحترز عمالها الذين تولوا أمور الإمارة بعد إلحاقها ،عن آية أعمال استفزازية واستخفافية ضد أفراد الأسرة الحاكمة المنكوبة وضد شرفاء هذه الإمارة ووجهائها، وعينوا مكانهم حكاما غلاظا شدادا ، وفصلوا عن الخدمة عشرات الآلاف من أبناء الإمارة الذين أصبحوا بلا عمل ومعول ، ووظفوا مكانهم الذين استقدموهم من خارج الإمارة (١)، كذلك جعل كيننك Canning حاكم عام الشركة (١٢٧٢ – ١٢٧٨هـ/ ١٨٥٦ – ١٨٦٢م) باكورة أعماله بأن أبلغ بهادر شاه الثاني سلطان دهلي (١٢٥٣ – ١٢٧٥ هـ / ١٨٣٧ – ١٨٥٨م) بأنه سوف يكون آخر من يحمل هذا اللقب (٢)، وبهذا أصبحت الشركة لاتتحمل حتى البقاء الرمزي للدولة المغولية التي لم يكن يتمتع سلطانها بأية سلطة ، كما أصبحت لاتطيق استمرارية الإمارات التي كانت تتمتع باستقلال اسمى ضمن نظام الحلف التعاني ، وهنا نفد صبر الهنود بعد أن رأوا الشركة الإنجليزية لاتعترف إلا بالإنجليز أو إنجليزي المنشأ أو التربية ، حيث كانت كلما أُلحقت امارة إلى سيادتها المباشرة ، وظفت المتخرجين من

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٧ ب – ٨ ب ،

Tara Chand: History of the Freedom Movement in India, Vol.II, p.51.

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٩ .

مدارسها والمتدربين في معاهدها على شئون الإمارة ومجالاتها المختلفة دون إتاحة فرصة التعلم والتدريب والتوظف لأبناء الإمارة نفسها [١].

كان هناك سبب مهم آخر لاندلاع ثورة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م وهو استهزاء الإنجليز بمعتقدات الهنود الدينية وقيمهم الاجتماعية ، إذ كانوا يروجون بأن التمسك بتعاليم الدين جهالة وتخلف ، وأن العناية بشئون الفقراء والمحتاجين ومد يد العون إليهم سفاهة ، وأن الكرم والقيام بالمبرات والأمور الخيرية من أعمال الحمقى، وأن البخلاء هم العقلاء . كما كانوا يشيعون بأن الحياء والترحم والتقوى هي من صفات الجبناء ، وأن الشجاعة هي قساوة القلب والشدة في التعامل وارتكاب المنهيات الشرعية [٢] وهكذا حاول الإنجليز القضاء على عقائد الهنود وقيمهم وتقاليدهم بعد أن قضوا على سيادتهم ووضعوا بأيديهم خيرات بلادهم . وبجانب محاولات زعزعة عقائد أهل الهند ، أطلقت الشركة أيدي المنصرين، فتيقن الهنود بأن الإنجليز سوف يحولونهم إلى النصرانية ، متخذين من التجويع والإذلال وسيلتهم إلى ذلك ، مستغلين في ذلك حياة البؤس والفقر والمجاعات التي كانت تصيب الأقاليم الهندية من حين لآخر وذلك بسبب سياسات الشركة الابتزازية التي ذكرناها فيما سبق . وكان المنصرون يتقاضون مرتباتهم من الشركة ، كما كان كبار الموظفين الإنجليز يستغلون مناصبهم وسلطاتهم لتلقين النصرانية لصغار موظفيهم الواقعين تحت سيطرتهم ، كما كانوا يدعونهم إلى اجتماعات يحاول فيها القسس التأثير عليهم وجذبهم إلى الديانة النصرانية ، مشيرين شكوكا وشبهات

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامۀ وقايع غدر ، ق ٨ ب - ٩ أ .

(٢) المصدر نفسه : ق ٩ أ - ٩ ب .

لزعزعة عقائدهم ، وبلغت هذه الدعايات المغرضة حدا لم يعد الموظفون الهنود فيه يأمنون على دينهم [١]، وطبيعي أن يكون هناك رد فعل عنيف إزاء هذه المحاولات السافرة التي تمتد إلى أقدس شيء لدى الشعوب وهو عقيدتها التي تكون في الغالب متأصلة في أعماقها ، خاصة إذا اتبعت في هذا الصدد أساليب غير شريفة من الإفقار والتجويع ثم استغلاله لتبديل عقيدة الشعب إلى عقيدة المحتلين المستعمرين ، وقد يصبر الانسان على الفقر ويتحمل الضغط والتعسف ، ولكنه يثور ويهيج إذا ما خدش في دينه وعقيدته ، وهو ما نشاهده في ثورة الهند الكبرى لعام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م [٢].

الجدير بالذكر أنه كان هناك دور مهم لبعض علماء المسلمين الذين وجدوا في تسلط الإنجليز وضعف السلاطين قضاءاً على الدين الإسلامي وحكم المسلمين في الهند ، فبذلوا مجهوداتهم لتبصير الناس بمسئولياتهم وتنبيه المسلمين إلى الأخطار التي تهدد هويتهم الإسلامية ، ويعتبر عالم الهند الكبير الشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤ هـ - ١١٧٦ هـ / ١٧٠٢ - ١٧٦٢م) وأبنائه وتلامذته في مقدمة هؤلاء العلماء الذين قاموا بالدور البارز في توعية المسلمين الهنود وتوجيههم إلى المسئوليات الإسلامية الجسيمة العالقة على أعناقهم في تلك الفترة الحرجة

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٩٩ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٣٩٩ ،
محمد حسن الأعظمي : حقائق عن باكستان، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر بدون تاريخ ، ص ٢٧ .

من تاريخ الإسلام في الهند [1]، وفي هذا الإطار قام الشاه عبدالعزيز (١١٥٩ - ١٢٣٩هـ / ١٧٤٦ - ١٨٢٣م) الابن الاكبر لولي الله الدهلوي بعد تقدم سيادة الشركة الإنجليزية إلى دهلي وأكثر أنحاء الهند ، قام بإصدار فتوى معروفة بين فيها أن الهند أصبحت دار حرب وعلى المسلمين جميعا أن يقوموا بالجهاد لتحويلها مرة أخرى إلى دار الإسلام ، وذكر في فتواه أن إمام المسلمين أصبح لاحول له ولاقوة ولايتمتع بأية سلطة ولا تنفذ أحكامه ، وأن حل الأمور وعقدها صار بيد النصارى الإنجليز ، حتى أنه لم يعد باستطاعة أحد أن يدخل إلى دهلي إلا بإذنهم ، كما يقوم هؤلاء بتحصيل الخراج وتعيين الموظفين ودفع الرواتب والإشراف على القضاء والأمن وتنفيذ الأحكام ، وأنهم لايحترمون الأمور الأساسية في الإسلام ولا يدعونها في يد أصحابها [2]، وانتشرت مثل هذه الدعوات في أنحاء البلاد وأخذ العلماء يتجولون بين المدن والقرى منبهين الناس إلى واجباتهم تجاه مصيرهم ومصير بلدهم ، ولم يقتصر دور هؤلاء العلماء في الكلام والوعظ فقط ،بل قام بعضهم بتكوين جماعات خاضوا بها معارك لإنقاذ المسلمين من الإنجليز ومن السيخ الذين انتهزوا فرصة ضعف حكم المسلمين فعاثوا في البنجاب فسادا وقاموا بأعمال القتل والنهب والتخريب ضد المسلمين وممتلكاتهم ، ويأتي في مقدمة هذا النوع من العلماء أحد تلامذة مدرسة الشاه ولي الله وهو سيدأحمد بن عرفان بريلوي

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤١٢ - ٤١٣
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٧ .

(٢) شاه عبدالعزيز دهلوي : فتاواي عزيزي ، ص ١٦ - ١٧ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤١٦ .

المشهور بالشهيد ، الذي جمع بين الدعوة والتربية والتعليم والجهاد وعمل لإحياء السنة وإمحاء البدع،والتقشف في الحياة وتحمل المشاق في سبيل الله ، وعلى الرغم من أن حركته كانت محدودة إلا أنها كانت ذات آثار قوية في إنعاش نفوس المسلمين ، خاصة بعد استشهاده في ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠م (١).

بفضل هذه الجهود وتلك العوامل ، ساد الهند سخط عام ضد الوجود الاستعماري الإنجليزي انتهى إلى قيام ثورة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م التي لم تكن أول رد فعل لسيطرة الشركة الإنجليزية على الهند وإن كانت أكبره وأهمه ، ولقد قام الهنود برد فعلهم ضد سيطرة الشركة منذ أن أخذ حاكم عام الشركة ولزلي (١٢١٢ - ١٢١٩هـ/ ١٧٩٨ - ١٨٠٥م) باتباع سياسة الإلحاق وتكوين التحالفات مع بعض الإمارات الهندية وحدث عن هذا تسريح مئات الآلاف من جنود الإمارات التي ضمت إلى سيادة الشركة أو دخلت معها في الحلف التعاوني ، ولقد تجمع عدد كبير من هؤلاء الجنود في الهند الوسطى يحترفون الحرب ، كما كان يلتحق بهم نسبة كبيرة من الأهالي بعد أن سد الإنجليز أمامهم طرق المعيشة ، وقد قام بعض الحكام المحليين بتشجيعهم سرا ، وكانت عملياتهم تثير الرعب في نفوس الآخرين ، ولم تكن هنالك قوة لها المقدرة الكافية لضربهم ، ولقد بدأت تلك الجماعات تزحف في البلاد نهبا وسلبا ،وشملت غاراتهم معظم الهند ، وأصبحت وباءا قاتلا عمل على إجهاد واستنفاد طاقات

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤١٧ ،
السيد قدرة الله الحسينى : العلامة السيد عبدالحي الحسني ، ص ٤٢
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٧ - ٥٥٨ ،
Syed Moinul Haq: The Great Revolution of 1857, pp.51-52.

الولايات الداخلية (١)، على الرغم من أن هذه العمليات كانت موجهة بالدرجة الأولى الى السيادة الانجليزية الاستعمارية والامارات الهندية المتحالفة معها والخاضعة لها والتي كانت الشركة الانجليزية ملتزمة بالدفاع عنها وفقا للاتفاقيات الثنائية في اطار نظام الحلف التعاوني ، الا أن هذه العمليات كانت تتم من الجانبين على حساب ثروات الهند وراحة الهنود ، ولم تكن الشركة تتحمل آية خسائر مالية،وحتى الخسائر البشرية أيضا لم تكن الشركة تتحملها الا بصورة ضئيلة جدا ، لأنها كونت جنودا من الهنود أنفسهم استخدمتهم في حروبها ضد الهنود والامارات الهندية ، وهذه الجيوش زاد عددها بمرور الأعوام يقودها ضباط أنجليز . ومن جهة أخرى تسببت العمليات المشار اليها في وقوع الامارات الهندية الشبه مستقلة الى أحضان الشركة الانجليزية أكثر فأكثر ، لأنها بعد أن سرحت جنودها لم يبق لها غير الشركة قوات تدافع عن هذه الامارات . وعلى كل حال ، فقد تشكلت من تلك الجيوش المحترفة للقتال ، جماعات قاتلت الانجليز على هيئة حرب العصابات ، وأشهر هذه الجماعات هي التي كونها أمير خان Amir Khan وجيتو Chitu وهي في مجملها عبارة عن تحالف أفغاني مرهتي لمقاومة السيطرة الانجليزية وذلك في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وكان أمير خان يتزعم جماعات الأفغان الهندية كما كان جيتو يتزعم جماعات المرهته التي قبلت الانضمام للمقاومة (٢)، وتكونت هذه المقاومة في

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, pp.370-371.

(٢) مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٤ ،

A.V.Jackson: History of India, Vol.VIII, p.373,

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.571.

منطقة راجبوتانا Rajputana في وسط الهند ، وسرعان ما أصبح لدى أمير خان وچيتو جيش متماسك قوامه حوالي ستين ألف جندي من المسلمين والهندوكيين بالإضافة إلى امتلاكهم مدفعية قوية ، كما شكلوا عصابات مقاتلة باسم پنداري Pindri تغير على البلاد التي يمتلكها الإنجليز أو التي كانت واقعة تحت حماية الإنجليز وهناك قرائن تشير بأن هذه العصابات كانت متفاهمة مع حكام المرهته في پونه Poona وناگپور Nagpur وگواليار Gowalior ، لأنها كانت تتحاشى مناطق هؤلاء المرهته وتركز عملياتها في الأراضي الخاضعة للشركة الإنجليزية وأراضي نظام حيدر آباد الحليف المطمئن للشركة (١). إن وجود جيش نظامي بهذه المقدرة وعصابات المقاومة التي انتشر أفرادها في وسط الهند ، أقلق الإنجليز كثيرا، خاصة وأن هذه القوات لم تكن مرتبطة بأية إمارة معترف بها أو أرض محددة ولم تكن كذلك تقر بأية مسئولية سياسية أو مدنية ، بل كان أفرادها يوجهون من قبل قادتهم من خلال العمليات التي كانوا يقومون بها للبحث عن منطقة سيادة لتنظيم المقاومة ضد سيطرة الشركة والعمل لاستمرارية هذه المقاومة لاسيما وأن الإمارات الهندية التقليدية لم تقدر من الصمود أمام تقدم السيادة الإنجليزية ، ومن هنا شعر المسئولون في الشركة الإنجليزية بالخطر الذي يهدد مستقبل الوجود الإنجليزي الاستعماري في الهند ، فسير حاكم عام الشركة اللورد هستنجز Lord Hastings (١٢٢٧ - ١٢٣٨ هـ / ١٨١٣ - ١٨٢٣ م) جيشا كبيرا لمقاتلة هؤلاء المناضلين بلغ قوامه أكثر من مائة ألف جندي من جيوش مدراس وبمبيء وبنغال ، تمكن بعد عمليات

---

(١) A.V.Jackson: History of India, Vol. VIII, pp.373-374

مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٤ ،

V.A.Smith: The Oxford History of India, pp.562-563.

دامية من القضاء على تلك المقاومة المسلحة التي كانت أول رد فعل شعبي ضد سيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية على الهند [١]، وعلى الرغم من أن الإنجليز تمكنوا من إسكات رد الفعل هذا ، إلا أن الهنود بدأوا بعد عدة أعوام بتشكيل عصابات سرية تقوم باغتيالات في صفوف الإنجليز وأعوانهم ، وذلك بعد أن يئسوا من الحصول على حريتهم واستقلالهم واستعادة السيادة لبلادهم ، وكانت إحدى هذه الجماعات تسمى " داكويت Dacoit " التي تأسست في عهد الحاكم العام ويليم بنتنك Bentinck (١٢٤٣ - ١٢٥٠ هـ / ١٨٢٨ - ١٨٣٥ م) ، وكانت هذه الجماعة تعتبر الأمراء وملاك الأراضي وكبار التجار في الهند شركاء للإنجليز ، فمن هنا كانت عملياتها تشمل الإنجليز ومن تعتبرهم الجماعة شريكا لهم . وكان أفراد الداكويت يتوزعون في مجموعات تتكون من ثلاثين إلى أربعين فردا ، يتجول أفراد كل مجموعة على هيئة المسافرين،ثم يغيرون على منازل الإنجليز أو أعوانهم أثناء الليل فينهبون ما فيها ثم يشعلون النار في القصور [٢] .

كذلك ظهرت هناك في نفس الفترة جماعة أخرى باسم جماعة تك Thugs التي كانت تنتهج أسلوب الجماعة السابقة الذكر بتشكيلات مكونة من حوالي عشرة أشخاص ، وهذه الجماعة كانت في غالبيتها تتكون من المزارعين الذين فقدوا أعمالهم بسبب سياسات الشركة الإنجليزية الابتزازية ، وكان أفرادها يخططون

---

(١) مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٤ ،

A.V.Jackson:History of India, Vol.VIII,p.373

(٢) مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٤ ،

V.A.Smith: The Oxford History of India, p.634.

لجر أعوان الإنجليز إلى الغابات ثم يقومون بقطع رؤوسهم ، وكانوا قد وضعوا لتشكيلاتهم لغة خاصة وإشارات خاصة كذلك ، وطبيعي أن الإنجليز لم يقفوا مكتوفي الأيدى تجاه هذه الظاهرة التي جاءت كرد فعل لسيطرتهم على الهند ، فبذلوا جهودهم للقضاء على هذه الجماعات التي تحدت سيطرتهم ، وتمكنوا بعد سبع سنوات من المطاردة أن يقبضوا على حوالي خمسة عشر ألفا من أفراد هذه الجماعات ويعدموهم [1]، وبهذا قضى الإنجليز على فصل آخر من المقاومة التي استخدمت العنف ضد سيطرتهم الاستعمارية على الهند .

قضى الإنجليز على تلك المحاولات التي جزت للتخلص منهم ، وذلك بجيشهم الذي كان معظم أفراده من الهنود يقوده ضباط إنجليز ، وهؤلاء الجنود المحليون كانوا يسمون سپاى Sepoy (*) ، ومع أنهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى في الجيش إلا أن معاملتهم كانت غير مرضية ولم تكن متكافئة إطلاقا مع معاملة الجنود والضباط الإنجليز ، ولقد انتقل السخط وكره الإنجليز إلى جيشهم الذي قضوا بهم على كل مقاومة هندية وقفت ضد تقدمهم وإحكام سيطرتهم في الهند ، وأصبحت الجنود الهندية Sepoys تكره الإنجليز لما يشاهدونه من ظلم واقع عليهم وتفرقة في المعاملة ، وكان ضباطهم الوطنيون محرومين من الارتقاء إلى الرتب الصغيرة بعد خدمة طويلة ، وكانوا هم الواسطة بين كبار الضباط الإنجليز

(*) Sepoy كلمة مأخوذه من الفارسية " سپاه " وهي تعني الجيش أو جزء منه يتكون من عدد من الفرق .

(١) مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٤ ،

V.A.Smith: The Oxford History of India, pp.576,588,648.

والعساكر الهندية [1]، وقد قام هؤلاء الجنود الهنود من وقت لآخر باضطرابات تعبيرا عن سخطهم ، ففي عهد الحاكم العام النبرو Ellenborough (١٢٥٨ - ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٢ - ١٨٤٤ م) حدثت اضطرابات بين الجنود الهنود في كل من بنغال ومدراس وكان من نتيجتها إنهاء خدمة النبرو وتعيين هاردنك Harding (١٢٦٠ - ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٤ - ١٨٤٨ م) محله[2]. وفي عهد دلهوزي Dalhousie (١٢٦٤ - ١٢٧٢ هـ / ١٨٤٨ - ١٨٥٦ م) أصبحت الهند عامة وپنجاب بخاصة غاضبة ناقمة والنفوس متأججة بروح الثورة تنتظر من يبعث فيها الشرارة التي جاءت فعلا بسبب سياسة دلهوزي الإلحاقية والتوسعية ، ولقد انفجرت الأوضاع في ملتان Multan في جمادي الأولى ١٢٦٤ هـ / ابريل ١٨٤٨ م ثم انتشرت إلى سائر أنحاء پنجاب .

أخذ المقيم الإنجليزي في لاهور Lahore يتدخل في شئون ملتان الداخلية ، فاعترض واليها لتدخلاته مهددا بالاستقالة إذا لم يتوقف المقيم الإنجليزي عن التدخل في شئون ولايته ، فاعتبر المقيم هذا الإنذار استقالة وقام بتعيين وال جديد لملتان ، ولكنه لم يطمئن لولاء هذا الوالي فأنفذ معه مستشارين يديران شئون الولاية ولا يكون للوالي إلا وجودا رمزيا فقط ، ولقد أساء المتشاران معاملة الوالي القديم كما آساءا معاملة بعض الجنود السيخ ، مما تسبب في إثارة الجنود الذين قاموا بقتل المستشارين ، وأعلن الوالي القديم وقوفه إلى

---

(١) عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩١ ،
عادل حسن غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث، ص ١٤٢ .

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩١ .

جانب ثورة الجنود مما كان له أثره في انضمام كثير من جنود ملتان إلى صفوفه فأرسل الإنجليز قوات للقضاء على تلك الثورة ولكن قوات الوالي القديم مول راج Mulraj تمكنت من هزيمة القوات الإنجليزية ، وبانتشار هذه الأخبار هنا وهناك ، تشجع أكثر الإمارات السيخية للثورة وانتزاع استقلالها من أصدقائها الإنجليز ، وفي هذا الإطار اتصل السيخ بحاكم أفغانستان دوست محمد خان طالبين مساعدته العسكرية في حربهم ضد الإنجليز مقابل أن يتخلوا له عن الأرض الواقعة في شواطئ السند اليمنى(١) ، وعلى الرغم من أن دوست محمد خان لم يكن متحمسا في تلبية ذلك الطلب ، إلا أنه اضطر تحت ضغط من أعوانه أن يقوم بتقديم العون العسكري للمقاومة السيخية ضد الإنجليز على أمل أن يتمكن من استرداد الأراضي التي كانت أفغانستان قد خسرتها لصالح السيخ المدعومين في ذلك الوقت من الإنجليز ، فقاد حاكم أفغانستان جيشه إلى قلعة اتك Attock ، ومن هناك قام بإرسال حوالي خمسة آلاف من جنوده إلى گجرات (*) Gujarat لتنضم إلى قوات السيخ الثائرة التي كان يقودها شير سنگه Sher Singh ، وهناك أرسل دلهوزي قواته لمقاتلة التحالف السيخي الأفغاني ، الذي أحرز نصرا أوليا على الإنجليز ، حيث خسرت القوات الإنجليزية نحو ألفين وخمسمائة جندي وتسعة وثمانين ضابطا بين قتيل وجريح ، كما استولى السيخ على مدافع وأسلحة أخرى ، إلا أن

(*) گجرات : تقع هذه المدينة في إقليم پنجاب بين نهري السند وجهلم ، وهي غير ولاية گجرات الواقعة على ساحل الهند الغربي .

(١) مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٢ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٤ ،

V.A.Smith : The Oxford History of India, p.618.

دلهوزي قام بإرسال نجدات أخرى حيث حدثت المعركة الحاسمة في كَجرات في ٢٩ ربيع الأول ١٢٦٥ هـ / ٢١ فبراير ١٨٤٩ م تمكن فيها الإنجليز بإنزال ضربة قاصمة على قوات السيخ وحلفائهم الأفغانيين الذين تشتت شملهم تحت نيران مدفعية الإنجليز الثقيلة ، واستسلم شير سنكَه Sher Singh إلى الإنجليز في راو لپندي Rawalpindi ، في حين لم يبادر دوست محمد خان بإرسال نجدات أخرى لتستمر المقاومة ، بل عاد من پشاور Peshawar إلى جلال آباد (*) Jalalabad ومن هناك إلى عاصمة ملكه كابل (١)، وقام دلهوزي بإنهاء إمارة السيخ في پنجاب وإلحاقها إلى سيادة الشركة الإنجليزية المباشرة ، بعد أن عزل أميرها القاصر دليب سنگه Dulip Singh الابن الثالث لرنجيت سنگه Ranjit Singh مؤسس إمارة السيخ في پنجاب ، ونفاه إلى لندن (٢). وبذلك تم القضاء على رد فعل آخر لسيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، قام به الجنود في پنجاب ، والعجيب أن هؤلاء الجنود السيخ بدل أن يتحينوا الفرص للثأر من الإنجليز واستعادة استقلال بلادهم ، نراهم قد وقفوا إلى جانب الإنجليز أثناء ثورة الهند الكبرى التي قامت بعد بضعة أعوام ، فكانوا من العوامل المهمة في تثبيت دعائم السيطرة الإنجليزية في الهند .

(*) جلال آباد : مدينة في جنوب شرق أفغانستان بنيت في عهد السلطان جلال الدين محمد أكبر (سجان راى : خلاصة التواريخ ، ص ٨٥) .

(١) مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ ، إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٥ .

(٢) مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٣ ، إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٥ ، V.A.Smith : The Oxford History of India, p.619.

إن هذه الثورات التي أشرنا إلى بعض أحداثها ، لم تغير نظرة الإنجليز المتغطرسة إلى الهنود ، وإن نجاحهم في قمع ردات الفعل تلك ، جعلهم لايعيدون النظر في سياساتهم التي جعلت الهنود يكرهون الإنجليز ويبحثون عن طرق التخلص من سيطرتهم ، بل استمروا في سياستهم المبنية على الضم ونقض العهود وقمع المحاولات التحررية والاستهتار بالهنود وعقائدهم وقيمهم وتقاليدهم ، مما جعل الهنود يقومون بثورتهم الكبرى ضد السيطرة الإنجليزية ، رغم أن الإنجليز حالوا بينهم وبين كل وسيلة تساعدهم في الإعداد والتنظيم الجيدين للقيام بمثل تلك الثورة ، وكان هناك سخط عام يسود الهند ضد الإنجليز ، إلا أن الهند كانت مفككة ، ولم تكن هناك قيادة يلف الهنود حولها في حركة عامة كبرى لإنهاء الوجود الاستعماري الإنجليزي ، غير أن الفكرة كانت موجودة ، وعلى الأخص في المناطق الشمالية التي يكثر فيها المسلمون ، وكانت تتحين آية فرصة مواتية للتعبير الفعلي من سخطها وغضبتها ، وكانت هناك حركات سرية تبث دعايات للقيام بالثورة ، وتدعو كافة الطوائف على التحرك ضد العدو المشترك المتحكم على مصير بلادهم ، وكانت لهذه الحركات رموز وعلامات يتناقل بها عناصرها أغراضهم وآراءهم بين المدن والقرى (١) ، إلا أن نفاد صبر الهنود تجاه مظالم الإنجليز وسياستهم الاستهتارية ضد عقائد أهل الهند ، لم يمكن مثل تلك الحركات من النضج السياسي والتمكن من قيادة الثورة إعدادا وتوقيتا وتنفيذا، إذ انفجرت الثورة في أوساط السپاهى لتنتشر بسرعة إلى أوساط مختلف فئات الشعب وتأخذ

---

(١) عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩١ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

صورة الحرب من أجل الاستقلال ، إلا أنها كثورة شعبية عامة ، اقتصرت أحداثها على دهلي والمناطق الشمالية للهند وأجزاء من الهند الوسطي إلى نواحي مقاطعة بهار (١).

بدأت الثورة من ثكنات الجنود في ميروت meerut على بعد حوالي أربعين ميلا شمال دهلي ، وكان السبب المباشر هو أن الشركة الإنجليزية أدخلت في جنديتها من البنادق الجديدة التي كانت تستعمل نوعا من الرصاص له فتيل مغموس بشحم الخنزير والبقر ، وكان على الجنود أن يقطعوا الفتيل بأسنانهم أثناء استعمال البنادق في التدريبات والمعارك ، وبما أن الجنود كانوا في معظمهم من الهندوكيين وفيهم قلة من المسلمين أيضا ، فإنهم لم يتمكنوا حسب معتقداتهم الدينية من قطع الخراطيش بأسنانهم ، لأن البقر محرم أكله لدى الهندوس ، كما أن الخنزير محرم أكله لدى المسلمين ، إلا أن الضباط الإنجليز أرغموهم على فعل مالاتجيزه عقائدهم وذلك أثناء عملية استعراضية في ٢٩ شعبان عام ١٢٧٣هـ/ ٢٣من ابريل ١٨٥٧م ، فتناولوه مكرهين إلا حوالي تسعين جنديا منهم حيث لم يستسلموا للاكراه والتهديد فأبوا قطع الخراطيش بأسنانهم طالبين إعفاءهم من هذه العملية إلا أن الإنجليز الذين كانوا يعيشون في جو من الغرور والغطرسة ، أخذتهم العزة بالإثم ، ورأوا في رفض الجنود تنفيذ أوامرهم ذنبا لايغتفر ، وتمردا لابد أن يواجه بالقمع حتى لايحدث أحد نفسه بالخروج على أوامرهم ، فاعتقلوا الجنود المشار إليهم وحاكموهم فصدر بحقهم في ١٦ رمضان ١٢٧٣هـ / ٩ مايو ١٨٥٧م السجن لمدة عشرة أعوام مع الأعمال الشاقة ، ولإرهاب الجند أتى الإنجليز بهؤلاء الجنود وجردوهم من لباسهم العسكري ووضعوا الأغلال في أيديهم وأثقلوهم بالقيود على

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ .

أعين رفاقهم ، ثم ساقوهم إلى السجن مشاة مسافة ميلين ، فشكى بعضهم العجز عن المشي بتلك الأثقال ، فلم يسمع صوته ، فعظم ذلك على الجنود الوطنية وعدوه إهانة لهم وعزموا على إنقاذ المسجونين (١)، وفي اليوم الثاني لحادثة محاكمة الجنود ووضعهم في السجن اعترض الجنود الآخرون ضباطهم الإنجليز وهم ذاهبون إلى الكنيسة فأخذوهم وقتلوهم ، وانطلقوا إلى السجن فأخرجوا جميع المسجونين وأعلنوا العصيان ، وانضم إليهم بسرعة المدنيون وأخذوا يقتلون أى إنجليزي يقع بأيديهم ، كما قاموا بتدمير منازلهم وإشعال النار فيها ، فكان ذلك إيذانا باندلاع الثورة التي مالبثت أن انتشرت في دهلي ولكنهو Lucknow وكانپور Cawnpore وجهانسى Jhansi ومدن آخرى (٢). لقد أطلع قسم قيادة ميروت العسكرية ، مساعد قائد جيش الشركة الإنجليزية عن الأوضاع وتطوراتها بخطاب رقم ٣٩٥ في تاريخ ١٨ رمضان ١٢٧٣ / ١١ مايو ١٨٥٧ قائلا :

"يؤسفني أن أبلغكم بأن القوات الوطنية في ميروت قد تمردت في عصيان واضح عند الساعة السادسة والنصف من مساء أمس . ولقد بدأ بالتمرد أفراد الفرقة

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامة وقايع غدر ، ق ٢٤ أ ، ٢٨ أ ، ٢٨ ب ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩٠ ،
عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٥٩ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٢٦ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامة وقايع غدر ، ق ٢٩ أ
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٣٠٠ ،
محمد حسن الأعظمي : حقائق عن باكستان ، ص ٢٧ .

العشرين المكونة من المشاة الوطنيين ، فخرجوا حاملين سلاحهم ، ولقد جادلهم بعض الضباط وأقنعوهم بصرف النظر عن التمرد وعادوا نتيجة لذلك إلى صفوف الجند عن مضض ولكن لم يطل بقاؤهم بالصفوف طويلا ، إذ خرجوا سريعا عن الصفوف وبدأوا يطلقون النار . كما تمردت أيضا الفرقة العسكرية الحادية عشرة المكونة من المشاة الوطنيين وخرجت على أوامر ضباطها الذين كانوا يحكمون قبضتهم على أفراد تلك الفرقة ، لكنهم تمكنوا رغم ذلك من إقناع الجنود بأن لايأخذ أى منهم سلاحه حتى يعود الكولونيل ، وعندما عاد الكولونيل المذكور جاد لهم بالحجة والمنطق لكنه للاسف الشديد أطلقت عليه النار وأردى قتيلا أثناء تفاوضه مع الجنود المتمردين،وبعد ذلك فتحت الفرقة العشرون من المشاة الوطنيين النار على الفرقة الحادية عشرة من المشاة الوطنيين والتي طلب أفرادها من ضباطهم أن يتركوهم وواضح أنهم انضموا للجنود المتمردين . في البداية ركب أفراد سلاح الفرسان غير المسلحين بسلاح ثقيل والذين يمثلون الفرقة الثالثة خيولهم واتجهوا إلى السجن لتخليص الأفراد الخمسة والثمانين من الجنود الذين حكمت عليهم بالسجن المحكمة العرفية العامة المحلية ، وقد نجح فرسان الخيالة في مهمتهم وكذلك تمكنوا من إطلاق سراح كل السجناء الآخرين الذين كان يربو عددهم على ألف ومائتي سجين ، وقام الجنود المتمردون بإشعال النيران في المنازل الواقعة خلف الخطوط المركزية ، وجنوب الوادي الصغير ، ومن ضمن المنازل التي أحرقت منزل كل من المستر جريتيد Greathed ومنزل المحافظ ومنزلى ، وكذلك شمل الحريق ميدان الماشية الحكومية ومنزل الضابط المسئول عن تموين الجيش ، وقد ساعدهم في هذا العمل الناس الموجودون في السوق و سكان القرى المجاورة . وكل امرأة أو رجل أو طفل أوربي وقع في أيديهم قتل بلا رحمة ، ومن ضمن الذين

سقطوا أو ماتوا الكولونيل فنيس Finnis من الفرقة الحادية عشرة مشاة وطنيين ، والكابتن ماكدونالد Macdonald من فرقة المشاة العشرين الوطنية وزوجته وابنيه والأطباء البيطريون فيليب Phillips وداوسون Dawson وزوجة الأخير الذكر "(١). لقد تمكن الثوار من قطع الخطوط التلغرافية بين دهلي وآكره Agra وبين ميروت وعليگره Aligara فكانت التقارير عن التطورات ترسل بالبريد إلى كبار المسئولين الإنجليز إلا أن السلطات الإنجليزية تمكنت خلال بضعة أيام من تصليح الخط التيلغرافي مما كان له دوره المهم في نقل المعلومات وتلقي الأوامر بين سلطات الإنجليز الموجودة في كل من ميروت وآكره وكلكته ، ففي برقية من القائد العسكري لمنطقة ميروت إلى الحاكم العام في كلكته بتاريخ ١٢٧٣/٩/٢٥ هـ / ١٨٥٧/٥/١٨م ، أكد الجنرال و. هـ هويت W.H.Hewitt قائد ميروت على المعلومات التي سبق أن بعثها بالبريد ، كما أشارت إلى أن الثوار كانوا قد تمكنوا من قطع قسم من شبكة اتصالات المدينة ، وتضيف البرقية بأن المتمردين قد طردوا من مواقعهم بقوة سلاح المدفعية الأوربي وقوة الفرسان التي دافعت عن ثكنات الجيش ، وأن الوحدات الأوربية في تأهب دائم للدفاع عن ثكنات الجيش ضد هجوم الجماهير ومحاولتهم إحراق الحامية (٢)، وهكذا نرى أن الثوار على الرغم من أنهم عبروا عن سخطهم ضد الغطرسة الإنجليزية وقاموا بقتل كثير من

---

(١) G.W.Forrest : Selections from the letters despatches and other state papers preserved in the military depart-ment of the Government of India(1857-58)Vol.I, Calcutta, Military Department press, 1893,p.24,.

(٢) Ibid:p.255.

الإنجليز تحت تأثير الغضب ، إلا أنهم لم يتمكنوا من إحراز نصر عسكري حاسم وذلك بالاستيلاء على ثكنات الجيش وأسلحتها ، وخاصة سلاح المدفعية التي بقيت تحت سيطرة الإنجليز وكان لها دورها المؤثر في صمود الوحدات الأوربية بأعدادها القليلة أمام الجنود الوطنية بأعدادها الغفيرة المتمتعة بحماية الجماهير، كما لم يتمكن الثوار من الاستيلاء على الخزانة وعلى قلعة المدينة ، ففي برقية أرسلت في ٢١ من شهر رمضان عام ١٢٧٣ هـ / ١٤ مايو ١٨٥٧م من حاكم المحافظات الشمالية الغربية بآگره إلى حاكم عام الشركة في كلكته ، طمأنه فيها على صمود القوات حسب المعلومات التي تلقاها في اليوم الثالث من اندلاع الثورة ، قائلا فيها : " لقد تسلمنا خطابا من ميروت Meerut بتاريخ ١٨٥٧/٥/١٢ يفيد بأن الحصن والخزينة لم تصابا بأذى وأن القوات مستعدة لأى هجوم، وأن التجار والموظفين العائدين على ظهر الخيول ذكروا أنهم علموا عن مقتل المستر تريجر Treg-ear الذي كان يعمل في الإدارة التعليمية"[1]، وبما أن الثوار لم يحرزوا انتصارا استراتيجيا في الساعات أو الأيام الأولى من ثورتهم في مدينة ميروت ، كان من الصعب عليهم أن يحرزوا مثل هذا الانتصار كلما مرت عليهم أيام أكثر ، وذلك بفضل قوة سلاح المدفعية التي بقيت في حوزة القوات الموالية للشركة الإنجليزية من جهة ، وبسبب استماتة هذه القوات ، في الدفاع عن مواقعها حيث رأى أفرادها أنهم بين الحياة أو الموت بعد أن عرفوا عن مصير الإنجليز الذين وقعوا بأيدي الثوار والجماهير الغاضبة ، وقد يفسر هذا توجه الثوار إلى دهلي التي كانت هي الأخرى قد قامت بالثورة بعد أن تلقت أنباء اندلاعها في ميروت ، ولقد فتح توجه الثوار إلى دهلي المجال إلى القوات الإنجليزية في

---

(١) Ibid:pp.250-251.

ميروت بأن تقوم بتحصين مواقعها أكثر فأكثر ، وأن تبادر السلطات المختصة بإصلاح الخط التيلغرافي من والى ميروت ، مما كان له أثره في تلقي الأخبار الصحيحة عن مجريات الأحداث ، وقيام المسئولين الانجليز بالتخطيط لمعالجة الأوضاع على ضوئها .

في دهلي عاصمة الدولة المغولية المتهالكة جرت أعنف أدوار الثورة مما وقعت في ميروت ، إذ قام الجنود الوطنيون في دهلي بالثورة الغاضبة على ضباطهم الإنجليز فور أن تلقوا نبأ ثورة الجند في ميروت ، وقاموا بقتل من وقع بأيديهم من الإنجليز عسكريين ومدنيين ، حيث كانت الثورة دون تخطيط وتوجيه مسبقين، ولقد انضم إليهم جنود ميروت ، كما تبعهم في ذلك سائر الجنود الموجودين في المناطق القريبة من دهلي والتي تمكنت من تلقى أنباء الثورة ، وتوجه الآلاف من الأهالي إلى دهلي للالتحاق بالثوار ، وقاموا بقتل ونهب كل من وقع بأيديهم من الإنجليز وأعوانهم ونسائهم وأطفالهم (١)، " وكان يوما مريعا ، بالغ الهنود فيه بالقتل والسلب "(٢) وكان الناس المشبعين بالغضب ضد الإنجليز يصيحون مطالبين قتل الإنجليز حيثما وجدوا ، وقد أمر سلاح المدفعية بإطلاق النار على الثوار، إلا أنها وقعت بأيدي الثوار فقويت بذلك روحهم المعنوية متعقبين ومطاردين فلول الإنجليز الذين انتشرت جثث قتلاهم في كل مكان (٣)، وكانت الثورة في دهلي قد

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامة وقايع غدر ، ق ٣٠ أ .

(٢) عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩٣ .

(٣) W.Muir: Records of intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.I, Edinburgh, T.T.Clark, 1902,P.28.

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

بدأت في كتيبة الفرسان الثالثة التي قامت بقتل ضباطها ، وتمكن الثوار من قطع خطوط الاتصالات التلغرافية بين دهلي وآكره ، كما استولوا على القلعة وفتحوا مداخل المدينة أمام الثوار القادمين من ميروت ومناطق أخرى ، وبحلول يوم العشرين من رمضان الموافق الثالث عشر من مايو استولوا على المدينة كاملة بعد أن قتلوا الضباط الإنجليز والأوربيين الذين وقعوا بأيديهم ، ولقد فجر الانجليز مستودع الذخائر خوفا من أن يقع بأيدي الثوار بعد أن عجز الضباط عن الدفاع عنه ، وكان التفجير من الشدة بحيث سمع صوته المدوى في أرجاء المدينة وزلزلت الأرض من شدته (١).

لقد تلقى الإنجليز في كلكته نبأ سقوط دهلى بأيدي الثوار ، بقلق بالغ والتخوف على مستقبل الانجليز في الهند إزاء السخط العام الذي كان يسود الهند ضد الوجود الإنجليزي ، وكتب الضابط الإنجليزي دانورز Danvers في رسالة من كلكته إلى أخيه في إنجلترا بتاريخ ٢٣/ رمضان ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧/٥/١٦م ذكر فيها: " كل واحد هنا يسأل عن الغرض الذي قامت الحكومة من أجله ، لاشك في أن البلاد في حالة سيئة ، فإذا لم تتخذ تدابير متقنة سريعة لإخضاع روح السخط والاستياء المتنامية ، فإن الله وحده يعلم كيف سينتهي كل هذا ... ان الأنباء المرعبة التي تلقيناها تفيد بأن كتيبة الفرسان الثالثة تمردت فقتلت ضباطها،وأن كبار

---

(١) G.W. Forrest: Selections from the letters despatches and other state papers preserved in the military department of the Government of India (1857-58), Vol.I, p.268.

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣١ .

الأوربيين في دهلي ذهبوا ضحية مذبحة أقيمت ضدهم ، كما تفيد الأنباء بأن الجنود قد استولوا على المدينة ، وبما أن خطوط الاتصالات مقطوعة فلا توجد لدينا أية أنباء أخرى " (١)، وكان أحد الأسباب التي أدت إلى سيطرة الثوار على دهلي بسرعة فائقة هو أنها كانت مجردة من الجنود الأوربيين بخلاف ميروت التي كانت فيها وحدة من الجنود الأوربيين ، خاصة في سلاح المدفعية ، مما حال دون وقوع القلعة والمدفعية هناك بأيدى الثوار ، وكان إهمال الشركة في معالجة تذمر الجنود الوطنيين وإبقاء دهلي خالية من الجنود الأوربيين موضع انتقاد واعتراض الإنجليز ، وهذا ما نشاهده في محتويات الرسالة المشار إليها التى أضافت قائلة: " إن سياسة تجريد مدينة مثل دهلي من الجنود الأوربيين كانت غالبا موضع تساؤل وقلق ، لقد انضم سائر الأهالي إلى الجنود ... وبينما كانت الحكومة تتباحث حول العلاج الذي يمكن تطبيقه لحل الأزمة ، وجد المتمردون متسعا من الوقت لاستمالة الناس إليهم مما أدى إلى تزايد قوتهم وتمكنهم على تحقيق الفرص ، كان من الواجب استخدام أوربيين أكثر لقمع تمرد الوطنيين ، والآن أصبح الوطنيون في موقف يملون علينا الشروط ... لم يكن من الحصافة في شيء أن تعتقد الحكومة في أمنها الموهوم ، لم يكن المسئولون يتوقعون أي شغب ولكن الشغب حدث وهم غير مستعدين ... كان هناك قبل أربعة أشهر يشاهد تذمر واستياء كبيرين بين الجنود الوطنيين ، ولكن لم يجر أي تحقيق بشأن الموضوع حتى أشعلت النيران في منازل الضباط وخطوط الاتصالات الموجودة لديهم ... لماذا

---

(١) R.W. Danvers: Letters from India and China (1854-1858), London and Aylesbury, Ha?ell, watson and viney, LD,1898,P.62

تظل الحكومة دائما مرتاحة البال إلى أن يحل يوم الشر عندما تجبرها الظروف على أن تطبق نقس العلاج بتكاليف باهظة لو استعملته في وقت مبكر لتفادت الشر كله ... الحكومة تضيع اعتبارها بأسرع ما يمكن وبنفس السرعة يكسب الجيش الوطني الثقة ، والآن وقد شعروا بقوتهم فإن الوضع يتطلب قوة أكبر "(١). كان قلق الإنجليز على مستقبلهم الاستعماري في الهند في موضعه ، خاصة في الفترة التي قطعت الاتصالات بين المدن الثائرة وبين كلكته عاصمة حكومة الشركة الإنجليزية ، وأن نجاح الثوار السريع في الاستيلاء على دهلي بقدر ما كان مشجعا للثورة في سائر المدن والأقاليم الهندية ، بقدر ما كان مؤلما للإنجليز من أن يفلت منهم زمام الأمور إذا عمت الثورة بنفس الحماس والشدة سائر البلاد الهندية المترامية الأطراف ، فأخذوا يعملون كل ما في وسعهم لاقتصار الثورة في أضيق حدود جغرافية ممكنة .

قامت الثورة دون تخطيط وقيادة منظمة ، وفي خطوة إلى إيجاد قيادة تتحكم في توجيه الثورة،توجه الجماهير الغفيرة من أهالي الهند ومن الجنود الثائرين إلى سراج الدين أبو ظفر بهادر شاه الثاني (١٢٥٣ - ١٢٧٥هـ/ ١٨٣٧ - ١٨٥٨ م) سلطان الدولة المغولية العجوز (*)في دهلي يطلبون منه تولي قيادة الثورة ، وكان يقيم في القصر مع أبنائه وأحفاده وأعوانه ، ومع أنه لم يكن يتمتع بأية سيادة حقيقية إلا أن أهل الهند نظروا إليه نظرهم إلى الحاكم وأعلن الثوار بأنهم لايعرفون ملكا عليهم إلا بهادر شاه ، إلا أنه أبدى عدم

(*) كان شيخا طاعنا في السن يناهز التسعين من عمره .

(١) Ibid: pp.62,63,64.

رغبته في قبول هذه المسئولية ، ولكن الثوار ألحوا عليه ، وفي نفس الوقت عقد العلماء اجتماعا عاما في المسجد الجامع بدهلي ، وأصدروا فتوى بإعلان الجهاد وقعها كثير من العلماء البارزين ، وكان لانتشار هذه الفتوى آثره الكبير في انضمام هنود أكثر إلى الثورة ، وتجمع عشرات الآلاف في دهلي حيث أصدر الثائرون من المسلمين والهندوس بيانا مشتركا يقضي باختيار السلطان بهادر شاه الثاني قائدا أعلى لثورتهم والعمل لإحياء الدولة المغولية وإعادة السلطات كاملة لسلطانها ، كما قام الثوار برفع العلم الهندي على سور قصر الحكم بدهلي يطلبون البيعة لصاحبه والقضاء على سلطة الإنجليز الذين جاوّوا لتجريد الهنود عن السيادة في بلدهم وتضليلهم عن دينهم ، كما بدأ الثوار في التخطيط لإقامة سلطة منظمة في دهلي لتتقدم منها إلى سائر أنحاء الهند وتستعيد سيادة الدولة المغولية على كامل الأراضي الهندية وذلك بمشاركة ومباركة من المرهته الذين سبق أن عادوا الدولة المغولية وساهموا في إنهاك قواها (١). ولاشك أن مشاركة الهندوكيين الفعالة في هذه الثورة وإعلانهم الولاء للدولة المغولية تدل بوضوح إلى عدالة الحكم الإسلامي في الهند الذي كان عالقا في الأذهان،فجعل الهنود بمسلميهم وهندوسهم يرون الخلاص من مظالم الإنجليز وسيطرتهم الاستعمارية

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٣٠ أ ،

G.W. Forrest: Selections from the letters despatches and other state papers preserved in the military department of the Government of India (1857-58), Vol.I, pp.268-269.

عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩٢ ،

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣٢ ،

جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ .

الابتزازية ، في إحياء سلطة الدولة المغولية على الرغم من أساليب إيجاد الفرقة التي كان يتبعها الإنجليز في الإيقاع بين المسلمين والهندوس وإثارة أحقاد الهندوكيين ضد المسلمين ، واتباع أسلوب التقرب مع الهندوس بالمقارنة مع سياستهم المتبعة مع المسلمين. بالإضافة إلى ذلك ، فإنه من طبيعة الثورات الارتجالية التي تحدث دون تخطيط وإعداد مسبقين أن تبحث عن قيادتها في بقايا السلطات القديمة إلى أن تتمكن من تنظيم نفسها وتوزيع المهام والتخطيط لمسيرتها المستقبلية ، خاصة وأنه لم تكن هناك شخصية قوية يتجه إليها الثوار ويكون مقبولا لدى الجميع ، وعلاوة على ذلك فإن الثوار تمكنوا بسرعة فائقة من السيطرة على دهلي قبل أن تنتشر الثورة إلى سائر الأقاليم ، فكان مطالبة الثوار السلطان بهادر شاه لتزعم الثورة حيث كان يقيم في دهلي كسلطان شرعي للدولة المغولية ، على الرغم من أن سلطته لم تكن إلا اسمية فقط . وعلى كل حال ، لقد استمر الثوار في مطاردة الإنجليز والقضاء عليهم وأعلنوا مكافآت لكل من يأتي برؤوس الإنجليز دون أن يفرقوا في ذلك بين صغير أو كبير وبين رجل أو امرأة ، وأصبحت شوارع دهلي ملطخة بالدماء وكانت الكلاب والنسور والأغربة تشاهد وهي تنهش جثث القتلى ، إلا أنه بعد أيام أصدر السلطان بهادر شاه الثاني أوامره بعدم قتل النساء والأطفال ، وأن لايقتل ذكور الإنجليز إلا بعد التحقيق وعرض الإسلام عليهم ، ونتيجة لذلك أظهر كثير من الإنجليز المقبوض عليهم الإسلام وخلصوا بذلك أنفسهم من الهلاك (١).

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣١ (نقلا عن مذكرات إنجليزية شاهدت هذه الأحداث أثناء عبورها دهلي مختبئة من مكان إلى آخر ومتخفية بالملابس الهندية بصحبة فيال مسلم كان سببا في إفلاتها من الوقوع بأيدي الثوار) .

كان الثوار نشطين وموفقين في بث الإشاعات التي تثير الهنود أكثر وأكثر وترفع من معنوياتهم ، فبالإضافة إلى قضية تدهين رصاصات البنادق الجديدة بشحم البقر والخنزير التي انتشرت أخبارها بسرعة في ثكنات الجيش الهندي وكان السبب المباشر في إظهار تذمرهم والقيام بثورتهم كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا ، أشيع أيضا أن الإنجليز قاموا بطحن عظام البقر والخنزير وخلطها بالدقيق حتى يزعزعوا عقائد أهالي الهند [1] ، وكانت هذه الإشاعات تزيد الثورة اشتعالا ، ويبدو أن الثوار نجحوا في بث هذه الشائعات للإبقاء على حماسة ثورتهم وإثارة الأهالي ضد الإنجليز أكثر فأكثر بعد أن أثارت مسألة تشحيم الرصاصات المشاعر الدينية للجنود الهنود ، ولقد ذكر مؤلف " ظفر نامهٔ وقايع غدر " الذي كان يتابع أحداث الثورة ويسجلها في لكنهو متخفيا بملابس الدراويش ، أن تلك الأخبار لم تكن أكثر من إشاعات أريد بها إثارة عامة الناس ، في حين كان الغرض من تشحيم الرصاصات هو الحيلولة دون تبلل بارودها في الأجواء الممطرة ومنع انصباب بارودها أثناء الجرى [2] ويمضي المصدر قائلا : " إن تحويل الرجل عن دين إلى دين لايتم عن طريق خلط المحرمات في مأكولاته ومشروباته ، بل يتم عن طريق التعليم والتوعية والتطميع ... ونرى أن القسس يقومون بهذا العمل بواسطة إعمار الكنائس والمدارس وتربية الأيتام وأطفال الأسر الفقيرة والأسر التي ترسل أطفالها إلى مدراسهم بطواعية ليتعلموا هناك أنواع العلوم... كما يصرفون أموالا هائلة في طبع كتب دينهم ويوزعونها مجانا ... وإذا كان القسس

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٢٤ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٢٤ أ .

يقومون بهذه الأمور علانية ، فلا يعقل أن تقوم السلطات الإنجليزية بتشحيم الرصاصات أو خلط طحين عظام البقر والخنزير في الدقيق والملح بهدف تنصير الناس وتحويلهم عن دينهم ، لأن هذا الأمر لايمكن أن يتم بمجرد قطع الخرطوش المشحم بالأسنان أو بخداع الناس عن طريق بيعهم دقيقا أو ملحا ممزوجين بطحين العظام " . ويستمر المؤلف في نقده لهذه المسألة بأن الجنود الهنود هندوسا ومسلمين يراجعون مستشفيات الإنجليز ويستعملون أدويتها دون أن يحتاطوا من أن تكون الأدوية قد أدخل في تركيبها شيء من المحرمات ، وإذا لم يتورع إنسان من أكل أو شرب الاشياء المشتبهة ، فكيف يكون ورعه في محله إذا امتنع عن قطع شيء مشبوه بأسنانه (١)، ولاشك أن هذا التحليل تحليل منطقي ، إلا أن الغطرسة التي تمتهن الآخرين في عقائدهم وقيمهم ، لاتعرف منطقا ، فلا يستبعد أن يكون الإنجليز قد تعمدوا تشحيم الرصاصات بشحم البقر والخنزير ، ليس من أجل أن يؤدى ذلك بمفرده إلى تنصير الجنود ، بل بغرض الاستهتار بعقائد الهنود وتربية الجنود بطريقة تقطع صلاتهم بدينهم وقيمهم ليكونوا أكثر طواعية لتنفيذ ما يتلقونه من أوامر السادة الإنجليز دون أن يمنعهم في ذلك وازع ديني أو أخلاقي ، ولاشك أن أسباب اندلاع الثورة كانت كثيرة وعميقة وأنها لم تنشأ من قضية الرصاصات الجديدة التي كان قد بدأ بتوزيعها على الجنود بأوامر من الحاكم العام منذ شهري رجب وشعبان ١٢٧٣ هـ / مارس وابريل ١٨٥٧ م ، إلا أن هذه القضية كانت الشرارة التي أشعلت الثورة وحولت تذمر الهنود ضد الإنجليز من القوة إلى الفعل . كيفما كان الأمر، فإن الثوار نجحوا في استغلال هذه القضية

---

(١) المصدر نفسه : ق ٢٤ ب ، ٢٥ ب .

لتوسعة دائرة الثورة في ثكنات الجنود الهنود الذين لم تتمكن السلطات الإنجليزية من نزع أسلحتهم في الوقت المناسب ، كما نجح الثوار في بث إشاعات ترفع من معنويات الثائرين ضد السيطرة الإنجليزية ، فقد أشاعوا أن جيشا كبيرا قادم من إيران ومن الدولة العثمانية لمساندة الثوار ، كما أشاعوا بأن الثورة قد عمت الهند كلها ، وأن قوات كبيرة من راجوات الدكن في طريقها إلى دهلي لمباركة الثورة ومساعدتها [(١)] ، ولاشك أن الثورة كانت على أشدها في دهلي وما حولها وأن آلاف الهنود قد جاؤوا إليها من مناطق أخرى مجاورة للانضمام بالثوار الذين أحرزوا نصرا حاسما على السلطات الإنجليزية في منطقة دهلي ، وساعدهم في ذلك فتوى العلماء بوجوب الجهاد ، خاصة وأن العلماء لم يكتفوا بإصدار الفتوى فقط بل قاموا بالمشاركة الفعلية في أحداث الثورة والمعارك الدامية التي وقعت بين الثوار والإنجليز ، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء تلامذة مدرسة الشاه ولي الله الدهلوي وأتباع سيد أحمد الشهيد ، ولأن العلماء كانوا محل اعتقاد من العامة ، تجمع المجاهدون حولهم من كل ناحية للمشاركة في الجهاد حتى كانت النساء والصبيان يشتركون في مطاردة الإنجليز بالعصى والحجارة [(٢)].

إن سيطرة الجنود الهنود والأهالي الثائرين على دهلي كان بمثابة الضوء الأخضر لاندلاع الثورة في مناطق أخرى ، وإن لم تقم الثورة في جميع المناطق الثائرة في وقت واحد ، وذلك بطبيعة الحال لبعد المسافات وتأخر انتقال

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٣٠ ب ،
أحمد محمود الساداتي : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، ص ٩٨ .

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ ،
حمد بن صادق الجمال: أبو الأعلى المودودي،حياته وفكره العقدي ،جدة دار المدنى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٤٩ .

الأخبار من منطقة إلى أخرى في ظل عدم تملك الثوار وسائل الاتصالات السريعة .

إن امارة أوده التي كانت قد ألحقت بأملاك الشركة الإنجليزية قبيل الثورة الهندية ، هي من أكثر الإمارات مشاركة في الثورة ، وتأتي في المرتبة الثانية بعد منطقة دهلي من حيث حجم المشاركة الجماهيرية بمختلف فئاتها وطبقاتها. كانت بداية عصيان الجنود الهنود في أوده في ثكنة منديانون الواقعة في حدود شمال لكنهو Lucknow وذلك في يوم العاشر من شهر رمضان عام ١٢٧٣هـ/٣مايو ١٨٥٧ م حيث رفض الجنود الهنود هناك استعمال الرصاصات الجديدة ، إلا أن ذلك العصيان أخمد بسرعة قبل أن ينتشر في سائر ثكنات الجنود في المنطقة ، وعقد كبار المسئولين الإنجليز هناك اجتماعا لدراسة الأوضاع ، وقبل أن يصلوا إلى قرارات بشأن كيفية معالجة الأوضاع والاحتمالات المستقبلية ، تلقوا في ٢٢ من رمضان ١٢٧٣ هـ / ١٥ مايو ١٨٥٧م أنباء اندلاع الثورة في ميروت ودهلي وأن الثوار قطعوا الاتصالات التلغرافية بين المدينتين المذكورتين وسائر أنحاء الهند. وفي ٢٧ من رمضان الموافق للعشرين من مايو تلقوا تقارير بأن الجنود الهنود في كانبور Cawnpore المجاورة على وشك القيام بالثورة ، فقرروا أن يبذلوا كل جهدهم للحيلولة دون انتشار الثورة في ثكنات الجنود في تلك المناطق[1]، وفي هذا الإطار كلفوا واحدا منهم بالذهاب إلى كانبور Cawnpore لاستمالة جنودها وضمان ولائهم لضباطهم الإنجليز ، إلا أن الفرسان المرافقين لذلك المسئول ثاروا عليه في الطريق وقتلوه بمن معه من الإنجليز الذين كانوا يلتمسون عدم

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٣١ أ - ٣١ ب ،

R.W. Danvers: Letters from India and China, p.72.

قتلهم ويعدون بإعطائهم أموالا كثيرة لو أبقوا على حياتهم ، ولكن الجنود لم يلتفتوا لذلك التطميع فقتلوا ضباطهم الإنجليز وتوجهوا إلى دهلي للالتحاق بالثوار هناك ، وذلك في العاشر من شوال ١٢٧٣ هـ / ٢ يونيو ١٨٥٧م ، وبتلقي هذه الأنباء قام كبار المسئولين الإنجليز بمنطقة أوده بأخذ الاحتياطات الدفاعية اللازمة فحفروا خندقا حول معسكرهم وهدموا الأبنية الموجودة في ما حوله وقاموا بإنشاء مخابيء وملاجيء وأماكن لأخذ الكمائن ، كما قاموا بتوفير احتياجاتهم من المؤن والعتاد العسكري لمدة سنة ، ونصبوا المدافع الثقيلة حول معسكرهم، كما نصبوا بعض المدافع الأخرى على الأبراج واستخدموا أعدادا كبيرة من الجنود الجدد حاملي البنادق وذلك بمساعدة من محمود خان مسئول الأمن ، ووضعوا هؤلاء الجنود في تأهب تام [١]. لم تمنع هذه الإجراءات الجنود من الثورة على ضباطهم الإنجليز بعد أن تسربت إليهم أخبار الثورة في ميروت واستيلاء الثوار على دهلي فقام جنود ثكنة منديانون وبعض الثكنات القريبة منها بقتل من وقع بأيديهم من الإنجليز عسكريين ومدنيين ، وقرروا الهجوم على المدينة واختيار أحد أفراد الأسرة الحاكمة السابقة نوابا لأوده يكون تابعا لسلطان دهلي فقط ، ولكن الإنجليز كانوا قد أخذوا للأمر حيطته وتوقعوا مثل هذا التطور ، فكانوا أن قاموا باعتقال كل من يشتبه في أن يلتف الناس حوله ويقوم بتزعم الثورة [٢]،

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٣٢ أ - ٣٢ ب

W.Muir: Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of India, Vol.I, p.38.

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٣٣ ب .

وعلى الرغم من هذا استمر الجنود في ثورتهم وكانوا يقتلون الإنجليز الذين يقعون بأيديهم ويحرقون جثثهم في الغابات ، ولقد قاموا بالهجوم على معسكر الإنجليز في لكنهو إلا أنهم ردوا إلى أعقابهم حيث لم يتمكنوا من الصمود أمام نيران المدافع الشديدة ، ولكن بانضمام جماهير أهالي المدينة إلى الثورة قويت معنويات الجنود الثائرين ، واستمر الجنود والأهالي في البحث عن الإنجليز الموجودين في أنحاء المدينة ولم يبق من الإنجليز خارج معسكرهم المحصن أحد إلا أن قتل أو أسر أو اختفى عن الأنظار (١)، وانتشرت الثورة في جميع أنحاء أوده ، واشترك فيها المزارعون وملاك الأراضي ومختلف فئات الناس ، وتمكن بعض الإنجليز من إنقاذ أرواحهم ووصلوا بأنفسهم إلى المعسكر متخفين بملابس متغيرة وأعلن كبير الإنجليز في لكنهو عن إنعامات لكل من يساعد في إنقاذ أى واحد من الإنجليز وإيصاله سالما إلى مكان آمن ، وفي هذا الإطار قام بعض الراجوات بمساعدة الإنجليز وإخراجهم سالمين إلى عظيم آباد ، فصدرت لهم من الحاكم العام مراسيم الشكر والتقدير وإقطاعهم أراضي والسماح لهم بتكوين جند خاص لهم على نفقة الشركة الإنجليزية (٢)، وعلى الرغم من أن هذه الإغراءات تسببت في إنقاذ بعض الإنجليز ، إلا أنها لم تكن ذات أثر كبير ، إذ كان مصير الإنجليز الذين وقعوا بأيدي الجنود والجماهير الثائرة ، هو القتل في الغالب ، كما كان يلقى نفس المصير كل من يثبت تواطؤه في إخفاء الإنجليز أو إنقاذهم .

استمر الثوار في مطاردة الإنجليز في جميع أنحاء أوده ، وفي الثامن من

---

(١) المصدر نفسه ؛ ق ٣٤ ب ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ١٤٤ .

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٣٧ أ - ٣٧ ب .

ذي القعدة عام ١٢٧٣ هـ / ٢٩ يونيو ١٨٥٧ م ، وصلت الأنباء عن تقدم حوالي ستة آلاف من قوات الثوار نحو معسكر الإنجليز الرئيسي في لكنهو ، فكلف الإنجليز مجموعة من جنودهم والجنود السيخ بأخذ الكمائن في طريق الثوار والحيلولة دون تقدمهم ، إلا أن هذه القوات وجدت أن قوات الثوار يصل عدد أفرادها إلى أضعاف ماسمعوه فولت هاربة إلى المعسكر ومتحصنة في خنادقه ومخابئه بعد أن تكبد أفرادها بعض الخسائر في الأرواح والتجهيزات ، وقام الثوار بمواصلة هجومهم إلى معسكر القوات الإنجليزية إلا أنهم كانوا يردون إلى أعقابهم تحت وابل من نيران المدافع وانفجار المواقع الملغمة ، فأوقفوا الهجوم وقرروا ضرب الحصار حول المعسكر ، كما قاموا بنهب المدينة وقتل الإنجليز وأعوانهم الذين وقعوا بأيديهم .

استمرت سيطرة الثوار على مدينة لكنهو ، وواصل الإنجليز الذين أفلتوا من أيدي الثوار محاولاتهم في الوصول إلى معسكرهم المحصن في بيلي گارد Bailey Guard بضاحية المدينة ، كذلك واصل الثوار في تجمعهم بالمدينة حيث كانوا يصلون إليها جماعات وأفرادا من كل ناحية وبلدة في أوده ، ولأنهم لم يكونوا تحت نظم أو قيادة ، كثرت هناك أعمال السلب والنهب والقتل ، وكان بعضهم يأخذ مايريده ويعجبه من المحلات التجارية دون أن يدفع ثمنها،وإذا حدث أن أصر صاحب المحل على دفع القيمة كان مصيره القتل في بعض الأحيان(١)، ومن

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٣٩ أ ، ٣٩ ب ، ٤٠ أ ، ٤٠ ب ، ٤١ ب ،
W.Muir: Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India, during the mutiny of 1857, Vol.I, pp.43-44, 130-131.

هنا ظهرت الحاجة إلى إقرار النظم والأمن حتى لاتفقد الثورة حماية الأهالي، وخشي الثوار أن يستغل الإنجليز هذا الوضع فيخرجوا من معسكرهم ويباغتوهم بالهجوم فعقد كبار الثوار اجتماعا فيما بينهم لدراسة الأوضاع واتخاذ مايلزم من الإجراءات ، وذلك في الحادي عشر من ذي القعدة ١٢٧٣ هـ / ٢ يوليو ١٨٥٧م فقرروا إخضاع الثوار للنظم وتوزيعهم في مهام عسكرية وأمنية لإقرار الأمن في المدينة من جهة ومراقبة تحركات الإنجليز الاحتمالية من جهة أخرى ، وفي هذا الإطار عينوا ميرزا على رضا بيگ كوتوالا (*)، وكان قد سبق له أن عمل في هذا المنصب قبل ضم أوده إلى ممتلكات الشركة الإنجليزية ، وفور توليه هذا المنصب تحت ضغط الثوار ، قام بإنشاء مراكز أمنية في أنحاء المدينة لإقرار الأمن والقضاء على أعمال السلب والنهب التي كان يتعرض لها الأهالي ، وفي يوم الأحد الرابع عشر من ذي القعدة ١٢٧٣ هـ / ٥ يوليو ١٨٥٧م قرر المجتمعون تعيين ميرزا (**) برجيس قدر الطفل أحد أبناء واجد علي شاه آخر حكام أوده ، نوابا لهذه الإمارة وأعادوا لقب النوابية بدل لقب السلطان الذي كان حكام أوده الضعفاء قد لقبوا به أنفسهم في عهد سيطرة الشركة الإنجليزية ، وأطلقت المدافع عدة طلقات تعبيرا عن الفرح باستعادة حكم الإمارة إلى أصحابه الشرعيين على الرغم من أن معسكر الإنجليز الرئيسي بقى صامدا ومهددا الثوار إذا وجد فرصته المناسبة ، وبسبب صغر سن النواب ، كان المجتمعون من كبار الثوار قد عينوا محمد ابراهيم خان الكشميري نوابا بالنيابة ، لأن النواب الطفل لم يكن يتجاوز عمره عن عامين ، إلا أن السيدة حضرت محل زوجة واجد علي شاه التي اشتركت بفعالية في أحداث

(*) كوتوال : هو قائد الأمن في المدينة .

(**) اسمه الاصلي هو ميرزا رمضان علي ولكنه عرف ببرجيس قدر .

الثورة هناك،فوضت أمور نوابية ابنها الطفل إلى أحمد علي خان المعروف باسم ممو خان ، ولكنه كان اختيارا غير موفقا لأن ممو خان هذا كان عاملا خاملا غير أهل لتولي ذلك التفويض في مثل تلك الظروف التي كانت تتطلب الجرأة والإقدام والنشاط الغير المقطوع ليل نهار ، إلا أنه كان يستصعب كل سهل ويحسب كل صعب سهلا ، كما لم يحسن هو الآخر اختيار رجاله وقواده مما كان سببا في بروز بعض المشاكل بينه وبين بعض العناصر النشطة في الثورة [1]، وعلى الرغم من هذه التعيينات والإجراءات الأمنية التي اتخذت ، لم يستقر الأمن في المدينة ولم تنقطع أعمال السلب والنهب ، إلا أن الثوار واصلوا مساعيهم في هذا الاتجاه وكان المنادي يتجول كل يوم في الشوارع ويهدد ويتوعد الذين يقومون بأعمال السلب والنهب ، وأعلن الثوار بأنهم سوف يضيفون في رواتب الجنود ضعف ماكانوا يتلقونه في السابق وأن الجنود سوف تدفع لهم رواتبهم التي لم يتسلموها منذ مشاركتهم في الثورة ، كما أعلنوا عن ضرب السكة باسم ميرزا برجيس قدر، وكانت السكة تضرب على الفضة والذهب الذي حصلوا عليه من الخزانة أو من أثرياء البلد الذين حصلوا مقابل ذلك على تصاريح لجمع الخراج والضرائب من القرى

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٢ أ - ٤٢ ب ،

W.Muir: Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India, during the mutiny of 1857, Vol.I, p.133.

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣٨ ،

K.Ali: A New History of Indo-Pakistan, Part.II, p.131.

والأرياف (١)، وهذا الإجراء وإن وضع أموالا في أيدي الثوار ، إلا أنه كان إجراء خاطئا ، لأن هؤلاء الجباة الدائنون لم يكن هناك مايمنعهم من الإجحاف بحق الأهالي في القرى والأرياف ، وبذلك كانت الثورة تفـقد سندها الجماهيري خارج المدن بعد أن فقدت بعض الحماية في المدن نتيجة أعمال السلب والنهب التي قام بها بعض ضعاف النفوس مستغلين الفوضى التي صاحبت الثورة ، ويبدو أن الثوار قد قبلوا ذلك الإجراء للعبور من تلك المرحلة الحرجة التي كانت تتطلب إرضاء الجنود ودفع الرواتب لهم حتى لايضطروا إلى السلب والنهب ، ويعملوا للأمن والاستقرار، ومن هنا نرى أن المسئولين بدأوا يفكرون في تأسيس جيش جديد يعمل لتدعيم السلطة الجديدة وتأتمر بأمرها (٢).

استمر الثوار في المدن الأخرى على نفس النهج الذي سلكوه في لكنهو، ففي مدينة شاه جها نپور Shahjehanpore عين الثوار النواب غلام قادر خان أميرا كما قاموا بتعيين النواب خان بهادر صدر الصدور أميرا لمدينة بريلي Bareilly ، وقاموا بقتل كل إنجليزي وجد في المدينتين .

على الرغم من أن الثورة كانت قد عمت معظم مدن أوده وأريافها ، إلا أن رؤساء بعض المناطق رفضوا الانضمام للثورة كما قاموا بإيواء الإنجليز الذين لجأوا إليهم ، ومن هؤلاء الرؤساء كان النواب محمد سعيد خان حاكم مدينة رام پور Rampore الذي عقد اجتماعا مع أعيان المدينة ووجهائها قرر فيه إيواء كل إنجليزي يلجأ إلى منطقة نفوذه ، كما قرر عدم السماح للثوار بالعبور

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٣ أ - ٤٣ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ق ٤٣ ب - ٤٤ أ .

عبر آراضيه ، ومن هنا هرب بعض الإنجليز الناجين من مدينتي شاه جها نپور وبريلي لاجئين إلى حاكم رام پور الذي رحب بهم وأعلن حمايته عنهم (١).

كانت كانپور Cawnpore من المناطق التي اشتركت في الثورة بفعالية كبيرة وأعمال عنيفة ، ومما كان يميز الثورة في تلك المنطقة أن نانا صاحب Nana Sahib أحد أحفاد الپيشوا زعيم المرهته المبعد إلى هناك قد تزعم الثورة معلنا ولاءه للسلطان بهادر شاه الثاني (٢). بدأت الثورة في كانپور بعد مضي نحو شهر على الثورة في دهلي ، ولقد هاجم الجنود والأهالي الثائرون الإنجليز وقتلوهم حيثما وجدوهم ، وقد اشترك في الثورة من جميع فئات الشعب مسلمين وهندوس ، وعين أحد علماء المسلمين أميرا للجهاد ، ولقد حوصرت أعداد كبيرة من الإنجليز من الرجال والنساء والأطفال وقد طلبوا الأمان ليستسلموا ويقال بأنهم حصلوا على الأمان ،ولكن مع ذلك قتلهم أتباع نانا صاحب الغضبان، وألقوا جثثهم في بئر اتخذه الإنجليز مزارا فيما بعد ، كما وقعت أعداد أخرى من رجال الإنجليز ونسائهم وأطفالهم في الأسر أيضا ، ويقال بأنهم أعطوا الأمان

---

(١) المصدر نفسه ، ق ٤٤ ب ،

W.Muir: Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India, during the mutiny of 1857, Vol.I, pp.39,40,47, 90.

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٤ ب ،

ميرزا محمد عبدالقادر خان : آويماق مغل ، ص ٦٩٠ – ٦٩١ ،

جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ ،

عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣٨ ،

شيلادهار : تاريخ هند ، ص ١٧٢ ،

مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٥ .

لركوب السفن والتوجه إلى قلعة إله آباد التي كانت بيد الإنجليز ، إلا أنه بعد ركوبهم السفن قام الثوار بإغراق السفن فغرق هؤلاء الإنجليز ولم ينج منهم إلا بعض الذكور الذين كانوا يعرفون السباحة فوصلوا بأنفسهم بصعوبة بالغة إلى الضفة الأخرى من النهر والتحقوا في إله آباد بسائر بني قومهم [١]؛ وبعد السيطرة على الأوضاع ، قام نانا صاحب ببعض التعيينات لاستتباب الأمن وتحصيل الخراج .

هناك قائد آخر من المرهته اشترك في الثورة بكل فعالية وتزعمها في مدينة كالپى Kalpi بوسط الهند ، وهذا القائد هو تانتيا توپي Tontia Topi الذي كان قائدا عسكريا ممتازا ، وكان يقوم بتوجيه الحملات الخاطفة ضد القوات الإنجليزية في نواحي عدة ، ولقد التف حوله جمع غفير من المرهته الذين وضعوا كالپي تحت سيطرتهم الكاملة بعد أن قتلوا أو طردوا منها القوات الإنجليزية [٢]، ولقد قاتل تانتيا توپي الإنجليز لعدة أشهر حتى بعد أن كانت الثورة أخذت تبدي علائم فشلها(*).

(*) عندما عجز عن الاستمرار في المقاومة ، عبر نهر نربدا Narbada في الجنوب على أمل أن يجد مساعدة من بني قومه المرهته، إلا أنهم لم يرحبوا به فحسب ، بل غدروا به وسلموه للسلطات الإنجليزية التي حاكمته وحكمت عليه بالإعدام شنقا، ونفذ الحكم بعد أن ألقى توپي بنفسه حبل المشنقة في عنقه دون أن يبدي خوفا من الموت .

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٥ ب – ٤٦ أ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣٨ ،
جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ .

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٦ ب ،
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ ،
عادل حسن غنيم وزميله : تاريخ الهندالحديث ،ص ١٤٤،
شيلا دهار : تاريخ هند ، ص ١٧٢ .

كذلك كانت هناك بطلة هندوكية تزعمت الثوار في مدينة جهانسي Jhansi بوسط الهند ، وهي الآنسة لكشمي باى أميرة جهانسي التي كانت في العشرين من عمرها وحاربت الإنجليز ببسالة فائقة حيرت الرجال ، وكانت تقود جنودها ضد القوات الإنجليزية وهي لابسة الملابس الرجالية ، ومع أنها انهزمت أمام القوات الإنجليزية المتفوقة التسليح وجيدة التدريب والتنظيم ، إلا أنها رفضت الاستسلام وقاتلت حتى آخر نفس لها ، حيث لقيت مصرعها في ساحة المعركة ، ولقد حاول تانتيا توپي رفيقها في النضال أن ينجدها إلا أن هذه النجدة وصلت بعد أن كانت لكشمي باى قد انهزمت وقتلت (١).

لقد امتدت الثورة إلى بعض المدن الهندية الاخرى أيضا ، مثل شاه جهان پور Shahjehanpore وإله آباد Allah - abad وبنارس Benares وفيض آباد Faizabad وفتحپور Fatehpore الا أنها لم تكن شديدة أو عامة ، لأن الإنجليز وجدوا فرصة لاتخاذ الإجراءات المضادة بعد أن تأخر وقوع الثورة في أمثال تلك المدن ، بالإضافة إلى تلقي الإنجليز إمدادات جديدة ، كما وقف السيخ وبعض الحكام المحليين إلى جانبهم (٢)، وظهر في مالوه Malwa شخص يسمى ميرزا همايون

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : اويماق مغل ، ص ٦٩١ ،
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٤٠ ،
شيلا دهار : تاريخ هند ، ص ١٧١ - ١٧٢ ،
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣٣ .

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٧ أ ، ٤٧ ب ، ٤٨ أ .

ادعي أنه من سلالة الحكام السابقين لمالوه ودعى إلى الثورة وأعلن نفسه ملكا في مدينة مندسور Mandasor التابعة لإقليم مالوه ولقب نفسه بفيروز شاه وذلك في عام ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٨ م ، إلا أن الإنجليز هاجموه بمساعدة من حكام مالوه الموالين لهم وهزموه فهرب واختفى (١).

هكذا نجحت الثورة في القضاء على السيطرة الإنجليزية في كثير من الأقاليم والمدن الهندية الشمالية والوسطى ، وأفرغ الثوار خلالها مراجل أحقادهم على الاستعماريين الإنجليز الذين لم يكتفوا بنهب ثرواتهم وسلب سيادة بلادهم فحسب ، بل لم يحترزوا من امتهان كرامة أُهالي الهند والاستهتار بعقائدهم وقيمهم وتقاليدهم . ولقد اشتركت في الثورة من جميع فئات الشعب الهندي وطوائفه ، إلا أن قيادة الثورة كان في الغالب بيد المسلمين ، وكان في مشاركة الهندوس في الثورة وخاصة مشاركة المرهته ممثلا في نانا صاحب ومبايعتهم للسلطان بهادر شاه الثاني ، الدليل القاطع بأن عامة الهندوس كانوا يرجحون حكم المسلمين على الحكم الإنجليزي ، وإن بقي بعض حكامهم في ولائهم للإنجليز وقاموا بمساعدتهم في إخماد الثورة ، إلا أن مثل ذلك الموقف المتخاذل قد اتخذه بعض الحكام المسلمين أيضا .

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : اويماق مغل ، ص ٦٩١ .

إخماد الثورة

سقوط دولة المغول الإسلامية في الهند

لم يكتب النجاح لهذه الثورة التي كانت أكبر رد فعل لسيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، وتمكن الإنجليز بعد عدة أشهر من خلال معارك دامية غير متكافئة التسليح والتنظيم ، أن يخمدوا الثورة ويذيقوا الثوار الأمرين .

فور ماوقعت الثورة في ميروت وانتشرت بسرعة إلى دهلي ومعظم الأقاليم والمدن الهندية الشمالية والوسطى ، بدأت السلطات الإنجليزية في اتخاذ إجراءات مدروسة ومخططة لاحتواء الثورة والنجاة بالاستعمار الإنجليزي في الهند ، وفي هذا الإطار بذلوا كل جهد لعزل المناطق الثائرة عن بقية الأقاليم والمدن الهندية ، ومن هنا قامت السلطات الإنجليزية بإغلاق الطريق بين دهلي وآگره Agra حيث مقر القيادة الإنجليزية للمقاطعات الشمالية الغربية ، وكلفت كتيبتان لهذا الغرض كما أرسلت إلى آگره نفسها تعزيزات من سلاح الفرسان ووحدة من قوات الطوارئ (١)، وكانت أهمية آگره تكمن بأنها تقع في وسط الهند ولو وقعت بأيدي الثوار لسهل انتشار الثورة في الأقاليم الغربية والجنوبية للهند بالإضافة إلى أن السلطات الإنجليزية في المقاطعات الشمالية الغربية كانت تتلقى التعليمات من آگره التي كانت بدورها تتلقي التعليمات من الحاكم العام ومجلسه في كلكته ، وكان سقوط آگره يعني قطع الاتصالات بين كلكته والمقاطعات الشمالية والشمالية الغربية والوسطى ، ومن هنا بذلت السلطات الإنجليزية جهودا موفقة للحيلولة دون انتشار الثورة إلى آگره ، فبالإضافة إلى تشديد المراقبة

---

(١) G.W. Forrest: Selections from the letters despatches and other state papers preserved in the military department of the Government of India (1857-1858), Vol.I, p.268.

على الطرق المؤدية من دهلي إلى آگـره ، وإرسال تعزيزات عسكرية جديدة إلـى هناك ، عقد المسئولون الإنجليز اجتماعات مع الجنود الوطنيين الموجودين في ثكنات آگـره ، وألقوا بيانات بددوا فيها مخاوف الجنود حول مستقبلهم ، إذ كانت الإشاعات تقول بأن السلطات الإنجليزية سوف تستغني عن هؤلاء الجنود ولن تثق فيهم بعد الذي حصل من نظرائهم في ميروت ودهلي وبعض المناطق الأخرى، كما أكد المسئولون الإنجليز بأن حكومة الشركة تؤكد على احترام مشاعرهم الدينية في جميع الأحوال ، وتمنح لهم كامل الحرية لممارسة شعائرهم الدينية وطقوسهم الطائفية ، وأنها تتعهد بعدم التدخل في شئون أهالي الهند الدينية والعقائدية[(١)] ولكسب ود الجند ودفع الضباط إلى بذل أقصى جهدهم وإخلاصهم في تنفيذ مايتلقونه من التعليمات لاحتواء الثورة ، أعلنت حكومة الشركة أن كل عسكري يقوم بعمل رائع بارز في إطار مهمته ، تتم ترقيته إلى رتبتين أو أكثر من الرتبة التي كان يحملها قبل إنجازه ذلك ، وحتى الجندي الذي يقوم بإنجاز عسكري رائع سوف يرقى إلى رتبة ضابط صف [(٢)].

الخطوة المهمة الأخرى التي اتخذها الإنجليز لاحتواء الثورة وحصرها في المناطق التي اندلعت ، هي نزع السلاح من الجنود الوطنيين إلا في الحدود الضيقة التي لاتخشى منها ، والاعتماد الأساسي على الجنود الأوربيين وخاصة فيما يتعلق بسلاح المدفعية ، وحتى في مقاطعة مثل پنجاب التي بقيت هادئة بسبب مساندة السيخ للإنجليز ، أقدم قائدها الإنجليزي السيرجون لورنس Sir John Lawrence إلى نزع السلاح من السپاهي ، حيث ذكر في رسالة منه إلى السير هنري لورنس

---

(١) Ibid:pp.268, 271.

(٢) Ibid:p.271.

Sir Henry Lawrence قائد القوات الإنجليزية بإقليم أوده الثائر بتاريخ ٣٠ ذي القعدة ١٢٧٣ هـ / ٢١ يوليو ١٨٥٧م قائلا : " ... إن السيخ يسلكون سلوكا حسنا ، ليس هناك شجار ولا ثورة ، جردنا كل فرق المشاة من أبناء الوطن الأصليين من السلاح في پنجاب ، ما عدا كتيبتين ضعيفتين في پشاور ، لا حول لهما ولا قوة نحن جردنا من السلاح . كذلك جميع فرق الفرسان النظامية وبعض الفرق غيرالنظامية وليست أية واحدة من هذه الفرق جديرة بالثقة ... جنودنا قليلون ولكن إذا تم توجيههم بصورة مناسبة ، فإنهم سيحافظون على مواقعهم ولاينهزمون "(١) ، وكان لهذا الإجراء الحاسم أثره في عدم تمكن الجنود في پنجاب من القيام بالثورة واللحاق بزملائهم في مقاطعة دهلي المجاورة ، ولم تتأثر پنجاب بما حدث في جارتها فحسب بل لعبت دورا مهما في إخماد الثورة وتشتيت شمل الثوار في دهلي.

قبل أن يتخذ الإنجليز قرار الهجوم المضاد على دهلي واستردادها من أيدي الثوار ، راهنت السلطات الإنجليزية على عامل الوقت وتضييق الحصار على المناطق الثائرة لعدم تمكن الثوار من تعويض ماينفد من العتاد والمؤن ، وفي نفس الوقت بذلت حكومة الشركة أقصى جهودها للإعداد العسكري المتفوق تسليحا وتنظيما واستدعاء القوات الأوربية والموالية وحشدها في المواقع القريبة من المناطق الثائرة ، وكانت القطارات والسفن البخارية تقدم لهم أكبر خدمة في مجال النقل والإمداد السريع ، كما كانت مخابرات الإنجليز العسكرية نشطة تجمع المعلومات

---

(١) W.Muir : Records of the itelligence department of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V, p.435.

عن الأوضاع السائدة في المناطق الثائرة وتقدمها للسلطات الإنجليزية المختصة لدراستها والاستفادة منها في وضع الخطة الحربية واتخاذ الخطوات المستقبلية ، ففي تقرير عن الأوضاع في دهلي قدم إلى السلطات الإنجليزية المختصة في الثاني من ذي الحجة عام ١٢٧٣هـ / ٢٣ يوليو ١٨٥٧م ذكر أن السلطان يعاني صعوبات كبيرة في توفير حاجياته من النقود ، وهذا سوف يجره إلى الابتزاز ، كما أن الأهالي سوف يعانون من النقص في المواد الغذائية ، وأن رجال السلطان عاجزون عن تحصيل الأموال اللازمة لتصريف شئون الدولة ، وأنه بمرور الزمن سوف ينفد البارود والقذائف الموجودة لدى الثوار ، ومع أنهم ينتجون البارود إلا أن مخزونهم من الكبريت في الطريق إلى النفاد ، ويضيف التقرير قائلا : " عندما تتوقف تعزيزات المتمردين وإمداداتهم ، وتبدأ تعزيزاتنا وإمداداتنا في الوصول ، فسوف ينقلب الوضع "[1] وبطبيعة الحال كان الإنجليز يعرفون جيدا الأوضاع المعيشية ولم يكونوا في هذا الخصوص بحاجة إلى تلقي معلومات جديدة ، لأنهم أفقروا البلد وأهله ، وكان توقعهم في محله فيما يتعلق بعدم مقدرة السلطان الكهل-الذي أجبر على تولي قيادة الثورة في سبيل إحياء دولة آبائه-في توفير حاجيات الناس وتلبية تطلعاتهم في مثل تلك الأوضاع التي كان يتحكم فيها الشارع والعواطف التي لاتستمر طويلا أمام مرارة الواقع ، خاصة وأن الثوار كانوا محصورين في مناطق داخلية يحيط بها الإنجليز والمتواطئون معهم ، ولم تتيسر للثوار إقامة أى اتصال إلى أي بلد يقدم لهم يد المساعدة في مثل تلك الظروف الحرجة .

---

(١) Ibid:p.438.

بالإضافة إلى ما ذكر ، فإن المخابرات الإنجليزية كانت تعمل للإيقاع بين مختلف الطوائف المشتركة في الثورة ، وما أسهله في بلد مثل هند تلك الفترة حيث كانت تفتقر إلى قيادة واعية تجمع شمل أهلها ، وكانت فوضوية الثورة والتخلف في الوعي الديني والسياسي وحتى افتقار الهنود إلى نوع من الوعي القومي، كان يسمح بأن يدس في صفوف الثوار من يوقع بينهم ويختلق لهم قضايا جانبية تشغلهم عن قضيتهم الأساسية وهي دحر سلطة الإنجليز الاستعمارية واستعادة سيادة الدولة المغولية صاحبة أنصع تاريخ في اتباع سياسة التسامح إزاء مختلف الطوائف الهندية ، وفتح أبواب المناصب الحكومية أمام مختلف فئات الهنود .

ضمن متابعة الحالات ومواصلة التخطيط لإثارة الفتنة بين الثوار في دهلي، أبلغت المخابرات الانجليزية السلطات في الثامن من ذي الحجة ١٢٧٣ هـ / ٢٩ يوليو ١٨٥٧م بأن النقود والعتاد في دهلي في انتقاص متزايد ، وأن هناك أمل في ظهور فرقة وانشقاق في صفوف الثوار بين هندوسهم ومسلميهم ، وذلك بسبب قرب حلول عيد الأضحى حيث يعتزم المسلمون ذبح أبقار الأضاحي أمام المسجد الجامع (١)، وهكذا كان الإنجليز يستغلون التناقض العقائدي الموجود في الهند لصالح إحكام سيطرتهم الاستعمارية ، ومعلوم أن البقر مقدس لدى الهندوس يحرمون ذبحه وأكل لحمه أو إيذاءه ، في حين يكثر المسلمون من ذبح البقر في أيام عيد الأضحى ، لأنه أحد الأنعام التي تجيز عن الأضحية ، ووجد الإنجليز في ذلك التناقض العقائدي فرصة لإثارة الفتنة وتمزيق صف الثورة التي لم تمكن لنفسها بعد ، بل كانت مشاكلها تزداد يوما بعد يوم ، سواء بفعل عوامل الفشل التي كانت تحملها في بطنها ، أو بفعل ما كان تخطط ضدها السلطات الإنجليزية لتقضي عليها في مهدها.

---

(١) Ibid:p.439.

كذلك بذل الانجليز مساعيهم لبحث من يتعاون معهم داخل المناطق الثائرة ونالوا بعض التوفيق في هذا الاتجاه ، اذ وجدوا بعض الفئات من الهندوس ومن المسلمين الذين تعاونوا مع الانجليز ، خاصة في مجال ايواء الانجليز وانقاذهم من أن يقعوا بأيدي الثوار الغضبان ، ففي برقية أبرقها الحاكم العسكري للمقاطعات الشمالية الغربية بآكره الى الحاكم العام بكلكته في تاريخ ٢٥ رمضان ١٢٧٣ هـ / ١٨ مايو ١٨٥٧م ذكر فيها قائلا : " نفيدكم أن كل الأخبار هنا من حسن الى أحسن ، ولقد كلفت قوة من الخيالة لتطهير الطريق بين گواليار Gwalior ودوآب Doab من اللصوص والقضاء على أعمال السلب والنهب التي تجري حاليا في العديد من الأماكن التي تحتاج الى القوات الموثوق بها وغير المسلحة تسليحا مكثفا . وتفيد التقارير الواردة لنا من مقاطعة ميروت Meerut بأن قبيلة السادات Syuds والجت Jats المجاورة له تعمل الى جانبنا وتقف معنا ،وقد قام أحد أفراد السادات باحضار ثلاثة من الضباط الانجليز من قوة دهلي بعد أن وفر لهم الحماية اللازمة " (١)، وهكذا وجدت السلطات الانجليزية مساندة من قبيلة السادات المسلمة والجت الهندوكية ، وذلك عندما كان الثوار في نشوة الانتصار ، فمن الطبيعي أن يجدوا الكثيرين من الذين يتعاونون معهم عندما بدأت بوادر فشل الثورة تظهر للعيان .

---

(١) G.W. Forrest: Selections from the letters despatches and other state papers presrved in the military department of the Government of India (1857 - 1858), Vol.I, pp.257, 270.

بالإضافة إلى الأفراد وبعض الجماعات التي وجدتها السلطات الإنجليزية في تعاون معها ، وقفت معظم الإمارات الوطنية الشبه مستقلة التي كانت داخلة مع الشركة الإنجليزية في نظام الحلف التعاوني ، وقفت إلى جانب الإنجليز أو بقيت متفرجة بانتظار تبين الأوضاع ومعرفة المنتصر والمنهزم ، فمن الإمارات المرهتية ، أعلن مهاراجه سنديه Maharaja Seindia وقوفه إلى جانب الإنجليز، ولإظهار مودته وصداقته لحكومة الشركة الإنجليزية أرسل ٣٠٠ جندي من حرسه الخاص وسرية من مدفعيته لمساندة إجراءات الإنجليز الأمنية في منطقة آگره Agra (١)، كما وقف السيخ وقبائل الگورخه Goorkha في الشمال ونظام حيدر آباد في الجنوب إلى جانب الانجليز (٢).

في إطار الاستعدادات للهجوم المضاد استمرت السلطات الإنجليزية بحشد قواتها ووضعها في حالة التأهب ، مركزا في ذلك على القوات الأوربية الأحسن تدريبا والأكثر ولاء وثقة ، وفي الأيام الأولى من اندلاع الثورة أبرق الحاكم العام في كلكته إلى قائد المحافظات الشمالية الغربية بآگره في تاريخ ٢٣ رمضان ١٢٧٣ هـ / ١٦ مايو ١٨٥٧ م قائلا : " أرجو أن تتصلوا بالسيرجون لورنس Sir John Lawrence بأسرع وقت ممكن وأن تبلغوه بأن يرسل لنا عددا من الفرق العسكرية

---

(١) Ibid:p.268.

(٢) W.Muir: Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.I,p.37.

جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ .

في البنجاب والفرق الأوربية التي يستطيع الاستغناء عنها دون أن يشكل إرسالها خطورة عليه "[1]، وفي نفس الوقت كان من حسن حظ الإنجليز أنهم كانوا قد وصلوا إلى عقد صلح في نزاعهم مع إيران ، فأبرق نائب حكومة الشركة الإنجليزية في المحافظات الشمالية الغربية بآكره إلى الحاكم العام بكلكته بتاريخ ٢٤ رمضان ١٢٧٣ هـ / ١٧ مايو ١٨٥٧م طالب فيها باستدعاء الوحدات العسكرية الأوربية وجزء من السلاح المدفعي الأوربي الموجود في حدود إيران بشكل فوري وسريع بعد أن جاءت الانباء تفيد بأنه قد تمت المصادقة على اتفاقية السلام مع إيران ، وأكد نائب الحكومة في برقيتها المذكورة على أهمية الوصول المبكر لهذه التعزيزات العسكرية الأوربية القوية إلى كلكته وإرسالها من هناك إلى المحافظات العليا ، كما طالب بإرسال برقية مماثلة عاجلة إلى بمبيء Bombay لنفس الغرض [2]، كما قامت السلطات بإرسال ضباط إلى سيلون Ceylon بالباخرة لإحضار مجموعة من الجنود الأوربيين ، كما استدعيت كتيبة من قوات المشاة الأوربية من كراتشي Karachi إلى ملتان Multan وكتيبة بلوتشية من حيدر آباد بالسند إلى فيروز پور Ferozepore ، كما استدعيت قوات أخرى من مدراس Madras إلى كلكته Calcu-tta لإرسالها إلى إله آباد Allahabad بالسفن البخارية عبر نهر گنگ Ganges وأخبر نائب الحكومة في المقاطعات الشمالية الغربية بآكره

---

(١) G.W. Forrest: Selections from the letters despatches and other state papers preserved in the military department of India (1857-1858), Vol.I, p.252.

(٢) Ibid:p.254.

بأهمية الهجوم على الثوار واسترداد دهلي بأقصى سرعة ممكنة ، ولقد وصلت تعزيزات إلى ميروت بواسطة القطار في ٢٣ رمضان ١٢٧٣هـ ، وتمكنت السلطات الإنجليزية من تصليح شبكة الاتصالات بين ميروت وآكَره ، لتستأنف عملها في ٢٤ رمضان ١٢٧٣ هـ / ١٧ مايو ١٨٥٧م ، وأعطيت صلاحيات عسكرية كاملة للقادة العسكريين (١).

هكذا كانت تتم الاستعدادات للهجوم المضاد على المناطق التي وقعت تحت سيطرة الثوار ، ومع أن الاستعدادات والتحركات كانت متزامنة للقيام بالهجوم على تلك المناطق ، إلا أن التركيز كان على الاستعداد للهجوم على دهلي واستردادها من أيدي الثوار ، وذلك نظرا لاهميتها المعنوية حيث مقر السلطان بهادر شاه الثاني الذي اضطر أن يتولى قيادة الثورة ، ولأن بقاء دهلي بيد الثوار كان ملهما للثورة في سائر المناطق وأن استردادها كان يعني ضربة معنوية مؤثرة على الثوار في المناطق الأخرى وعلى الذين قد ينوون القيام بالثورة في المناطق التي بقيت هادئة ، ولقد تحملت پنجاب العبء الأكبر لذلك الإعداد والهجوم الذي تلاه .

أبلغ جون لورنس John Lawrence حاكم پنجاب العسكري قيادة المحافظات الشمالية الغربية بآكَره في الثلاثين من ذي القعدة ١٢٧٣هـ/ ٢١يوليو ١٨٥٧م بأنه جاهز للمشاركة في استرداد دهلي وأنه سوف يقوم فورا بإرسال أكثر من ١٣٠٠ من الأوربيين ومثل هذا العدد من الپنجابيين ، كما سيعزز هذه القوات في القريب العاجل بثلاثة آلاف من المشاة ومائتين وخمسين من الفرسان وستة مدافع

---

(١) Ibid: p.269,270.

مبديا أمله أن يرى جميع هذه القوات في جلندهر Julundhur على حـــدود مقاطعة دهلي بحلول الحادي عشر من ذي الحجة ١٢٧٣ هـ / الأول من أغسطـــس ١٨٥٧م، واقترح على الحاكم العام بكلكته بأن يسمح بمغادرة القوات من پشاور Reshawar وكوهـات Kohat إذا اقتضت الضرورة ذلك ، وذكر أن مثل هذا الإجراء سوف يوفـــر لهم ٣٠٠٠ من المشاة الأوربيين و ٣٢٠٠ من المشاة الپنجابيين ومجموعة مـــن الفرسان وثلاثين مدفعا إضافيا ، وذكر أنه بقـوة إضافيـة تـلـك ، يمكنهـــم استرداد دهلي والاستيلاء عليها ، وطمأن لورنس حكومة الشركة عن الأوضاع فـــي مقاطعة پنجاب ، إلا أنه أبدى قلقه من احتمالات قطع خطوط الاتصالات بينه وبيـــن كبار سلطات الإنجليز في آكـره وكلكتـه [1]. وحتى منتصف شهر يوليو ١٨٥٧م كـان قد بلغ عدد القوات الإنجليزية الحاشدة على حدود دهلي بحوالي ستة آلاف مـــن المدفعيين والفرسان والمشاة وبلغ عدد الأوربيين فيها إلى ٣٥٥٧ مقاتلا . وهـذا يشير بوضوح إلى أزمة الثقة التي ازدادت بين الإنجليز والجنود الوطنيين، حيث أنه على الرغم من أن عدد السپاهي كان يصل إلى عشرات أضعاف الجنود الأوربيين نرى هنا أن عدد الجنود الأوربيين قد ازداد على الجنود الوطنيين ،وحتى هـــذا العدد القليل الذي سمح له بالمشاركة في عمليات الهجوم المضاد على دهلـــي ، كانوا مراقبين ومسلحين بالأسلحة الخفيفة ،ومع انضمام قوات پنجاب إلى هذه القوات

---

(١) W.Muir : Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V,p.435.

يكون قد بلغ عدد القوات الإنجليزية التي جهزت للبدء بالهجوم المضاد واسترداد دهلي من أيدي الثوار ، قد وصل إلى حوالى عشرة آلاف مقاتل ، ليصل هذا العدد إلى أكثر من ستة عشر ألفا إذا استدعيت القوات الموجودة في پشاور وكوهات والتي أشار إليها جون لورنس في رسالته إلى قيادة المحافظات الشمالية الغربية بآكره ، ومع كل هذه الإضافات والتعزيزات ، كانت القوات الأوربية هي التي تشكل العمود الفقري للقيام بأية عمليات ضد الثوار في دهلي أو غيرها من المناطق التي خضعت لسيطرة الثوار .

في نفس الوقت قدمت المخابرات العسكرية تقريرا إلى السلطات المختصة حول عدد مقاتلي الثوار في دهلي والأوضاع هناك بصورة عامة ، فذكر أن عددهم كان يصل إلى ١٢٠٠٠ مقاتل وأن البنادق كثيرة ولكن هناك نقص في البارود ولايوجد لديهم العتاد الكافي ، كما ذكر بأن الثوار في دهلي كان بحوزتهم حتى ذلك التاريخ ١٢ مدفع حصار و ٢٨ مدفع ميدان ، وأنهم كانوا يوعظون بأن الحرب حرب مقدسة [1]. هكذا كانت استعدادات الإنجليز للهجوم المضاد ، وهي استعدادات شاملة ومدروسه ومخططة ، واضعة في الاعتبار التعرف على أوضاع الثوار وروحهم القتالية وأنواع الأسلحة التي كانوا يملكونها وكمياتها ومعرفة نقاط الضعف فيهم ،وإثارة المشاكل بين بعضهم البعض .

لم يجازف الإنجليز بالهجوم على الثوار إلا بعد أن أكملوا استعداداتهم للمواجهة وتأكدوا من أن قوات الثوار آخذة في الضعف بسبب النقص في الذخيرة والموّن من جهة وبسبب فوضوية الثورة وافتقارها إلى التنظيم من جهة أخرى ،

---

(١) Ibid: p.436.

خاصة أن الإنجليز استغلوا التناقض العقائدي لدى مختلف طوائف الثوار في إحداث الفرقة بينهم ، وفل شوكتهم وتبديد شملهم وتفريق جمعهم [١]،ولكي يجر الإنجليز الثوار إلى استهلاك أكبر كمية من عتادهم ، بدأوا منذ ٢٧ من ذي القعدة ١٢٧٣هـ/ ١٨ يوليو ١٨٥٧م بمناوشات يومية يتكبدون فيها بعض الخسائر دون أن يبادروا بالهجوم الشامل بانتظار اكتمال التعزيزات واختبار قدرات الثوار القتالية أكثر فأكثر ، كما كانت السلطات الإنجليزية العسكرية تنتظر وصول رجال مؤهلين من إنجلترا واللحاق بالقوات الإنجليزية بعد أن سمعت أخبار وصولهم إلى كلكته، وكان الإنجليز منهمكين في اتخاذ الإجراءات الأمنية للعبور الآمن لتلك القوات من كلكته إلى مواقع القوات الإنجليزية قرب دهلي عبر كانپور[٢]، وفي إشارة إلى قرب وصول الإمدادات القادمة من إنجلترا وآثارها النفسية على الثوار كتبت إحدى التقارير العسكرية في الثامن من ذي الحجة ١٢٧٣هـ / ٢٩ يوليو١٨٥٧م قائلة: " يظهر أن العدو ثبطت همته أنباء كانپور Cawnpore لم يقع أى هجوم منذ الثالث والعشرين عندما تحركوا ببعض المدافع إلى منزل متكاف Metcalfe's House ولكن طردوا بسهولة من هناك بكتيبة صغيرة ، إن خسائرنا قليلة .. نتطلع باشتياق إلى وصول رجال مؤهلين من إنجلترا لتصفية العمل الموجود أمامنا ، ونبحث عن أحدث المعلومات بشأن مغادرتهم كانپور Cawnpore إذ أنه

---

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣٥ .

(٢) W.Muir: Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V, p.438.

يجب علينا دون شك أن نتخذ من قبل الإجراء اللازم بشأن خط سيرهم "(١)، وهـذا يشير بوضوح إلى أن الإنجليز استخدموا حرب الأعصاب إلى جانب الوسائل الأخرى، حيث نشروا في دهلي أنباء وصول إمدادات من إنجلترا، ثم تابعوا تأثيرها على معنويات الثوار، وبطبيعة الحال كانوا ينشرون هذه الأنباء في أوساط قواتهم أيضا ليرفعوا من معنوياتهم .

استمر الإنجليز في محاصرتهم لدهلي مع استمرار الاشتباكات وحدوث بعض المعارك من حين لآخر، وبما أنهم كانوا في مواقع دفاعية وكانوا يجرون الثوار إلى المعارك المدبرة المخططة، لم يكونوا يتكبدون خسائر كبيرة، في حين كان الثوار يتحملون خسارات أكبر في معظم هذه الاشتباكات والمعارك، ففي معركة وقعت في منتصف ذي الحجة ١٢٧٣هـ / أوائل أغسطس ١٨٥٧م وبدأت من حوالي الساعة السادسة مساءا واستمرت طوال الليل حتى العاشرة صباحا، تكبد الثوار خسائر كبيرة نتيجة وقوعهم في فخ خطط الإنجليز الحربية وجرهم إلى حيث يريدهم المخادعون الإنجليز، وذكر الرائد آنسون Anson قائد الوحدة الإنجليزية في تلك المعركة يقول :

" ان المعركة بدأت بهجوم العدو، وانتظرت مدافعنا ومشاتنا حتى اقتربوا منا تماما، ثم أمطرت عليهم وابلا من القذائف والقنابل العنقودية، وقد قتل وجرح مايقرب من ٥٠٠ شخص في حين كانت خسائرنا عشرين شخصا فقط من بينهم الضابط الوحيد الذي قتل في المعركة وهو ايتون ترافرز Eaton Travers الذي اصيب بالرصاص في رأسه " (٢) .

---

(١) Ibid: pp.439,440.

(٢) Ibid: pp.450-451.

استمر الانجليز على هذا المنوال معززين قواتهم مستنزفين قوات الثوار إلى أن جاء شهر محرم من عام ١٢٧٤هـ/ سبتمبر ١٨٥٧ م فكانت المعارك الدموية الحاسمة التي قاد الإنجليز فيها السيرجون لورنس Sir John Lawrence الذي سبقه في قيادة هذه العمليات ثلاث جنرالات آخرون توفى اثنان منهما نتيجة إصابتهما بالهيضة وانسحب الثالث بعد أن أصابه ضعف عام ، ولقد دافع عن دهلي أهلها دفاع اليأس لعلمهم بمصيرهم المحتوم وهو القتل إذا غلبوا(١)، وكان الثوار قد أنهكوا خلال الأشهر الماضية وقتل منهم الكثيرون خلال المعارك والاشتباكات التي كانت تقع من حين لآخر ، كما وجد الإنجليز في الهندوس وبعض المسلمين من عمل لصالحهم ، ولم يبق من المجاهدين إلا القليل الذين كانوا يبيتون جياعا ويصبحون إلى القتال سراعا ويعملون مع جمع من الجنود في الدفاع عن سور المدينة الذي كان يتعرض لهجمات الإنجليز المتكررة ، ولقد استغل الإنجليز فرصة نوم حراس إحدى المواقع فاستولوا عليها ثم أخذوا منها يضربون البلد والسور المحيط بها حتى تمكنوا من هدم بعض أجزائه وسيطروا على القلاع المشرفة على المدينة ، ومنها أخذوا يزحفون إلى داخل المدينة في قتال دموي مع الثوار جرى من شارع إلى شارع ومن بيت إلى آخر إلى أن تمكن الإنجليز من الاستيلاء على المدينة وأبوابها وقلعتها وسورها وأسواقها ودورها ، بعد أن قضي على المقاومة حيث حال جماعات من الهندوس بالاشتراك مع ميرزا إلهي بخش بين من بقي من الثوار وبين ما كان يجبى إليهم من المواد الغذائية من القرى حتى ظلوا جياعا فاضطروا للفرار وترك مواقعهم (٢)، فسيطر الإنجليز

---

(١) عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩٤ .

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

على الموقف في دهلي في الثلاثين من المحرم ١٢٧٤ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٥٧م بعد أن بقيت بأيدي الثوار قرابة خمسة أشهر .

في أثناء الثورة وبعدما ظهرت بوادر الفشل غادر السلطان بهادر شاه الثاني قصر الحكم في دهلي واتجه إلى ضريح السلطان همايون على بعد حوالي خمسة أميال خارج مدينة دهلي بعيدا عن مركز الخطر ، وبما أنه كان قائدا أعلى للثورة ، كان لخطوته تلك أثرها السيء جدا في نفوس الثوار ، كما استولى الرعب على كثير من سكان دهلي ، ووجه الإنجليز قوات إلى طلب السلطان الهارب ودعوه أن يلقي السلاح مقابل الإبقاء على حياته ، فقبل واستسلم إلى الضابط الإنجليزي هدسون Hodson في الثاني من صفر ١٢٧٤هـ / ٢١ سبتمبر ١٨٥٧م ، ومع ذلك احتال الإنجليز بالقبض على من بقي من أبناء الأسرة الحاكمة وقتلوا كلهم بين يدي السلطان الأسير تعذيبا له ، كما قتلوا كل من وجدوا في المدينة من العلماء والأشراف والأعيان ووجهاء البلد ، ناهبين أموالهم ومخربين دورهم وأثاثهم حتى صارت دهلي خاوية على عروشها(١). وفي الإشارة إلى هذه الأعمال الوحشية الإجرامية كتب قائد القوات الإنجليزية في دهلي إلى قيادة المقاطعات الشمالية الغربية في آكره بتاريخ الثالث من صفر عام ١٢٧٤ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٨٥٧م قائلا :

" هنا كل شيء يسير على مايرام السلطان والبيگم زينت محل The Begum Zeenut Muhal يعيشان في السجن تحت رقابة شديدة واليوم قبض على الأمراء

---

(١) عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩٤،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٥٢ – ٤٥٣ ،
محمد حسن الأعظمي : حقائق عن باكستان ، ص ٢٨ ،
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣٣ .

ميرزا مغول Mirza Moghul وأبو بكر Abu Bucker وخضر سلطان Khizzar Sultan ، وقد ألقى القبض عليهم هدسون Hodson في ضريح همايون وأطلق عليهم الرصاص في باب دهلي Delhi Gate ، جثثهم مرمية الآن في كوتوالي Kotwalie المكان الذي قتل فيه كثير من مواطنينا المساكين وعرضوا للتفرج " (١).

استمر الإنجليز في القضاء على الثوار بوحشية تامة ، ولم يكتفوا بقتل أبناء السلطان ، بل قطعوا رؤوسهم وعلقوا أجسامهم على مبنى الكوتوالية وقدموا الرؤوس إلى أبيهم وأتبعوا القتل العام بتدمير بيوت المسلمين المعروفين وشنقوا من وجدوه منهم على قارعة الطريق ، فانقلبت دهلي العامرة إلى صحراء جرداء ، واستخدم الإنجليز طابور الجواسيس من الهندوس لمطاردة المسلمين وقتلهم وكانت تكفي إشارة هندوكي إلى مسلم لوضع عنقه في حبال المشنقة (٢)، لقد قتلوا كثيرا من الناس رميا بالرصاص ، كما ربطوا عددا كبيرا من الأفراد على فوهات المدافع وأطلقوا عليهم نيرانها لتنتثر جثثهم ، كما شنقوا آلاف الأشخاص على أشجار جانبي الطرقات (٣).

---

(١) W.Muir : Records of the intelligenc department of the Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol. V, p.522.

(٢) محمد حسن الأعظمي : حقائق عن باكستان ، ص ٢٨ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ،
حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٠ .

(٣) جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ — ٨٠٠ ،
ويل دورانت : اختناق هندوستان ، ص ٣٨ .

كان لخبر سقوط دهلي بأيدي الإنجليز واعتقال السلطان بهادر شاه الثاني آثاره السيئة على معنويات سائر المدن الهندية الثائرة ، إلا أن الثوار لم يستسلموا وقاوموا القوات الإنجليزية إلى آخر ما كان باستطاعتهم، على الرغم من بوادر الفشل التى كانت تبدو للعيان وعلى الرغم من سماعهم الممارسات الإجرامية والقمعية التي ارتكبها القوات الإنجليزية بحق دهلي وأهلها .

رأينا فيما سبق أن الثورة بعد أن بدأت في ميروت وانتقلت بسرعة إلى دهلي ، انتشرت في كانپور ومدن أوده ومعظم مدن وقرى المناطق الشمالية للهند وأن الناجين من الإنجليز في أوده قد تجمعوا في عاصمتها لكنهو في معسكرهم الرئيسي المحصن ، كما استولى الثوار على كانپور وأقاموا مذبحة جماعية لمئات الإنجليز الذين وقعوا بأيديهم ، وكان يقود الثوار في كانپور نانا صاحب أحد أحفاد الپيشوا المبعد من پونه ، وأكمل الإنجليز استعداداتهم للقيام بهجوم مضاد ، وخافوا أن يلقى الإنجليز المحاصرون في لكنهو نفس المصير الذي لقيه الإنجليز المحاصرون في كانپور ، فأسرعوا بإرسال قوات إلى كانپور لتتقدم بعد الاستيلاء عليها إلى لكنهو (١)، وقاد الحملة من إله آباد إلى كانپور القائد الانجليزي نيل Neill مع جنود من المشاة الأوربيين في شهر ذي القعدة عام ١٢٧٣ هـ / يوليو ١٨٥٧م (٢)، ويقال إنه في طول الطريق بين إله آباد وكانپور

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٨ ب ،
عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩٥ .

(٢) W.Muir : Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V, p.436.

قام بشنق هندي واحد على كل شجرة ، بحيث لم تبق شجرة إلا وعلقت فيها جثة من جثث الهنود الذين شنقتهم قوات نيل [١]، وأتبعت هذه القوات قوات أخرى بقيادة هيف لوك Havelock التي كانت تتكون من حملة البنادق الأولى في مدراس والرابعه والستين والثامنه والسبعين والسادسة والثمانين وقوات من السيخ وسرية تطوعية من الفرسان الأوربيين وسريتان من المدفعية ، بالإضافة إلى حملة البنادق الخامسة لمدراس ، و ١٦٠٠ جندي صيني الذين وصلوا إلى كلكته وتقرر إرسالهم للانضمام إلى قوات هيف لوك [٢]، وكان يصل إجمالي عدد القوات الإنجليزية مع القائدين المذكورين إلى حوالي ثلاثة آلاف مقاتل من الأوربيين والسيخ ومئات أخرى من القوات التي انضمت إلى قواتهما في الطريق إلى لكنهو[٣]، بالإضافة إلى ألفين من الجنود الذين أعلن بعض الراجوات وضعهم تحت إمرة القوات الإنجليزية المهاجمة [٤]، وبذلك وصل عدد القوات التي احتشدت للهجوم على لكنهو من كانپور إلى أكثر من خمسة آلاف ، في حين كانت أعداد الثوار الموجودين هناك تصل إلى أضعاف القوات الإنجليزية ، إلا أنهم لم يكونوا منظمين [٥]، كما كانت القوات الإنجليزية تتفوق عليهم في كثافة النيران وجودة التدريب .

---

(١) جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ص ٨٠٠ .

(٢) W.Muir: Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V, pp.437,439.

(٣) Ibid:p.449.

(٤) مؤلف مجهول : ظفر نامۀ وقايع غدر ، ق ٤٨ ب .

(٥) عبدالحي الحسنى : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩٦ .

كانت القوات الإنجليزية قد تمكنت من الاستيلاء على كانپور والقضاء على المقاومة التي كان يقودها نانا صاحب ، لتنطلق من هناك إلى لكنهو ، وارتد نانا مهزوما ، وانتقم الإنجليز للأطفال والنساء الذين قتلهم الثوار انتقاما شديدا تشمئز منه النفوس ، لقد قتلوا من الهنود أعدادا لاتحصى كما دمروا العمران وأصبح كثير من القرى أنقاضا وخالية من السكان (١).

في ٣٠ محرم ١٢٧٤ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٥٧م غادرت القوات الانجليزية كانپور متوجهة إلى لكنهو بهدف القضاء على الثورة هناك وانقاذ القوات الانجليزية المحاصرة ، وعبرت القوات النهر بواسطة جسر الزوارق الذي بناه سلاح الهندسة ، وذلك على الرغم من نيران بنادق الثوار الذين حاولوا دون جدوى منع القوات الإنجليزية من العبور ، وكانت الوحدة الخامسة من حملة بنادق مدراس والوحدة الرابعة والثمانون من المشاة تشكل طلائع القوات الانجليزية التي عبرت النهر بقيادة الجنرال نيل Neill ، واحتلت المواقع المخصصة لها لتنضم إليها مختلف الوحدات المشاركة في الهجوم ، وقد أخذت هذه القوات مواقعها على بعد حوالي ٧٠٠ ياردة (٢)، وكان الإنجليز يتقدمون إلى الثوار زاحفين ويردون على نيران بنادقهم بنيران أشد إلى أن ترك الثوار مواقعهم راكبين على خيولهم وحاملين

---

(١) جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨٠٠ – ٨٠١ ،
عبدالحي الحسني : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٤٥ .

(٢) R.W.Danvers: Letters from India and China(1854-1858), pp.97-78.
W.Muir : Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V, p.463.

أسلحتهم وعتادهم ، واستمر الإنجليز في بعض المناوشات لمطاردة الثوار عن بعض المواقع الرملية المرتفعة واستقر الوضع لصالح القوات الإنجليزية الذين نصبوا الخيام معسكرين بقواتهم ليأخذوا أنفاسهم قبل أن يقوموا بمواصلة عملياتهم بقصد الوصول إلى المعسكر الإنجليزي المحاصر في لكنهو ، وفي اليوم التالي غرة صفر عام ١٢٧٤هـ / ٢٠ من سبتمبر ١٨٥٧م قامت قوة الفرسان الإنجليزية بعمليات استطلاعية للاطلاع على مواقع الثوار ودرجة استعداداتهم ، حيث قوبلوا بإطلاق النيران من قبل الثوار ، وفي صباح الأثنين الثاني من صفر ١٢٧٤هـ / ٢١ سبتمبر ١٨٥٧م بدأ الإنجليز تحركهم نحو لكنهو في جو ممطر ، ولم يقطعوا مسافة ميل واحد حتى وقعوا تحت وابل من نيران الثوار في طريق صحراوي مكشوف (١) ، وبادرت القوات الإنجليزية بإطلاق نيران مدافعها إلى مواقع الثوار الذين كانوا يقومون بإطلاق نيرانهم من مكان مرتفع ، وتحت وابل من نيران المدفعية كلفت مجموعة من القوات للتسلل إلى مواقع الثوار وإجبارهم على المغادرة من موقعهم المرتفع ، إلا أن الثوار قاوموا وصمدوا إلى أن سقطت في وسط موقعهم قذائف من مدفع ذات ثماني انشات 8-inch howitzers مما أرعب الثوار وجعلهم يتخلون عن مواقعهم متكبدين خسائر في الأرواح والعتاد،ولم تتح لهم قوة نيران المدفعية بأن يستخدموا فرسانهم في الالتفاف على العدو وتوجيه ضربة إليه ،

---

(١) R.W. Danvers: Letters from India and China (1854-1858) p.99.

W.Muir : Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.I, p.158.

فاضطروا إلى الانسحاب دون أن يتمكنوا من حمل جثث بعض قتلاهم [١]، وهكذا كان الإنجليز يتقدمون من موقع إلى موقع بفضل تفوقهم في سلاح المدفعية وحسن تنظيمهم وتدريبهم ومهارة قوادهم في قيادة العمليات قيادة مخططة ناجحة ، وكانت المعركة المذكورة قد وقعت في مكان يسمى منگلواره Manglwarra على بعد ميلين من الجسر الذي عبرت عليه القوات الإنجليزية ، وبعد توقف نيران الثوار تقدمت القوات الإنجليزية إلى الأمام ، ووجدت أن الثوار كانوا قد بنوا متاريس يصل ارتفاعها إلى الصدر مما أوقف تقدم القوات المهاجمة بعض الوقت إلى أن تمكن الإنجليز من إزالتها لتمكين قواتهم من العبور ، إلا أنها واجهت مقاومة شديدة من الثوار الذين كانوا يطلقون نيرانهم من الجدران المثقوبة من البيوت الواقعة على جانبي الطريق ، واستمرت المعركة بين الجانبين إلى ظلام الليل ليتخلى الثوار عن مواقعهم بعد أن لم يتمكنوا من الصمود أمام تقدم القوات الإنجليزية بمساعدة من نيران مدافعهم الشديدة ، وقد ترك الثوار بعض العربات والجمال المحملة بالحبوب إلا أنهم لم يتركوا شيئا من أسلحتهم [٢].

كان الإنجليز قلقين على مصير الحامية الإنجليزية المحاصرة في لكنهو Lucknow وخاصة أنهم كانوا يسمعون أصوات الطلقات داخل المدينة ، ومن هنا كانوا يبذلون قصارى جهدهم ليصلوا إلى الحامية المحاصرة بأسرع وقت ممكن قبل أن يفوتهم الأوان لإنقاذها ، ولقد واصلت القوات الإنجليزية تقدمها من خلال معارك شرسة كانت تجرى من بيت إلى بيت ومن موقع إلى آخر يتكبد فيها الإنجليز

---

(١) R.W.Danvers: Letters from India and China (1854-1858), p.100.

(٢) Ibid:pp.100-101.

خسائر في الأرواح من حين لآخر ، واضطروا أن يختاروا طريقا صحراويا ثم يعبروا أراضي مستنقعة لتفادى الخسائر الكبيرة التي منوا بها إلى أن تمكنوا بعد معارك مستميته دامية من الاستيلاء على عالم باغ (*) Alumbagh في لكنهو بعد ان انسحب منها الثوار وذلك في الرابع من صفر ١٢٧٤ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨٥٧م، وقد لعبت قوة الفرسان المشاركة دورا مهما في ذلك الانتصار ، وكانت تتكون من أكثر من مائة من المتطوعين الإنجليز ومثله من الفرسان الأفغان(١)، وهذا يشير إلى أن جماعة من الأفغانيين أيضا قاموا بمساندة القوات الإنجليزية ،وقد يكون من الدوافع وراء هذه المشاركة هو الثأر التاريخي لما حدث لروهيله الأفغان من قبل شجاع الدولة حاكم أوده الذي قام – كما رأينا في الفصل الثالث – بضم أراضيهم إلى إمارته متمتعا في ذلك بالمساندة الإنجليزية التي قدمها له هستنجز حاكم عام شركة الهند الشرقية الإنجليزية في الهند .

كان عالم باغ يشكل معقلا مهما من معاقل الثوار في لكنهو ، وبسقوطه بيد الإنجليز أصبحت مهمة الثوار أكثر صعوبة إلا أنهم على الرغم من ذلك استمروا في

(*) عالم باغ (حديقة العالم) : كانت عالم باغ من إحدى الحدائق السلطانية التي أُنشأت على مساحة فسيحة يحيطها سور يبلغ ارتفاعه حوالى تسعة أقدام.

(١) W.Muir: Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, p.382.
R.W. Danvers: Letters from India and China (1854-1858), pp.102,103.

مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٤٨ ب .

مقاومتهم البطولية واختاروا لهم مواقع بين الغابات والأرياف المجاورة ، وقاموا بالانطلاق منها بحملات موجعة على القوات الإنجليزية تكبد فيها الإنجليز بعض الخسائر في الأرواح مما جعل قائد القوات الإنجليزية الجنرال نيل Neill يوقف عمليات المطاردة والتقدم إلى مواقع الثوار المتبقية وذلك لتأخذ قواته قسطا من الراحة ويقضي الجنود ليلا آمنا في عالم باغ بعيدا عن مرمى بنادق الثوار(١) ، ومع ذلك لم يأخذوا نوما مريحا إذ كان الثوار يقومون من حين لآخر بإطلاق النار وكانت تصل بعض القذائف إلى مقربة من مواقع القوات الإنجليزية الحاشدة ، كما أصيب بعض الإنجليز ، وفي يوم الخميس الخامس من صفر عام ١٢٧٤هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٨٥٧م قام الثوار بهجوم مضاد أوقعوا خلاله خسائر جسيمة في صفوف القوات الإنجليزية ، وبينما كانت هذه القوات تقوم بالرد على نيران الثوار، هاجمت مجموعة من فرسان الثوار مؤخرة القوات الإنجليزية وكبدوها حوالي مائة وعشرين قتيلا ، وقد حدث هذا نتيجة خدعة حربية دبرها الثوار ونفذوها بنجاح ، إذ قاموا بإطلاق نيران مكثفة على مقدمة القوات الإنجليزية ، وفي نفس الوقت كانت مجموعة من فرسانهم قد تقمصوا بزي رجال الانجليز غير النظاميين وتسللوا إلى مؤخرة القوات الإنجليزية وظنهم الضابط الإنجليزي المسئول عن المؤخرة بأنهم من رجاله فسمح لهم بالاقتراب إليه ، وفي الوقت الذي أراد أن يتكلم معهم ويتبين الأمر أكثر ، ظهرت المجموعة الأخرى من الثوار وبدأوا بإطلاق النيران على الإنجليز ، ولقد أخرج القائد الإنجليزي في المؤخرة مسدسه وقام بإطلاق بعض الرصاصات إلا أنه هوجم وقتل مع عشرات آخرين من الإنجليز الذين

---

(١) R.W.Danvers: Letters from India and China (1854-1858), pp.103,104.

سقطوا قتلى ، كما قتل بعض الثوار أثناء هروبهم بعد أن نفذوا تلك العملية الفدائية بنجاح ، وإثر ذلك قام الإنجليز بتشديد الإجراءات الأمنية خوفا من تكرار حدوث كارثة مشابهة في المستقبل[1] ، وفي مساء ذلك اليوم كلف الإنجليز مجموعة من قواتهم للقيام بعمليات استطلاعية تمهيدا لمواصلة تقدمهم إلى الحامية الإنجليزية المحاصرة ، إلا أن أفراد المجموعة لم يتمكنوا من القيام بمهمتهم على مايرام وذلك بسبب مراقبتهم من قبل الثوار وإطلاق النار عليهم ، فتراجعوا سريعا إلى مواقعهم بعد أن فقد أحد أفرادهم أحد قدميه إثر اصابته بطلقات من رصاصات الثوار ، ومن هنا لم يتمكن الإنجليز من التقدم وترك مواقعهم في عالم باغ ، وقضوا يوما آخر هنا وأمروا أن يكونوا على التأهب التام خوفا من هجمات الثوار الخاطفة وخاصة الهجمات التي كان يقوم بها الفرسان منهم ، وفي المساء كلفوا بإعداد وجبات غذائية للجنود تكفي لمدة يومين ، وذلك قبل البدء في السير إلى الحامية المحاصرة في لكنهو ، ولم يسمح لأى ضابط أن يأخذ معه خادما أو أن يحمل عفشا ماعدا ضباط قوة الخيالة الذين سمح لهم بأن يأخذوا معهم خدما يساعدونهم في إعداد الأعلاف ، وذلك فيما يبدو لإتاحة الفرصة لحمل أكبر كمية من الأشياء الضرورية من عتاد ومؤن خوفا من أن يقعوا في حصار الثوار وكذلك اقتصرت المشاركة في الحملة لمن لايمكن الاستغناء عنه فقط توفيرا لمؤن الجنود الضرورية .

في صباح الجمعة السادس من صفر ١٢٧٤هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨٥٧م بدأت القوات الإنجليزية في التقدم من عالم باغ ، وتلقى الجنود الأوامر بالزحف على صدورهم

---

(١) Ibid:p.105.

خوفا من إصابتهم بنيران بنادق الثوار الذين كانوا يطلقون النار من بيوت مثقبة الجدران وسط حديقة محاطة بجدران مثقبة أيضا ، كما كان الثوار يقومون بعملياتهم منطلقين من الغابات القريبة ، وعلى الرغم من أن الإنجليز تعرضوا لنيران مكثفة من قبل الثوار وتكبدوا بعض الخسائر في الأرواح إلا أنهم استمروا في تقدمهم زاحفين ، إلى أن وصلوا إلى ذلك البيت والحديقة التي وجدوها وقد تركها الثوار ، وكان الإنجليز منشغلين بتطهير الموقع وتفتيشه إذ فوجئوا بهجوم من قبل الثوار ، فرد الإنجليز بإطلاق نار عشوائي بعد أن ارتبكوا مزعورين ثم صدرت الأوامر إلى القوات بالانسحاب إلى حديقة تسمى چهار باغ (*) Char Bagh والتي كانت تقع في يسار القوات الإنجليزية ، وكانت نيران بنادق الثوار تصيب بعض الإنجليز بين قتيل وجريح ، وعلى الرغم من أن القوات الإنجليزية دخلت الحديقة المذكورة إلا أنها لم تصبح آمنة ، إذ أطلق الثوار إليها نيران مدافعهم ، كما قاموا بهجوم آخر بالقنابل اليدوية على مدخل الحديقة تسبب انفجارها في قتل وجرح عدد كبير من الإنجليز (١)، واضطرت القوات الإنجليزية مرة أخرى للعودة إلى عالم باغ القريبة من لكنهو ، وكان الثوار قد بنوا خنادق ومتاريس تشرف على الممر الذي كان الإنجليز ينوون المرور عبره ، ولم تكن المدفعية الإنجليزية تؤثر عليها ، فكلف الإنجليز مجموعة من جنود مدراس بالتسلل إلى الموقع ومحاربة الثوار بالحراب والسيوف ولكنهم لم ينجحوا في تنفيذ تلك العملية ، وبدأت القوات الإنجليزية تشعر بالإنهاك ، حيث ذكر روبرت دانورز R.W. Danvers الذي كان يرافق الحملة ويدون ما يشاهده من

(*) چهار باغ : مركبة من كلمتين فارسيتين بمعنى الحدائق الأربعة .

(١) Ibid:pp.106, 107,108.

الأحداث بأنه " كلما خطونا خطوة شعرنا بأننا لن نقدر على أخرى لننقذ أرواحنا وكنا نواصل السير في تعثر واضطراب بأفواه جافة وخاصة تحت سماء صافية من نهار شهر سبتمبر الشهر الأحر في السنة "[1]، وكان الإنجليز قد استولوا على بعض الأسلحة الثقيلة من الثوار إلا أنهم لم يحملوها معهم حتى يتمكنوا من الإسراع بإنقاذ أنفسهم ، وكانوا يتعرضون بصورة مكررة لإطلاق النيران من المنازل المثقوبة الجدران دون أن يروا من يقوم بإطلاقها ويتعرفوا على وجه الدقة مصادر النيران ، ولقد حدد الضباط الإنجليز بيتا كبيرا وافترضوا أنه معقل من معاقل الثوار فقرروا الاستيلاء عليه ، ولكن كانت هناك مسافة مكشوفة تفصل بينهم وبين ذلك المنزل وهذا كان يتطلب الاستعداد لتقبل المخاطر والتعرض لنيران بنادق الثوار ومدافعهم ، إلا أن جماعة من المتطوعين أبدوا استعدادهم للتضحية فقاموا بهجوم جماعي تمكنوا من خلاله من الاستيلاء على ذلك المنزل بعد أن قتل وجرح عدد من الأفراد والخيول ، لقد غادرت القوات الإنجليزية المكان إلا أنها وقعت في طريق تحيطها البيوت التي تطلق النار عبر جدرانها المثقوبة ، وتكبدت القوات الإنجليزية في هذه المرة أعدادا كبيرة من القتلي والجرحى وفي مقدمتهم قائد القوات الإنجليزية الجنرال نيل Neill الذي سقط عن فرسه قتيلا ، وكانت معركة شديدة استمرت طول النهار من شارع إلى شارع ومن منزل إلى منزل ، وكان الإنجليز يقومون بإطلاق نار عشوائي لأنهم لم يكونوا يرون الذين يطلقون النار من وراء الجدران المثقبة وبالتالي لم يكونوا يستطيعون إسكات نيرانهم ، وبحلول ظلام الليل كان الإنجليز قد خسروا حوالي ٦٠٠ من أفرادهم بين قتيل

---

(١) R.W. Danvers: Letters from India and China (1854-1858), p.109.

وجريح بالإضافة إلى قتل أو جرح ٤٨ من ضباطهم ، وهذه كانت خسارة كبيرة جدا بالنسبة لقوة قوامها في حدود ٢٤٠٠ مقاتل ، وكانت أهوال المعركة إلى درجة جعلت القوات الإنجليزية تطعن بعض عناصرها بالسيف خطأ بعد أن أشيعت بأن مجموعة من قوات الثوار قد تسللت إلى داخل صفوف القوات الإنجليزية ، في حين كان هؤلاء من السپاهي التابعة للقوة الإنجليزية الثالثة عشرة ، وكانوا عائدين من مهمة استطلاعية كلفوا بها من قبل ضباطهم الأوربيين (١).

في صباح السبت السابع من صفر ١٢٧٤هـ / ٢٦ سبتمبر ١٨٥٧م عادت القوات الإنجليزية إلى الموقع الذي بدأوا منه الحملة الفاشلة الآنفة الذكر ، وكانت تطلق عليهم النيران من المساجد والبيوت المجاورة ، لقد قاموا بإرسال جرحاهم إلى خندق آمن ، إلا أن الدليل أخطأ الطريق فوقعوا في كمين الثوار وقتلوا أو أحرقوا ، ولم ينج منهم إلا بعض الذين كانوا يقدرون على المشي (٢)، في حين بقيت القوات الإنجليزية المتبقية في حصار الثوار لأكثر من شهر ونصف ، إلى أن وصلت إلى هناك تعزيزات إنجليزية جديدة (٣) في ٢٩ ربيع الأول ١٢٧٤هـ /١٦نوفمبر ١٨٥٧ م تمكنت من إنقاذ القوات الانجليزية وإنقاذ الحامية الإنجليزية المحاصرة

---

(١) Ibid:pp.110,111-112.

(٢) W.Muir: Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V, p.449.
R.W.Danvers: Letters from India and China(1854-1858) p.113.

(٣) W.Muir: Records of the intelligence department of Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.V,p.449.

في المدينة ، بعد معركة دامية راح ضحيتها حوالي خمسمائة من أفراد القوات الإنجليزية وخمسون من ضباطها ، كما قتل فيها مئات من الثوار ، ونقل الإنجليز نساءهم وأطفالهم إلى عالم باغ ومن هناك إلى كانپور ، وفي الخامس من ربيع الثاني ١٢٧٤هـ / ٢٢ نوفمبر ١٨٥٧م أحرق الإنجليز محتويات حاميتهم كما فجروا عددا من المدافع الثقيلة خوفا من أن يقع بأيدي الثوار ثم انسحبوا إلى عالم باغ واستقروا فيها ونظموا من هناك العمليات بانتظار وصول الإمدادات الجديدة [1].

من خلال هذا الاستعراض لأحداث الهجوم الإنجليزي المضاد على لكنهو، رأينا أن القوات الإنجليزية في خلال شهرين من العمليات لم تتمكن أن تحرز نصرا على الثوار ماعدا استيلائها على عالم باغ القريبة من لكنهو التي سقطت بأيدي القوات الإنجليزية في بداية الحملة ، وأن هذه القوات لم تنجح في مهمتها الأساسية وهي إنقاذ الحامية الإنجليزية المحاصرة في لكنهو فحسب ، بل وقعت هي الأخرى في حصار الثوار إلى أن جاءها المدد وتمكنت من النجاة ، ثم إنقاذ الحامية بجنودها ورجالها ونسائها وأطفالها ، ولقد تكبدت القوات الإنجليزية خلال تلك العمليات الكثير من الخسائر في الأرواح ، شملت كبار قوادها وفي مقدمتهم الجنرال نيل الذي سقط في المعركة صريعا ، والجنرال هيف لوك الذي توفى إثر اصابته بالإسهال [2].

---

(١) R.W. Danvers : Letters from India and China (1854-1858), pp.126,127.

مؤلف مجهول : ظفر نامة وقايع غدر ، ق ٥١أ .

(٢) عبدالحي الحسنى : الهند في العهد الإسلامي ، ص ٢٩٦ .

على الرغم من أن القوات الإنجليزية تلقت تعزيزات قادمة من آكره ودهلي وكانپور وغيرها ، إلا أنها لم تتمكن من القيام بعمليات حاسمة ضد الثوار، واستمرت الحرب سجالا بين الجانبين إلى شهر رجب ١٢٧٤ هـ / مارس ١٨٥٨م حيث وصلت إلى كلكته قوات جديدة من لندن وزعت على وجه السرعة إلى المناطق الثائرة بواسطة القطارات [١]، وبوصول هذه القوات ترجحت كفة الإنجليز ، في حين بقى الثوار على ماهم عليه دون أن يتلقوا أية تعزيزات أو يعوضوا ما كانوا يفقدونه من الأفراد والعتاد ، في حين أن الانجليز جاءتهم أيضا إمدادات أخرى من نيپال Nepal ، واكتملت هذه التعزيزات في ٢١ من رجب عام ١٢٧٤هـ/ ٦ مارس ١٨٥٨م لتبدأ المعارك الحاسمة بين الإنجليز والثوار في إقليم أوده[٢].

كان الثوار قد جمعوا قواتهم في قيصر باغ بلكنهو ، وفي ٢٣ رجب ١٢٧٤هـ / ٨ مارس ١٨٥٨م أخذت القوات الإنجليزية مواقعها في پاد شاه باغ على محاذاة قيصر باغ ، وفي اليوم التالي بدآت المعارك الشديدة بين الجانبين استمرت ليومين متواليين سقط فيها من الطرفين أعداد كبيرة من القتلى ، وفي ٣٠ رجب/ ١٥ مارس اضطر الثوار على مغادرة موقعهم في قيصر باغ وذلك بمرافقة من

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ص ٥١ آ ،

W.Muir: Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol.III, p.298.

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٥٢ ب ،

V.A.Smith : The Oxford History of India, p.670.

برجيس قدر وأمه ، واستولت القوات الإنجليزية على ذلك الموقع ، إلا أن الثوار لم يتخلوا عن المقاومة بل جددوا العهد أن يواصلوا القتال ضد الإنجليز حتى الموت ، وكانت بيكَم حضرت محل والدة برجيس قدر تستنفر الناس وتحثهم على مواصلة المقاومة ، على الرغم من أن كثيرا من الأهالي قد غادروا المدينة خوفا من نيران القوات الإنجليزية التي لم تكن تميز بين مقاتل وغير مقاتل وبين رجال ونساء (١).

في يوم الثلاثاء غرة شعبان عام ١٢٧٤هـ / ١٦ مارس ١٨٥٨م قام الإنجليز بهجوم مكثف على المدينة من جهتين ودخلوا مدينة لكنهو في الظهيرة ، ولم يتمكن من بقى من الثوار من الصمود أمام كثافة نيران القوات الإنجليزية ، ولقد تشتتوا باحثين عن ملاجيء في الشوارع والمنازل ، وتمكنت بيكَم حضرت محل وبرجيس قدر مع جمع من الثوار من مغادرة المدينة ، وخلت المدينة من المقاومة وارتكبت القوات الإنجليزية أبشع الجرائم في حق الأهالي العزل الذين كانوا يعيشون في خوف واضطراب ، وحتى أن أعضاء العائلة الواحدة قد تفرق بعضها عن بعض حيث كان كل شخص يحاول الفرار بنفسه ، ولقد انتهكت القوات الإنجليزية الأعراض وقامت باغتصاب النساء والفتيات ، وأقام الإنجليز مذابح جماعية ضد من وقع بأيديهم من الأهالي الأبرياء وقتلوا مئات الناس مقابل كل إنجليزي قتل في المدينة ، ومن نجا من الأهالي انتشروا في مناطق متفرقة ، كما هاجر بعضهم إلى

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٥٢ ب - ٥٣ أ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٣٩ ،
شيلادهار : تاريخ هند ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

العراق والحجاز ، واستمر الإنجليز في ارتكاب تلك الأعمال الإجرامية حتى منتصف شعبان ١٢٧٤ هـ / أوائل ابريل ١٨٥٨م إلى أن استدعت كلكته الجنرال أوترم Outram قائد القوات الإنجليزية وعددا من مساعديه ، وعينت مكانهم مسئولين جدد ، عملوا لإيقاف أعمال القتل والاغتصاب والتدمير التي كان يرتكبها الجنود الإنجليز دون تمييز (١).

هكذا تمكن الإنجليز بالصبر والتدبير والعنف والتدمير من القضاء على ثورة الهند الكبرى ، وعلى الرغم من أن فلول الثوار استمروا في بعض المقاومة المتفرقة لأشهر أخرى ، إلا أن الثورة كان قد قصم ظهرها في دهلي وتأكد إنهاؤها في لكنهو ، وأعاد الإنجليز سيطرتهم على المناطق الثائرة وبدأوا بمحاكمة الذين اتهموا بالاشتراك في الثورة أو بتقديم المساعدة للثوار ، وأنعموا الأمراء المحليين الذين قدموا مساعدات للإنجليز ووقفوا إلى جانبهم في مثل تلك الظروف الحرجة ، وأما الأمراء المحليون الذين ثبت تعاونهم مع الثوار حوكموا وأبعدوا عن مناصبهم وصودرت ممتلكاتهم (٢)، وقد صب الإنجليز جام غضبهم على أهالي دهلي ولكنهو وبعض المدن الأخرى التي اعتبروها مراكز للثورة ، وبما أن المسلمين كانوا يشكلون العمود الفقري للثورة ومعظم زعمائها كان منهم ، اتبعت السلطات الإنجليزية ضدهم أساليب أكثر وحشية ، وانقضت القوات الإنجليزية وحلفاؤها السيخ على المسلمين وقتلوا آلافا من الأبرياء وأحرقوا المدن والأسرى ورأوا في فشل الثورة فرصة للقضاء على المسلمين ما أمكنهم ذلك لكي

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٥٤ ب - ٥٥ ب .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩١ .

لايستطيعون الثورة مرة أخرى ، وأخذوا الناس بالشبهات وساقوا آلافا منهم إلى المحاكم الصورية التي حكمت عليهم بالموت بعد أن أذاقوهم أنواع التعذيب كما احتلوا بخيولهم المسجد الجامع في دهلي وعطلوا الصلاة فيه لعدة سنين ، ولقد أهلكت بعض النسوة أنفسهن بالغرق صونا لعرضها وحرمتها وحفظا لعفتها وعصمتها ، وكثير منهن هلكن عطشا وجوعا ، وآلاف منهن أصبحن بلا أولياء بعد أن فقدن أزواجهن أو آباءهن وإخوانهن وأبناءهن ، ولم يسلم من المسلمين إلا من فر بدينه مهاجرا أو كان للإنجليز ناصرا (١).

لم يرتكب الإنجليز تلك الأعمال الوحشية ضد الثوار والأهالي الأبرياء رجالا ونساءا وأطفالا فحسب ، بل لم يحترزوا عن ارتكاب أي عمل يؤدي إلى تعذيب المسجونين تعذيبا نفسيا بالإضافة إلى تعذيبهم جسديا ، ولقد أشرنا أنهم قتلوا أبناء السلطان وأحفاده الذين وقعوا بأيديهم ولكنهم لم يتوقفوا إلى هذا الحد بل قطعوا رؤوس أبناء السلطان الثلاث ووضعوها في إناء وغطوه ليقدموه على المائدة أمام السلطان الكهل في سجنه ، وحين كشف السلطان الغطاء رأى المفاجأة المذهلة حيث لم يجد طعاما بل وجد بدله رؤوس أبنائه الثلاث وقد غطيت وجوههم بالدم، ومع ذلك تمالك السلطان نفسه وقال في رباطة جأش غريبة أنه لايستغرب من أن يأتي أولاد التيموريين البواسل إلى آبائهم محمرة (*) الوجوه (٢)

(*) يذكر احمرار الوجه في اللغة الفارسية تعبيرا عن أعمال بطولية ترفع الرأس وتكون مفخرة للعائلة ومن ينتمي إليه ذلك البطل .

(١) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٣٠١ ،
عبدالعزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

واستمر الإنجليز في تعذيب الثوار وأهالي المناطق الثائرة والتنكيل بهم وخاصة المسلمين منهم ، ولما رأوا أن القتل بالرصاص سهل على المقتولين استعملوا المشانق ، فكانوا يشنقون الناس في كل مكان ويقفون حول المشنقة ضاحكين ومصفقين ، كما كانوا يلفون أجساد الضحايا المسلمين بجلود الخنازير ويخيطونها عليهم أو يدهنونهم بشحومها ثم يحرقونهم وذلك لتعذيبهم تعذيبا نفسيا قبل أن يفارقوا الحياة ، كما كانوا يحشرون الناس في البيوت ثم يشعلون فيها النار فيتحول من بها إلى رماد رجالا ونساءا وأطفالا (١).

لاشك أن الثوار أيضا قاموا ضد الإنجليز وأعوانهم بأعمال تنافي الإنسانية فلم يفرقوا بين محارب ومهادن أو بين رجل وامرأة وبين كبير وصغير ، إلا أن الثورة حين تنهزم أمام جهاز حكومي منظم مسئول ، لايصح لهذا الجهاز أن يتصرف تصرفات الغوغاء الذين لايتقيدون بنظام ولا يأتمرون بأوامر الذين يشعرون بالمسئولية وأن الاستسلام للعواطف والانفعالات قد يكون من طبيعة الثورات ولكنه لايكون من طبيعة الحكومات ، إلا أن الانجليز أجروا المحاكمات في جو من اشتعال العواطف ونزلوا إلى الدرك الذي يعاب على الرعاع الثائرين وتفننوا في أنواع التنكيل وارتكبوا أفعالا لايمكن أن يرتكبه إنسان يحمل ضميرا ويقيم للإنسانية وزنا (٢)، واستمر الإنجليز في ارتكاب تلك الجرائم بحق الهنود المغلوبين على أمرهم ،

---

(١) المرجع نفسه ، ص٤٥٦ ،
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص٥٣٩ .

(٢) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٥٤ ب - ٥٥ أ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص٤٤٨ ،
جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ص ٨٠١ .

الى أن أصدر الحاكم العام في كلكته تعميما أمر فيه جنوده بتجنب الإحـراق للقرى ، كما أمر الحكام الإنجليز في المقاطعات بعدم تعذيب المدنيين الذين لم يحملوا سلاحا ، كما سلب حق الشنق العام من صلاحيات بعض الحكام الإنجليز الذين أساؤوا التصرف في استخدام صلاحياتهم ، وكذلك قام ببعض التغييرات حيث استدعى بعض الحكام والقواد العسكريين إلى كلكته وعين مكانهم آخرين أوصاهم بوضع حد على الأعمال القمعية والممارسات الغير المسئولة التي كان يقوم بها الجنود الإنجليز ضد الأهالي على مرآى من ضباطهم وبتشجيع منهم (١).

أما فيما يتعلق بمصير السلطان بهادر شاه الثاني الذي كان قد نـودى به قائدا للثوار رغم عدم رضائه بذلك ، فإن الإنجليز قد حاكموه أمام هيئة عسكرية إنجليزية في القلعة الحمراء بدهلي ، وقد سيق إلى تلك المحكمة الإنجليزية كمجرم ، وبدأت محاكمته في ١٢ جمادي الثانية ١٢٧٤هـ/ ٢٧ يناير١٨٥٨م ووجهت إليه تهمة التعاون مع الآخرين في الثورة ضد حكومة الشركة الإنجليزية رغم أنه كان يتقاضى راتبه منها ، وأنه وقف إلى جانب ولديه محمد بخت خان وميرزا مغول اللذين قاما بالدور الأكبر في قيادة الثورة بدهلي ، كما اتهموه بالتحريض على قتل الإنجليز أيا كانوا ووعد ببذل المكافأة على ذلك ، وأنه يتحمل مسئولية تسعة وأربعين إنجليزيا ماتوا اختناقا في غرفة صغيرة بدهلي، وأنه خرج على الحكومة الإنجليزية وأعلن الحرب على الإنجليز ونادى بنفسه سلطانا على الهند . ولقد رد بهادر شاه الثاني بأنه لم يكن له أى سلطان

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامة وقايع غدر ، ق ٥٥ أ - ٥٥ ب ، عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٥٩ .

أثناء الثورة ، ومع ذلك استمروا في محاكمته واستخدموا بعض حاشيته وخدمه الذين جندهم الإنجليز للشهادة ضده [١].

إن الانجليز وجهوا إلى السلطان تهمة الخروج ضد الحكومة الإنجليزية بمنطق القوة فقط ، وإلا فقوة المنطق ترى أن الشركة الإنجليزية هي التي خرجت على السلطة المغولية لأنها كانت في الأساس قد التزمت أن تعمل كعامل لسلطان دهلي وذلك عندما حصلت على ديوانية بنغال وبهار وأوريسه من السلطان شاه عالم الثاني ، صحيح أن الإنجليز أصبحوا أصحاب الكلمة العليا في الهند من الناحية العملية ، ولكن من الناحية القانونية كانت الشركة الإنجليزية مكلفة بالطاعة من سلطات الدولة المغولية وليست العكس ، فمن هنا لم يكن السلطان بهادر شاه يعتبر أحد رعايا الحكومة الإنجليزية حتى يعتبر رفضه لتلك الحكومة ، خروجا على السلطة الشرعية ، بالإضافة إلى أن بهادر شاه لم يكن له دور مهم في الثورة وأنه لم يرض يتزعمها ، ليس لأنه خروج على السلطة الشرعية ، بل لأنه لم يكن مطمئنا على نجاحها نظرا لمَا كان يعرفه عن حقيقة الأوضاع في بلاده ومدى سيطرة الإنجليز عليها . وعلى أية حال فقد استمرت تلك المحاكمة إلى ٢٤ من رجب عام ١٢٧٤ هـ / ٩ من مارس ١٨٥٨م ، وكان رأى الأغلبية من أعضاء المحكمة ومن كبار القواد الإنجليز في الهند هو تنفيذ حكم الإعدام على السلطان العجوز، إلا أن

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩١ ،
شريف الدين پيرزاده : نشأة باكستان ، ص ٣٤ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٦١ ،
حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص ٢٦٠ ،
أحمد محمود الساداتي: تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها، ص ٩٨ .

اللورد كيننك Canning حاكم عام الشركة في الهند (١٢٧٢ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٥٦ - ١٨٦٢م) عارض هذا الرأى ورأى أن يستبدل الإعدام بالنفي ، فاقترح مرة أن ينفى إلى جزيرة آندامنز Andamans حيث كان ينفى إليها المجرمون، ورأى آخرون أن ينفى إلى أفريقيا ، واعتبر البعض هونغ كونغ Hong-Kong المكان الأنسب لنفيه ، إلى أن تقرر نفيه إلى رانگون Rangoon عاصمة بورما حيث توفى هناك في يوم الجمعة ١٥ جمادي الأولى عام ١٢٧٩هـ / ٧ نوفمبر ١٨٦٢ م بعد أربع سنوات عاشها في منفاه (١).

بالقضاء على ثورة الهند في ١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م ونفي بهادر شاه الثاني إلى بورما انتهت الدولة المغولية الإسلامية في الهند التي كانت قد تأسست في عام ٩٣٢ هـ / ١٥٢٦م بواسطة ظهير الدين محمد بابر (٩٣٢ - ٩٣٧ هـ / ١٥٢٦ - ١٥٣٠م) وبسقوط هذه الدولة انتهى أيضا حكم المسلمين على شبه القارة الهندية الموحدة لينفرد بأمرها المستعمرون الإنجليز .

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩١ ،
شريف الدين بير زاده : نشأة باكستان ، ص ٣٥ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٦١ ، ٤٦٧ .

إنهاء حكم الشركة

الهند الإمبراطورية ، طريق الإمبراطورية

فشلت الثورة الهندية في إحياء سلطة الدولة المغولية واستعادة السيادة الهندية، وكان لهذا الفشل أسبابها وعواملها، ويمكننا أن نقول بأن هذه الأسباب هي نفسها التي أدت إلى تمكن الشركة الإنجليزية من إحكام سيطرتها على الهند ودرسناها بالتفصيل في الفصل الرابع، فهي أسباب جوهرية وأساسية في زوال الدولة المغولية في الهند ليحل محلها العهد الاستعمارى الإنجليزي، وكانت مثل تلك الثورة الارتجالية المنعزلة أعجز من أن تحول دون ذلك التحول أو أن تنقذ دولة كانت قد سقطت عمليا قبل الفترة بأكثر من قرن واحد. ومع ذلك فإن الثورة كانت تحمل في بطنها عوامل فشلها، بالإضافة إلى أن الظروف الإقليمية والدولية لم تكن على وضع يسعف هذه الثورة ويقدم إليها يد المساعدة مثلما حدثت في حروب الاستقلال الأمريكية .

قامت الثورة كردة فعل لسيطرة الشركة الإنجليزية ومظالمها ، وكانت تستند على العواطف المشتعلة فقط دون أن يكون هناك إعداد وتخطيط وتنظيم وتوجيه مسبق ، وبطبيعة الحال فإنه من الصعب أن تجد الثورة في مثل هذه الحالة قيادة واعية تنظمها وتوجهها إلى أهدافها السامية وتصل بها إلى بر الأمان ، ومن الصعب أيضا أن يتمكن أى قيادة في مثل هذه الحالة أن تقود الثورة بنجاح، وأن فوضوية الثورة تجعلها تفقد مصداقيتها بسرعة قبل أن تجد القيادة فرصة لمعالجة الوضع والتحكم فيه ، فكان افتقار الثورة إلى القيادة والتنظيم أحد عوامل فشلها ، إذ نتج عنه أن يكون الثائرون أشتاتا مختلفة، كما كان البعض عونا للإنجليز مثل ميرزا إلهى بخش صهر السلطان بهادر شاه الثاني(1)، كما كان قواد الثورة يحسد بعضهم بعضا ، ولم تجد الثورة القائد الذى يجمع العناصر

---

(١) W.Muir : Records of the intelligence department of the Government of the North-West provinces of India during the mutiny of 1857, Vol, V, p.471.

المتفرقة ويجعل منها قوة منظمة ذات سياسة محددة وخطة واضحة للعمل (١).

كذلك لم تعم الثورة الهند كلها بل اقتصرت على المناطق الشمالية وبعض المناطق الوسطى فقط ،وهي مناطق داخلية تمكن الإنجليز من عزلها عن بقية المناطق ، فلم يكن للثوار مجال للاتصال خارج مناطقهم أو خارج الهند لتلقي الإمدادات وتعويض مايستهلكونه من الأسلحة والذخائر والأموال، كما لم يحرك أمراء الهند الوطنيون ساكنا بل قام الكثيرون منهم بمساعدة الإنجليز، والبعض الآخر تفرجوا وانتظروا الخاتمة ولم يقدموا أية مساعدة للثوار(٢).

ولقد رأينا أن هذه الثورة لم تكن أول رد فعل للسيطرة الإنجليزية على الهند إذ سبقتها ردود فعل عديدة قمعت بواسطة الجنود الذين كان تتكون غالبيتهم من الجنود الوطنيين، فكان عامل الخوف يحول دون تحول انتفاضة الأهالي من القوة إلى الفعل ، ولكن في هذه المرة بدأت الثورة من الجنود في ثكناتهم ، فكان قد كسر حاجز الخوف لدى الأهالي الذين انضموا إلى الثورة جماعات وأفرادا بعد أن رأوا الجند الذى قمع ردود فعلهم في السابق قد ضاق ذرعا من السيطرة الإنجليزية وتحرك للقضاء عليها ولكن الذى حدث أن الثورة لم تكن مدبرة ومخططة ، فلم تقم في وقت واحد في جميع ثكنات الجنود، وأن الجنود الوطنيين انضموا إلى الثورة كلما علموا بأنباء اندلاعها في ميروت ودهلي وكلما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ولأن الثوار لم يكونوا يملكون وسائل

---

(١) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩٠ ،
عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند، ص ٤٣٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧ ،
عادل حسن غنيم و زميله :تاريخ الهندالحديث ،ص ١٤٦،
بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية ، ص ١٤٩ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٣٠٢ ،
جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ .

(٢) ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩٠ .

الاتصالات السريعة حتى يحركوا الجنود في المناطق الأخرى في الوقت المناسب ، استغل الإنجليز هذا النقص وقاموا بنزع السلاح عن الجنود الوطنيين في المناطق الأخرى قبل أن تصلهم أنباء الثورة ويفكروا في الانضمام إليها، وكان لهذا الإجراء الأثر الحاسم في عزل الثورة في المناطق المحددة التي تمكنت من الانتشار إليها، وقطع الطريق أمام انتشارها في ثكنات الجنود المنتشرة في مختلف مناطق الهند الشاسعة المترامية الأطراف ، ولما وجد الجنود الوطنيون في سائر المناطق أنفسهم منزوعي السلاح وخاصة من سلاح المدفعية ، لم يجرأوا بالتحرك والقيام بالعمليات ضد المواقع الإنجليزية التي كانت قد أخذت جميع الاحتياطات لمواجهة أى طارىء، ومن هنا وجد الإنجليز فرصة كافية لتجميع قواتهم وطلب التعزيزات التي وصلتهم من لندن وسيلان ونيپال والقوات العائدة من إيران، بالإضافة إلى القوات التي ساعدتهم من داخل الهند، وخاصة قوات السيخ في پنجاب ، وبقيت طرق إمدادات الإنجليز مفتوحة وآمنة بحرا ونهرا وبرا، في حين لم يكن الثوار يتلقون أى إمدادات جديدة ،وماكان بحوزتهم من الأسلحة والذخائر والأموال اللازمة بدأ ينفد يوما بعد يوم مما كان يترك آثارا نفسية سيئة لدى الثوار، ومع ذلك فقد قدم الثوار في لكنهو أروع مثال للصمود والتضحية رغم ماكانوا يعانونه من قلة الإمكانيات وضعف في التنظيم وانتقاص أعدادهم يوما بعد يوم سواء باستشهادهم في المعارك أو بهروبهم إلى مناطق آمنة بعدما كانوا يرون بوادر الفشل ماثلة أمام أعينهم ، ومع كل هذا لم تتمكن القوات الإنجليزية من الدخول إلى عمق مدينة لكنهو الا بعد أكثر من ستة أشهر من المعارك وبعد أن فقدت القوات الإنجليزية حوالي نصف عناصرها جنودا وضباطا وقادة ، وذلك على الرغم من أنها كانت تتلقى باستمرار تعزيزات جديدة كانت آخرها التعزيزات التي كانت تشمل القوات الجديدة التي وصلت من إنجلترا وكان يقودها

السيركولن كامبل Sir Colin Campbell [1]، ثم إن الانجليز قد اتقنوا أنواع الحرب والمكيدة وإثارة الفتن بين أعدائهم ، خاصة في مجتمع متخلف في الوعي السياسي ومنقسم طبقيا وعقائديا ، وقد رأينا كيف أنهم استغلوا عيد الأضحى ليثيروا الفتنة بين المسلمين الذين يذبحون البقر أضحية وتقربا إلى الله وبين الهندوس الذين يقدسون البقر ويعتبرون إيذاءه وذبحه منكرا يبعد عن الله حسب زعمهم . وكذلك زور الإنجليز منشورا باسم السلطان بهادر شاه الثاني ووزعوه في كثير من المناطق وخاصة في دهلي أثناء قيام الثورة ، وكان المنشور المزور يتضمن وعدا للمسلمين بأنهم وحدهم سوف يحصلون على إقطاعات واسعة بعد انتصار الثورة ، وعلى الرغم من أن السلطان بعد أن اطلع على الأمر ركب فيلا وتجول في شوارع دهلي معلنا أن ما نشر مكذوب عليه وليس له أساس من الصحة ، وأنه ينوي بعد الانتصار أن يؤلف لجنة مشتركة من المسلمين والهندوس ليختاروا من يرضونه سلطانا عليهم [2]، إلا أن السلطان بطبيعة الحال لم يكن بوسعه أن يوصل نداءه إلى كل مكان تأثر بمثل تلك المزورات والشائعات التي كانت تثير الغيرة والأحقاد والعداوة بين المسلمين والهندوس وتسبب في انقسام الثوار . كما لم تتعاطف مع الثورة الطبقات المثقفة التي تعلمت وتثقفت في المدارس الإنجليزية حتى تقوم بدورها في دحض الدعايات الانجليزية المضللة ، بل وقفت هذه الطبقات موقفا مضادا من الثوار [3]، وكان

---

(١) R.W. Danvers: Letters from India and China (1854 - 1858), pp.126, 127.
عادل حسن غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث، ص ١٤٤.

(٢) عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) عادل حسن غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث، ص ١٤٦.

هؤلاء المثقفون سندا للإنجليز وتوطيد سلطتهم الاستعمارية ، كما رأينا ذلك فيما سلف في الفصل الرابع .

إن الإنجليز ومن جاراهم ، سموا الثورة الهندية تمردا وعصيانا Mutiny وتجنبوا في ذلك استخدام كلمة الثورة ، وقد تبعهم في ذلك الكثير من المصادر والمراجع الهندية التي كتبت في عهد السيطرة الإنجليزية ، ولا استغراب في ذلك لأن كل ثورة فاشلة توصف من قبل أعدائها بالأوصاف الذميمة ، وتعتبر بغيا وخروجا على السلطة الشرعية ، ويعتبر القائمون عليها مجرمين وخونة ، خاصة وأن وجهة النظر الإنجليزية تلك قد لقنت وعلمت خلال حوالي قرن من الزمان الذي تلى تلك الثورة وكانت الهند خلاله جزءا من الإمبراطورية البريطانية ، وحتى في هذه الحالة يراد من التمرد تمرد الجند أو السپاهى Spoys لأنهم تمردوا على أوامر ضباطهم الإنجليز الذين أرادوا منهم أن يعضوا الرصاصات المشبوهة ، ولكن المسألة لم تقتصر في إطار العلاقات المعمول بها بين الجنود والضباط ، بل كانت الشرارة التي أشعلت نيران غضب الهنود من مختلف فئاتهم مدنيين وعسكريين وأناس عاديين الذين كانوا يبحثون عن مخرج يتخلصون به من السيطرة الإنجليزية الابتزازية الاستهتارية ، ومن هنا فعلى الرغم من أن مصطلح الثورة مصطلح سياسي حديث كثر استعماله في القرن العشرين من الميلاد ، إلا أن مدلولاته تنطبق على ما جرى في تلك الفترة من الأحداث التي تعتبر ثورة ضد الابتزاز والظلم والطغيان والاستهتار بالقيم والمعتقدات ، كما يعتبر تعبيرا عن رفض الهنود لحكومة الشركة الإنجليزية التي اغتصبت السلطة عن أصحابها الشرعيين بالغدر والمكيدة والقهر . وتقول القواميس في تعريف مصطلح الثورة بأنها " تغيير أساسي مفاجيء

في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب أو فريق منه في دولة ما "(١) وذكروا في ذلك أيضا بأن " الثورة عمل من أعمال العنف يتخذ صورة نضال مسلح يقوم به جانب من الشعب في وجه حكومتهم خروجا على قوانينها مما يعرقل ممارستها لسيادتها ، والثورة وضع قانوني يعتبر وسطا بين الانقلاب والعصيان والتمرد من ناحية ، والحرب الأهلية من ناحية أخرى ... الثورة يقوم بها قطاع من الشعب يمثل في كثير من الأحيان طبقة شعبية أو مقاطعة من إقليم الدولة ترغب في التخلص من الولاء والطاعة للحكومة الشرعية "(٢)، فإذا كانت الثورة ضد حكومة شرعية تأخذ وضعا قانونيا ، دون أن توصف بالتمرد ، فإن الثورة ضد سيطرة شركة أجنبية سمحت لها بالتجارة ، ثم استغلت الأوضاع فتحولت إلى السياسة وممارسة السيادة دون أن تعير إلى السلطان الشرعي أي اهتمام ، فإنها تكون أكثر قانونية ومشروعية ، ولاشك أن تلك الثورة لو نجحت في محاولتها لطرد الإنجليز واستعادة السيادة الهندية لأصحابها الشرعيين ، لكانت ثورة بمعنى الكلمة لدى الجميع .

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، بيروت ، المركز العربي للثقافة والعلوم ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٨٩ ،
مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، ج١، ط٢، القاهرة ، دار احياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص ١٠٢ .

(٢) أحمد عطية الله : القاموس السياسي ، ص ٣٥٤ .

على الرغم من أن الثورة الهندية قد فشلت في التمكين لنفسها وتحقيق أهدافها ، إلا أنه كانت لها نتائجها وآثارها المهمة في تاريخ الهند في الفترة التالية في مختلف المجالات السياسية والدستورية والاجتماعية والثقافية ، كما كان لها أثرها الحاسم في تغيير السياسة البريطانية تجاه شركة الهند الشرقية الإنجليزية وسيطرتها على الهند ، حيث كان من أبرز نتائج الثورة إنهاء حكم الشركة وضم ممتلكاتها للتاج البريطاني وإلغاء الدولة المغولية في دهلي ونهاية مظاهر السيادة غير البريطانية في الهند البريطانية.

أثناء مداولات البرلمان الإنجليزي لإصدار دستور الهند في عام ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٨ م جرت هناك مناقشات حادة بين المؤيدين لاستمرارية حكومة الشركة واحتكارها وبين المعارضين لهذا الرأى الذين كانوا يرون وجوب ذهاب الشركة وإنهاء حكمها في الهند ، وكانت اللائحة المقترحة تصرح بأن تشكل وزارة باسم وزارة الهند وأن تفوض أمور الهند لهذه الوزارة ، ولكن المؤيدين للشركة احتجوا بأن وزير التاج لن يكون على دراية وإلمام بشئون الهند وأحوالها ، وأنه قد يطيع هواه الحزبي على حساب ماتستلزمه استمرارية السيطرة الإنجليزية على الهند، وذكروا أنه يجب على الحكومة البريطانية أن لاتفكر في حكم الهند من لندن ، ويجب أن تظل الحكومة التنفيذية في الهند نفسها وأن لاتخوض لندن في متاهات السياسة الهندية وتفاصيلها الكثيرة ، مكتفية في ذلك برسم الإطار العام ومتابعة الأمور من حين لآخر ، وإزاء هذه الحجج نصت اللائحة بتشكيل مجلس للهند يتكون من خمسة عشر عضوا ، يساعدون الوزير في القيام بمهامه ، واشترط لعضوية المجلس أن يكون المرشح لها قد خدم في الهند أو قضى بها فترة لاتقل عن

عشر سنوات [١]، كما صرحت اللائحة بأن يقوم التاج باختيار ثمانية أعضاء من الخمسة عشر عضوا ، ويتم اختيار السبعة الباقين بالمراجعة إلى آراء أعضاء مجلس إدارة الشركة السابقين الذين بقيت لهم مصالح تجارية بارزة في الهند، ونصت اللائحة أيضا بأنه لايسمح بإقالة أعضاء مجلس الهند إلا بموجب مذكرة يقرها البرلمان ، وأعطت المجلس كل الحق في الاطلاع على الرسائل الصادرة والواردة إلى ومن الهند ، بما فيها الرسائل التي كتبت عليها سري أو عاجل . وطبقا لدستور الهند هذا فإن الوزير قد منحت له الصلاحية بأن يبت في الأمور العاجلة ويرسل إلى الهند التعليمات التي يراها مناسبة دون الرجوع إلى المجلس شريطة أن يقوم بإقناع أعضاء مجلس الهند فيما بعد ويشرح الأسباب التي استدعت ذلك التصرف، كما أعطي للوزير صوت مرجح إذا انقسمت آراء المجلس حول مسألة ما ، كما منحت له الصلاحية بتخطي رأي أغلبية أعضاء المجلس والتصرف حسب رأيه شريطة أن يسجل خطيا الأسباب التي دعته لاتخاذ هذا القرار ، وشريطة أن لايكون ذلك التخطي في الأمور المالية . كذلك خول الدستور تقسيم أعضاء مجلس الهند إلى لجان لتيسير الأعمال ، فانبثقت عن المجلس لجان ثلاث هي لجنة المالية والوطن والأشغال العامة، ولجنة الشئون السياسية والعسكرية ولجنة القضاء والتشريع ، وكانت كل لجنة تتكون من خمسة أعضاء وهم يقومون باختيار واحد منهم رئيسا للجنتهم [٢]، وقيد

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص٥٦ ،
غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٦٨٢ ،
الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج ١ ، ص ١٤- ١٥ .

(٢) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص٥٦ - ٥٧ ،
V.A.Smith: The Oxford History of India, pp.673-674.

الدستور سلطة وزير الهند في كثير من الأمور مثل قرار إعلان الحرب أو القيام بأي عمل عسكري خارج الهند إلا في حالات الدفاع ، وقصر هذا الحق على البرلمان كما كلف الوزير أن يقدم للبرلمان الميزانية الهندية في كل عام ، وأن يقدم أيضا تقريرا سنويا عن مدى التقدم والتطور الذي تحقق في الهند (١). كما تغير لقب الحاكم العام للهند إلى نائب الملكة ، وقسمت الهند إلى ولايات يرأسها نائب الملك هذا ويساعده مجلس تنفيذي يقوم بتعيينه التاج ومجلس اشتراعى يعينه نائب الملك في الهند (٢).

بمناسبة إقرار البرلمان لدستور الهند وإنهاء حكم الشركة وضم ممتلكاتها إلى التاج البريطاني صدر عن الملكة فيكتوريا Victoria (١٢٥٢ - ١٣١٨ هـ / ١٨٣٧ - ١٩٠١م) في ٢٥ ربيع الأول ١٢٧٥هـ / الأول من نوفمبر ١٨٥٨م مرسوم أكدت فيه على نقل حكم الهند البريطانية من يد الشركة إلى يد الحكومة البريطانية ، كما عينت اللورد كننك حاكم عام الشركة أثناء الثورة الهندية أول نائب للملكة في الهند بعد ضمها إلى التاج ، وذكرت مخاطبة الهنود وأمراءهم بأنها أخذت على عاتقها مسئوليات الحكم في الهند بناء على توجيه البرلمان وموافقته ودعت من جميع الهنود داخل أراضي الهند البريطانية أن يكونوا مخلصين موالين لها ولورثتها وخلفائها ، وأن يكونوا خاضعين لسلطة الذين سوف تقوم بتعيينهم من حين لآخر ، كما ذكرت بأنها تتقيد بجميع المعاهدات التي عقدتها الشركة مع الأمراء الهنود أو التي عقدت في عهد حكومة الشركة ، كما تمنت من الأمراء

---

(١) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية ، ص ٥٧ .

(٢) غوستاف لوبون : حضارات الهند ، ص ٦٨٢ .

المحليين أن يتقيدوا بتعهداتهم ، مطمئنة إياهم بأنها لن تقدم إلى مزيد من التوسع خارج ممتلكاتها الحالية ، ومهددة بأنها لن تسمح لأحد بالاعتداء على الممتلكات البريطانية ، وفي إشارة إلى السبب المباشر للثورة والإشاعات التي راجت في حينها بأن الانجليز عاقدين العزم على تحويل أهل الهند إلى النصرانية ، أشارت الملكة في مرسومها بأنها مع إيمانها بالديانة النصرانية ، فإنها لن تكره أحدا من رعاياها على قبول عقائدها وأنهم سينعمون بحماية القانون دون النظر إلى مايعتقدونه ويدينون به ، وأعلنت الملكة العفو لمن أسمتهم في مرسومها بالمخدوعين الذين انجرفوا وراء الإشاعات الكاذبة لمتمردين طامعين تم قمعهم بقوة ، واستثنت من العفو الذين باشروا قتل الإنجليز ، وحددت ٢٧ جمادي الأولى ١٢٧٥هـ / الأول من يناير ١٨٥٩م آخر موعد للذين يعودون إلى حياتهم العادية مستفيدين من العفو ومعلنين ولاءهم للحكم البريطاني ، كما وعدت في نهاية مرسومها بأن تبذل حكومة الهند البريطانية جهودها في سبيل تحسين أحوال الرعايا والرقي بالبلاد (١).

في الهند أقامت السلطات البريطانية احتفالات بمناسبة انتصار القنوات الإنجليزية على الثوار واستعادة السيطرة الانجليزية على المناطق الثائرة ، أعلنوا فيها إنهاء حكم شركة الهند الشرقية الإنجليزية على الهند وانتقال

---

(١) مؤلف مجهول : ظفر نامهٔ وقايع غدر ، ق ٥٥ ب - ٥٦ أ ،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل ، ص ٦٩١ ،
عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٦٣ - ٤٦٤ ،
إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٣٠٢ .

السيادة على ممتلكاتها الى الملكة وتعيين كننك كـأول نائب لها في الهند [١]، وبذلك انتهى رسميا الحكم الاسلامي في الهند بعد أن استمر هناك قرونا متواصلة، وأصبح المسلمون بين ناري السيطرة الاستعمارية الصليبية الحاقدة ونار العداء الهندوسي المتربص، بعد أن سقطوا من السيادة الى مجرد أقلية في بحر الغالبية الهندوسية المتحالفة مع الاستعمار [٢].

في الحقيقة على الرغم من اشارات الملكة في مرسومها الى عدم التمييز بين رعاياها في الهند والعمل على رخائهم ورقيهم واحترام جميع الاديان، الآن الواقع كان غير ذلك تماما، اذ استمر الانجليز على صب جام غضبهم على المسلمين واتبعوا معهم سياسة الابعاد عن الوظائف وخيرات البلاد وتشجيع الهندوس وتثبيت أقدامهم في المراكز العليا والمناصب الرفيعة، كما فتحوا لهم أبواب الرخاء وميادين الرقي ويسروا أمام أبنائهم التعليم بالمدارس في حين كانوا يعملون على ابقاء المسلمين في ظلمات الجهل والتخلف ليكونوا آمنين من أي محاولة منهم لاسترجاع السيادة التي سلبها منهم الانجليز بمساندة وتمهيد من جماعات الهندوس [٣]، وفي الحقيقة فان تضرر المسلمين الاكبر من فشل الثورة مسألة يؤيدها ويعترف بها بعض المثقفين والسياسيين من الهندوس أنفسهم، وهذا نهرو السياسي الهندوكي الاشتراكي المعروف الذي تولى رئاسة الوزراء في الجمهورية الهندية

---

(١) موّلف مجهول : ظفر نامه وقايع غدر، ق ٥٥ ب،
ميرزا محمد عبدالقادر خان : أويماق مغل، ص ٦٩٢.

(٢) خليل عبدالحميد عبدالعال: جوانب من التراث الهندي الاسلامي الحديث، بدون ذكر مكان النشر، مكتبة المعارف الحديثة، ١٩٧٩م ص ٣٥،
محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٢٩.

(٣) محمد حسن الأعظمي : حقائق عن باكستان، ص ٥٩.

بعد الاستقلال والتقسيم ، يصرّح بأن السياسة الإنجليزية كانت تتودد إلى الـ[illegible]ـى الهندوكيين وتقربهم أكثر في الوقت الذي كان الإنجليز يتبعون سياسة المخاصمة مع المسلمين وأنه بعد قمع الثورة وإخمادها عانى المسلمون أكثر من السابق(١) ومع ذلك فإن المسلمين أيضا يتحملون قسطا من مسئولية تخلفهم ،إذ تعمد معظمهم مقاطعة المدارس الإنجليزية بدافع الكراهية التي كانوا يحملونها ضد الإنجليز من جهة وبدافع الخوف على عقائد أولادهم من جهة أخرى .

كانت من نتائج الثورة التغييرات التي أجريت في الجيش ، فبعد أن ضمت الهند البريطانية رسميا إلى التاج البريطاني وحلت الشركة ، بادر نائب الملكة بتأليف جيش جديد للهند الشمالية غير جيش الشركة التي هلك الكثير منها في الثورة وتفرق بعضها واختفى عن الأنظار،كما نبذ البعض الآخر وطرد ، وعمل كننك في تنظيم جيش جديد بموجب لائحة جديدة تنص أن لايزيد عدد الجنود الوطنيين في أية فرقة على ثلاثة أضعاف الأوربيين ، وأن لايعهد إلى الهنود بأعمال ذات مسئولية خطرة في المدفعية ، كما قسم الجيش إلى ثلاثة جيوش وهي جيش بمبيء وجيش مدراس وجيش بنغال ، وكان يدخل في جيش الأخير الذكر كل قوات الهند البريطانية ، في شمال الهند (٢).

كذلك كان أحد نتائج فشل الثورة إلغاء سياسة دلهوزي Delhousie

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

(٢) إحسان حقي : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ، ص ٣٠٣
جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٤٣ ،
عادل حسن غنيم و زميلـه : تاريخ الهند الحديث ،ص ١٤٨.

الإلحاقية ، التي كان قد تم بموجبها ضم العديد من الإمارات الهندية إلى الهند البريطانية ، وكانت هذه السياسة أحد أسباب اندلاع الثورة ، وكانت أوده من بين تلك الإمارات التي ضمت إلى ممتلكات الشركة قبيل اندلاع الثورة بعدة أشهر ، ورأينا أنها كيف كانت أعنف المناطق ثورة وأكثرها صمودا ، كما قام الثوار بإعلان ولد واجد على شاه الصغير نوابا على أوده خلفا لأبيه الذي نفاه الإنجليز بعد ضم إمارته ، وكان الإنجليز قبل الثورة يتابعون تلك السياسة، ولكن بعد أن قمعت الثورة ، رأى الإنجليز أن الإمارات الهندية الداخلة في حلف الإنجليز التعاوني قد ساعدتهم كثيرا أثناء الثورة ، حيث وقفوا إلى جانبهم وعملوا على منع انتشار الثورة في أراضيهم أو عبر أراضيهم ، فرأت حكومة الهند البريطانية الإبقاء على تلك الإمارات المتبقية تتمتع باستقلال اسمي، بعد أن رأت بالتجربة أن بمثل هذه الإمارات يمكنها بسهولة إخضاع الجماهير وإبقائهم تحت سيطرة الإنجليز العملية ، وقد كانت إمارة حيدر آباد بالدكن إحدى الإمارات الوطنية التي وقفت بنجاح ضد الثورة وامتدادها ، فكوفئت إزاء ذلك بإعطائها ثلاث نواح كانت قد ألحقت بممتلكات الشركة في عام ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م بسبب الديون التي أثقلت عاتقها نتيجة التزاماتها المالية للحلف التعاوني (١).

---

(١) جواهر لعل نهرو : كشف هند ، ج ٢ ، ص ٥٤٢ ،

عادل حسن غنيم وزميله : تاريخ الهند الحديث، ص١٤٧،

T.W.Haig : سالارجنك (دائرة المعارف الاسلامية) ج١١، ص ٦٤-٦٥ .

بعد أن استقر الحكم البريطاني في كتلة أرضية ضخمة من بلاد الهند، دون وجود أى تحد لسيطرتها ، أخذت في الظهور المطامع التوسعية الاستعمارية نحو البلدان المجاورة، وتحولت الهند إلى قاعدة إمبراطورية بريطانيا الاستعمارية في الشرق ، ولم يمض عقدان على إخماد الثورة الهندية حتى أخذت ملكة بريطانيا لنفسها لقب إمبراطورة الهند في ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م ، وأصبحت مصالح الإمبراطورية البريطانية في الهند عاملا مهيمنا على توجيه السياسات البريطانية في آسيا وأفريقيا وكذلك بالنسبة للبلدان والموانئ أو الجزر التي تقع في الطريق البحري بين بريطانيا والهند الإمبراطورية .

فمن أجل أمن الهند وسلامتها كانت الاهتمامات البريطانية ومنازعاتها وانشغالاتها في البلاد المحيطة بالهند كبلاد الصين وإيران وأفغانستان ، كما كانت قضية أمن الطريق الإمبراطوري توجه سياسات بريطانيا تجاه البلدان الواقعة على ذلك الطريق كما كانت بالنسبة لعدن وقناة السويس وجبل الطارق على سبيل المثال ، ولاشك أن هذه الاهتمامات كانت موجودة إبان حكم الشركة أيضا ، إلا أن البريطانيين ركزوا في هذه الناحية أكثر من السابق انطلاقا من قاعدتهم الإمبراطورية في الهند، واستخدموا موارد الهند وقواها البشرية في بسط سلطتهم الاستعمارية على مختلف بلدان آسيا وأفريقيا[1].

---

(١) الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والأقطار ، ج٤، القاهرة ، المطبعة الاعلامية بمصر، ١٣٠٣هـ، ص ٥٤- ٥٥ ؛

رأفت غنيمي الشيخ : في تاريخ العرب الحديث، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٥م ، ص ٣٥٤ ؛

بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ،

جون . ب . كيلي : بريطانيا والخليج، ح١، القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ، ص ٤٤٣ ؛

جواهر لعل نهرو : نگاهي به تاريخ جهان ، ج ٢ ، ص ٨٠٢ ،

مير غلام محمد غبار : افغانستان درمسير تاريخ ، ص ٤٣٦ .

الخاتمة

التحليل والنتائج

لقد بحثنا في صفحات هذه الرسالة وفصولها ، تاريخ الصراع بين الاستعمار ممثلا في شركة الهند الشرقية الإنجليزية من جهة ، وبين دولة المغول الإسلامية في الهند وإفرازاتها من جهة أخرى ، ومن خلال استعراضنا لذلك الصراع الطويل يمكننا أن نستخلص نتائج هامة كمايلي :

اشتهرت الهند في أنحاء أوربا كبلد يملك ثروات ضخمة وكنوز هائلة وينتج سلعا يحتاجها الأوربيون ، مما دفع بالأطماع الأوربية نحو تلك المناطق ، وبدأت شعوب أوربا تبحث عن طرق للوصول إلى الهند غير التي كانت معروفة برا وبحرا لأنها كانت تخضع لسيطرة المسلمين ، وأدى هذا التوجه والبحث ، إلى الدوران حول القارة الافريقية وكشف طريق رأس الرجاء الصالح ، ومن ثم الوصول إلى الجزر والموانئ الهندية والتعامل مباشرة مع أهلها والتمتع بخيراتها وذلك في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، بعد أن نزل البرتغاليون كاليكوت Calicut بقيادة فاسكو دي جاما Vasco de Gama .

انفرد البرتغاليون لحوالي قرن من الزمان بالخطوط الملاحية العالمية المؤدية إلى الهند ، ومن ثم احتكروا تجارة السلع الشرقية التي كانت تستوردها أوربا ، إلا أن إشاعة أخبار ثروات الهند الخيالية في أوربا ، وانتشار أخبار سياسة التسامح والانفتاح التي انتهجتها الدولة المغولية منذ عصر السلطان أكبر الأول ، شجع سائر الدول والشعوب الأوربية للقيام بالمحاولات والمغامرات من أجل الاتصال التجاري المباشر مع الهند ، وكسر الاحتكار البرتغالي في ذلك المجال ، وتأتي هولندا وإنجلترا وفرنسا في مقدمة البلدان الأوربية التي سلكت ذلك الاتجاه ، خاصة بعد أن تحطم الأسطول الأسباني الأرمادا أمام البحرية

الانجليزية ، لتتشجع سائر الدول الأوربية البحرية في تحدي السيطرة الأسبانية البرتغالية واحتكارها للتجارة والطرق الملاحية .

انهارت سيادة البرتغاليين البحرية واحتكارهم لتجارة الشرق شيئا فشيئا أمام الضربات المتوالية التي تلقوها من القوى البحرية الأوربية ،وعلى الأخص هولندا وإنجلترا ، ومنذ تحطيم الأرمادا في أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وحتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي خل الهولنديون محل البرتغاليين في مهمة استيراد السلع الشرقية إلى أوربا .

لم يقم بإزاحة البرتغاليين وكسر سيادتهم البحرية واختراق أسرارهم الملاحية أفراد من المغامرين والتجار ، بل قام بذلك التحدي والاستمرار فيه بكل جد ونشاط شركات مدعومة من الدول التابعة لها ، أنشئت لأغراض التجارة والكشف والاستعمار في البلدان الشرقية وعلى رأسها الهند ، وفي هذا الإطار تأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية في أواخر عهد أسرة تيودور التي تمكنت من بسط نفوذها على الجزر البريطانية والاتحاد مع اسكتلندا ، وشعرت بأهمية البحرية والاستعمار فيما وراء البحار .

كانت لشركة الهند الشرقية الإنجليزية مهمة تنصيرية منذ تأسيسها، إلى جانب مهامها الأساسية في التجارة والكشف والاستعمار ، وتبدو تلك المهمة واضحة في البراءة الملكية التي تم بموجبها تأسيس الشركة ، إذ تنص على عدم السماح للشركة بالدخول في حرب مع أي أمير نصراني ، في حين خولتها الصلاحية بإعلان الحرب أو عقد اتفاقيات السلام مع الحكام غير النصرانيين .

إن الصبغة الاستعمارية وبسط السيطرة الأوربية كانت هي الأخرى واضحة

تمام الوضوح في المراسيم التي تأسست بموجبها الشركات الأوربية الاستعمارية وفي مقدمتها شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، إذ على الرغم من تظاهر الشركات بالتجارة أمام الحكام المحليين في بدايات قدومهم إلى الهند وسائر البلدان الشرقية ، كانت مراسيم التأسيس تنص على منح هذه الشركات الصلاحية في إعلان الحرب وعقد المعاهدات وفتح ما تشاء من الأراضي وإقامة الحصون والقلاع ، وامتلاك الجيوش والأساطيل الحربية ، في حين لم تشهد المياه الهندية قبل قدوم الأوربيين التجارة المسلحة ، بل كانت التجارة مظهرا من مظاهر علاقات الود والسلم والتكامل الاقتصادي بين الهند ومختلف الشعوب والأقطار التي كانت تتعامل مع الهند في التبادل التجاري .

إن تكوين الشركات الاستعمارية الأوربية الكبيرة صاحبة الجيوش والأساطيل الحربية ورأس المال الكبير لتمويل مشاريع التجارة والكشف والاستعمار فيما وراء البحار ، جاء في إطار عملية التزاوج والاندماج بين الشركات والمجموعات التجارية الصغيرة لتتحول إلى مجموعات تجارية كبيرة ثم إلى مؤسسات احتكارية شاملة بدعم من دولها ، ولقد زاد هذا الإجراء من قوة هذه الشركات حيث وفرت لها كثيرا من الأموال لتمويل المشروعات الاستعمارية ، كما وفرت لها الجهد والخبراء والتجنب من أن تقف الشركات التابعة لدولة واحدة ضد بعضها البعض، إلا أنه أدى إلى تعقيدات دولية وحروب سافرة بين الشركات الأوربية الاستعمارية المتصارعة .

كانت الشركات الاستعمارية الاختكارية تعتقد بوجوب التمتع بالنفوذ الكامل ودون منافس في البلاد التي تقيم فيها العلاقات التجارية ، ولم تكن هذه الشركات

تعتبر التجارة الهندية مربحة إلا اذا كانت حقا مقصورا ومحتكرا لها ، وأن الأمم الأوربية المختلفة التي تاجرت مع الهند ، قامت بهذا العمل عن طريق الاحتكار وأن الشركات الأوربية الكثيرة التي تأسست بغرض التجارة في الهند ، اعتبرت أى أقتراح بالمشاركة في تجارتها اقتراحا لهدمها وتدميرها ، وبالتالي فإن آية شركة أوربية حصلت على الإذن بالدخول في آية قناة تجارية ، بذلت قصارى جهدها في أن تقوم بطرد كل المشاركين في تلك التجارة ، وكانت تعتبر تجارتها رابحة إذا نجحت في إزالة جميع ضروب التنافس في هذا المجال ، ومن هنا توالت الصراعات الدامية بين الشركات الأوربية المتصارعة من أجل الاستئثار بالتجارة الهندية والتفرد بامتلاك ناصية التحكم في تلك التجارة .

في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، جرى هناك تنافس استعماري ثلاثي للاستئثار بالتجارة الهندية ، وبدأ ذلك الصراع بين البرتغاليين والهولنديين ، ثم بين البرتغاليين والإنجليز وأخيرا بين الهولنديين والإنجليز، وأما الصراع الاستعماري بين شركة الهند الشرقية الإنجليزية وشركة الهند الشرقية الفرنسية فلم ينبثق تماما قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، إلا أن ذلك الصراع فاق جميع أنواع التنافس الاستعماري الذي حصل بين القوى الأوربية للتحكم في التجارة الهندية ، ولكن في نهاية المطاف انتصرت شركة الهند الشرقية الإنجليزية على جميع منافساتها الأوربيات وانفردت بالهند وخيراتها وثرواتها .

إن النزاعات المسلحة التي حدثت بين الشركات الأوربية المتنافسة قبل منتصف القرن المشار إليه ، وقعت خارج البر الهندي وبعيدا عن الأراضي والمياه

التي كانت تخضع لسيادة الدولة المغولية ، لأن الدولة كانت قوية ومتماسكة ولم تكن تسمح بحدوث تلك المعارك داخل سيادتها ، وإذا تحدى أحد تلك السيادة أوقفته سلطات الدولة عند حده بكل حزم وحسم ، ولم تسمح بما يعكر صفو أمنها ويهدد استقرارها وسيادتها ، ولكن النزاعات التي حدثت بين الشركتين الفرنسية والإنجليزية والتي فاقت جميع النزاعات السابقة وشملت الجنوب الهندي وشرقه ، كانت قد وقعت بعد أن أخذت الدولة طريقها إلى التفكك وفقدت سيادتها العملية في تلك الأقاليم النائية شيئا فشيئا .

ان الشركات الأوربية للهند الشرقية قد بدأت عملها في بدايات مجيئها إلى الهند بغاية الخضوع والتذلل والتملق لسلطات الدولة المغولية في الهند ، وبهذه الطريقة تمكنت شركة الهند الشرقية الإنجليزية من أن تحصل على إذن بالتجارة وإنشاء مركز لها في سورات على الساحل الغربي للدولة ، وذلك بعد جهد متواصل ونشاط دؤوب استمر لعدة سنوات والتحلي بالصبر والمثابرة في سبيل تذليل الصعاب بمواصلة إرسال المبعوثين إلى بلاط السلطان جهانگير ، ثم أخذت الشركة توسع نشاطها ونفوذها كلما أتيح لها ذلك .

على الرغم من تصاعد نشاطات شركة الهند الشرقية الإنجليزية في عهد السلطان أورنگزيب ، إلا أن السلطان وضع لتصرفات الإنجليز حدا كلما تجاوزوا في تصرفاتهم الحد المسموح لهم ، فعندما تجرأت الشركة واستخدمت القوة في تعاملها مع الدولة المغولية ، أمر أورنگزيب لقواتها بسحق الشركة وتدمير جميع تحصيناتها والاستيلاء على مراكزها ، ونفذت أوامر السلطان بكل حسم وقوة ، وفشلت أولى محاولات الشركة في اختبار عرض القوة ، ودأب الإنجليز قرابة نصف قرن على

التظاهر في حرص تام بالتباعد عن التدخل في شئون الدولة المغولية ، بعد أن عفا عنهم أورنگزيب وأعاد إليهم مراكزهم التي كانت قد استولت عليها قوات الدولة المغولية .

في فترة قوتها وتماسك أجزائها،تعاملت الدولة المغولية مع الإنجليز وغيرهم من موقف القوة والسيطرة الكاملة في البر الهندي وأن منح بعض الامتيازات للإنجليز وغيرهم من الأوربيين كان بمثابة منح هبات من قوى شرى كريم إلى ملتمس محتاج قادم من بلاد بعيدة بحثا عن الرزق والتجارة ، وذلك إذا التزم الملتمس بالحد المسموح له ، وخلال هذه الفترة أخذت الدولة موقفا حياديا تجاه المنازعات التي حدثت بين الإنجليز والهولنديين ، إلا أنها لم تسمح بانتشار ذلك النزاع داخل مناطق سيادتها وطالبت الجانبين بالامتناع عن العداء المسلح داخل الأراضي التي تخضع للسيادة المغولية ، ونتج عن ذلك أن نجت المراكز الإنجليزية من هجوم البحرية الهولندية المتفوقة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي بعد أن نجح الهولنديون في طرد الإنجليز من إندونيسيا وأرادوا توسيع دائرة حروبهم إلى الهند أيضا ، وعندما دب الضعف في الدولة المغولية ، انتقلت الصراعات الأوربية المسلحة إلى داخل الهند أيضا ، وفي هذه المرة نجح الإنجليز في طرد الهولنديين من الهند .

على الرغم من أن قوة الدولة المغولية في الهند أخذت في الضعف منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، إلا أنها كانت قوية لدرجة تكفي لمعاقبة أي اعتداء من جانب التجار الأجانب ، وأن الدرس الذي تلقاه الإنجليز في عهد أورنگزيب جعلهم يفكرون آلف مرة قبل أن يقوموا بأي عمل

عدائي ضد الدولة المغولية ، ولكن بعد أن ظهر ضعف الدولة وتلاشي سلطتها في أقاليمها للعيان ، ظهرت على السطح مسابقة جادة للاستئثار بالتجارة الهندية لإحدى الشركات الأوربية على حساب الأخرى ، وذلك عن طريق إخضاع سلطة حكام الأقاليم النائية واستعمال هذه السلطة لصالح شركة واحدة فقط ، ومن هنا بدأ تدخل الشركتين الفرنسية والإنجليزية في نزاعات الأمراء المحليين في الجنوب الهندي لينتشر على مر الأعوام إلى مناطق أخرى .

خدم المرهته القادم الأوربي دون أن يشعروا بذلك لأنهم قاموا بإرعاب الإمارات المحلية وقطعوا صلات هذه الإمارات بالمركز وحالوا دون وصول أية إمدادات إليها ، حيث كان هؤلاء المرهته مسيطرين على الوسط الهندي وغربه ، فاضطر حكام الإمارات المحلية المتنازعة أن يلجأوا إلى المتنافسين الأوربيين لتصفية الحسابات ، فإذا استنجدت إحدى هذه الإمارات بالشركة الفرنسية بادرت الأخرى بالاستعانة بشركة الهند الشرقية الإنجليزية ، وشجعت هذه الأوضاع الشركتين إلى التخلي عن انتهاج السياسة الحذرة تجاه التدخل في الأحداث الهندية ،بعد أن لاحظوا انهيار السلطة المغولية المركزية وعدم مقدرتها في إعادة النظام والاستقرار في أقاليمها النائية جنوبا وشرقا وغربا ، فاستغلت الشركتان هذه الأوضاع لصالح مخططاتهما الاستعمارية وبسط نفوذهما كلما وجدتا إلى ذلك سبيلا ليتطور الوضع إلى نزاع استعماري بين الشركتين المذكورتين في الساحة الهندية فاق جميع النزاعات التي حدثت قبل ذلك بين المتنافسين الأوربيين ، ومعنى هذا أن انهيار سلطة الدولة المغولية ترك فراغا كبيرا حاولت عناصر هندية وأخرى أجنبية ملأ ذلك الفراغ ، ونتج عن هذا صراعات هندية هندية وأوربية أوربية وهندية أوربية .

كانت العلاقة بين الشركتين الإنجليزية والفرنسية في الهند تتأثر سلمـــا أو حربا بالعلاقات بين الدولتين الإنجليزية والفرنسية في أوربا ، وكلما توترت العلاقات بين الدولتين وتقاتلتا في الساحة الأوربية انتقل الصراع المسلح بينهما إلى الهند ليضع الشركتين المذكورتين في مواجهة بعضهما البعض ولينضم الهنـــود في هذا الصراع كل إلى جانب الشركة التي تحالف معها ، وهذا مانراه في حـــرب الوراثة النمساوية ثم في حرب السنين السبع حيث انتقلت تلك الحروب إلى الهنـد أيضا ، وفي نهاية تلك الحروب انتصرت الشركة الإنجليزية على الشركة الفرنســية وأصبح الإنجليز في الهند دون منافس أوربي ليبدأوا بعد ذلك القضاء على السيادة الهندية شيئا فشيئا . وعلى الرغم من أن الفرنسيين حاولوا من وقت لآخــــر أن يسترجعوا مكانتهم في الهند ، إلا أن محاولاتهم جاءت في أوقات متأخيــرة دون أن يكتب لها النجاح ، مما أضر بموقف بعض الحكام الوطنيين الذين تحالفوا معهم.

هناك أمران هامان يميزان الصراع الاستعماري الأوربي للسيطرة على الهنـد وخيراتها في فترة ضعف الدولة المغولية وانهيار سلطتها في أقاليمها، فالأول هو أن الصراع الاستعماري المسلح بين الشركتين الإنجليزية والفرنسية كان يقع فـــي الأراضي الهندية،في حين كانت هذه الصراعات بين الشركات الاستعمارية قبل تـــلك الفترة تقع خارج الأراضي التي كانت تخضع للسيادة المغولية ، والأمر الثانـــي والأهم هو أن تلك الصراعات التي وقعت في فترة ضعف الدولة المغولية أخذت تقـع بمال الهند ورجالها ، في حين كانت هذه الصراعات في سابق عهدها تقع على حساب الشركات المتنافسة ماديا وبشريا . ومن إشراك الهنود في هذه المنازعات بـــدأ تكوين السپاهي وهو عبارة عن الجنود الوطنيين المدربين بواسطة الضبـــــــاط الأوربيين والعاملين تحت إشراف هؤلاء الضباط .

أول نجاح باهر لشركة الهند الشرقية الإنجليزية ضد السيادة الهندية كان قد حصل في معركة پلاسى ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م ببنغال،ويمكننا القول بأن تلك المعركة قد قررت مصير الهند لصالح الاستعمار الإنجليزي ، ووضعت ولاية بنغال الغنية في قبضة الإنجليز ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت بنغال قاعدة الإنطلاق والتموين والدعم لعمليات الشركة بقصد السيطرة على جميع الهند ، وكلما أخفقت الشركة في منطقة ما بالهند ، استنجدت ببنغال فأنجدتها وأنقذتها ، ومن هنا كان اختيار كلكته عاصمة لدولة الشركة بعد أن ظهر أنها مأمونة من أي خطر يهددها ، بالإضافة إلى ثرائها وخصوبتها ، وتسخير ذلك لصالح عمليات الشركة في سبيل تقدم سيادتها .

فيما يتعلق بمعركة پلاسى،يجدر بنا أن نتذكر بأن هذه المعركة لم تقع بين الدولة المغولية والشركة الإنجليزية ، بل وقعت بين الشركة وما أفرزه ضعف الدولة المغولية من أقاليم وجدت نفسها فجأة في وضع يوجب عليها أن تقوم بشئون نفسها بنفسها بما في ذلك المجال الدفاعي ، وذلك بعد أن لم تعد دهلي تملك ما تقدمه لتلك الأقاليم ، وطبيعي أن تستلزم هذه الحالة إلى فترة انتقالية لتستقر من خلالها الأوضاع في ظل النظام الجديد ، ومن الصعب المرور بسلام من تلك الفترة الانتقالية المفروضة ، خاصة إذا كان البلد قد تعرض لهجوم خارجي ، وهذا ما وقع في بنغال التي كانت تنتقل من بنغال الولاية إلى بنغال الدولة بقيادة حاكمها سراج الدولة . كما حدث نفس الوقائع تقريبا في سائر الأقاليم التي تعودت العيش في ظل نظام مركزي وفجأة وجدت نفسها وقد زالت عنها سلطة ذلك النظام دون إرادتها ودون اتخاذ الاستعداد اللازم

للمرحلة الجديدة والقيام بأعباء مسئولياتها الجسام . وطبيعي أن تمر البلاد في هذه الظروف بحالة من الفوضى وطبيعي أيضا أن يكثر في هذه الحالة الطامعون على السلطة وأن يمد المنهزمون منهم أيديهم إلى الأجنبي المتربص ، وهذا ماحصل في معركة پلاسى المصيرية ، حيث خان مير جعفر سيده وبلده وعمل لصالح الإنجليز كطابور خامس رجح كفة الإنجليز بعد أن لم يتمكنوا من حسم الأمور بقدراتهم الذاتية ، ومعنى هذا أن الشركة على الرغم من تفوقها التسليحي لم تكن قادرة أن تهزم حتى تلك الولاية الدولة التي نشأت عن تفكك السلطة المغولية المركزية لو واجهت بمفردها تلك السلطة الوليدة ولم تتلق الدعم من الطابور الخامس الذي سارعت لمساعدة الإنجليز بعد أن حرضهم على حرب سراج الدولة متكفلا نفقات المعركة .

إن انتصار الإنجليز في معركة پلاسى كسر حاجز الخوف الذي كان قد تولد لديهم إثر الضربات الموجعة التي تلقوها قبل ذلك كلما حاولوا أن يتحدوا سلطنات الدولة المغولية ، كما كشف لهم مدى التفكك الذي تعاني منه الجبهة الهندية الداخلية ، ومن هنا استمروا في توسيع دائرة نفوذهم وضرب الحكام الذين يرفضون الرضوخ لهم بعد أن أخذوا يتاجرون بالعروش ووجدوا أن معظم الأمراء المحليين لا يشعرون بالمسئولية بل يعيش كل واحد منهم لنفسه دون أن يدركوا الأخطار التي تهددهم واحدا بعد الآخر .

في هذه الأوضاع ، لم يكن لسلطان الدولة المغولية قد بقى إلا الاسم ولم يكن شاه عالم الثاني يتمتع بأية سلطة فحسب ، بل كان شريدا يعيش في المنفى منذ ولايته للعهد ، وذلك بسبب سيطرة الوزراء المتغلبين على شئون دهلي العاصمة

وتلاعبهم بسلطانها ، ولم يكن شاه عالم الثاني-بعد أن نودي به في منفاه سلطانا إثر موت أبيه – يملك موطئ قدم يستقر فيه ، وكان يبحث عن أي حليف يساعده في إعادته إلى دهلي العاصمة أو يقتطع له أرضا يستقر فيها ، وفي هذه الحالة التي يرثى لها أحكم الإنجليز قبضتهم على شئون بنغال وأكدوا نتائج پلاسى بانتصارهم في بكسر على قوات حاكم أوده الوزير شجاع الدولة . وعلى الرغم من أن هذه القوات كانت غفيرة جدا إلا أنها كانت غير متماسكة وعجزت أن تصمد أمام قوات أقل منها عددا بكثير ولكنها منظمة ومدربة وجيدة التسليح وتتمتع بقيادة ماهرة ماكرة .

إن المتمعن في مجريات موقعتي پلاسى وبكسر وملابساتهما ونتائجهما الخطيرة ، يتنبه إلى أن المسئولين في ولايتي بنغال وأوده استهانوا بالإنجليز واغتروا بما كان لديهم من قوات تفوق في أفرادها أضعاف ما كان لدى الإنجليز الذين لم يسبق لهم أن تمكنوا من زحزحة أية قوة مغولية ، ولم يلتفت هؤلاء المسئولون إلى عوامل الفشل التي كانت قواتهم تحملها في بطنها ، من فقدان التنظيم والتماسك وحتى الدافع القتالي والولاء ، في جو من التخاصم الموجود بين بعض كبار قوادهم وعدم وجود وعي إسلامي أو قومي يدفعهم إلى تناسي خلافاتهم التافهة والوقوف صفا واحدا ضد الخطر الذي كان يهدد بلادهم ومستقبلهم، وكانت لتلك الهزائم القاسية التي منيت بها قوات بنغال وأوده آثارها السيئة المستقبلية ، لأن تلك الهزائم الغير المتوقعة لم تكن هزائم عسكرية فحسب، بل خلقت في أوساط كثير من الحكام المحليين نفسية انهزامية أمام الإنجليز الذين برزوا في أنظار هذه الأوساط كقوة لاتقهر ، وهذا مانراه في تحليل

السلطان الشريد عن الأوضاع ، حيث لم يكن يؤمن بجدوى المواجهة والصمود أمام الإنجليز وكان يبحث عن فرصة سانحة للاتصال بهم والتعامل معهم .

تم الاتصال واللقاء بين السلطان شاه عالم الثاني والإنجليز في مثل تلك الأوضاع المؤسفة ، وكانت نتيجة هذا اللقاء عقد معاهدة إله آباد بعد أن بالغ الإنجليز في التظاهر بالترحيب بالسلطان ووعدوه بالمساعدة لإعادته إلى دهلي العاصمة والوقوف إلى جانبه ضد كل من يقف دون استعادة سلطاته ، ولقد استراح السلطان لمثل هذه الوعود لما رآه في الإنجليز من قوة متفوقة قاهرة من جهة ، ولما لاقاه من الحكام المحليين من عدم الاهتمام به من جهة أخرى، فتعامل مع الانجليز من موقف الضعيف الملتمس الذي حدث لأول مرة في تاريخ سلاطين الدولة المغولية ، فمنح لشركة الهند الشرقية الإنجليزية بموجب المعاهدة المشار إليها الإشراف المالي على ولايات بنغال وبهار وأوريسه ، كما قبل أن يتسلم من الشركة راتبا سنويا ، الا أن الإنجليز رأوا أنهم لايستفيدون من السلطان أكثر من ذلك فتخلوا عنه وتركوه وشأنه ، خاصة أن تحقيق هدفه لم يكن بمقدورهم في تلك الفترة ، كما لم يكن الوصول إلى دهلي في سلم أولوياتهم والتدرج في بسط سيطرتهم .

كانت شركة الهند الشرقية الإنجليزية تطور نفسها لتواكب مسيرتها نحو مزيد من التوسع والفتح والاستعمار ، وكانت تجرى على تنظيماتها تعديلات من وقت لآخر بإشراف البرلمان الإنجليزي ، وفي هذا الإطار أصدر البرلمان في عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م القانون التنظيمي الذي تم بموجبه إنشاء منصب الحاكم العام لممتلكات الشركة في الهند وتأسيس مجلس مكون من أربعة أعضاء، وخولت إلى

الحاكم العام ومجلسه الصلاحية العامة على الرئاسات الثلاث في كل من كلكته ومدراس وبمبيء ، وقيدت التصرفات الخارجية لتلك الرئاسات ، فلم يعد يسمح لحكامها بعقد معاهدات أو شن حروب إلا بإذن من المركز ، وبذلك أصبحت الشركة دولة منظمة داخل دولة المغول المفككة في الهند ، على رأسها الحاكم العام في كلكته الذي يستمد سلطته من القوانين واللوائح الصادرة عن البرلمان الإنجليزى الذي أعطى حاكم عام الشركة حق التحكم والتوجيه في العلاقات الخارجية للرئاسات الثلاث . واستمرت هذه التنظيمات إلى نهاية عمر الشركة مع إجراء بعض التعديلات عليها من وقت لآخر حسب ماكانت تقتضيه مصالح الشركة في توسيع نفوذها وإحكام سيطرتها في الهند . ووفقا لتلك التنظيمات لم يكن يسمح لأحد أن يستمر في المناصب العليا للشركة في الهند أكثر من خمس سنوات في الغالب ، وبذلك كانت الشركة تحافظ على نشاطها وحيويتها وتطور نفسها بتجدد من يقوم بتصريف شئونها.

في الجانب الهندي كان كل شيء تقريبا يسير إلى الركود والاضمحلال، فلقد زالت سلطة الدولة المغولية من أقاليمها ، والإمارات التي خلفتها في تلك الأقاليم ، لم تتح لها الفرصة لكي تمكن لنفسها وتجتاز بسلام مرحلة الانتقال من الولاية الخاضعة تماما للسلطة المركزية إلى الولاية الدولة التي تقوم بشئون نفسها بنفسها في كافة المجالات،وكان أسلوب هذه الولاية الدولة في معالجة مشاكلها أسلوبا قديما متخلفا غير قادر على مواجهة القوة الأوربية الحديثة المدعمة بإنجازات الثورة الصناعية ، بالإضافة إلى أنه كانت لهذه الولاية الدولة مشاكلها الجمة مع الطامعين في السلطة في داخل الولاية ومع الطامعين في أراضيها من جيرانها ، مما سهل لشركة الهند الشرقية الإنجليزية أن تضرب

البعض بالبعض وتكون هي المنتصرة الرابحة في نهاية المطاف .

إن الأساليب والوسائل التي استخدمتها القوى الهندية المتصارعة كانت متناسبة في الصراعات الهندية الهندية التي كانت الحرب فيها سجالا في الغالب ومنهكة للجميع ، ولم تكن بمقدور تلك الأساليب والوسائل أن تصمد أمام القوة الأوربية الحديثة على المدى البعيد ، وعلى سبيل المثال كان المرهته القوة المرعبة الضاربة على مستوى الهند-وخاصة في المناطق الغربية والوسطى -وكان لهم الدور الكبير في إضعاف سلطة الدولة المغولية وقطع الاتصال بينها وبين بعض أقاليمها ، ويمكن القول أنهم تحولوا في بعض الفترات إلى قوة هندية ضاربة لاتنافسها قوة هندية أخرى ، ولكن عند المواجهة مع قوات الشركة الإنجليزية لم يتمكن المرهته من الصمود طويلا ، وذلك بسبب الانقسامات الداخلية فيما بينهم ، وبسبب أنهم لم يطوروا أنفسهم حسب مقتضيات المعارك تدريبا وتنظيما وتكتيكا وتسليحا ، وكانوا يكررون في خلال المعارك الكثيرة الفاشلة التي خاضوها ضد الإنجليز أسلوب تخويف القوات الإنجليزية بالأفواج البشرية والتركيز على حرب السيوف والرماح .

يستثنى مما ذكرناه آنفا حيدر على حاكم إمارة ميسور المسلمة وابنه السلطان تيپو الذي خلفه في حكم الإمارة بعد وفاته ، وقد عرف هذان الزعيمان المسلمان عصرهما وعملا للارتفاع إلى مستواه في مجالات البحث العلمي والإدارة والتدريب والتنظيم والتكتيك والتسليح والاستفادة من خبرات الآخرين في هذه المجالات مع الحفاظ على الهوية الإسلامية في مختلف شئون الحياة ما أمكنهما ذلك ، وطبيعي أن الحفاظ على الهوية الإسلامية للحكم في إمارة الغالبية العظمى من

سكانها من الهندوكيين لم يكن أمرا سهلا ، إلا أن السلطان تيپو تحدى الصعاب واستمر في سياسة أسلمة شئون الحكم ولم يتخل عن هذا الخط حتى آخر لحظة من عمره ، وفي نفس الوقت كان يبذل جهوده المتواصلة للأخذ بوسائل التقدم العلمي والبحث عن العلماء والخبراء في بلدان مختلفة وإغرائهم بالتوجه إلى سلطنته والإقامة فيها والإسهام في رقيها ، إلا أن المخاطر التي كانت تحيط به وبسلطنته كانت أكبر من أن يتحملها بمفرده . وعلى الرغم من أنه تمكن من أن يكبد قوات شركة الهند الشرقية الإنجليزية هزائم قاسية ، إلا أن الانجليز انتصروا عليه بعد أن جروا جيرانه من المرهته ونظام حيدر آباد إلى صفوفهم بعد أن وعدوهما بتقسيم أراضي ميسور بين الحلف الثلاثي . وكان التوازن بين القوى المتصارعة قد اختل لصالح الانجليز وحلفائهم الهنود بعد أن غادر الفرنسيون حلفاء ميسور الساحة وتركوا هذه السلطنة المجاهدة لتواجه بمفردها ذلك الحلف القوي المحيط بميسور من جميع الجهات تقريبا ، إلا أن السلطان تيپو لم يساوم ولم يستسلم وقاوم حتى النهاية ورجح الشهادة على الإستسلام والعيش في ظل الحماية الانجليزية المهينة ، فخلد التاريخ ذكراه كبطل من أبطال الإسلام ورمز للنضال والصمود ضد الاستعمار في شبه القارة الهندية .

كان للاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية أولوياته في برامجه التوسعية ، وكان الإنجليز يسيرون في هذا الاتجاه وفق خطة مدروسة هدفها السيطرة الكاملة على مختلف شئون الهند وإماراتها وكياناتها بالتركيز على القضاء على الأخطر فالأخطر والإبقاء على الأضعف والأخضع . وفي هذا الإطار كانوا يواصلون تنفيذ ما قرروه أو يعدلونه أو يؤجلونه إذا وجدوا أن هناك مصدر خطر آخر

يتحتم القضاء عليه أولا ، وطبقا لهذه الخطة حاول الإنجليز بقيادة وارن هستنجز Warren Hastings أن يحدوا من خطر المرهته الذين اشتهروا كقوة هندية مرعبة يأتمر بأمرهم مئات الألوف من المقاتلين ، إلا أن الإنجليز عندما شعروا أن سلطنة ميسورالمسلمة هي الأخطرعلى وجودهم الاستعماري من المرهته الهندوكيين عدلوا في أولوياتهم فلم يؤجلوا المواجهة مع قوات المرهته فحسب ، بل وجروهم إلى التحالف معهم للقضاء على ميسور المجاهدة ، وبعد أن نجح التحالف في القضاء على السلطان تيپو وحكمه ، عاد الإنجليز فوضعوا القضاء على المرهته في سلم أولوياتهم الإخضاعية ونجحوا في ذلك .

ضاع حكم الهند من أيدي المسلمين نتيجة تفكك الجبهة الإسلامية الهندية واضمحلالها سياسيا وعسكريا واقتصاديا وثقافيا ، وكان في مقدمة العوامل التي أدت إلى ذلك التفكك والاضمحلال الحروب العائلية التي كانت تنشب عند تولي كل سلطان مغولي العرش منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، ولقد أنهكت هذه الحروب الدولة وقضت على هيبتها وأفقرتها بشريا واقتصاديا وأضعفتها عسكريا وسياسيا وأمنيا وفتحت المجال لزعزعة السلطة المركزية وزوالها وانفصال الأقاليم عن هذه السلطة واحدة بعد الأخرى ، كما فتحت المجال للحاقدين على الحكم الإسلامي وللانتهازيين الذين لاتهمهم مصالح ومصير أمة ، وأوقعت السلاطين الضعاف في أحضان المتغلبين الذين لعبوا بهم وفق أهوائهم وأغراضهم الضيقة على حساب مصلحة الدولة واستقرارها وثباتها ، وكذلك مهدت هذه الأحداث المؤسفة الطريق أمام القادم الجديد الغريب في تاريخ الهند الإسلامي ليملأ ذلك الفراغ وليتحكم

في مصير الهنود وليحول دون عودة الحكم الإسلامي في الهند بعد أن استمر قرونا متمادية يتداول بين الأسر الحاكمة المسلمة .

كان عصر أورنكزيب (١٠٦٩ - ١١١٨ هـ / ١٦٥٩ - ١٧٠٧ م) يمثل قمة الاتساع الجغرافي للدولة المغولية في شبه القارة الهندية ، وفي نفس الوقت كان هذا الاتساع يمثل تفتيتا لقدرات الدولة الاقتصادية والعسكرية والبشرية. ونشاهد في هذا الخصوص أن حروب الدولة المغولية الطويلة في الدكن أو الجنوب الهندي كانت حروب استنزاف في المجالات التي أشرنا إليها وأن هذه الحروب لم تفد الدولة بقدر ما أضرتها ، وأنها جاءت بعد أن تحملت الدولة خسائر جسيمة في المعارك الدامية التي نشبت بين أبناء شاه جهان لخلافة أبيهم حتى كانت الغلبة في النهاية لأورنكزيب الذي سخر جميع إمكانيات الدولة في معارك طويلة لإخضاع الجنوب الهندي وإزالة السلطنات الإسلامية التي كانت قد تأسست هناك قبل تأسيس الدولة المغولية نفسها ، وأن القضاء على تلك السلطنات لم تكلف الدولة الكثير من الخسائر المادية والبشرية فحسب ، بل أزالت عن الوجود الحاجز الذي كان قد كفى الدولة المغولية متاعب المواجهة مع الوجود الاستعماري الأوربي ومع جماعات المرهته الهندوكية التي بدأت تتنظم وتتنشط أكثر.والواقع أنه ربما كان لصالح الدولة المغولية ولصالح حكم المسلمين في شبه القارة الهندية لو سخرت كل هذه الإمكانات والأموال الضخمة والوقت والجهود التي بذلت في ذلك الاتجاه ، لوسخر كل ذلك في تثبيت دعائم الحكم الإسلامي والدعوة إلى الإسلام على بصيرة والحكمة والموعظة الحسنة والإنفاق لتأليف القلوب ،والاكتفاء بما كان تحت سيادة الدولة المغولية من أراضي شاسعة جدا ومترامية الأطراف ،

والعمل لرقيها لتقف على قدميها في كافة المجالات ولتكون عامل أمن واستقرار ورخاء وتقدم في الداخل،وعامل طمأنينة ومساندة وعطاء لشقيقاتها المجاورة وعامل ردع لكل من يحاول المساس بأمنها وأمن شقيقاتها من السلطنات الإسلامية المجاورة لها . صحيح أن هذه الإمارات قد ضربها الفساد ولكن كان بالإمكان مساعدتها وتقديم العون والنصح لها في جو من الثقة المتبادلة ، والعمل لدعم صمود تلك الإمارات في مواجهتها للوجود الاستعماري الأوربي الطامع في ثروات الهند بالقضاء على سلطاتها الإسلامية الهندية . وحتى الإبقاء على الوضع دون التعرض لتلك الإمارات أو تقديم العون لها ربما كان أنفع للدولة المغولية ، إذ لو شعرت تلك الإمارات بأن الدولة المغولية لاتطمع في أراضيها لتمكنت بنفسها وبإمكاناتها الذاتية أن تواجه الخطر الأوربي وفي نفس الوقت تدافع عن أمن الدولة المغولية وسلامتها في المدى البعيد . ولكن إذا شعر الشقيق بأن شقيقه الجار الكبير مصدر خطر حقيقي لبقائه ، فلا يتنبه كثيرا بالخطر الأجنبي الذي لايبدو في الغالب خطرا حقيقيا في المدى القريب أو هو خطر لايتعدى المال إلى الكيان في تقييم الأوضاع من قبل الذين يجدون سلطاتهم بين البقاء والزوال فيصممون لدفع الخطر القريب . وهذا ما كان يسود العلاقة بين الإمارات الإسلامية الدكنية والدولة المغولية منذ أن أصبحت الأخيرة جارة لتلك الإمارات وقضت على واحدة منها في عصر السلطان أكبر الأول (٩٦٣ - ١٠١٤ هـ / ١٥٥٦ - ١٦٠٥ م). وعلى الرغم من أن السلطان أورنكَزيب تمكن بعد حروب دامية طويلة مكلفة من بسط سيطرة الدولة في الجنوب الهندي ، إلا أن هذه السيطرة كانت سيطرة هشة غير مستقرة،ومن هنا نرى أن الجنوب الهندي كان في مقدمة الأقاليم الهندية التي انفصلت عمليا عن السلطة المركزية في دهلي ، بالإضافة إلى أن بدايات التنافس

الاستعمارى الأوربي المسلح كانت في تلك المنطقة وعلى حساب سلطاتها الوطنية وهيبة الدولة المغولية بعد أن أصبحت تلك المناطق جزءا من أراضيها . كما أن انشغال أورنگزيب الطويل في أحداث الدكن الطويلة المستنزفة لم يهتز اقتصاديات الدولة فحسب ، بل جعل قبضة الدولة تتراخى في بعض ولاياتها النائية كما نراها في ولاية كابل التي أصبحت فيما بعد أول ماينفصل عن دهلي رسميا وعمليا .

لم تشهد الدولة المغولية الإسلامية في الهند الاستقرار بعد أورنگزيب الذي أعقبت عصره سلسلة من الحروب العائلية بين أفراد الأسرة الحاكمة اشتركت فيها قوات الدولة وأقاليمها في صف هذا أو ذاك . وبلغ عدم الاستقرار هذا ذروته عندما نرى أنه في سنة واحدة فقط ارتقى إلى العرش أكثر من ثلاثة سلاطين، وكان من إحدى نتائج هذا الوضع بروز الوزراء المتغلبين الذين كانوا يشكلون العقل المدبر لإيصال سلطانهم المفضل على العرش وبالتالي كانوا يتمتعون بالنفوذ الفعلي فيما تبقى من سلطات الدولة ، ولم يكن أمام السلطان الا الخضوع لوزيره أو قبول مخاطر العزل أو القتل . ومع الأسف لم يوجد بين هؤلاء الوزراء من تمكن من إعادة الأوضاع إلى حالتها الطبيعية ، أو قل إن تحمل مسئولية إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليها كان أكبر منهم ومن إمكانياتهم ، ومن هنا بدأت أقاليم الدولة تنفصل عن العاصمة بعد أن عجزت بعضها عن إيصال سلطانها المفضل إلى العرش في العاصمة ، أو رأت أن الوزير المتغلب لايمثلها . ونتج عن هذا أن الذي واجه الاستعمار الأوربي في مرحلة التفكك ، هو الولاية الدولة التي أفرزها ذلك التفكك . ولم يحدث أن أحرز الاستعمار الإنجليزي أو غيره أي انتصار عسكري

عندما كانت المواجهة بينه وبين الدولة المغولية المركزية الموحدة ، إذ كانت النجدات تصل لدعم أي ولاية أو منطقة تتعرض لهجوم استعماري أوربي ، وهذا ما لم يتيسر في ظل التفكك والانفصال .

لاشك أن الانفصال كان له دوره في إضعاف سلطة المسلمين وتسهيل مهمة الاستعمار الإنجليزي في السيطرة وبسط السيادة ، إلا أن ذلك الانفصال كان نتيجة لاضمحلال السلطة المركزية التي كانت له عوامله المختلفة ، ويمكن القول بأن مثل ذلك الانفصال قد فرض نفسه في مثل تلك الأوضاع وأنه كان من قبيل إنقاذ مايمكن إنقاذه .

حدث في فترات تاريخية سابقة أن تعرضت سلطة الأسر الإسلامية الهندية الحاكمة للضعف والاختلال ، ولكن كان تخلفها أسر فاتحة ومؤسسة أخرى التي كانت تأتي من أو عبر ماتعرف الآن بأفغانستان وتنقذ حكم المسلمين وتعيد إليه تماسكه وقوته . ولكن الذي حدث في هذه الفترة العصيبة من تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية أن القوة الإسلامية التي أتتها من أو عبر تلك البلاد ، لم تكن قوة منقذة مؤسسة ، بل كانت قوة غازية ناهبة ، قادها نادر شاه حاكم إيران وتابعها أحمد شاه دراني حاكم ماعرف فيما بعد بأفغانستان . إن هذه القوة الإسلامية غزت أراضي الدولة المغولية واحتلت عاصمتها وأسرت سلطانها ونهبت خزائنها وقتلت كثيرا من أنصارها واقتطعت أجزاء مهمة من أراضيها ، وقضت على ماتبقى من وسائل وإمكانات كانت بالإمكان تسخيرها في محاولة لإعادة ترتيب شئون الدولة . بالإضافة إلى أن هذه الأحداث أفادت السيخ الذين ملأوا الفراغ الذي تركه انهيار سلطة الدولة في إقليم پنجاب وأصبحوا فيما بعد

عونا لتوسع سيادة الشركة الإنجليزية على حساب السلطة الإسلامية .

كان من نتائج انفصال الأقاليم أن ظهرت هناك إمارات شبه مستقلة وأصبح الحكم فيها وراثيا بعد أن كان الحاكم فيها ينصب من قبل دهلي ، ومع الأسف فإن هذه الإمارات ابتليت أيضا بالفتن العائلية والمنازعات على السلطة ، فكانت الإمارة تتكبد خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات ، وكان المغلوب في تلك الصراعات يمد يده إلى إحدى الشركتين الاستعماريتين المتربصتين طالبا المساعدة ليطلب الفائز بسلطة الإمارة مساعدة الشركة المتنافسة ليحمي نفسه وسلطته من خطر السقوط والزوال . وفي مثل هذه الأوضاع أصبح الاختلال والتفكك الذي كانت تعانيه السلطات الوطنية ، أصبح مكشوفا أكثر لدى الاستعماريين الأوربيين مما أثار بينهم تنافسا شديدا وحروبا دامية للاستئثار بتلك التركة الضخمة التي خلفها انهيار سلطة الدولة المغولية .

كان سلاطين الدولة المغولية الأوائل يتمتعون بحماية مختلف فئات رعاياهم سواء بعقد المصاهرات أو بإشراك بعض زعماء الطوائف المختلفة في مسئوليات الحكم أو بقوة شخصياتهم ومهارة كبار رجالاتهم وقوادهم في القيام بالمسئوليات الملقاة على عواتقهم،ولكن سلاطين الدولة المتأخرين فشلوا في إرضاء أعوان الدولة القدامى ، كما فشلوا في إيجاد طبقة حاكمة جديدة مؤهلة تتحمل أعباء الحكم بكفاءة ومقدرة . بالاضافة إلى أن بعض السلاطين اتجهوا إلى حياة الترف واستكانوا للراحة وتركوا الأمور تفلت من أيديهم . كما أن عامل المصاهرة اختفى في هذا الدور حيث كان السلاطين حسب ما تذكره بعض المصادر يولدون من بطون نسوة يجهلن أنسابهن . ومعنى هذا أن الدولة لم تكن تتمتع بحماية عصبية تضحى

من أجلها ، خاصة وأن الحكام لم يقوموا بواجبهم تجاه الدعوة الإسلامية خير قيام ، فبقى المسلمون في شبه القارة الهندية في أقلية على الرغم من أنهم حكموه قرونا عديدة . وطبيعي أن دولة لاتستند إلى دعوة أو عصبية ، تكون عرضة للمخاطر والضياع في مثل ذلك المجتمع وتلك الأوضاع . ولقد اهتم الحكام للجباية أكثر من اهتمامهم لأمر الدعوة ، فكانت النتيجة أن زلزلت عروشهم بعد أن خويت خزائنهم . كما أن العقيدة الإسلامية الصحيحة لم تترسخ في نفوس غالبية المسلمين الهنود ، فلم ينتبهوا إلى مسئولياتهم ولا إلى المخاطر التي كانت تهدد مستقبلهم ومصيرهم . كما أن انقطاع إيرادات الدولة كان له الأثر المدمر القاتل لكل أمل في إحياء سلطة الدولة في مجتمع يضع فيه المحاربون أنفسهم في خدمة من يدفع أكثر .

تلك الأوضاع المأساوية الفوضوية كانت تبحث عن قوة منظمة جيدة التدريب والتسليح ، وكانت هذه القوة هي شركة الهند الشرقية الانجليزية ، خاصة بعد أن تمكنت من إقصاء منافستها الفرنسية عن الساحة الهندية . ومع ذلك احتاجت الشركة الإنجليزية لحوالي قرن من الزمان لتبسط سيادتها وتحكم سيطرتها على الهند ، مستخدمة في ذلك وسائل مختلفة من قهر وسياسة وخداع واتفاقيات وتعليم وتنصير ، ومسخرة في عمليات الفتح والاستعمار ما وفرته لها الثورة الصناعية مستغلة في ذلك ثروات الهند وقواها البشرية ، ومستغلة كذلك سذاجة معظم حكام الهند وطيب الهنود .

كان التصدي لتقدم النفوذ الفرنسي عاملا مهما في تنشيط السياسة الإلحاقية من قبل الشركة الإنجليزية منذ عهد الحاكم العام ولزلي Wellsely

(١٢١٢ - ١٢١٩ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠٥ م) إذ شعر أن انتهاج السياسة المتحفظة تجاه التدخل في شئون الإمارات الوطنية المتصارعة تؤدي إلى تقدم النفوذ الفرنسي خاصة بعد أن تولى نابليون حكم فرنسا ولم يخف نواياه في طرد الإنجليز من الهند، وكان أن حول ولزلى شركته إلى القوة العسكرية الأقوى في الهند ، واتخذ سياسة الإلحاق Annexation تجاه الإمارات الصغيرة . وفيما يتعلق بالإمارات الكبيرة فقد كون ولزلى معهم حلفا سمى بالحلف التعاوني ، وكل إمارة دخلت في الحلف فقدت استقلالها السياسي وأصبحت محمية إنجليزية ، وكانت النتيجة لاتختلف عن الإلحاق والضم المباشر ، بل كانت الشركة تكسب ماتهدف إليه دون تحمل خسائر بشرية ومادية .

كانت الفوضى وفقدان الأمن والاستقرار السياسي قد ساعد الشركة في نجاح سياسته تلك ، وبتطبيق ذلك النظام زادت موارد الشركة ، إذ كانت الإمارات التي قبلت به تتكفل النفقات العسكرية أو تتنازل عن أجزاء من أراضيها لتتمتع بحماية الإنجليز .

مكن الحلف التعاوني الشركة الإنجليزية من إبعاد الحروب عن حدود ممتلكاتها ، إذ جعل من الإمارات التي دخلت الحلف حاجزا ضد امتداد المعارك إلى الأراضي التي تخضع لسيادة الشركة المباشرة . وتمكنت الشركة الإنجليزية بواسطة الحلف التعاوني من القضاء نهائيا على النفوذ الفرنسي ، خاصة بعد القضاء على السلطان تيبو الذي رفض الدخول في الحلف ، إذ كان على الخلفاء أن لايسمحوا بإقامة أوربيين من غير الإنجليز على أراضيهم .

تاجرت الشركة الإنجليزية في العروش والحكام إلى جانب ابتزازها لثروات

الهند ، وقد سنت قانونا ألحقت بموجبه أراضي كل إمارة وطنية يموت حاكمها دون أن يخلف وارثا ذكرا ، ولكن الشركة لم تلتزم حتى بقانونها هذا إذ أقدمت إلى ضم كل إمارة إلى ممتلكاتها كلما شعرت أنه لم يعد بقاؤها ينفعها في شيء .

كان للسكك الحديدية والسفن البخارية والاتصالات البرقية دور كبير في إحكام سيطرة الشركة على الهند والقضاء على كل حركة مناوئة لها ، ومعلوم أن تلك الوسائل توفرت للشركة بفضل الثورة الصناعية التي جاءت على حساب ثروات الهند ورخاء شعبها ، سواء في نشأتها أو في نموها وتطورها وتنوع مجالاتها وانعكاساتها .

استخدمت الشركة التنصير والتعليم ضمن وسائلها في إحكام سيطرتها على الهند ، وأصبح المتخرجون من المدارس الإنجليزية والمنبهرون بثقافتها والممجدون للاستعمار الإنجليزي والمتأثرون بالنشاطات التنصيرية ، أداة فعالة لخدمة أهداف الشركة وتطبيق قوانينها وبرامجها ، وفقد من جراء ذلك عشرات الألوف من الموظفين والمدرسين-الذين كانت ثقافتهم إسلامية فارسية - وظائفهم وكان الهندوكيون المثقفون بالتعليم الإنجليزي الموجه يشكلون العمود الفقري في تنفيذ مخططات الشركة .

كانت الثورة الهندية في ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م رد فعل غاضب على سيطرة شركة الهند الشرقية الإنجليزية على الهند والوسائل التي استخدمتها والسياسات الابتزازية والاضطهادية والاستفزازية والاستهتارية التي اتبعتها ، وكانت لهذه الثورة دوافعها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والنفسية ، كما كان للمسلمين عموما ولعلمائهم خصوصا دور بارز في تأجيج العواطف ضد الإنجليز

ومخططاتهم الاستعمارية التي استهدفت الحيلولة دون استعادة المسلمين السيادة في شبه القارة الهندية الموحد .

سبقت ثورة السپاهي هذه ثورات وردود فعل هنا وهناك استخدمت العنف ضد الوجود الإنجليزي والمتعاونين معه ، إلا أن تلك المحاولات قمعت بعنف أكثر بواسطة الإنجليز والسپاهي القوات الهندية الوطنية المدربة تحت إشراف إنجليزي والعاملة تحت إمرة الضباط الانجليز . ولقد تركت الممارسات القمعية التي ارتكبها السپاهي ضد المعارضين آثارا نفسية انهزامية لدى الهنود وجعلهم يتحملون حياة البؤس ويتخوفون من بطش قوات الشركة الإنجليزية ، إلا أن السپاهي الذي أرعب الهنود هو الذي قام هذه المرة بالثورة مما كسر حاجز الخوف لدى الأهالي الذين اشتركوا في الثورة بفعالية ما أمكنهم ذلك ، على الرغم من أن هذه المشاركة كانت مشاركة ارتجالية تعبيرا عن عاطفة الكراهية والسخط ضد الاستعمار الإنجليزي وسيطرته على جميع شئونهم .

إن نفاد صبر الهنود تجاه مظالم الإنجليز وسياساتهم الاستهتارية ضد عقائد أهل الهند ، لم يمكن الحركة المناهضة للاستعمار الإنجليزي من النضج السياسي وتكوين قيادة واعية تمهد للثورة وتعدلها إعدادا شاملا وتقودها إلى بر الأمان في الوقت المناسب .

من طبيعة الثورات الارتجالية الفجائية أن تبحث عن قيادتها في بقايا السلطات القديمة إلى أن تتمكن من تنظيم نفسها والتعرف لمن هو أهل لقيادتها وهذا ما حدث فعلا في الثورة الهندية حيث اختار الثوار السلطان الكهل بهادر شاه الثاني قائدا لهم ، الا أنه لم تتح للثورة أن تجتاز مرحلة اختيار

القيادة الاضطرارية إلى مرحلة اختيار القيادة المؤهلة الشجاعة المطاعة والمسيطرة على الأوضاع .

أقلقت الثورة الهندية الإنجليز ، وكان قلقهم على مستقبلهم الاستعماري في الهند في موضعه ، خاصة في الفترة التي قطعت فيها الاتصالات بين المدن الثائرة وبين كلكته عاصمة حكومة الشركة ، وأن نجاح الثوار في الاستيلاء السريع على دهلي عاصمة الدولة المغولية بقدر ما كان مشجعا للثورة في سائر المدن والأقاليم الهندية بقدر ما كان مؤلما ومقلقا للإنجليز الذين خشوا أن تفلت الأمور من أيديهم فتعم الثورة بنفس الحماس والشدة سائر البلاد الهندية المتزامية الأطراف وتضيع من أيديهم المستعمرة التي عملوا للسيطرة عليها لأكثر من قرنين ، ومن هنا بذلوا كل ما في وسعهم لحصر الثورة في أضيق حدود جغرافية ممكنة ونجحوا في ذلك .

اشترك في أعمال الثورة من جميع فئات الهنود وطوائفهم ، إلا أن معظم زعمائها كان من المسلمين الذين فقدوا السيادة في الهند وكانوا يعتبرون الانجليز سببا في ذلك . وكان في مشاركة الهندوس وخاصة مشاركة المرهته ممثلين في زعيمهم نانا صاحب خير دلالة على عدالة حكم المسلمين وخاصة في عهد الدولة المغولية ، حيث كان الثوار يهدفون إلى إنعاش الدولة المغولية وعلى رأسها سلطانها بهادر شاه الثاني ، وكان المرهته من عناصر الهدم المهمة في اضمحلال الدولة المغولية ، ومع ذلك طالبوا بإحياء الدولة المغولية بعد أن استذكروا أيامها وأعمالها ووجدوها أعدل بكثير مقارنة بدولة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، وذلك على الرغم من أن الشركة كانت تتودد الى الهندوكيين وترجح كفتهم على المسلمين .

إن ثورة تقوم من غير إعداد وتخطيط ودون قيادة مؤهلة تقودها في دور الإعداد ودور التنفيذ ، وتستند في الغالب على تأجيج العواطف فقط ، لايستغرب أن تفشل أمام جهاز منظم ،مجرب في الإيقاع بين مختلف فئات الناس خاصة في مجتمع مليء بالتناقضات والحساسيات • وهكذا كان حال الثورة الهندية ومصيرها حيث تمكن الإنجليز في النهاية من القضاء عليها بالتدبير والخداع والإيقاع والمثابرة والتفوق في التدريب والتنظيم والتسليح • وساعدتهم في ذلك النفسية الانهزامية التي ترسخت لدى كثير من الهنود نتيجة ما لقوه من بطش وقهر وقمع وإرعاب،خلال مراحل توسيع الشركة سيادتها وبسط سيطرتها على الهند •

استخدم الإنجليز كل وسيلة وحيلة للقضاء على الثورة ، واتخذوا من أجل ذلك خطوات عملية مدروسة ، إذ قاموا بعزل المناطق الثائرة عن باقي الأقاليم والمدن الهندية ، وذلك للحيلولة دون انتشار الثورة في جميع أرجاء الهند من جهة ولقطع طرق الاتصال وتلقي الإمدادات أمام الثوار من جهة أخرى • وفي نفس الوقت نزعوا السلاح من الجنود الوطنيين إلا في الحدود الضيقة التي لاتخشى منها وركزوا اعتمادهم الأساسي على الجنود الأوربيين ، خاصة فيما يتعلق بسلاح المدفعية وان نجاح الانجليز في هذا الإجراء لم يتح للسپاهي في كثير من المناطق أن يقوموا بما قام به زملاؤهم في ميروت ودهلي ولكنهو وغيرها ويتبعهم في ذلك الأهالي كما فعلوا في المناطق المشار إليها •

قبل الهجوم المضاد راهنت شركة الهند الشرقية الإنجليزية على عامل الوقت لتخفيف حماس الثوار وتضييق الخناق عليهم حتى يستهلكوا كميات كبيرة من الذخائر والمؤن الموجودة لديهم دون أن يعوضوها • وفي نفس الوقت بذلت الشركة

أقصى جهودها في الإعداد العسكري واستدعاء القوات الأوربية والموالية بما في ذلك استدعاء القوات من إنجلترا نفسها وحشدها في المواقع القريبة من المناطق الثائرة .

كان للسكك الحديدية والسفن البخارية والاتصالات البرقية دور هام في إفشال الثورة ، حيث قدمت تلك الوسائل للإنجليز خدمات كبيرة في مجال النقل والإمداد السريع والاطلاع عن مجريات الأحداث بأسرع وقت ممكن .

قامت المخابرات العسكرية الإنجليزية بنشاط متواصل في جمع المعلومات عن الثوار وأوضاعهم وإمكاناتهم ونقاط ضعفهم ، وقدمتها للسلطات المختصة لاتخاذ الخطوات الحربية المناسبة على ضوئها . كما نشطت في الإيقاع بين مختلف الطوائف المشتركة في الثورة مستخدمة في ذلك طابورها الخامس من بعض الهندوس وبعض المسلمين الذين تعاونوا مع الإنجليز .

إن معظم الإمارات الوطنية الداخلة مع الشركة الإنجليزية في نظام الحلف التعاوني وقفت إلى جانب الإنجليز أو بقيت متفرجة مما وفر للإنجليز الكثير من المال والقوات والوقت وتسخيره في القضاء على الثورة . ونتج عن هذا أن أعاد الإنجليز النظر في سياستهم الإلحاقية تجاه تلك الإمارات فأبقوها بعد أن أثبت حكامها ولاءهم للإنجليز في مثل تلك الظروف الصعبة وبعد أن رأى الإنجليز أن بقاء تلك الإمارات تفيدهم دون أن يخسروا شيئا .

ركز الإنجليز على استعداداتهم وهجومهم المضاد في استعادة السيطرة على دهلي ، وذلك نظرا لأهميتها المعنوية حيث عاصمة حكم المسلمين في الهند ولأن بقاءها في يد الثوار كان ملهما للثورة في المناطق التي لم تلحق بالثورة بعد

وكانت الاستعدادات استعدادات شاملة مدروسة مخططة ، واضعة في الاعتبار التعرف على أوضاع الثوار وروحهم القتالية وأنواع الأسلحة وكميات الذخيرة التي كانوا يملكونها ، كما استخدم الإنجليز الحرب النفسية في مواجهتهم للثوار حيث كانوا يشيعون أنباء عن تواصل الإمدادات من إنجلترا وغيرها .

على الرغم من افتقار الثوار للقيادة والتنظيم والأسلحة والذخائر والمؤن وعلى الرغم من المشاكل الجمة التي كانوا يعانونها فيما بينهم ، إلا أنهم لم يستسلموا للإرهاب الإنجليزي وتفوقه التنظيمي التسليحي بل قاوموا الهجوم الإنجليزي المضاد بشراسة وكبدوا القوات الإنجليزية خسائر فادحة خلال المعارك الشديدة التي استمرت أكثر من شهرين فقد الإنجليز خلالها مئات من قواتهم بين جنود وضباط وقادة .

قامت القوات الإنجليزية بعد انتصارها على الثوار بممارسات وحشية حيث انتهكوا الأعراض وأقاموا مذابح جماعية ضد من وقع بأيديهم من الأهالي الأبرياء وقتلوا مئات الناس مقابل كل إنجليزي قتل في أحداث الثورة ، ومن نجا تفرق في مناطق مختلفة أو هاجر إلى خارج الهند إذا تيسر له ذلك . وعلى الرغم من أن فلول الثوار استمروا في مقاومتهم المتفرقة لأشهر أخرى، إلا أن الثورة كان قد قصم ظهرها في دهلي وتأكد إنهاؤها في لكنهو .

إن الثوار سبق وأن قاموا ضد الإنجليز وأعوانهم ببعض الأعمال التي تنافي الإنسانية فلم يفرقوا بين محارب ومهادن أو بين رجل وامرأة وبين كبير وصغير إلا أن الثورة عندما تنهزم أمام جهاز حكومي منظم مسئول ، لايحق له أن يتصرف تصرفات الغوغاء الذين لايتقيدون بنظام ولا يأتمرون بتعليمات الذين يشعرون بالمسئولية .

على الرغم من أن الثورة الهندية قد فشلت في التمكين لنفسها وتحقيق أهدافها إلا أنها تركت آثارها ونتائجها المهمة في تاريخ شبه القارة الهندية في المجالات السياسية والدستورية والاجتماعية والثقافية ، كما كان لها أثرها الحاسم في تغيير السياسة البريطانية تجاه الشركة وسيطرتها على الهند ، حيث كان من أبرز نتائج الثورة إنهاء حكم الشركة وضم ممتلكاتها إلى التاج البريطاني . كما قام الانجليز بإنهاء الدولة المغولية ممثلة في سلطانها العجوز بهادر شاه الثاني الذي لم يكن له حول ولا قوة ولم يكن يتمتع بأى نوع من السلطة .

كان المسلمون يشكلون العنصر الأساسي في الثورة ومعارضة الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية ، وبالتالي كانوا الضحية الأكبر بعد فشل الثورة، حيث صب الانجليز جام غضبهم عليهم وانقضت عليهم قواتهم وقوات حلفائهم السيخ وقتلوا آلافا من الأبرياء وأحرقوا المدن والأسرى . كما استمر الإنجليز في اتباع سياسة إبعاد المسلمين عن الوظائف وخيرات البلاد ، وشجعوا الهندوس وثبتوا أقدامهم في المراكز العليا والمناصب الرفيعة ، كما فتحوا أمامهم أبواب الرخاء وميادين الرقي ، ويسروا لأبنائهم التعليم في المدارس الإنجليزية وأبقوا المسلمين في ظلمات الجهل والتخلف حتى يجردوهم من سلاح العلم والمعرفة ليمنعوا أية محاولة منهم لاسترجاع السيادة التي سلبوها منهم بمساندة من جماعات الهندوس والسيخ . وكان لهذه السياسة آثارها السيئة التي عانى منها المسلمون في الفترة التالية ومازالوا يعانون منها ، ومع ذلك يتحمل المسلمون قسطا كبيرا من مسئولية تخلفهم الذي كان للإنجليز دورهم في تعميقه ولكنه لم يبدأ بسيطرتهم على الهند .

كان من نتائج الثورة التغييرات التي أجريت في جيش الهند البريطانية حيث أقدم نائب الملكة بتشكيل جيش جديد للهند الشمالية غير جيش شركة الهند الشرقية الإنجليزية الذى هلك الكثير من عناصرها في أحداث الثورة وتفرق بعضها وطرد البعض الآخر . وفي التنظيم الجديد للجيش تقرر أن لايزيد عدد الجنود الوطنيين في أية فرقة عسكرية عن ثلاثة أضعاف الأوربيين وأن لايعهد إلى الهنود بأعمال ذات مسئولية خطرة وخاصة في سلاح المدفعية التي كانت تعتبر في ذلك الزمان سلاحا استراتيجيا .

بعد إلغاء شركة الهند الشرقية الإنجليزية وضم ممتلكاتها إلى التاج تولت الحكومة البريطانية القيام بأعمال الشركة الاستعمارية ومتابعتها في الهند وما حولها من البلاد وفي البلدان التي تقع على طريق بريطانيا إلى الهند وتحولت الهند البريطانية إلى قاعدة إمبراطورية بريطانيا الاستعمارية في الشرق . ولم يمض عقدان على إخماد الثورة حتى آخذت ملكة بريطانيا لنفسها لقب إمبراطورة الهند ، وأصبحت مصالح الإمبراطورية البريطانية الهندية عاملا مسيطرا في توجيه السياسات البريطانية في قارتي آسيا وأفريقيا ، وخاصة بالنسبة للبلدان المجاورة للهند وللبلاد والموانىء والجزر والمضايق التي كانت تقع على الطريق البحري بين بريطانيا والهند الإمبراطورية . وأصبحت الهند البريطانية درة التاج البريطاني التي رأت الحكومة البريطانية أن تكون لها قشرة واقية ، فكان أن وقعت البلدان القريبة من الهند تحت تأثير المصالح البريطانية الاستعمارية وجعلها حواجز ضد تهديد أية قوة استعمارية منافسة .

هكذا كانت العوامل والنتائج فيما يتعلق بأحداث الصراع بين الاستعمار البريطاني وحكم المسلمين في شبه القارة الهندية . ولكن يبقى عامل العوامل في كل ماحدث من وضع مأساوي للمسلمين في الهند هو أخطاء حكامهم التي تأتي في مقدمتها عدم قيامهم خير قيام بأداء واجبهم تجاه نشر وترسيخ العقيدة الإسلامية الصافية المستمدة من الكتاب والسنة . ونتيجة النتائج لذلك التهاون والتقاعس -الذي يتحمل قسطا من مسئوليته العلماء- هي أن المسلمين بقوا أُقلية رغم حكمهم الطويل في شبه القارة الهندية . وحتى هذه الأُقلية لم تهيأ لها فرصة توعيتها بالإسلام الصافي من البدع وما يطلب من المسلم القيام به تجاه ربه ونفسه وأمته وبني نوعه ومستقبل بلده ، والاهتمام بالتربية والتعليم والبحث والتحقيق والأخذ بوسائل التقدم العلمي الحضاري التي لاتتوقف عند حد معين بل تتقدم وتتطور مع تقدم الزمن وتوالي الأجيال . وان نتيجة النتائج هذه كانت العامل الحاسم فيما آلت إليه أوضاع المسلمين في شبه القارة الهندية من استضعاف ومأساة،ونجاح التحالف الصليبي الهندوكي من إقصاء المسلمين عن السيادة والريادة في شبه القارة الهندية الموحد .

إن الاستعمار الإنجليزي لم يكن له شأن في اضمحلال الدولة المغولية التي كانت قد انتهى دورها في الهند ولم يكن بالمستطاع إعادتها واحياؤها ، ولكن كان للاستعمار الدور الحاسم في الحيلولة دون استقرار الأوضاع لصالح حكم المسلمين في شبه القارة الهندية الموحد ، وكان العامل المهم في نجاح الاستعمار ذلك هو تخلف المسلمين وتفرقهم ، وأن الاستعمار لم يكن عاملا في ذلك التخلف بقدر ما كان نتيجة للتخلف والتفرق الذي عانى منه المسلمون ومازالوا يعانون منه . ونحن عندما نتكلم عن التخلف نتكلم عنه بمقاييس عالمية ، وإلا

كان المسلمون هم الأقوى والأقدر على مستوى شبه القارة الهندية ، وأثبتوا ذلك خلال القرون المتمادية التي استمر حكمهم في الهند ، وأثبتوه كذلك خلال تلك الفترة الحرجة من تاريخهم • إذ سبق أن كانت الدولة الاسلامية في الهند تتعرض للضعف الذي كان ينتهي إلى سقوط أسرة حاكمة مسلمة لتخلفها أسرة حاكمة مسلمة أخرى وتبقى الدولة إسلامية الطابع يوجهها المسلمون • وفي فترة تفكك الدولة المغولية رأينا أن أكبر قوة غير إسلامية على مستوى شبه القارة الهندية كانت هي قوة المرهته الهندوكية ، ولكنها اندحرت في پاني پت في الشمال أمام قوة إسلامية صغيرة قادها أحمد شاه دراني، كما لم تتمكن قوات المرهته بمفردها أن تزحزح قوة إسلامية صغيرة في الجنوب هي قوة إمارة ميسور الإسلامية التي تشكلت وسط أغلبية هندوكية • ولكن الذي حدث أن الاستعمار أخل بميزان القوى وسير الأوضاع بصورتها الطبيعية الاقليمية ، فكان أن تغيرت النتائج عما كانت في الأوضاع المشابهة في الفترات التاريخية السابقة، بعد أن لم تتح الفرصة لظهور أسرة حاكمة مسلمة أخرى تجمع الشمل وتعيد الأمن والاستقرار لصالح السيادة الإسلامية وعاصمتها دهلي • ومعنى هذا أنه لو تركت الأوضاع بصورتها الطبيعية في إطار إقليمي دون تدخل الاستعمار الأوربي الأقوى ماديا ، لانتهت مجريات الأحداث لصالح حكم المسلمين وقيام أسرة حاكمة مسلمة أخرى بعد أن انتهي دور الأسرة البابرية المغولية ولم يعد بالإمكان إعادتها حتى ولو لم يكن للاستعمار وجود أو نفوذ •

سلاطيـــــــن

دولة المغول الاسلامية فى الهند خلال فترة البحث (*)

١ – جلال الدين اكبر (٩٦٣ – ١٠١٤ هـ / ١٥٥٦ – ١٦٠٥ م)

٢ – نورالدين جهانگير (١٠١٤ – ١٠٣٧ هـ / ١٦٠٥ – ١٦٢٧ م)

٣ – شهاب الدين شاه جهان (١٠٣٧ – ١٠٦٩ هـ / ١٦٢٧ – ١٦٥٩ م)

٤ – محي الدين اورنگزيب . (١٠٦٩ – ١١١٨ هـ / ١٦٥٩ – ١٧٠٧ م)

٥ – قطب الدين شاه عالم بهادرشاه الاول. (١١١٩ – ١١٢٤ هـ / ١٧٠٧ – ١٧١٢ م)

٦ – فرخ سير . (١١٢٤ – ١١٣١ هـ / ١٧١٣ – ١٧١٩ م)

٧ – ناصرالدين محمد . (١١٣١ – ١١٦١ هـ / ١٧١٩ – ١٧٤٨ م)

٨ – احمد شاه . (١١٦١ – ١١٦٧ هـ / ١٧٤٨ – ١٧٥٤ م)

٩ – عزيزالدين عالمگير الثانى . (١١٦٧ – ١١٧٣ هـ / ١٧٥٤ – ١٧٥٩ م)

١٠– جلال الدين شاه عالم الثانى . (١١٧٣ – ١٢٢١ هـ / ١٧٥٩ – ١٨٠٦ م)

١١– محمد أكبر الثانى . (١١٢١ – ١٢٥٣ هـ / ١٨٠٦ – ١٨٣٧ م)

١٢– ابو المظفر بهادر شاه الثانى (١٢٥٣ – ١٢٧٥ هـ / ١٨٣٧ – ١٨٥٨ م)

(*) هذه القائمة لاتشمل ادعياء السلطنة ولا الذين لم يستقر لهم الحكم .

الحكام العامون

لشركة الهند الشرقية الانجليزية فى الهند خلال فترة البحث

١ — وارن هستنجز (*) Warren Hastings (١١٨٨ — ١١٩٩هـ/ ١٧٧٤ — ١٧٨٥ م)

جون مكفرسون John Macpherson (١١٩٩ — ١٢٠٠هـ/١٧٨٥ — ١٧٨٦ م)
كان بالنيابة

٢ — اللورد كارنوالس Cornwallis (١٢٠٠ — ١٢٠٧هـ/١٧٨٦ — ١٧٩٣ م)

٣ — السيرجون شور Sir John Shore (١٢٠٧ — ١٢١٢هـ/١٧٩٣ — ١٧٩٨ م)

٤ — ريتشارد ولزلى ويلر Richard Wellesley (١٢١٢ — ١٢١٩هـ/١٧٩٨ — ١٨٠٥ م)

٥ — اللورد كارنوالس (للمرة الثانية) (١٢٢٠ — /١٨٠٥ — مات بعد بضعة اشهر) .

٦ — السيرجون بارلو Barlow (١٢٢٠ — ١٢٢٢هـ/١٨٠٥ — ١٨٠٧ م)

٧ — اللورد منتو Minto (١٢٢٢ — ١٢٢٧هـ/١٨٠٧ — ١٨١٢ م)

٨ — المركيزهستنجز Marquess Hatings (١٢٢٧ — ١٢٣٨هـ/١٨١٢ — ١٨٢٣ م)

٩ — ايمرست Amherst (١٢٣٨ — ١٢٤٣هـ/١٨٢٣ — ١٨٢٨ م)

١٠— ويليم بنتنك William Bentinck (١٢٤٣ — ١٢٥٠هـ/١٨٢٨ — ١٨٣٥ م)

١١— اللورد اوكلند Auckland (١٢٥٢ — ١٢٥٨هـ/١٨٣٦ — ١٨٤٢ م)

١٢— اللورد النبرو Ellenborough (١٢٥٨ — ١٢٦٠هـ/١٨٤٢ — ١٨٤٤ م)

١٣— اللورد هاردنك Hardinge (١٢٦٠ — ١٢٦٤هـ/١٨٤٤ — ١٨٤٨ م)

١٤— اللورد دلهوزى Dalhousie (١٢٦٤ — ١٢٧٢هـ/١٨٤٨ — ١٨٥٦ م)

١٥— اللورد كيننك Canning (١٢٧٢ — ١٢٧٨هـ/١٨٥٦ — ١٨٦٢ م)

(*) قبل هستنجر لم يكن هناك حاكما عاما للشركة فى الهند، بل كانت الرئاسات الثلاث فى كل من بمبى ومدراس وكلكلته تقوم بشئون نفسها بنفسها .

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر العربية

مصادر عربيــــــــة

١ - المليبارى ، زين الديـــن :

تحفة المجاهديــــــــن (*)

رغم صغر حجم المخطوط الذي لايزيد عن سبع وأربعين ورقة ، الا انه مفيـــــد جدا في التعرف على بدايات مجيء البرتغاليين الى السواحل الهنديــــة ، وأعمال القرصنة التي كانوا يقومون بها .

ويركز المؤلف في رسالته هذه على بيان كفاح السامريين حكـــام كاليكوت ضد الهيمنة البرتغالية .

والمخطوط محفوظ ضمن مجموعة يهودا العربية في مكتبة جامعة برنستن بمدينة نيوجرسى الأمريكية تحت رقم ٣٩٢٠ وتوجد له نسخة مصورة تصوير ميكروفلـــم ، في مكتبة ميكروفلم التابعة لمعهد البحث العلمي واحياء التراث الاسلامـــى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تحت رقم ٥٧٥ (تاريخ وتراجم) .

٢ - التونسى ، الشيخ محمدبيرم الخامس (ت ١٣٠١هـ/١٨٨٩م) .

صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطـــار .

ج ١، القاهرة المطبعة الاعلامية ، ١٣٠٢هـ ، ج٤ ، القاهرة ، المطبعة الاعلامية ، ١٣٠٣هـ .

ابتلى المؤلف بمرض استعصى علاجه فى قطره ، فعزم للسفر بعـــد أن استخار الله واستشار الأصدقاء ، فجاب بحارا وقفارا ومدنا وأمصارا ، ويقول انه رأى بعينى البصر والبصيرة أمورا عجيبة خطيرة أحب تسجيلها حفظـــا لها من الاهمال .

وبدأ المؤلف كتابه في ذكر مشروعية السفر وفوائده مستندا فى ذلـــك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام الحكماء والأدباء . وفى الأجـــزاء الخمس من الكتاب دون المؤلف مشاهداته في رحلاته التي شملت فيماشملـــت

(*) بعد طبع الرسالة علمت أنها طبعت ونشرت فى لشبونة عام ١٨٩٨م الا انني لـــم أحصل عليها فى المكتبات فاستفدت من مخطوطها .

فرنسا وانكلترا وعددا آخر من الدول الأوربية والممالك العثمانية ،ولايكتفى المؤلف بذكر مشاهداته بل يذكر أيضا نبذة عن تاريخ كل بلد يزوره .. ويبدو من كتاباته أنه كان صاحب بصيرة نافذة ووعي جيد ومقدرة عالية في التحليل والنقد والعرض . ومانفعنا في البحث هو بعض مايذكره المؤلف في جزئي الأول والرابع من المؤلف المذكور .

٣ - الحسنى ، عبدالحى (ت ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣م) :

الهند في العهد الاسلامي :

حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م .

بدأ المؤلف كتابه ببيان جغرافية الهند وكورها وأشهر مدنها ، ثم كتب عن ظهور الاسلام بأرض الهند وتاريخ الدول الاسلامية الهندية ، منذ عهد الغزنويين حتى الثورة الهندية (١٢٧٣هـ/١٨٥٧م) ، كما ألحق بالكتاب نجل المؤلف تذييلا ، اكمالا للأحداث التاريخية حتى استقلال الهند .

٤ - لوريمر ، ج . ج .

دليل الخليج / القسم التاريخي :

ج١،ترجمة : قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر .
الدوحة ، مطابع على بن على ، بدون تاريخ .

وضع الكتاب حوالي نهاية القرن الماضي ، وظهرت الطبعة الانجليزية لقسمه التاريخي سنة ١٩١٤ اثر وفاة مؤلفه في أوائل السنة المذكورة .

قسم المؤلف القسم التاريخي من كتابه هذا الى اثنى عشر بابا ، يتناول الباب الأول منها منطقة الخليج بعامة ، وفيه تاريخ الخليج منذ ظهور البرتغاليين فيه سنة ١٥٠٧ حتى تأسيس الشركة الانجليزية للهند الشرقية سنة ١٦٠٠ ثم تاريخ الخليج من تكوين هذه الشركة الى طرد البرتغاليين من هرمز .

٥ - المهندس ، محمود فهمي (ت ١٣١١ هـ / ١٨٩٣م)

البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر :

ج ٤ ، ط ١ ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر ، ١٣١٣ هـ .

يقع الكتاب في سبعة أجزاء ، دون المؤلف فيها تاريخ العالم ودوله منذ أقدم العصور الى عصره . وكان المؤلف يقطن بجزيرة سيلان ، ويذكر أنه كان مولعا بحب مطالعة التاريخ الحديث والقديم ومكبا على مطالعة ومعرفة الحوادث والوقائع التي حصلت في العصور المختلفة ، وماحصل في ممالك العالم من النهوض والقيام ثم الاضمحلال والخفاء .

ويقسم المؤلف التاريخ في مقدمة كتابه الى قسمين ، الأول هو التاريخ الأثرى وهو ماجاءت به الكتب المقدسة السماوية والثاني تاريخ بشري وهو ماألفه الناس في حكاياتهم عن منشأ الأمم والممالك وقيامها وتقدمها واضمحلالها وسقوطها .

ويرى أن لكل أمة شبابها وكهولتها وشيخوختها ، وفي المرحلة الأخيرة من عمرها اما أن تنقرض بالكلية أو تذعن لأمة أقوى منها .

المراجع العربية والمعربة

المراجع العربية والمعربة

٦ - اباظه ، فاروق عثمان .

عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر

"١٨٣٩ - ١٩١٨ "

القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م .

٧ - ابراهيم، عبدالعزيز عبدالغني :

حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي :

" دراسة وثائقية "

الرياض، دارالمريخ للنشر ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

مؤلف الكتاب استاذ مساعد بكلية العلوم الاجتماعية ومركز البحوث في جامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية بالرياض، ويشتمل كتابه هذا على أربعة فصول وخاتمة، لقد بدأ المؤلف الفصل الاول بالنظر في نواة الشركة الانجليزية متابعا امتدادها في الهند وحيازة التجار البريطانيين على نفوذ وممتلكات في الأرض الهندية خولت لهم ادارتها .

كمايستعرض الفصل انشغال البرلمان البريطاني بمناقشة طبيعة العلاقة بين الادارة الهندية والدولة البريطانية منذ ١٧٧٢ الى ١٨٥٨م حيث تغير نظام الهند في بعض اشكاله القانونية ، بتغير وضع الهند من ممتلكات بريطانية الى مستعمرة بريطانية .

ويذكر المؤلف بعد كل فصل المراجع التي استقى منها المعلومة التاريخية ، كمايتضمن الكتاب في ملاحقه على بعض الوثائق العربية والانجليزية التي تبين الوجود البريطاني وسياساته في الخليج .

٨ - ابراهيم ، عبدالعزيز عبدالغني :

سياسة الامن لحكومة الهند في الخليج العربي :

١٢٧٥ هـ - ١٣٣٣ هـ/ ١٨٥٨ - ١٩١٤ م" دراسة وثائقية " .

٩ - ابراهيم، عبدالعزيز عبدالغنى .

علاقة ساحل عمان ببريطانيا :

" دراسة وثائقية "

الرياض، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

هذا الكتاب لايختلف عن كتاب آخر للمؤلف نشر في سنة ١٩٧٨م ببغداد بعنوان " بريطانيا وامارات الساحل العمانى " دراسة في العلاقات التعاهدية ، الآن المؤلف أضاف في كتابه الجديد الفصل الثاني عشر الذي كان يخلو منه الكتاب الأول .

١٠- أبوحاكمة ، أحمد مصطفى .

تاريخ شرقي الجزيرة العربية :

" نشأة وتطور - الكويت والبحرين "

ترجمة : محمدأمين عبدالله .

بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة ، بدون تاريخ .

١١- الأعظمى ، محمدحسن .

حقائق عن باكستان :

القاهرة، الدارالقومية للطباعةوالنشر، بدون تاريخ .

١٢- اندرسون ، ماتيو :

تاريخ القرن الثامن عشر في أوربة :

ترجمة نورالدين حاطوم .

دمشق ، دارالفكر، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م .

١٣- بانيكار ، ك ٠ م :

آسيا والسيطرة الغربية :

ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد ٠

القاهرة ، دارالمعارف ، ١٩٦٢م ٠

ان المؤلف المليباري الاصل يحاول في كتابه هذا جاهدا ان يؤرخ لعلاقات اوربا باسيا في فترة الاربعمائة والخمسين عاما التى تبدأ بوصول فاسكودي غاما البرتغالى الى كاليكوت فى ١٤٩٨م ، وتنتهى بانسحاب القوات البريطانية من الهند في ١٩٤٧ وانسحاب الاساطيل الاوربية من الصين في ١٩٤٩م ٠

١٤- البحراوي ، محمدعبداللطيف :

فتح العثمانيين عدن"وانتقال التوازن الدولى من البر الى البحر:

القاهرة ، دارالتراث ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

١٥- البشبيشى ، احمدابراهيم :

الهند خلال العصور

بدون ذكر اسم الناشر ، وبدون ذكر تاريخ النشر ومكانه ٠

١٦- البطريق ، عبدالحميد ونوار عبدالعزيز ٠

التاريخ الاوربى الحديث

القاهرة ، دارالفكر العربى ، بدون تاريخ ٠

١٧- البهى ، محمد

الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي :

ط ٦ ، بدون اسم مكان النشر ، دارالفكر ، ١٩٧٣م ٠

١٨- بيرزاده ، شريف الديـن :

نشأة باكستـــان

نقله الى العربية : عادل صلاحي .

جدة ، الدار السعودية للنشر، شوال ١٣٨٩هـ/ديسمبر ١٩٦٩م .

قسم المؤلف كتابه هذا الى ثلاثة أبواب ، ففي الباب الاول يقدم خلاصة عامة لتاريخ خمسة آلاف سنة ، كمايبين في الباب الثانى اشتقاق كلمة باكستان ، وخص الباب الثالث لتكون باكستان والذين عملوا فى تكونها متبعا فى ذلك الترتيب الزمنى قدر الامكان .

ومما أفادنا في البحث هو بعض ماتضمنه الباب الاول من مرور تاريخى موجز مفيد ، حول تغلغل النفوذ الانجليزى في الهند وزوال الدولة المغولية الاسلامية فى الهند .

١٩- جرانت ، أ.ج وتمبرلي ، هارولد .

أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩- ١٩٥٠) .

ترجمة بهاء فهمى ، مراجعة : احمد عزت عبد الكريم .

ج١ ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

المؤلفان من أساتذة التاريخ الحديث ويستعرضان في كتابهما هذا تاريخ اوربا الحديث من أواخر القرن الثامن عشر الى اواخر القرن التاسع عشر وقيام الجمهورية الفرنسية الثالثة . وقد ترجم الكتاب الى العربية من طبعته الانجليزية السادسة .

٢٠- جماعة من المستشرقيـن :

أفغانستان ، أوذ، البنجاب، بيشوا ، بيبوسلطان، حافظ رحمت خان، حيدرعلى خان بهادر، سالارجنك ، سعادت على خان، سپاهى، السند، شاه عالم ، شاه جهان .

(دائرة المعارف الاسلاميـــــة)

ج ٢، ٣، ٤، ٦، ٧، ٨، ١١، ١٢، ١٣، بيروت ، دارالمعرفة، بدون تاريخ .
لقد ذكرنا في الهوامش اسم صاحب المعلومة التي وردت في متن الرسالة.

٢١- الجمال ، حمدبن صادق :

أبوعلى المودودى "حياته وفكره العقدى "

جده، دارالمدني للطباعةوالنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

يحتوى الكتاب على أربعة فصول ، وفي المبحث الثانى من الفصـــل الاول ، ذكرالمؤلف نبذة موجزة عن الاستعمار الغربي للهند .

٢٢- حـــراز، رجـــــب :

بريطانيا وشرق أفريقية" من الاستعمارالى الاستقلال "

القاهرة، المطبعة العالمية، ١٩٧١م .

٢٣- الحسينى ،قدرة اللــــــه :

العلامة السيد" عبدالحي الحسنــــى "

مؤرخ الهند الاكبر ومن كبار مؤلفي القرن الرابع عشر الهجري .
عصره ـ حياتـــه ـ مؤلفاتـــه .
ط ١، جده ، دارالشروق ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م .

٢٤- حقـــى ، احســــــان :

باكستــان ، ماضيها وحاضرهـــــا :

بيروت ، دارالنفائس ، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م .

٢٥- حقى ، احسان :

تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية :

بيروت ، موسسة الرسالة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

يستعرض المؤلف في كتابه هذا تاريخ الهند منذ الأزمنة القديمة الى تاريخها الحديث والمعاصر .. ومع أن الكتاب يخلو من الاشارة الى المصادر والمراجع التي استقى منها المؤلف المعلومة التاريخية ، الا أنه من أدق المراجع العربية من ناحية كتابه أسماء الأشخاص والأماكن كما تنطق عند أهلها .

ولقد جعل المؤلف السياسة الانجليزية محور التاريخ الهندي الحديث منذ أن منح السلطان شاه عالم الثانى الشركة الانجليزية حق الاشراف على مالية بنغال ، وذكر أنه كانت السياسة الانكليزية قائمة على سياسة الشركة وسياسة الشركة قائمة على سياسة حكامها ، ومن هنا فتح في كتابه لكل واحد من هؤلاء الحكام فصلا تنطوى فيه حوادث الهند كلها ، وبدأ فى ذلك من وارن هستنجز Warren Hastings (١٧٧٢- ١٧٨٥) . الذى قضى فى هذا المنصب اطول فترة من الذين خلفوه مديرا للشركة اوحاكما عاما للهند .

ولقد قرأت في كتاب آخر للمؤلف (١) انه قضى في الهند ثمانى سنوات استاذا في جامعة عليكرة الاسلامية ، التى تضم اساتذة وتلاميذ من كافة ارجاء الهند، كما تجول في خلال هذه المدة في البلاد الهندية كلها وعاشر اهلها واختلط بشعوبها .. ومن هنا كانت دقته في ذكر اسماء الاماكن والاشخاص وفي تقديم المعلومة التاريخية .

---

(١) باكستان ماضيها وحاضرها ، ص ٨ - ٩ .

٢٦- الخصوصي ، بدرالدين عباس :
دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر:
ج١ ، ط ٢ ، الكويت،ذات السلاسل ، ١٩٨٤م .

٢٧- ديوزانت ، ول :
قصة الحضـــارة :
الجزء الثالث من المجلد الاول : الهند وجيرانها .
ترجمة : زكي نجيب محمود .
ط ٣ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٨م .

٢٨- راشد ، زينب عصمت :
تاريخ اوربا الحديث :
ج١ ، القاهرة ، دارالفكر العربى ، ١٩٨٦م .

٢٩- رياض ، زاهر :
استعمار افريقيا :
القاهرة ، الدارالقومية للطباعةوالنشر ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .

٣٠- زيادة ، نقولا :
قصة الاستعمار في العالم العربي :
الرياض ، منشورات الفاخرية،وبيروت ، دارالكاتب العربى، بدون تاريخ .

٣١- الساداتى ، احمد محمود:
تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها :
القاهرة ، دارالثقافةللطباعة والنشر ، ١٩٧٩م .
يتناول الكتاب بالايجاز التاريخ الاسلامى لشبه القارة الهندية وايران

وبلاد ماوراء النهر وافغانستان وتركيا .

وبالنسبة لشبه القارة الهندية ، يتناول المؤلف في القسم الاول من الكتاب موجزا لتاريخ الهند القديم ثم يبدأ بذكر الفتوحات الاسلامية في الهند ويستمر المؤلف في عرضه لتاريخ الهند الاسلامي الوسيط والحديث والمعاصر مبينا التغلغل الانجليزى في الهند وسقوط الدولة المغولية ، ومستعرضا قيام دولة باكستان وانفصال بنجلاديش منها ، كمايشير الى مشكلة كشمير، ولقد استحوذ تاريخ الدول الاسلامية في شبه القارة الهندية على اكثر من ثلث الكتاب .

٣٢– الساداتى ، احمد محمود :

تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم:

ج٢ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، رمضان ١٣٧٨هـ/مارس ١٩٥٩م .

استعرض المؤلف في هذا الجزء من كتابه تاريخ الدولة المغولية منذ عهد بابر شاه الى بهادر شاه الثاني آخر سلاطين المغول .

وفيمايتعلق بموضوع الانجليز والهند فقد أخذ المؤلف معظم معلوماته عن مرجع انجليزى هو:

History of India From the Earliest
Times to the present Day

الذى ألفه : G. A. Dunbar ونشر في لندن سنة ١٩٣٦.

ومع أن المؤلف اشار في كتابه الى مراجع فارسية ، الا ان معلوماته التاريخية تنقصه الدقة احيانا. وخاصة فيمايتعلق بكتابة اسماء الاشخاص والاماكن التى ذكرتها المصادر الفارسية كماتنطق عند اهلها .

٣٣– ستودارد ، لوثروب:

حاضر العالم الاسلامى:

المجلد الثانى، الجزء الرابع ، الطبعة الرابعة ،بيروت ، دار الفكر ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م.

مؤلف الكتاب هو الكاتب الامريكى Lothrop stoddard الذى ألف كتابه هذا فى عام ١٩٢١م ، وترجع ضخامة الكتاب الى الفصول والتعليقات والحواشى المفصلة التي كتبها الامير شكيب أرسلان . وقام بترجمة ماكتبه المؤلف الامريكي عجاج نويهض . وكل معلومة اخذت من هذا المرجع من صفحة ٢٨٧ ومابعدها تكون مماكتبه الامير شكيب أرسلان .

٣٤- سعيد، أمين :
الخليج العربي " في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة"
بيروت ، دارالكاتب العربي ، بدون تاريخ .

٣٥- سليمان ، احمدالسعيد .
تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة :
ج ٢، القاهرة، دارالمعارف ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

حرر هذا الكتاب لاولمرة المؤرخ الانجليزى ستانلي لين بول Stanley Lane-Poole وظهرت طبعته الاولى في لندن ١٨٩٣م ونقله خليل ادهم الى التركية نقلا موسعا، وكان عدد الدول التى درسها لين بول ١١٨ دولة فبلغ في كتاب أدهم ١٨١ دولة، وقد طبع النص التركى سنة ١٩٢٧ م وذكر المترجم الى اللغة العربية أحمدالسعيد سليمان التغيرات التي حدثت في العالم الاسلامي امافي فقرات وامافي فصول كاملة فارتفع بها عدد الدول الى ٢٠٨ دولة .

٣٦- شكرى، محمد فؤاد ،وأنيس ، محمد :
أوربا في العصور الحديثة :
الجزء الاول ، ط ٢ ، القاهرة، دارالجيل ، ١٩٦١م .

ان المؤلفين من أساتذة التاريخ الحديث في جامعة القاهرة ، ويبرز

مؤلفها هذا معالم التاريخ الاوربى الحديث منذ بداية عصر النهضة الادبية الفنية في أواسط القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادي الى نهاية الحوادث التي مهدت لانهيار النظام القديم وزواله من أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر، موضحا الحروب والمنازعات الدينية والسياسية فى أوربا وتكون دولها الحديثة ، ومشيرا الى التنافس الاستعماري بين انجلترا وفرنسا في العالم الجديد وفي الهند .

٣٧- شنيرب ، روبر :

تاريخ الحضارات العام" القرن التاسع عشر"

ترجمة : يوسف اسعد داغر - فريد م . داغر .

ج ٦، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٩م .

٣٨- شيال ، جمال الدين :

تاريخ دولة اباطرة المغول الاسلامية في الهند :

الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٨م .

يتضمن الكتاب فى فصوله العشر موجز تاريخ سلاطين الدولة المغولية العظام فى الهند من بابر الى اورنكزيب ، كمامهد المؤلف لكتابه بفصل تمهيدى لخص فيه المسالك التى نفذ منها الاسلام الى الهند منذ عهد الفتوحات الاسلامية حتى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادي .

٣٩- الشيخ، رأفت غنيمى .

فى تاريخ العرب الحديث :

القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٥م .

٤٠- شينى ، ل . ج

تاريخ العالم الغربي :

ترجمة : مجدالدين حفني ناصف ، مراجعة :علي ادهم.
القاهرة ، دارالنهضة العربية ، بدون تاريخ .

٤١- صبحى، حسن :

التاريخ الاوربى الحديث :

ج١ ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٢م .

٤٢- عبدالرحيم ،عبدالرحيم عبدالرحمن .

التاريخ الاوربى الحديث والمعاصر :

القاهرة ، دارالكتاب الجامعي ، بدون تاريخ .

٤٣- عبدالعال ، خليل عبدالحميد .

جوانب من التراث الهندي الاسلامي الحديث :

بدون ذكر مكان النشر، مكتبة المعارف الحديثة ، ١٩٧٩م .

٤٤- العزي ، خالد .

الخليج العربي في ماضيه وحاضره :

بغداد ، مطبعة الجاحظ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٤٥- عطية الله ، احمد .

القاموس السياسى :

ط ٣ ، القاهرة ، دارالنهضة العربية ، ١٩٦٨م .

صدرت الطبعة الاولى من الكتاب عام ١٩٤١م ، ويحتوى على تطورات
الاحداث العالمية والعربية حتى عام ١٩٦٧م .

٤٦- العقاد، صلاح .

التيارات السياسية في الخليج العربي :

القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥م .

يستعرض تاريخ منطقة الخليج العربية ، منذ اوائل القرن السادس عشر الميلادى الى الستينات من القرن الجارى .

٤٧- غنيم ، عادل حسن، وعبد الرحيم، عبد الرحمن .

تاريخ الهند الحديث :

القاهرة، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٠م .

يحتوى الكتاب على عشرة فصول ، ارخ المؤلفان من خلالها لتاريخ الهند الحديث منذ تاسيس الدولة المغولية بواسطة بابر شاه فى ٩٣٢هـ/١٥٢٦ م ، الى الحرب العالمية الثانية وتقسيم الهند الى دولتين مستقلتين الهند وباكستان .

كما تضمن الكتاب مطالب في اتجاه الاوربيين نحو الهند في العصر الحديث ودوافعهم فى هذا الاتجاه واخيرا استعمارهم للهند ، بداء بالاستعمار البرتغالى وانتهاءا بالاستعمار البريطانى .

٤٨- فيشر، هربرت .

اصول التاريخ الاوربى الحديث من النهضة الاوربية الى الثورة الفرنسية :

ترجمة : زينب عصمت راشد - احمد عبد الرحيم مصطفى .

مراجعة : احمد عزت عبد الكريم .

ط ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠م .

٤٩- فيشر، هـ . ا . ل .

تاريخ اوربا في العصر الحديث (١٧٨٩- ١٩٥٠) .

ترجمة : احمد نجيب هاشم ووضيع الضبع .

ط ٧ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦م ٠

بدأ فشر تاليف كتابه الشهير A History of Europe حوالى سنة ١٩٣٠م واتمه في سنة ١٩٣٥م ٠

والمؤلف الذي بين ايدينا هو ترجمة الجزء الذى يؤرخ للعصر الحديث بدءا بالثورة الفرنسية وانتهاءا بتاريخ اوربا الى قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ٠

ويشير المؤلف في نهاية الفصول من حين لآخر الى بعض المراجع التى يراها مهمة فى دراسة ماتناولته تلك الفصول ، وبما ان الكتاب يركز فى التاريخ الاوربى ، اشار المؤلف الى الحكم البريطانى في الهند اشارة ، عابرة موجزة ، وفي هذه الاشارة العابرة ذكر المؤلف حسنات الوجود البريطانى في الهند ، دون الاشارة من هذا المؤلف الانجليزى الى الوسائل والاساليب القمعية التي استخدمت في سبيل تثبيت الوجود الاستعمارى البريطانى هناك ٠

٥٠- فيليبس ، وندل :

<u>تاريخ عمان :</u>

ترجمة : محمد أمين عبد الله ٠

القاهرة ، مطابع سجل العرب ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م ٠

٥١- قلعجي ، قدرى ٠

<u>الخليج العربى :</u>

بيروت ، دار الكاتب العربى ، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م ٠

٥٢- كيلى ، جون ٠ ب ٠

<u>بريطانيا والخليج :</u>

(١٧٩٥ — ١٨٧٠) ٠

ترجمة : محمد امين عبد الله ـ مراجعة : عبد المنعم عامر ٠

ج١ ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، بدون تاريخ ٠

٥٣- لانجر، وليـــــام :

موسوعة تاريخ العالـــم :

ج ٤، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣م .

لقد اشترك في تحرير هذه الموسوعة ستة عشر مؤهلا ، وساعدوا لانجر أستـــاذ التاريخ الحديث في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الامريكية ، في كتابـة أجزاء معينة، ولقدكتب المطالب الخاصة بتاريخ الهند عام ١٦٠٠م جون فيربانـك وظهرت الطبعة الانجليزية الاولى من الكتاب في سنة ١٩٤٠م . ويبدو ان الترجمـة قد تمت من الطبعة الثالثة التى صدرت في ١٩٤٩م ، كما قام بالترجمة العربيـة مترجمون متخصصون في مختلف عصور التاريخ ، وأشرف عليها الدكتور محمـــد مصطفى زيادة .

ولقد صدرت الترجمة العربية للكتاب في ثمانية اجزاء ، يعالج التاريـخ البشرى حسب التسلسل الزمنى منذ عصر ماقبل التاريخ الى نهاية الحرب العالمية الثانية وقيام الامم المتحدة وعالم مابعد الحرب .

٥٤- لوبون ، غوستـــاف :

حضارات الهنـــد :

نقله الى العربية : عادل زعيتـر .

القاهرة، داراحياء الكتب العربية ، ١٣٦٧ هـ/١٩٤٨م .

ارسلت الحكومة الفرنسية لوبون على رأس بعثة آثار الى بلاد الهنـــد، وجاب المؤلف هذه البلاد طولا وعرضا ، وأسفرت بعثته عن وضعه هذا الكتاب الذى نشره في سنة ١٨٨٧م .

٥٥- لوفران ، جـــورج :

تاريخ التجارة " منذفجر التاريخ حتى العصر الحديث "

ترجمة: هاشم الحسينـى .

بيروت ، دارمكتبة الحياة (بدون ذكر سنة الطبع) .

٥٦- مايلز، س ب .
الخليج بلدانه وقبائلـــــه :

ترجمة : محمدأمين عبد اللـــه .
القاهرة، امون للتجليد والطباعة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٥٧- مجمع اللغة العربيــــــة :
المعجم الوجيـــــز :

بيروت ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م .

٥٨- مجمع اللغة الغربيـــــة :
المعجم الوسيـــــــــط :

ج ١، ط ٢ القاهرة، داراحياء التراث العربى ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٥٩- المعمرى ، احمدحمـــود:
عمان وشرقي افريقيـــــه :

ترجمـة : محمد امين عبد اللـــه .
القاهرة، مطابع سجل العرب ، ١٩٨٠م .

٦٠- المنجد فى الأعـــــلام :

ط ١٣، بيروت ، دارالمشرق، ايلول ١٩٨٤م .

٦١- المودودى ،أبوالاعلى :
نحن والحضارة الغربيـــــة :

دار الـ فكر (بدون مكان الطبع وتاريخ النشــر) .
يتضمن الكتاب العديد من المسائل والقضايا التى تهم العالم الاسلامـــــى والتى تعالج عوامل ضعفه وتخلفه ، ومن هذه الموضوعات موضوع تحت عنـــوان "انحطاط حضارة الاسلام فى الهند". ذكر فيه أن الحضارة الاسلامية لم تتمكن مـــن

أن ترسخ فى أرض الهند ، وان فاتحي الهند لم يكونوا على شىء من خصائص الفاتحين الاول ، فكانوا يعملون لجباية الخراج بدل ان يهتموا باعتناق السواد الاعظم من اهالى الهند الاسلام .

ويرى وهو محق في ذلك انه في الوقت الذى كانت سلطة المسلمين السياسية قد امتدت على الهند بكل قوتها ، كانت آثار الاسلام ضعيفة فاترة ولم تكن البيئة في هذه البلاد بيئة اسلامية خالصة .

٦٢- موسنييه ، رولان .
تاريخ الحضارات العام (القرنان السادس عشر والسابع عشر)
ج٤ ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٦م .
نقله الى العربية : يوسف أسعد داغر ، وفريدم . داغر .

٦٣- موسينيه ، رولان،لابروس (بالاشتراك مع بولوازو) :
تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر)
ج٥ ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٨م .
نقله الى العربية : يوسف اسعد داغر وفريدم . داغر .

٦٤- مؤنس ، حسين :
أطلس تاريخ الاسلام :
ط ١ ، القاهرة، الزهراء للاعلام العربى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٦٥- مؤنس ، حسين :
الشرق الاسلامي فى العصر الحديث :
ط ٢، القاهرة، مطبعة حجازى ، ١٩٣٨م .

٦٦- الندوي ، ابوالحسن على الحسنى :

من نهر كابل الى نهر اليرموك "جولة في غرب آسيا"

أنكره ، دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

الكتاب عبارة عن مشاهدات المؤلف ومحاضراته وانطباعاته واقتراحاته اثناء الجولة التي قام بها على رأس وفد من رابطة العالم الاسلامي فى عدد من الدول الآسيوية في سنة ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م ومنها افغانستان .

وتطرق المؤلف اثناء الحديث عن افغانستان الى صلات هذا البلد بالهند في ماضى الايام وفى فترة الوجود الانجليزى فى الهند ، وذلك فى نبذة عابرة كمقدمة تاريخية لموضوع حديثه .

٦٧- الندوى ، محمد اسماعيل :

تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية :

بيروت ، دار الفتح للطباعة والنشر، بدون تاريخ .

٦٨- نعنعى ، عبدالمجيد :

اوروبا في بعض الازمنة الحديثة والمعاصرة :

" ١٤٥٣ - ١٨٤٨ "

بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣م .

٦٩- النمر، عبدالمنعم :

تاريخ الاسلام فى الهند :

بدون ذكر مكان النشر، دار العهد الجديد للطباعة ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م ا

يتناول الكتاب تاريخ الهند منذ الغزو الآرى لها مشيرا الى المذاهب والمعتقدات الهندوسية واديان الهند قبل دخول الاسلام، ثم يبدأ بالفتح الاسلامى وتاريخ الدول الاسلامية في الهند، الى سقوط الدولة المغولية الاسلامية

اثر الثورة الهندية فى ١٢٧٣ هـ/ ١٨٥٧م .

وكان المؤلف قد انتدب من قبل الأزهر والمؤتمر الاسلامى للتدريس في جامعات الهند الدينية في سنة ١٩٥٦ م ، وقضى هناك اكثر من عامين واستفاد من اتصالاته بالاساتذة والطلاب ، في سبيل تأليف هذا الكتاب الذى جاء مفصلا في بيان بعض الاحداث التي شهدتها الهند فى تاريخها الحديث .

٧٠- نوار ، عبدالعزيز سليمان

تاريخ العرب الحديث :

الجزء الاول (العراق)

القاهرة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، ١٩٧٦م .

٧١- نوار، عبدالعزيز سليمان

الشعوب الاسلامية (الاتراك العثمانيون - الفرس - مسلمو الهند)

بيروت ، دارالنهضة العربية ، ١٩٧٣م .

يتناول الكتاب في أبوابه الثلاثة التاريخ الحديث للاتراك العثمانيين والفرس ومسلمى الهند .

والباب الثالث من الكتاب يشمل على موجز لتاريخ الهند الاسلامية منذ تأسيس دولة المغول حتى ظهور باكستان ، ولقد خص المؤلف فى هذا الباب فصلا خاصا للاستعمار البريطانى وسقوط دولة المغول الاسلامية في الهند.

٧٢- نهرو ، جواهر لال:

لمحات من تاريخ العالم :

نقله الى العربية : لجنة من الاساتذة الجامعيين .

ط ٢ ، بدون ذكر مكان النشر، المكتب الجامعى للطباعةوالتوزيع والنشر، اغسطس ١٩٥٧م .

٧٣- ويلسون ، سيرارنولد ت .

تاريخ الخليج:

ترجمة : محمدامين عبدالله .

القاهرة، مطابع سجل العرب، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨١م .

٧٤- يحي، جلال :

العالم الاسلامى الحديث والمعاصر :

المجلد الاول من الجزء الاول، الاسكندرية، المكتب الجامعى الحديث، ١٩٨٢م .

يستعرض المؤلف في هذا المجلد من الجزء الاول من كتابه، التطور العام لتاريخ العالم الاسلامي منذ امبراطورية جنكيز خان الى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، ويركز كثيرا على تاريخ الدولة العثمانية منذ تاسيسها حتى نهاية القرن ١٦ م .

٧٥- يحي، جلال :

معالم التاريخ الحديث :

الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧٦م .

يحتوى الكتاب على سبعة ابواب وثلاثين فصلا، عالج فيه المؤلف أهم التغييرات التى حدثت في فترة التاريخ الحديث منذ مطلع القرن السابع عشر وحتى اعلان الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ .. ولقد خصص المؤلف الباب الثالث من الكتاب، للشركات الاستعمارية والاستعمار الاوربى للعالم .

المصادر الفارسية

المخطوطـــات الفـارســية

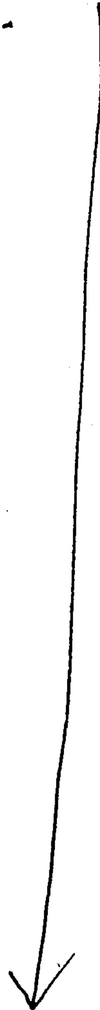
٧٦ — إبراهيم خان علي :

كلزار ابراهيـــــــــم

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم OR. 1865

لم يذكر اسم المؤلف في فهرس المتحف ، وكتب عنوان المخطوط في الورقـــة الاولى منه باسم "كلزار ابراهيم" ولكن في خانة عنوان الكتاب في الورقـــة الخاصة بالمكتبة البريطانية كتب History of Haidar Ali أي تاريخ حيدر علي وهو حاكم ميسور المسلم .

وبعد قراءة اوراق المخطوط ظهر انه يحتوى فى معظمه على تاريـــــخ حيدر على ، ولكن من الورقة ٣٦ بدأ المؤلف بذكر الحوادث المتعلقـــــة بحروب الانجليز ·وراجه جيت سنكه حاكم بنارس ، وهنا ذكر المؤلف اسمـــــه



وعرف نفسه قائلا :" انه علي ابراهيم خان أحد الموالين للشركة الانجليزية " كمايذكر في ق ٣٤ ب" انه خدم في جيش البنغال الانجليزى مع أحد كبار رجالاته لمدةسنتين " ويبدو ان السنتين هماسنتا ١١٩٥ هـ و ١١٩٦ هـ حيث وقعت فيهما المعارك بين الانجليز وراجه جيت سنكه ، في بنارس وبين الانجليز وحيدرعلى في ميسور .. مع أن الحرب بينهم وبين حيدر على بدأت قبل هذا التاريخ بكثير . الاأن الانجليز تلقوا مساعدة من جيش بنغال ويبدو ان المؤلف قد جاء الى الدكن بصحبة هذاالجيش ، وبذلك يكون شاهد عيان لبعض الحوادث التي وقعت في بنارس وفي المعارك الاخيرة بين الانجليز وبين حيدر علي في ميسور .

ويكتسب المخطوط أهمية بأنه من تاليف رجل موال للانجليز عاصر الاحداث أوشاهدها .

وعلى ضوء ماذكرناه فان مؤلف المخطوط هو علي ابراهيم خان وعنوانه "كلزار ابراهيم"نسبة الى المؤلف نفسه .(*)

٧٧- احمد خان ، سيد :

جام جم :

مخطوط فارسى محفوظ في المتحف البريطانى بلندن تحت رقم OR. 145

تم التأليف في العاشر من صفر سنة ١٢٥٥هـ/٢٤ ابريل سنة ١٨٣٩م في اوائل ايام بهادر شاه الثاني آخر سلاطين المغول ، واستغرق التأليف مدة ستة أشهر و ٢٥ يوما .

والمخطوط عبارة عن جداول تحتوى على بيان باسماء الذين تولوا حكم دهلي منذ الامير تيمور في أواخر القرن الثامن الهجرى الى بهادر شاه في منتصف القرن الثالث عشر الهجرى .. كمايبين في الجدول اسم والد الحاكم

(*) كلزار: البستان الذي يكثر فيه الورد، واعتاد بعض المؤلفين ان يسموا مؤلفاتهم بمثل هذه الاسماء .

ووالدته ان وجد، واسم قبيلته ، وتاريخ ميلاده، وتاريخ جلوسه ومحل جلوسه وعمره اثناء الجلوس ومدة حكمه ومدة عمره، وتاريخ وفاته ومحل دفنه، كما يذكر السكة التى ضربها كل واحد من السلاطين مشيرا الى ماتحتويه السكة فى الوجه والظهر .. كذلك يذكر المؤلف في الخانة الاخيرة من الجدول ، بعض الحوادث الهامة التي أدت الى سقوط سلطان أو طامع للسلطة وصعود سلطان آخر .

واشار المؤلف في الورقة الاخيرة من المخطوط الى المراجع التى اعتمد عليها في ترتيب ذلك الجدول .

كما صرح بأن جميع الاقاليم تخضع لسيطرة الشركة الانجليزية ولم يبق لسلطان المغول الا الاسم وهو يتسلم راتبه من الانجليز .

٧٨- انداس ، بهكو

تاريخ آباء وأجداد شاه جهان :

مخطوط محفوظ بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم ٤١٩٧/١١١٤ .

تم تأليف هذا المخطوط فى عام ١٠٣٨ هـ/١٦٢٨ م ، ويتضمن احوال اسلاف شاهجهان (١٠٣٧-١٠٦٩هـ/١٦٢٨-١٦٥٩ م)من الامير تيمور (٧٧١-٨٠٧/١٣٧٠ - ١٤٠٥هـ) الى عهد السلطان جهانكير (١٠١٤- ١٠٣٧هـ/١٦٠٥ - ١٦٢٨م) .

٧٩- اورنك آبادى ، لجهمن نراين شفيق .

بساط الغنائم :

مخطوط فارسى في I.O.L تحت رقم ETHE 3018

تم تأليف المخطوط في ١٩ جمادى الاخرة ١٢١٤ هـ/١٧ نوفمبر ١٧٩٩م ويحتوى على تاريخ المرهتة وبيان قبائلهم السبعين والحوادث المتعلقة بهم حتى معركة باني بت ١١٧٤/١٧٦١م .

٨٠- اورنك آبادى ، لجهمن نراين شفيق :

حقيقت هادى هندوستان :

مخطوط فارسي محفوظ في I . O . L تحت رقم ETHE 426

تم تأليف المخطوطة في غرة ذي الحجة عام ١٢٠٤هـ/اغسطس ١٧٩٠م، واخذ المؤلف معلوماته عن المذكرات التي تركها جده حول العائدات والمصاريف والمنتوجات واعداد الجند للدولة المغولية في عهودها المختلفة .

ولم يذكر المؤلف شيئا عن أحداث عصره ، ولكن مؤلفه يحتوى على معلومات مهمة حول الصعود والنزول والسقوط في عائدات الدولة ، علما بأن جد المؤلف كان يعمل في الشئون المالية .

٨١- باسط ، غلام :

توازيخ ممالك هندوستان :

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add. 27250

تم تأليف هذا المخطوط في العاشر من شهر رمضان سنة ١١٩٦ هـ/أغسطس ١٧٨٢ م ، في عهد شاه عالم الثاني (١١٧٣ - ١٢٢١ هـ/١٧٥٩ - ١٨٠٦م).

يذكر المؤلف ان أجداده قضوا قرابة ثلاثمائة سنة في خدمة حكام الهند التيموريين ، وأراد هو ايضا ان يكون واحدا منهم ، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب ضعف الدولة المغولية ، فأجبره ضيق المعيشة وتوفير لقمة العيش أن يدخل في خدمة الحكام الانجليز الذين يصفهم بالجود والسخاء وعلو الهمة وتولي عندهم مهنة التحرير .

ولقد ألف هذا الموجز بناء على طلب احد جنرالات الانجليز ، ويبدو ان الانجليز طلبوا من العديد من المثقفين ان يقوموا بكتابة التاريخ الهندى ولعل دافعهم وراء ذلك هو التعرف على نفسية الشعوب الهندية ليقوموا على ضوئه برسم الخطط لتحكيم نفوذهم وتوسعته .

ويذكر المؤلف انه في كتابته التاريخية هذه استفاد من كتب التواريخ والسير التي تركها السابقون ، اضافة الى ماسمعه من الثقات اوماتركه والده الشيخ سيف الله بجنورى الذي يقول عنه أنه توفى عن عمر ناهز المائة وخمس سنين ، بعد أن قضى عمره في خدمة سلاطين الهند .

دون المؤلف فى المخطوطة موجز تاريخ الهند منذ أقدم العصور حتى عصره ، ومع أنه يعترف بانخراطه في خدمة الانجليز الا انه يظهر في كتاباته عاطفته الاسلامية وينظر الى الاحداث كمؤرخ مسلم يتألم من انحطاط المسلمين فى الهند فهو يمدح عالمگير المعروف بالتزامه بالاسلام ويخطىء جده اكبر شاه الذى عرف بتهاونه ازاء الدعوة الاسلامية وانتشارها .

٨٢- برويت ، كستبن :

احوال بي بي جليانا :

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطانى تحت رقم Add. 14374

تدور محتويات المخطوط حول حياة بي بي جليانا ونفوذها في البلاط المغولي منذ عهد بهادر شاه الاول (١١١٩ - ١١٢٤هـ/١٧٠٧- ١٧١٢) .. وتشير مطالب المخطوط الى مدى ماوصل اليه نفوذ هذه السيدة البرتغالية النصرانية - التي كانت في الأصل ضمن الأسرى - ، في البلاط ومدى ضعف التصور الاسلامى فى البلاط حيث يطلبون من هذه السيدة بأن تطلب لهم حماية يوحنا ويتعهدون بتقديم النذور له .(*)

ويقول المؤلف بأنه كتب أحوال هذه السيدة بناءعلى طلب موسى جنتيل الذي جاء الى الهند من فرنسا في سنة ١١٦٥هـ ق في عهد السلطان احمدشاه

(*) هذا يعكس بجلاء فساد العقيدة الاسلامية فى النفوس ، فاذاكان هذا هو الحال في البلاط الملكي فكيف يكون الحال بالنسبة للعامة والدهماء .

وقضى حوالى تسع سنوات بالتجارة في بنغال ودكن ، وفي أوائل سلطنة شـــاه عالم الثاني (١١٧٣– ١٢٢١هـ/١٧٥٩ – ١٨٠٦م) اختار صحبة وزير الممالك نـــواب شجاع الدولة حاكم اوده .

ويبدو من اسم المؤلف انه هو الآخر ليس هنديا وقد يكون اوربيا مــــن أهالى فرنسا اوانجلترا .

تشير محتويات المخطوط ان بي بي جليانا كانت محافظة في نصرانيتهـــا الى أبعد الحدود ، وانها لم تكن لتترك واجبا من واجباتها الدينيـــة . ومع هذا اصبحت من صاحبات النفوذ في البلاط المغولي .

٨٣– بهشتـــــي :
آشوب هندوستـــــان :

مخطوط فارسي منظوم ، محفوظ في المتحف البريطانى بلندن تحت رقم OR. 2043
تم تحرير المخطوطة المنظومة فى يوم الخميس ١١ ربيع ثانى ١٢٦٤هـ/١٦ من مـــارس سنة ١٨٤٨ م .

كان المؤلف من الموالين لمحمدمراد بخش أحد ابناء شاهجهان المتنازعين على عرش أبيهم ، وكان هو شاهد عيان للحروب الاهلية التى وقعت بيـــن هؤلاء الاخوة والتى أدت الى ضعف الدولة المغولية بشريا وماليا ووصــــف المؤلف هذه الحوادث بفتنة الهند التى لاتخمد نارها الى يوم الحشـــر .. ويذكر ان فردوسى صرف ثلاثين سنة من عمرة فى كتابة شاهنامة ودون فيها المعارك التى لم يراها ، ولكنه رأى بعينيه المعارك التي دارت بين ابناءشاجهـــان ويعتقد انه حتى الاساطير لاتذكر مثل هذه الحروب حتى بين الامبراطوريات (*) .

(*) ق ٤ أ: من اين رزمهارا همه ديده ام
زكس همجو افسانه نشنيـــده ام
جوبيكار اولاد شاه جهـــان
نيايـــد به كيتى زشاهنشهـــان

٨٤- جند، لالـه سيـل :

تفريح العمـارات :

مخطوط فارسى محفوظ بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم ١٠٣٠/٤٠٨٢ .

لايحمل هذا المخطوط تاريخا لتأليفه اونسخه الان محتوياته تشير بان المؤلف كان يعيش في عهد سيطرة شركة الهند الشرقية الانجليزية ، ولقد قدم مؤلفه هذا للتعريف بالعمارات والمبانىء التى بناها السلطان (اكبر شاه) اوامراؤه في مدينة آكره ، الاانه يشير ايضا الى أحوال المدينة واسواقها في ذلك العصر وتردد الافرنج في هذه الاسواق .

٨٥- حزين ، شيخ محمدعلـي :

تذكرة شيخ محمدعلى حزيـن :

مخطوط فارسى محفوظ فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add. 14374

كتب المؤلف هذه التذكرة في أواخر سنة ١١٥٤هق/١٧٤٢م في دهلى دونفيها ترجمة لحياته وحياة اجداده ومشاهداته من رحلاته المتكررة الكثيرة فى المدن الايرانية والعراقية واليمن والحجاز واخيرا الهند حيث وصل اليها وقدناهز عمره الثمانين .

والمؤلف رحال دارس ومدرس ، ويذكر انه ألف كتبا ورسائل كثيرة في مختلف مجالات المعرفة ، كمايذكر اسماء شيوخه الذين تلقى منهم العلم والمعرفة في البلدان المختلفة . ويذكر ايضا انه جلس فى صحبة علماء النصارى واليهود والصائبة ليتعرف عليهم ويدحض مايعتقدون .. ولقداكتسبته رحلاته المتعددة المتكررة معرفة بأحوال شعوب زمانه وطبائعهم ، ورأى الافرنج في أسفاره البحرية داخل السفن وذكر انهم مخلصون ومجدون ومتقنون ومنظمون فى أعمالهم ، كمارأى ان شئونهم بيد أكفائهم .

ولاحظ ان العالم الاسلامى فى عهده كان يعانى من فقدان القيادات الواعية المتفهمة الاكفاء ، وذكر ان حكام الشعوب المسلمة الذين تعرف عليهم هم

أسوأ الناس في هذه الشعوب وان سفهاءهم علماؤهم وجهلاءهم إمراؤهم (١).

ويقدم المؤلف معلومات تاريخية قيمة فيمايتعلق بالفترة الاخيرة من حكم الصفويين في ايران ، وهجوم الافغان والعثمانيين والروس على اراضي الدولة الصوفية ، وكذلك هجوم نادر شاه على الهند ودوافعه وتكتسب هذه المعلومات اهمية بأن المؤلف يكتب عن هذه الحوادث كشاهد عيان، اضافة الىأنه كان يتمتع بثقافة ومعرفة عالية . ويذكر انه ترك عدة دواوين فى الشعر باللغة الفارسية ، ووقف كل حياته للتزودبالعلم والمعرفة،كماذكر انه امتنع عن الزواج لكي لايكون عائقا فى سبيل طموحاته ورحلاته .. ويبدو من مذكراته انه لم يكن في الغالب يقضى اكثرمن سنة فى منطقةواحدة .

٨٦- حسام الدين ، منشى :

شرح أحوال مرهتهدرزمان سابق وحال برسبيل اجمال :

مخطوط فارسى محفوظ في المتحف البريطانى بلندن تحت رقم Add. 26275 لاتحمل المخطوطة في أوراقها اى تاريخ للتاليف اوالنسخ، وحتى انها لاتشير الى أى سنة ، أوشهر فيمايتعلق بالحوادث التى أرخت لها ، ولكنه مع هذا يعرف من سياق المحتويات ان المؤلف كان يعيش فى أيامشاه عالم الثاني (١١٧٣- ١٢٢١هـ /١٧٥٩- ١٨٠٦م) وهي فترة وصلت فيها الدولة المغولية الى أقصى ضعفها ، كمابدأت الشركة بتدخلاتها السافرة في الشئون الهندية .

كمايبدو من محتويات المخطوطة ان المؤلف كان شاهدا لبعض الاحداث أوسمع عمن شهدوا الاحداث ... وتقدم المخطوطة على الرغم من اختصارهامعلومات قيمةفى التعريف بالمرهته ومشخصاتهم ، ومنها انهم كانوا يحبون النظام ويرفضون الغدر في التعامل مع بعضهم البعض ، وانهم كانوا يطيعون البيشوا دون تردد او اعتراض .

---

(١) ق ٦٩ أ .

وتشير المخطوطة ايضا ان الانجليز تدخلوا في شئون هذه الطائفة وساعدوا بعضهم ضد البعض .

٨٧- الخوافى ، عبدالرزاق الحسيني :
مآثر الامراء :

مخطوط فارسي في I . O . L تحت رقم ETHE 622
صرف المؤلف مدة خمسة اعوام في تاليف هذه المخطوطة ثم قتل، واكمل ماتبقى من موضوعاتها صديق المؤلف غلام على آزاد .

وتتناول المخطوطة تراجم لوزراء الدولة المغولية وامرائها وكبار رجالاتها منذ عهد السلطان اكبر الاول (٩٦٣-١٠١٤هـ/١٥٥٦- ١٦٠٥م)، الى سنة تاليف المخطوطة (١١١٥هـ /١٧٤٩م) .

٨٨- خوشدل ، امر سنكه :
بزم خيال :

مخطوط فارسي منظوم ، محفوظ في المتحف البريطانى تحت رقم OR. 1751
تم تاليف هذه المنظومة في سنة ١٢١١ هـ ، وكان مؤلفها يعيش في مدينة بنارس موظفا لدى حاكمها المدنى الانجليزى الكذندر دلكين الذي توفى فى سنة ١٢١٠ هـ وبوفاته فقد المؤلف وظيفته ، فاتجه الى قراءة الكتب التاريخية للتسلية وقضاء الوقت ، وبمرور الايام عزم أن يستفيد من قراءاته هذه ويقوم بتدوين كتاب تاريخى للهند، خاصة أنه وقع بيديه اوراق تتحدث عن المعارك التي وقعت بين الانجليز وسلطنة الميسور الاسلامية بقيادة السلطان تيبو .

سجل المؤلف في منظومته بلغة فارسية فصيحة ، موجزا لتاريخ الهند الاسلامي خلال ألف سنة مضت ، ولكن من المؤسف ان المنظومة بكاملها غير موجودة فى هذه المخطوطة التي تحتوى على منتخبات من مخطوطات عدة ، وتقع المطالب الخاصة بهذه المخطوطة المنظومة ضمن تلك المجموعة من الورقة ٣٤ أ الى الورقة ٥٧ أ ، ومع هذا النقص الكبير في المخطوطة هذه ، الا انها مهمة ، اذ يقدم لنا وصفا موجزا غن فترة مهمة من تاريخ الشركة الانجليزية

فى الهند وهي الفترة التي تولي فيها حكم الشركة الحاكم العام وارن ـ هستنجز في عهد شاه عالم الثاني (١١٧٣– ١٢٢١هـ/١٧٥٩– ١٨٠٦م) .

تزداد اهمية محتويات هذا الجزء من المخطوطة بانها من تأليف رجل عاش مع الانجليز وعايش الاحداث التى يؤرخ لها ، ومع اكباره للانجليز ومباهاته من الخدمة فى صفوفهم ، الا أن المؤلف يقدم لنا بوضوح انه كيف كان الجشع الانجليزى لم يكن يعرف حدا في سبيل اثراء الشركة بنهب الهند والهنود .

٨٩– داس ، كنيش :

رسالة صاحب نما :

مخطوط فارسي فى المتحف البريطاني تحت رقم . OR. 1693

تدور محتويات المخطوط حول موجز لتاريخ بنجاب ، منذ العهود القديمة الى عهد حاكم بنجاب السيخي رنجيت سنكه . Runjeet Singh.
حيث كان المؤلف يعيش في عمره .

٩٠– سكند ، جيمز : Skinner, James

تذكرة الامراء :

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم Add. 27254
كتب المخطوط بخط فارسي جميل وبعبارة سلسة ، وبداية المخطوط مزخرفة ومذهبة وتم تأليفه فى ١٢٤٥/١٢/١٩ هـ /١٨٣٠/٦/١٠م .

يذكر المؤلف بانه أحب قراءة التواريخ وقام بتأليف هذا الكتاب في احوال الراجوات والامراء وخانات هندوستان وبناء بعض المدن والامكنة التي لم يتم ذكرها بواسطة المؤرخين السابقين ، ويضيف بانه قام فى هذا السبيل بالبحث والتحقيق والاجتهاد .

ويذكر المؤلف اسمه بانه " كرنيل جمس اسكنر" مما يشير بانه كان من العسكريين الانجليز حيث أن " كرنيل " احد الترتب العسكرية .

كما يذكر المؤلف بانه قام بهذا التأليف ليكون كاشفا لاحوال الوضع

والشريف واهل المدينة والريف ، ويكون الحكام والفاتحين بذلك على علم وبصيرة بأحوال الناس ويعملوا في ضوئه لماهوخير وصلاح وزفاه وفلاح .

وقديكون المؤلف قد كلف بهذا العمل في اطار التعرف على الهند وأهلها وطبقاتها والاسر الحاكمة فيها من أجل الخطط المستقبلية.. وبما انه يركز على تاريخ الراجوات الهندوكيين ، فقديكون القصد اثارة الضغائن ضدالمسلمين ايضا، كمايذكر قصصا اسطورية وخرافية، وقد يكون القصد منها اشاعة الاتكال بين الهنود وعدم الاخذ بالاسباب .

وفى نهاية ذكر أحوال كل اسرة هندوكية حاكمة ، يذكر حدود امارة كل راجة ومساحتها وعدد قواتها ، كمايذكر اجمالى الدخل السنوى لها كمايحوى المخطوط علىصورة الراجه حاكم كل امارة هندوكية اثناء تأليف المخطوط .

يلاحظ ان المؤلف متعاطف بل منحاز للانجليز ، وهذا ليس بغريب من رجل انكليزى يبدو من تقديمه لنفسه -في المقدمة أنه من العسكريين .. ويلاحظ أيضا ان كتاباته تحمل اثارةللهندوكيين والسيخ ضد المسلمين حيث يوحي للقارىء بان المسلمين كانوا غاصبين وظالمين ، فى حين لايشير الى غدر الانجليز واضطهادهم للهنود، بل يذكر الانجليز بكل اجلال وتعظيم .

ولقد أرخ المؤلف كمايصرح في مقدمته للراجوات والامراء الغير مشهورين والذين برزوا فى الساحة نتيجة الفوضى السائدة فى البلاد وظهور ملوك الطوائف وقد أرخ المؤلف في هذا الاطار لسبعة وثلاثين اميرا محليا بين هندوكي وسيخي ومسلم .

٩١- سنكه ، هرنام :
تاريخ سعادت جاويد :

مخطوط فارسى محفوظ فى المتحف البريطانى تحت رقم OR. 1820
يتناول المخطوط خلاصة لتاريخ الهند القديم وتاريخ الهند الاسلامى منذ عهد السلطان محمود الغزنوبي (٣٨٧- ٤٢١هـ/٩٩٧- ١٠٣٠م) الى عهد السلطان

شاه عالم الثانى (١١٧٣- ١٢٢١ هـ/١٧٥٩- ١٨٠٦م) حيث كان يعيش المؤلف فى هذا العصر ، وكتب مؤلفه هذا بين أعوام ١٢١٩، ١٢٢٩ هـ/١٨٠٦و ١٨١٤م .

كمايتناول في فصله الثالث تاريخ حكم بعض الاقاليم الهندية .

٩٢ - عالى ، نعمت خان :

تاريخ شاه عالم بهادر شاه :

مخطوط فارسى في المتحف البريطانى تحت رقم OR. 1655

كان المؤلف من مؤرخى السلطان بهادر شاه الاول (١١١٩- ١١٢٤هـ/١٧٠٧- ١٧١٢م) . ويتناول مؤلفه هذا الحوادث التى وقعت في السنة الاولى من حكم بهادر شاه والمعارك التى جرت بينه وبين اخوته على وراثة العرش .

٩٣- عبدالكريم ، مولوى :

زبدة التواريخ :

مخطوط فارسس محفوظ في مكتبة جامعة بنجاب بلاهور، تحت رقم ٣٧٤٧/٧١٤ .

عاش المؤلف في أواخر القرن الثاني عشر الهجرى ومؤلفه هذا عبارة عن موجز لتاريخ سلاطين دهلي .

٩٤- عبدالله خان ، محمد :

تذكرة فى سير آكره :

مخطوط فارسى محفوظ في مكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم ٣٨٤٦/٨١٣ .

تم تأليف هذا المخطوط فى ذي الحجة عام ١٢٧٧هـ/١٨٦١م ويحتوى على موجز احوال سلاطين المغول منذ بابر شاه الى بهادر شاه ، كماتحدث المؤلف عن جوانب من تاريخ الهند فى عهد السيطرة الانجليزية التيكان يعايشها .

٩٥ - عبرت ، سيدمحمدقاسم :

عبرت نامه :

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطانى بلندن تحت رقم OR. 1935

تتناول محتويات المخطوط فترة من تاريخ دولة المغول في الهند منذ وفاة عالمكير الاول فى ١١١٨ هـ /١٧٠٧ هـ الى سنة ١٢٣٣ هـ في أوائل حكم ناصر الدين محمدشاه (١١٣١ هـ ١١٦١هـ /١٧١٩ — ١٧٤٨م) .
فى هذه الفترة القصيرة شهد عرش دهلى اكثر من ثمانية سلاطين ، وكان المؤلف يعيش في هذه الفترة شهد كثيرا من الاحداث التي يؤرخ لها .

في فترة حكم فرخ سير أصبحت السلطة الحقيقية في الدولة بيد السادات وعلى رأسهم الوزير قطب الملك سيدعبدالله خان وأخيه امير- الامراء ويخشى الممالك سيدحسين علي خان ، ونظرا لكثرة صعود ونزول السلاطين بالقتل اوالوفاة ، اصبح شائعا أن هذين الاخوين يتآمران في القضاء على افراد الاسرة المالكة ليصعد احدهما عرش السلطنة لتحول النزاع الىنزاع بين المغول والسادات ، الى أن تمكن السلطان محمدشاه من القضاء على اميرامرائه سيدحسين عليخان ووزيره سيدعبدالله خان في سنة ١١٣٣ هـ، وكان انتصاره انتصارا للمغول على السادات (*) .
ان المؤلف لم يشر من قريب اوبعيد الى الانجليز وشركتهم ، وهذا يعنى أن الانجليز لم يكن لهم حتى هذه الفترة دور يذكر.ولكن هذه الاوضاع والمعارك الاهلية التى وقعت بين المتنافسين على السلطة والنفوذ اضعفت الدولة ، ممامهد الطريق أمام الانجليز وشركتهم وبسط نفوذهم في المستقبل .
وكان المؤلف كمايذكر في نهاية المخطوطة ملازما لسيد حسين علىخان الرجل القوى فى الدولة منذ أيام فرخ سير والى بداية حكم محمدشاه ،كماينتمى المؤلف نفسه الى السادات ، وهوينفي التهمة القائلة بأن السادات كانوا يعملون لقلب نظام الحكم لصالحهم .

(*) السادات : هم من ذرية الحسن والحسين رضى الله عنهما ويسمون فى الهند وبعض البلدان بالسادات ،كمايسمون فى بعض البلدان الاسلامية الاخرى بالاشراف .

٩٦- علی خان، غـــــــلام:

شاه عالـمنامـــــه :

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم Add. 24080
يبدأ المؤلف في مخطوطه هذا المكون من ٥٣٢ ورقت بتاريخ عالمكير الثاني والد شاه عالم الثانی، ويهجم علی وزيره آصف جاه متهما اياه بعدم الاهلية لتولي منصب الوزارة .

يلاحظ في المخطوط هذا ان الحقائق التاريخية تتوارى فی عبارات المدح اوالذم والاستعارات والكنايات والاسلوب الادبی ممايجعل مهمة الباحث اكثر صعوبة فی استخراج المعلومة التاريخية الحقيقية اوالقريبة من الحقيقة .

والمؤلف معاصر للاحداث التي يذكرها ومشاهد لبعضها بل ومشارك للبعض ايضا، وعلی الرغم من المدح والثناء الذی خص به شاه عالم الثانی وأباه عالمكير الثانی ، الا انه يشير من حين لاخر الی الضعف والانهيار الذی ابتليت به الدولة فی تلك الفترة ، وذلك بغض النظر من تحصيله المسئولية علی الاخرين من امثال الوزير آصف جاه .

واتبع المؤلف اسلوب الكتابة علی شكل اليوميات ، أی أنه يشير الی الاحداث المتعلقة بالسلطان وبلاطه خلال ايام كل شهر، ولكنه ترك هذا الاسلوب بعد العام الثامن من حكم السلطان (١١٨٠) وحتی أنه لايشير بعد هذا الی أی تاريخ .. كما انه استمر في سرد الحوادث الی عودة السلطان، الی دهلي بمساعدة المرهته ، ثم يذكر عدد ابناء السلطان ونسوته ويختتم تاريخه ولكنه يبدء من جديد ويذكر انه توقف فترة بسبب " تشتت البال وعدم رفاه الحال " .

ثم ذكر انه كتب حوادث ٢٥ سنة من اعوام حكم شاه عالم الثانی بالايجاز وفی الغالب ذكرها دون ذكر التاريخ ، وأنه يذكر بايجاز ايضا حوادث ١٧ سنة المتبقية تحت عناوين المقالات .

والمخطوط مليء بذكر المنازعات التي لاتهدأ بين المتغلبين المتنافسين ولم يجد السلطان قوة يعتمد عليها ، ولم يستقر له المقام في أى اقليم وكان مضطرا ان يعيش تحت رحمة هذا او ذاك ، وحتى ا(ولده ميرزاجهاندار شاه لما اراد ان يعود الى البلاط في دهلى قادما من الاقاليم الشرقية لم يفلح في هذا وعاد الى خيث أتى منه .

ويلاحظ ان المؤلف كان يصاحب السلطان عندما كان في الاقاليم الشرقية ولما ذهب السلطان الى دهلي ووقع في أحضان المرهته ثم الافغان ، بقي المؤلف في الاقاليم الشرقية وقام ببعض السفارات لدى الانجليز والنواب الوزير مبعوثا من قبل ميرزا جهاندار شاه .

ويبدو ان المؤلف لم يختر اسما لمؤلفه هذا ، حيث يذكر اسمه في بعض الفهارس باسم " تاريخ على كوهر" وذكره المتحف البريطانى باسم "شاه عالم نامه" وهذا الذى اخترناه هنا .

٩٧- على خان ،واجد:

<u>كلشن جنك</u>

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم OR. 1825

تدور محتويات المخطوط حول المعارك التى وقعت بين المرهته والانحليز وبين المتنافسين من المرهته انفسهم .

ويذكر المؤلف بانه التحق في خدمة باجي راو زعيم المرهته ، وشاهد بل وشارك ايضا في المعارك المشار اليها ، وبذلك تكون كتابته عن مشاهدة الاحداث والمشاركة فيها ايضا ،.. ومعلوم أن المرهتة كانوا احدى الطوائف المتنفذة على الساحة الهندية اثر ضعف السلطة المغولية المركزية .

٩٨- قاسم ، محمد:

<u>احوال الخواقين :</u>

مخطوط فارسي في المتحف البريطانى تحت رقم Add. 26244

تناول المخطوطة فترة الاضطرابات والحروب العائلية التي شهدتها الدولة المغولية فى الهند بعد عصر السلطان اورنكزيب (١٠٦٩– ١١١٨هـ) .

٩٩– كرماني ، مير حسين علـى :

نشان حيدرى:

مخطوط فارسي في I.O.L تحت رقم ETHE 522

يتناول المخطوط فى ٢٥١ ورقة تاريخ حيدر على وابنه تيبو اللذين حكماسلطنة ميسور الاسلامية فى أحرج الظروف وقاوما الاستعمار الانجليزى بالنفس والنفيس .

يذكر المؤلف بانه خدم في هذه السلطنة ورأى ان أحدا لم يقم بكتابة تاريخها المفصل ، فقام هو بهذا العمل وقدم مؤلفه هذا بعد بحث وتحقيق دام حوالي ثلاث سنوات انتهى منه في التاسع من شوال عام ١٢١٧هـ/ الاول من فبراير ١٨٠٣م .

١٠٠– Letters of Tipu Sultan

مخطوط فارسي في I.O.L تحت رقم ETHE 525

يحتوى المخطوط على مراسيم وتصاريح ورسائل صدرت من السلطان تيبو وقمت اوراق المخطوط صفحة صفحة ، وذلك كمايبدو من قبل الانجليز الذين استولوا على عاصمة تيبو وقصره او من قبل المسئولين فس وهكذا يضم المخطوط ٧٠٨ صفحـة .

١٠١– مخطوط فارسى مجهول مؤلفه وغير معروف عنوانه ، ويجد فى Add. 14374 تحت رقم ETHE 3017

يتناول المخطوط تاريخ بنغال منذ عهد السلطان اورنكزيب الى وفاة على وردى خان حاكم بنغال فى عام ١١٦٢هـ/١٧٤٩م وجلوس سراج الدولة خلفا له كمايشير هذا المصدر ان انشغال اورنكزيب في حروب دكن الطويلة قد جعل سلطة الدولة تتراخي في بعض اقاليمها النائية .

١٠٢- منشى، ميرامن بن كرومرداس :

كواليار نامـــــــــــه :

مخطوط فارسى محفوظ بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم، Add.14374
اسم المؤلف مذكور فى نهاية المخطوط ، وهو من رجال متعتمدخان حاكم كواليار احدى قلاع الهند المشهورة .. ويتضمن المخطوط نبذة عن تاريخ هذه القلعة فى عهديها الهندوكي والاسلامي الى سنة ١٠٧٨هـ/١٦٦٧م كما تحتوى على معلومات تتعلق بالمنازعات التي حدثت بين اورنكزيب واخوته فى وراثة العرش .
والمؤلف يمدح اورنكزيب ، ويحمل دارا شكوه الاخ الاكبر لاورنكزيب مسئولية بداية هذه المنازعات ويذكر ان دارا شكوه كان قد وقع تحت تاثير المعتزلة والدهريين وكان موقف اورنكزيب المعارض له دفاعا عن شريعة الاسلام. وتكتسب مثل هذه المعلومات اهمية من انها تأتى على لسان رجل يبدو من اسمه انه هندوكى ، فى حين ان اورنكزيب متهم باتخاذ الموقف المتشدد من الهندوكية علما بان المؤلف كما قلنا كان فى خدمة معتمدخان ، وهو من رجال اورنكزيب المقربين وحاكمه في كواليار التي كانت معتقلا لكبار معارض الدولة فاتأتى معلومات مؤلف هذه المخطوطة في هذه الناحية معلومات رجل شاهد الاحداث اوسمعها عن صناعها ومن شاهدوها .

١٠٣- مؤلف مجهـــــــول :

أحوال دنيابيك خـــــان :

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم OR. 2043
ارفقت هذه المخطوطة بالمخطوطة "آشوب هندوستان" وتحمل نفس الرقم، ولايعرف اسم مؤلفها .

وتدور محتوياتها حول دنيابيك خان ، وهو احد المغامرين الذين استغلوا ضعف سلطان دهلي وكونوا لانفسهم كيانات في ضواحي لاهور .

وقد عاش هذا المغامر في عهدى عالمكير الثانى وشاه عالم الثانى ووصلت

المغولية في هذه الفترة من الضعف جدا ، لم تتمكن حتى من هزيمة هذا الرجل أيضا .

١٠٤- مؤلف مجهول :

تاريخ بنجاب :

مخطوط فارسى محفوظ فى المتحف البريطانى بلندن تحت رقم OR. 187
يقول المؤلف فى مقدمة المخطوط بان الشركة الانجليزية كلفته بكتابة تاريخ بنجاب فبدأ بهذا العمل فىسنة ١٢٢٦ هـ /١٨١١م .

والمخطوط عبارة عن تاريخ السيخ منذ بداية هذه الطائفة وظهور اول زعيم لهم وهو كورو نانك شاه مرورا بكورو كوبند سنكه وهم عشرة من زعمائهم الذين تولوا الزعامة واحدا بعد الاخر فى خلال ٢٣٨ سنة وشهرين ، ويزعم بان السيخ ان هؤلاء هم انبياؤهم ، ولقد عاش اولهم في عهد ابراهيم لودى وبابرشاه ، كما عاش آخرهم في عهد اورنكزيب وبهادر شاه ..وكان اخر وصايا هذا الاخير ان طلب من السيخ بان يبذلوا كل جهودهم لاخذ الثأر من المسلمين، ثم يتابع المؤلف ذكر الحوادث المتعلقة بالسيخ وتمردهم المستمر ضد الدولة المغولية خاصة وضد المسلمين عامة ، ويستمر فى ذكر الوقائع المتعلقة بتاريخ السيخ اوتاريخ بنجاب حتى جمادى الاولى ١٢٢٦هـ/ يونيو عام ١٨١١م .

وذكر المخطوط ايضا باسم "احوال فرقة سكها" اى أحوال طائفة السيخ.

١٠٥- مؤلف مجهول :

تاريخ سلطنت فرخ سير :

مخطوط فارسي محفوظ في المتحف البريطاني بلندن، تحت رقم Add. 26245
لم يشر المؤلف الى تاريخ التأليف ، ولكن يعرف من السياق انه أتم تأليفه فى أوائل عهد محمدشاه ، (١١٣١-١١٦١هـ/١٧١٩- ٢٧٤٨م) .

ويذكر المؤلف بانه كان يقيم فى لاهور طالبا للعلم ، ثم تمكن من الوصول الى بلاط فرخ سير والعيش فيه ، وهناك شاهد الاوضاع وانه كيف كان وزير فرخ سير هو المسيطر على الاوضاع الى أن حبس السلطان الذى توفى فى سجنه ...

ويضيف المؤلف انه باستصواب من جلسائه في البلاط قام بتدوين ماشاهده من الحوادث في عصر فرخ سير. ومع أن المخطوط يركز على عهد فرخ سير الا ان المؤلف بدأ كتابة بذكر تاريخ بهادر شاه عم السلطان فرخ سير، فذكر المعارك التى وقعت بين بهادر شاه واخوته كماذكر تمرد الراجبوت والاضطرابات التى حدثت في بنجاب بواسطة السيخ واستمر المؤلف في ذكر الوقائع التى تلت وفاة بهادر شاه ومقاتلة ابنائه الاربعة فيمابينهم .

كمايشرح المؤلف ان لسيد حسين عليخان واخوته كان الفضل الاكبر فى تجميع القوات والانتصار على خصوم فرخ سير وصعوده على العرش . اضافة الى مهاراتهم وانتصاراتهم على الراجبوت وعلى المتمردين من الامراء والقواد. فى الدكن .. كمايشرح المؤلف ان السلطان لم يكن يتمتع بقوة الشخصية اوعقدة الشعور بالنقص ومحاولة الحاسدين من بطانته السلطان ، جعل العلاقة بين هؤلاء الاخوة وبين السلطان متوترة ، انتهت الى الصدام وسجن السلطان .. ويستمر المؤلف في بيان الاحداث الى أن استقر الوضع لصالح محمدشاه .

١٠٦– مؤلف مجهول :

تاريخ عالمكير ثاني :

مخطوط فارسى محفوظ في المتحف البريطانى تحت رقم OR. 1749
بدأ المؤلف بذكر احوال السلطان محمدعزيز الدولة الملقب بعالمكير الثاني ابن معز الدين جهاندرا شاه ابن شاه عالم بهادر شاه ابن محمداورنكزيب عالمكير ، دون اية مقدمة اوتمهيد ، ويعرف من سياق كلامه بانه قام بتاليفه هذا فى ايام حكم السلطان عالمكير الثاني (١١٦٧–١١٧٣هـ/١٧٥٤– ١٧٥٩م) وكتب المؤلف تاريخه هذا على أساس اليوميات ، فيذكر الحوادث التى وقعت فى ايام الاشهر من كل سنة .

ان المخطوط هذا مهم للغاية ، اذيوضح الوضع الاقتصادى والاجتماعي والنفسي والفساد الحاكم في أجهزة الدولة، ويعرف القارىء من قراءة السطور ومابين السطور ، أن الوضع السيىء والنهاية السيئة التي ابتلى بها المسلمون في الهند ، لم يكن من الصدفة اومن تدبير الاعداء بقدر ماكان

من قصر نظر الحكام وخلفائهم وتفتيت اقتصاد الدولة وهيبتها في منازعات على السلطة وخصومات تافهة .

كما ان المؤلف عاصر الاحداث ويؤرخ لها بالتحليل والدرلسة ولايكتفي بمجرد ذكرماشاهد اوسمع كماهو صفة معظم المؤرخين فى ذلك الوقت ومن العجيب انه لم يشر من قريب اوبعيد الى الحوادث التى وقعت بين الانجليز وسراج الدولة في بنغال ، وهذا يدل ان الجميع كانوا مشغولين بمايكفيهم وان كل واحد كان يواجه مصيره بنفسه .

١٠٧- مؤلف مجهول :

ظفر نامهٔ وقايع غدر :

مخطوط فارسي في I.O.L تحت رقم ETHE 431

تدور محتويات المخطوط حول ثورة الهند في ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م وذكر المؤلف انه منذ العاشر من ذى القعدة ١٢٧٣هـ/ الاول من يوليو عام ١٨٥٧م ولم يكن يستقر في مكان واحد خوفا على حياته وانه كان يتجول على هيئة الدراويش والمتسولين حتى يتمكن من الاظلاع على الاحداث ومتابعتها وتسجيلها، وانه كان يقضى معظم اوقاته في المقابر حيث كان يقوم بتسجيل كل ماكان يشاهده أويسمعه من مصادر موثوقة . كماذكر انه ربما لايجد بعض ماكتبه قبولا لدى الهندوكيين اوالمسلمين اوالانجليز، الا انه كتب ماراه، حقيقة واثرها في الجميع .

ولم يصرح المؤلف باسمه، وقد يكون السبب هو تخوفه من المشاكل والمخاطر المحتملة بسبب نقده اللاذع للكيانات والطوائف الهندية والسلطات الانجليزية ، ويلاحظ ان المؤلف غير متعاطف مع الثورة حيث يصف الثوار بالمتمردين .

١٠٨ ـــــ Official Letters

مخطوط فارسي في I.O.L تحت رقم ETHE 481

محتويات المخطوط عبارة عن مراسلات بين امراء الهند وبينهم وبين الشركة الانجليزية وكذلك نص رسالة من شاه عالم الثانى الى الملك الانجليزى .

١٠٩- الهندى ، سليم شـــاه (ت ١٠٣٧هـ /١٦٢٨م) .

تاريخ أكبـر شـــــاه :

مخطوط فارسي في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة بجناح عارف حكمت تحت رقم ٥٣ .

مؤلف هذا المخطوط المذهب هو السلطان جهانكير بن السلطان اكبـــــر ويتضمن شرح وقائع بعض السنوات من حكم السلطان جهانكير .

كمايستعرض المؤلف السلطان اثناءالكلام عن اجراءاته ، وقائع تتعلق بعصر ابيه ، ولايعرف كيف أخذ هذا المخطوط عنوان " تاريخ أكبرشاه" لان اسمـــه الصحيح هو"توزك جهانكيرى " حيث طبع بهذا الاسم ، مضافا اليه ماكتبه محمـــد هادى عن بقية ايام حكم جهانكير ، الاأن المخطوط هذا ينفرد بمعلومات لـــم يرد ذكرها في المطبوع .

المصـــادر الفارسية المطبوعـة

١١٠- افضل محمد، عبد الصمـــــــد :

مكاتبات علامى : لكنهو مطبعة نول كشور، ١٢٨٠ هـ

ان مصنف هذا الكتاب هو ابن اخت ابى الفضل علامى وربيبه، وقام بتصنيفه هـــذا فى عام ١٠١٥هـ/١٦٠٦م ويتضمن الكتاب بعض الوسائل التي وجهت من قبل السلطان اكبر الاول (٩٦٣ - ١٠١٤هـ/١٥٥٦- ١٦٠٥م) الى زعماء الدول والامراء الكبار.

١١١- بدايونـــي ، عبد القادر :(ت ١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م)

منتخب التواريـــــخ :

لكنهو ، مطبعة نول كشـور ، ١٢٨٤ هـ .

تم تاليف الكتاب في جمادي الثانية عام ١٠٠٤هـ/فبراير ١٥٩٦م،ويستعـرض المولف من خلاله موجز تاريخ الهند الاسلامى منذ عهد الغزنويين الى عصـــر السلطان اكبر الاول (٩٦٣ - ١٠١٤ هـ/١٥٥٦ - ١٦٠٥م) حيث عاش المولف فى هـــذا العصر واشترك في حركة التاليف والترجمة التي كان يشهدها .

١١٢- بيات ، بايزيد :

تذكرة همايون واكبر :

كلكته ، بدون اسم الناشر ١٣٦٠هـ/١٩٤١م .

١١٣- دهلوي ، شاه عبد العزيز (ت ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م) :

فتاوى عزيزى :

جزءان في مجلد واحد، ط ٤ ، كويته ،دار الاشاعة العربية ، ١٤٠٧ هـ .

صاحب هذه الفتاوى من كبار علماء الهند المدافعين عن السنة والمجاهدين في سبيل اعلاء كلمة الله ، لقد شاهد تنامي سيطرة شركة الهند الشرقية الانجليزية فاصدر فتواه بوجوب الجهاد لاستعادة الهند الى السيادة الاسلامية .

١١٤- سجان راى

خلاصة التواريخ : - دهلي ، مطبعة جي ايندسنس ، ١٩١٨م

الف الكتاب في عام ١١٠٧ هـ /١٦٩٥م وهو عام الاربعين من حكم السلطان اورنكزيب (١٠٦٩- ١١١٨هـ/١٦٥٩ - ١٧٠٧م) وقد قضى المؤلف مدة عامين في تأليفه وترتيبه ، وتتضمن محتوياته موجزا في جغرافية الهند الطبيعية والبشرية والاقتصادية ، وأحوال راجوات الهند، ثم يبدأ المؤلف فى بيان تاريخ السلاطين المسلمين منذ أيام سبكتكين (٣٦٦- ٣٨٧هـ/٩٧٧- ٩٩٧م) حتى بداية عصر اورنكزيب .

١١٥- شكاربورى ، منشى عطامحمد :

تازه نواى معارك :

سراجي ، سندهى ادبى اردو ، ١٩٥٩م

الف الكتاب في عام ١٢٧١هـ/١٨٥٥م وحققه وعلق عليه عبد الحي حبيب الافغاني، يتناول الكتاب تاريخ السند وافغانستان في أواسط القرن الثالث عشر الهجرى / اواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، ودون المؤلف فيه مشاهداته عن الاحداث ، وهى تعكس بصورة جيدة الاوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في

البلدين المذكورين في تلك الفترة، كماضم المحقق في نهاية الكتاب نصوص بعض الاتفاقيات التى عقدت بين حكام السند والشركة الانجليزية.

١١٦– طباطبائى ، غلام خسين خان :

سير المتاخرين :

ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، ط ٢ ،لكنهو مطبعة نول كشور، شوال ١٣١٤ هـ مارس ١٨٩٧م .

خصص المؤلف حوالي نصف صفحة من مقدمة كتابه في وصف هستنجز الحاكم العام الانجليزى ، وذكر ان رغبته في تأليف كتاب تاريخي تزامنت مع دعوة هستنجز له ولامثاله بأن يقوموا بكتابة تاريخ الاسلاف في الهند.. ويتناول كتابه هذا تاريخ الهند منذ الازمنة القديمة الى سنة ١١٩٥هـ. ونقل مايتعلق بالتاريخ القديم الى وفاة اورنكزيب (١٠٦٩– ١١١٨هـ/ ١٦٥٩– ١٧٠٧م) من كتاب خلاصة التواريخ الذى ألفه سجان راى الهندوكى وان لم يشر الى اسم هذا المؤلف وكتابه ، وكتب بقلمه مايتعلق بالحوادث التي أعقبت وفاة اورنكزيب الى سنة ١١٩٥ هـ /١٧٨١م .

والمؤلف شيعى فى المذهب ومن هنا نراه يقسو فى اصدار احكامه ضد اورنكزيب الذى لم تكن تربطه علاقات حسنة مع الشيعة... ويأتى اهمية الكتاب بالنسبة لموضوع بحثنا من أنه ليس المؤلف ممن عايش فى فترة من فترات الحسم فى تقدم النفوذ الانجليزى في الهند وتوسعه فحسب ، بل كان المؤلف نفسه من الموالين لهم والخاصلين على ثقتهم الى درجة انهم استخدموه في وساطات بينهم وبين الامراء المحليين في بنغال ، وكان يتحدث الى هؤلاء الامراء كأحد المبعوثين الانجليز .. اضافة الى أنه وقبله ابوه وعمه سبق أن تولوا مناصب لدى أمراء بنغال القدامى قبل سراج الدولة .

١١٧– عبدالقادر خان ، ميرزا محمد :

اويماق مغل :

بنجاب ، مطبعة روزبازار امرت سر ، ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢م .

لقد بدأ المؤلف كتابة هذا الكتاب في شوال من سنة ١٣١٢هـ /١٨٩٥م واستمر في تأليف الكتاب بوقفات حتى أتمه في شعبان سنة ١٣١٩هـ الموافق لنوفمبر سنة ١٩٠١م . وكان عمره اثناء بدء محاولات تأليف الكتاب ٢٦ سنة . والغرض من تأليف الكتاب هو تعريف القبائل المغولية والتمييز بينها . والمؤلف نفسه من سلالة المغول من قبيلة القاجار ، كما تولى عدة وظائف في بعض الادارات البريطانية .

واثناء استعراضه لوقائع ايام سلاطين المغول الأواخر تطرق المؤلف الى الحوادث التي قامت بين الانجليز وبين بعض الامارات الهندية ، بدءا من المجابهات التي حدثت بين الانجليز وسراج الدولة في بنغال .

ويصرح المؤلف في صفحتي ٦٨٩، ٦٩٠ ان محاربات الانجليز مع الجات والمرهتة والسيخ والاتفاقيات التى عقدها الانجليز مع رئاسات الهند، ليست من الامور التي تخص السلاطين المغول وامرائهم ، وبما ان مؤلفه هذا يختص بذكر أحوال المغول ، فلم يقم بشرح تلك الوقائع .

١١٨- عبد الكريم :

تاريخ بنجاب تحفة للاحباب :

غازة ، مطبعة محمدى ، ١٢٦٥ هـ .

ذكر المؤلف فى كتابه هذا المعارك التى وقعت بين السيخ والانجليز ويذكر انه كتب تاريخه هذا استجابة لطلب بعض الاصدقاء والاحباب تصحيحا لما كان يشاع من انتصار السيخ على الانجليز ، واستفاد في الكتابة عما كان قد كتبه من مذكرات وكذلك عما سمعه من الشخصيات الكبار وعما توفر لديه من الكتب الادرية .

١١٩- علامي ، ابو الفضل ، (ت ١٠١١هـ /١٦٠٢م) :

آئين اكبرى .

ثلاثة أجزاء ، لكنهو ، مطبعة نول كشور، ١٨٦٩م .

ان هذا الكتاب عبارة عن موسوعة تاريخية حضارية تحتوى على تعريف بعلوم

ومعارف الهند وعقائدهم ، كمايتضمن نظم عمر السلطان اكبر الاول (٩٦٣- ١٠١٤هـ/ ١٥٥٦- ١٦٠٥م) وتشريعاته وغير ذلك من معارفه عامة وفنون وحرف وصناعات ذلك العصر .

١٢٠- علامى ، أبو الفضل (ت ١٠١١هـ/١٦٠٢م) :

اكبر نامه

ثلاثة اجزاء، لكنهو،مطبعة نول كشور، ١٢٤٨ هـ .

كان المؤلف من أقرب المقربين للسلطان اكبر الاول ٩٦٣-١٠١٤هـ/١٥٥٦- ١٦٠٥ م) وقدكتب كتابه هذا في تاريخ عصر ذلك السلطان ، ويعتبر مؤلفه هذا اكثر الكتب تفصيلا في موضوعه .

١٢١- فرشته ، محمدقاسم هندو شاه استرآبادى (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م)

تاريخ فرشته :

ط ٣ ، لكنهو، مطبعةنول كشور، ١٣٠١هـ/١٨٨٤م .

اشتهر هذا الكتاب بتاريخ فرشته ، مع أن المؤلف نفسه قدسماه "كلشن ابراهيمى" نسبة الى ابراهيم عادلشاه حاكم بيجابور (٩٨٧-١٠٣٥هـ/١٥٧٩- ١٦٢٦م) .

يقع الكتاب فى جزئين وفي مجلد واحد، قضى المؤلف اكثرمن خمس عشرة سنة في تأليفه حيث جاء متضمنا تاريخ الهند منذ أقدم العصور الى العقد الرابع من القرن الحادى عشر الهجرى ، كماينفرد الكتاب بذكرمعلومات قيمة فيمايتعلق بالوجود البرتغالى في الساحل الهندى ، وافادة في هذا الامر قرب المؤلف من مسرح الاحداث حيث عاش في امارة بيجابور المطلة على المحيط الهندى وعلى مقربة من مقر حاكم البرتغاليين فى كووه ، كمالايغفل المؤلف عن ذكر المصادر والمراجع التى أخذ عنهامعلوماته التاريخية .

١٢٢- معتمدخان ، محمدشريف (ت ١٠٤٩هـ) :

اقبال نامة جهانكيرى :

لكنهو، مطبعةنول كشور، ١٢٨٦هـ /١٨٧٠م .

تم تاليف الكتاب فى عام ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م فى عصر السلطان جهانكير (١٠١٤– ١٠٣٧هـ/ ١٦٠٥– ١٦٢٧م) ويحتوى فى أجزائه الثلاث تاريخ التيموريين منذ عهد مؤسسهم الامير تيمور(٧٧١– ٨٠٧هـ/١٣٧٠– ١٤٠٥م) ، الى عصر السلطان جهانكير.

١٢٣– معتمد الخدمة ، محمد هادى

توزك جهانكيرى

لكنهو، مطبعة نول كشور ، بدون تاريخ .

كان المؤلف من كبار الامراء في عهد السلطان جهانكير ، وذكرانه كان يرغب في قراءة التاريخ والسيز منذ الصغر ، وفى الستين من عمره بدأ بتاليف هذا الكتاب . وذكران جهانكير حرر بنفسه وقائع ايام حكمه منذ جلوسه على العرش (١٠١٤هـ/١٦٠٥م) الى السنة الشامنة عشرة من سنوات حكمه ، فبدأ هو يكمل كتابه تاريخ بقية سنوات حكمه عارضا ماكان يكتبه الى جهانكير لتصحيحه.

١٢٤– الهروى ، نظام الدين احمد (ت ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م):

طبقات اكبرى :

لكنهو ، مطبعة نول كشور، ١٢٩٢ هـ /١٨٧٥م .

كان المؤلف من المقربين للسلطان اكبر الاول (٩٦٣–١٠١٤هـ/١٥٥٦– ١٦٠٥م) .

وألف كتابه هذا فى عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٣ م ، وهوأول كتاب تاريخى يتناول تاريخ جميع الاقاليم الهندية منذ عهد سبكتكين (٣٦٦–٣٨٧هـ/٩٧٧– ٩٩٧م) الى ايام المؤلف الذى توفى في عام ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م .

المراجع الفارسية والمفرسة

المراجع الفارسية والمفرسة

١٢٥- حبيبى،عبد الحى :

ظهير الدين مخمد بابرشاه :

كابل ، بيهقى ، ١٣٥١ هـ ش .

١٢٦- حق شناس :

دسايس وجنايات روس در افغانستان " از اميردوست محمدخان تابيرك "

تهران ، كمتية فرهنكي دفتر مركزى جمعية اسلامى افغانستان ، ١٣٦٣هـ ش .

يتناول الكتاب تاريخ العلاقات بين افغانستان والروس من اواسط القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى حتى غزو الروس العسكرى لافغانستان في عام ١٤٠٠هـ /١٩٧٩م ، مشيرا الى التنافس الاستعمارى بين القياصرة الروس والانجليز وتاثير ذلك على الاحداث في افغانستان التىكانت تشكل بلدا حالجزا بين القوتين .

١٢٧- دورانت ، ويل :

اختناق هندوستان :

ترجمة : ر . نامور .

تهران ، انتشارات كام وانتشارات سحر، ٢٥٣٦ شاهنشاهى .

١٢٨- دهار ، شيلا :

تاريخ هند :

ترجمة : داوود حاتمي

تهران ، انتشارات عصر جديد، ١٣٦٣ هـ ش .

١٢٩- رشتيا،سيدقاسم :

افغانستان در قرن نزده :

ط ٢، كابل ، انجمن تاريخ افغانستان ، ١٣٣٦ هـ .ش

يتناول الكتاب تاريخ افغانستان في القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى .

١٣٠- غبار، ميرغلام محمد :

افغانستان درمسير تاريخ :

ط ٢ ، قم ، بيام مهاجر، ١٣٥٩ هـ ش .

ان المولف اصبح أشهر مؤرخ فى افغانستان بعد تأليفه هذا، وهو يؤرخ لافغانستان منذ أقدم العصور الى تاريخها المعاصر ، وبما أن الانجليز هاجموا افغانستان ثلاث مرات عن الهند ، خصص المولف فصلا خاصا لسياسة الانجليز فى الهند، بدأه بتقديم موجز عن تاريخ الانجليز ومجيئهم الى الهند وتكوين الشركة والاساليب التي اتبعتها في الاستيلاء على الهند وردة فعل الهنود ازاء كل ذلك .

١٣١- فرهنك ، مير محمدصديق :

افغانستان دربنج قرن آخير :

ويرجينيا ، مركز فرهنكي سنابي ، ١٣٦٧ هـ ش ، ١٩٨٨م .

يتناول الكتاب تاريخ افغانستان خلال خمسة قرون الاخيرة ، أى منذ ان وطئت اقدام المستعمرين الاوربيين بلدان الشرق الى التاريخ المعاصر لافغانستان التي كانت قبل غزونا درشاه للهند جزءا من الدولة المغولية .

١٣٢- ليتل فيلد :

تاريخ اوربا از ١٨١٥ به بعد

Henry W. Littlefield: History of Europe Since 1815

ترجمه : فريدة قرة جي داغي ، ط ٢ ، تهران ، شركت انتشارات علمى وفرهنكي ١٣٦٦ هـ ش .

١٣٣- ماله ، آلبر - زول ايزاك:

تاريخ قرن هيجدهم ، انقلاب كبير فرانسه وامبراطورى نابلئون :

ترجمة : رشيد باسمى .

ط ٦ ، تهران ، ١٣٦٤ هـ ش .

يتناول الكتاب من خلال فصوله الثمانية عشر ، تاريخ اوربا في القرن ١٨، والثورة

الفرنسية وامبراطورية نابليون . ويتناول الفصل السابع من الكتاب موضوع شركات الهند الاستعمارية وتأسيس الامبراطورية البريطانية .

١٣٤- نهرو، جواهر لعل :

كشف هند :

ترجمة : محمود أفضلي :

ط ٢، تهران مؤسسة انتشارات امير كبير ، ١٣٦١ هـ ش .

كتب نهرو كتابه هذا في رمضان ١٣٦٣هـ/سبتمبر ١٩٤٤م وهو يقع في مجلدين كبيرين ، استعرض فيهما المؤلف بالنقد والتحليل تاريخ الهند الاجتماعى والسياسى والثقافى منذ العهود القديمة الى العصور الحديثة .

١٣٥- نهرو، جواهر لعل :

نكاهي به تاريخ جهان :

ترجمة : محمود تفضلي :

ثلاثة أجزاء ، ط ٧ ، تهران ، مؤسسة انتشارات امير كبير، ١٣٦١ هـ ش .

محتويات هذا الكتاب عبارة عن رسائل بعثها نهرو من سجنه الى ابنته انديرا، وهذه الرسائل تتناول جوانب من التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى لمختلف الامم والدول في مختلف العصور والازمنة . وفي ٧ صفر ١٣٦٢هـ/١٢ فبراير ١٩٣٤م قامت ويجا يالكشمي يانديت آخت نهرو بترتيب وتنظيم مجموعة من تلك الرسائل وطبعها في جزئين تحت اسم

Glimpses of World History

وفى عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م جدد المؤلف النظر في محتويات الكتاب لاعادة طبعه واجرى فيه بعض التعديلات ، كما اضاف فيه جزءا آخر، ليستقر الكتاب فى وضعه الاخير ويجدد طبعه من حين لاخر .

مرجع بلغة البشتو

١٣٦- ظفر، سيدبهادر شـاه :

پشتانة دتاريخ به رنړاكـي :

د ٥٥٠ ق م نه تر ١٩٦٤ ع پوزي

بشاور ، يونيورستى بك ايجنسى ، ذوالحجة ١٣٨٤هـ ق /مايو ١٩٦٥م

ذكرالمؤلف ان كتابه هذا ثمرة خمسة وثلاثين عاما قضاه في البحث والتحقيق حول تاريخ البشتون منذ أقدم العصور الى عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

المصادر الإنجليزية

الوثائق الانجليزية

Danvers, Frederick Charles (1833-1906) -١٣٧
Letters Recieved by the East India Co.
From Its Servants in The East,
V Vol.I(1602-1613),
London, S.Low, Marston and Company Limited
, 1896.

نشرت هذه السلسلة من سجلات شركة الهند الشرقية تحت رعاية وزير الدولة لشئون الهند في الحكومة البريطانية آنذاك ، ومحتويات هذه السلسلة عبارة عن الرسائل التى تلقتها شركة الهند الشرقية الانجليزية من وكالاتها وموظفيها من البلدان الشرقية الواقعة بين اليابان وانجلترا وذلك خلال القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى .

Dabversm ; Robert William (1833 - 1858): -١٣٨
Letters From India and China
During The Years (1854 - 1858),
London and Aylesbioy , Hazell, Watson, and
Vinney , Ld. 1898.

صاحب هذه الرسالة كان ضابطا انجليزيا شابا من مواليد عام ١٢٤٩/١٨٣٣م اشترك هناك اثناء ثورة الهند ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م . ولقد بعث برسائله هذه الى أهله في انجلترا حيث كانت تنشر بعضها في الصحف البريطانية آنذاك . وتحتوى هذه الرسائل على تفاصيل احداث الثورة التي كان يشاهدها دانورز Danvers او يسمعها عن السلطات الانجليزية ، ثم تلقى دانورز تعليمات بالتوجه الى الصين حيث وافاه الاجل في هونغ كونغ في ذي الحجة ١٢٧٤هـ/أغسطس ١٨٥٨م .

-١٣٩ Datta, K.K and the others: Indian Records Series, Fort William, (*) India House Correspondence and other Contemporary Papers Relating thereto Delhi, Civil Lines: 1958 - 1981.

تحتوى سجلات شركة الهند الشرقية الانجلنيزية على معلومات تاريخية هامة حول تاريخ بلاد الشرق الحديث بعامة وتاريخ شبه القارة الهندية الحديث بخاصة وقد قامت بعض الحكومات في نشر بعض هذه السجلات التي تحتوى على معلومات حول تاريخ بلادها الحديث ، وفي هذا الاطار قامت ادارة الارشيف الوطنى فى الهند، باصدار هذه السلسلة في واحد وعشرين مجلدا تتناول تاريخ الفترة الممتدة من ١١٦١ هـ/١٧٤٨م الى ١٢١٤ هـ/١٨٠٠م .

محتويات هذه المجلدات في الغالب عبارة عن الرسائل التي تبودلت بين مجلس ادارة شركة الهند الشرقية الانجليزية في لندن وبين حاكم عام الشركة والمجلس في قلعة ويليم بكلكته .

(*) ورد ذكر عنوان هذا المصدر فى هوامش الرسالة على هذا الشكل الاختصارى:
F.W.I.H. Correspondence.

Forrest, George William (1846 - 1926): Selections from the Letters Despatches and other State Papers Preserved in the Military Department of the Government of India, (1857 - 1858), Vol. I, Calcutta, Military Department press, 1893. ‎-١٤٠

يحتوى الكتاب على مختيارات من الرسائل والوثائق الحكومية التى كانت محفوظة في الادارة العسكرية في حكومة الهند البريطانية حول أحداث ثورة الهند ١٢٧٣ – ١٢٧٤ هـ/ ١٨٥٧– ١٨٥٨ م • وقد قام بهذا الاختيار وترتيبه جورج فورست George Forrest الذى كان مديرا لسجلات حكومة الهند التابعة لجامعة بمبىء Bombay•

Faster, William (1863 -) and the other: The English Factories in India (1661 - 1664), Oxford, Clarendon Press, 1923. ‎-١٤١

لقد بدأ نشر هذه السلسلة تحت رعاية وزير الدولة البريطانى لشئون الهند حيث قام ويليم فوستر William Foster بجمع وترتيب ثلاثة عشر جزءا منها تتناول الفترة الممتدة من ١٠٢٧ هـ/١٦١٨ م الى ١٠٧٩هـ/١٦٦٩ • وقد نشرت هذه الاجزاء فى اكسفورد Oxford بين اعوام(١٩٠٦م – ١٩٢٧م) ثم قام فاوست Fawcett (١٨٦٩ – ١٩٥٢م) بجمع وترتيب سلسلة جديدة من هذه السجلات تتناول في أجزائها الاربع الفترة الممتدة من ١٠٨٠هـ / ١٦٧٠ م ، الى ١٠٩٥ هـ/ ١٦٨٤م • ونشرت في أكسفورد بين اعوام(١٩٣٦م– ١٩٥٥م)•

Muir, William (1819 - 1905): —١٤٢

Records of the Intelligence Department of The Government of The North-West Provinces of India During The Mutiny of 1857

خمسة اجزاء فى مجلد واحد

Edinburgh, T.T. Clark, 1902.

كان موبيير Muir يرأس ادارة الاستخبارات في المحافظات الشمالية الغربية التابعة لحكومة شركة الهند الشرقية الانجلنيزية وكانت اكره Agra عاصمة لتلك المحافظات حيث كان موبيير يتابع منها احداث الثورة الهندية وتطوراتها ويتلقى في ذلك الرسائل والتقارير ومختلف المعلومات من مختلف المسئولين والمصادر ، كماكان يقوم بارسال التقارير والتعليمات والرسائل الى مختلف مسئولى الشركة . ولقد احتفظ موبيير بهذه السجلات الى أن قام بترتيبها ونشرها مضافا اليها الرسائل التي كان قد بعث بها الى أهله في انجلترا يطلعهم فيها عن احداث الثورة الهندية ومجرياتها .

المصــادر الانجليزيــة

Burgess, James (1832 - 1916):
The Chronology of India History
Medieval and Modern,
Second Reprint in India,
Delhi, Cosmo Publications, 1975. — ١٤٣

طبع الكتاب لاول مرة في عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م في ادنبـــره Edinburah ويبين تواريخ الاحداث الهندية وفق تسلسلها الزمني منذ مطلع القرن العاشر الهجرى / نهاية القرن الخامس عشر الميلادى الى العقد الاول من القرن الرابع عشر الهجرى / اواخر القرن التاسع عشر الميلادى .

—١٤٤
Faruki, Zahiruddin:
Aurengzeb and his times
Delhi, Andarah-i Adabiyat-i Delli, 1980.

طبع الكتاب لاول مرة في عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م في بمبىء Bombay وكــان المولف قد بدأ بكتابته قبل ذلك التاريخ بعقدين من الزمان .

—١٤٥
Jackson, A.V. Williams:
History of India,
New York, AMS Press, 1975.

طبع المرة الأولى من قبل The Grolier Society بلندن عام ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦م .

يقع هذا الكتاب History of India فى تسع مجلدات وقام بتاليفه عدد من المولفين المتخصصين في تاريخ الهند. ولقد تناولت الاجزاء السابقة من الكتاب تاريخ الهند القديم ثم تاريخها الوسيط والجزء السادس من الكتاب والجزءان اللذان يليه يتناول تاريخ الهند الحديث وذلك منذ ان تكونت اولى المستعمرات الاوربية في بعض الجزر والموانيء الهندية في القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى الى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى/ نهاية القرن التاسع عشر الميلادى .

كمايتناول الجزء التاسع من الكتاب جوانب من الروايات التاريخية لرحالى مختلف شعوب العالم حول الهند منذ العهد الاغريقى الى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى .

الجدير بالذكر ان هذا الكتاب History of India باجزائه التسع ، يضم عددا من الكتب التي ألفت حول تاريخ الهند في عهودها القديمة والوسيطة والحديثة تحت عناوين مختلفة من قبل عدد من المولفين المتخصصين في فترات مختلفة . ولقد جمع جكسون A.V. Williams Jackson

هذه الكتب تحت عنوان واحد واضعا كل كتاب في مكانه المناسب وباسم المؤلف الذى كان قد قام بتأليفه ،ليكون الكتاب History of India محتويا على تاريخ الهند في مختلف عصورها .

ولقد استفدنا فى البحث من الاجزاء السادسة والسابعة والثامنة من هذا الكتاب ومولف الجزء السادس والسابع William Wilson Hunter (1840-1900) كما الف الجزء الثامن Alfred Comyn Lyall (1835-1911)

١٤٦- Kaye, John William (1814 - 1876):
The Administration of the East India Co.,
London, R.Bentley, 1853.

١٤٧- Lane-Pool, Stanley (1854 - 1931):
Mediaeval India under Mohammedan Rule (712 - 1764),
Delhi, A Universal publication, 1971.

يتناول الكتاب تاريخ شبه القارة الهندية الاسلامى منذ فتح السند فى عام ٩٣هـ/٧١٢م الى موقعة بكسر Buxar فى شهر ربيع الثانى ١١٧٨هـ/ اكتوبر ١٧٦٤م حيث كان قد بدأ عصر السيطرة الانجليزية على الهند. وقد طبع الكتاب لاول مرة عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م في نيويورك " .

١٤٨- Pelsaert, Francisco:
Jahangir's India
ترجمه من الهولنديه : P.Geyl و W.H.Moreland
Delhi, 1972

كان المؤلف مكلفا بالعمل لصالح شركة الهندالشرقية الهولندية ، وقام بزيارة

الهند لهذا الغرض واقام فيها من عام ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م الى ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م ، ودون مشاهداته فى هذا المؤلف .

١٤٩-

Sarkar, Jadunath (1870 - 1958):
Fall of the Mughal Empire,
In Four Volumes,
New York, AMS Press, 1972.

تم طبع الجزء الاول من الكتاب لاول مرة في عام ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م ثم توالى طبع الاجزاء الاخرى في الاعوام التالية .

ويتناول الكتاب في اجزائه الاربعة مراحل اضمحلال الدولة المغولية منذ غزو نادر شاه لدهلي (ذو الحجة ١١٥١هـ/مارس ١٧٣٩م) الى سقوط دهلي بيد الشركة الانجليزية (جمادى الاولى ١٢١٨هـ/سبتمبر ١٨٠٣م) .

١٥٠-

Sarkar, Jadunath (1870 - 1958):
History of Aurangzib,
In five Volumes,
Karachi, South Asian publishers, 1981.

يتناول الكتاب فى أجزائه الخمس تاريخ عصر اورنكزيب ، وفي الجزء الخامس من الكتاب خص المؤلف مبحثا خاصا لنشاطات الشركة الانجليزية في الهند خلال ذلك العصر . ولقد طبع الجزءان الاول والثاني من الكتاب لاول مرة في عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) كما طبع الجزء الخامس منه لاول مرة فى عام ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤م .

١٥١-

Smith , Vinacent Arthur (1848 - 1920):
Akber, The Great Mogul (1542 - 1605),
Third Indian Reprint,
Delhi, Ram Nagar, 1966.

طبع الكتاب لاول مرة في عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م في اكسفورد Oxford .

-١٥٢

Smith, Vincent Arthur (1848 - 1920):
The Oxford History of India,
Karachi, Oxford University Press, 1988.

طبع هذا الكتاب لاول مرة في عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م في اكسفورد Oxford حيث تناول المؤلف فيه تاريخ الهند منذ أقدم العصور الى ١٣٣٠هـ / نهاية ١٩١١م ثم توالى تجديد طبع الكتاب وتنقيحه واضافة الفترة المتأخرة من تاريخ العهد الانجليزى اليه ، وذلك بواسطة باحثين متخصصين في تاريخ الهند من امثال Percival Spear ليحتوى الكتاب فى وضعه الحالي على تاريخ شبه القارة الهندية منذ العهد القديم الى عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م عام الاستقلال والتقسيم .

المراجع الإنجليزية

المراجع الانجليزية

Abdur Rashid, Sh: History of the Muslims of Indo-Pakistan Sub-Continent (1707 - 1806), Vol.I, Lahore, 1978. ‎-١٥٣

Ali, K: A New History of Indo-Pakistan Since 1526. Lahore, Naeem publishers, 1988. ‎-١٥٤

معظم محتويات هذا الكتاب اقتباس من كتاب India Since 1526 (*)
الذى الفه V.D.Mahajan كمايتناول نفس الفترة وينتهج نفس
النهج .

Ali, Muhammad Mohar: History of the Muslims of Bengal, Volume IA, Muslim Rule in Bengal, First Edition, 1406 H/1985. ‎-١٥٥

ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية .

يتناول هذا الجزء (IA) من الكتاب تاريخ حكم المسلمين في بنغال منذ
عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣هـ الى موقعة بلاسى فىعام ١١٧٠هـ/١٧٥٧م حيث سقطت بنغال تحت
سيطرة شركة الهند الشرقية الانجليزية .

ولقد استفاد المولف في كتابه هذا من المصادر الفارسية المترجمة
والانجليزية وبعض المصادر باللغات المحلية .

كمايتناول الجزء الاخر من الكتاب (IB) المعالم الحضارية لحكم
المسلمين في بنغال من ادارة ومجتمع وتعليم وغيره .

Ansari , Mohammad Azhar : European Travellers under the Mughals (1580) - 1627) , Delhi, 1975. ‎-١٥٦

Chand, Tara (1888 -): History of the Freedom Movement in India, In Four Volumes, Lahore, Traders, 1961. ‎-١٥٧

Hag, Syed Moinul (1901 -) : The Great Revolution of 1857, Karachi, Pakistan Historical Society, 1968. ‎-١٥٨

Hossain, Hameeda: –١٥٩
The Company Weavers of Bengal
The East India Company and The Organization
of the Textile production in Bengal
(1750 - 1813)
Delhi, Oxford University Press, 1988.

Mahajon, Vidya Dhar : –١٦٠
India Since 1526,
Fifth Edition, Delhi, S. Chand Co., 1962

قسم المؤلف كتابه هذا الى قسمين ، ففي القسم الاول تناول تاريخ الهند في عهد الدولة المغولية (٩٣٢– ١٢٧٥هـ/١٥٢٦ – ١٨٥٨م) كما تناول فى القسم الثانى تاريخ الهند في العهد الانجليزى وبدأ فى ذلك من تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية والتنافس الاستعمارى بين القوى الاوربية البحرية للسيطرة والسيادة على شبه القارة الهندية حتى عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

الجدير بالذكر ان الجديد في هذا الكتاب هو ماتناوله المؤلف في القسم الثانى منه واماموضوعات القسم الاول منه فقد تناوله المؤلف فى كتابه الاخر ايضا وهو كتاب Mughal Rule in India

Mahajan, Vidya Dhar : –١٦١
Mughal Rule in India,
Delhi, S.Chand, 1964.

Malik, Ikram Ali: –١٦٢
A Book of Readings on The History of the
Punjab (1799 - 1947),
Lahore, University of the punjab, 1970.

Mason, Philip: The Men Who Ruled India, London, The Trinity press, 1985. -١٦٣

Miller, Charles (1918 -): Khyber, British India ' s North-West Frontier London, Macdonald and Janes, 1977. -١٦٤

Mukherjee, Ramkrishna (1919 -): The Rise And The Fall of The East India Company, A Sociological Appraisal, New York and London, Monthly Review Press, 1974. -١٦٥

محتويات هذا الكتاب عبارة عن سلسلة من المحاضرات التى ألقاها المؤلف كأستاذ زائر لجامعة همبولت Humblodt في برلين ، على طلاب معهد الدراسات الهندية في عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م . لقد درس المؤلف من خلال فصول الكتاب الست تاريخ الشركة الانجليزية دراسة اجتماعية .

Prasad, Ishwari: A Short History of Muslim Rule in India, Allahabad, The Indian Press, 1982. -١٦٦

Sen, S.P: The French in India (1763 - 1816), Second Edition, Delhi, Munshiram Manoharlal, 1971. -١٦٧

يتناول هذا الكتاب التنافس الاستعمارى الذى جرى بين الانجليز والفرنسيين خلال نصف قرن آخر بعد معاهدة باريس(رجب ١١٧٦هـ / فبراير ١٧٦٣م) التى فقدت فرنسا بموجبها وجودها العسكرى فى الهند، ولكن محاولاتها التى لم يكتب لها النجاح - استمرت لاستعادة ذلك النفوذ خلال هذه الفترة التى يتناولها هذا الكتاب .

Singer, Andre: —١٦٨
Lords of The Khyber,
The Story of the North-West Frontier
London, Faber,
1984.

Spear, Percival: —١٦٩
A History of India,
Vol. Two, Penguim Books, 1982.

صدرت الطبعة الاولى لهذا الكتاب في عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، ويتناول هذا الجزء تاريخ شبه القارة الهندية منذ تأسيس الدولة المغولية (٩٣٢هـ/١٥٢٦م) الى الاستقلال والتقسيم .

Wolpert, Stanley, (1927 -): —١٧٠
A New History of India,
Second Edition, Oxford University Press,
1982.

Ziring, Lawrence (1928 -): —١٧١
Iran, Turkey, and Afghanistan,
A Political Chronology,
New York, Praeger Publishers,
1981.

يتناول هذا الكتاب أهم الاحداث في تاريخ ايران وتركيا وافغانستان حسب تسلسلها الزمني منذ تكون هذه الدول في العهود الماضية الى سنة تاليف الكتاب (١٤٠١هـ/١٩٨١م) .

Computer Sakhr MSX, —١٧٢

لقد استفدت من هذا الكمبيوتر في تحويل التاريخ الهجرى الى الميلادى وتحويل الميلادى الى الهجرى ، علما بان الكمبيوتر المشار اليه يحدد التقويمين بداء من غرة شهر محرم من السنة الاولى للهجرة كحد ادنى الى ٢ ربيع الثانى ٩٦٦٦ هـ / ٣١ ديسمبر ٩٩٩٩ م كحد أقصى .

فهرس الموضوعات

فهــرس الموضوعــات

الموضـــــــوع رقم الصفحة

الفصـل الرابـع

وسائل شركة الهند الشرقيـة الإنجليزيـــــة

لإحكام سيطرتهـا علـى جميـع الهنـــــد (٣٠٩-٤٠٧)

الفصـل الخامس

الثـورة الهنديـة (١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧م)

الخاتمـــة

قائمة المصادر والمراجع

الخرائـــــط